p-ISSN: 2307-1583
e-ISSN: 2789-326X



SIYASAT ARABIYA

العدد 70 - المجلد 12 - أيلول/ سبتمبر 2024
Issue 70 - Volume 12 - September 2024

A Bimonthly Peer Reviewed Journal of Political Science and International Relations
دورية محكّمة تُعنى بالعلوم السياسية والعلاقات الدولية

ملف

الانتخابات في العالم العربي: فهم السلوك وتأويل النتائج

صاحب الامتياز

المدير العام للمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

The Designated Licensee

The General Director of the Arab Center for Research and Policy Studies

جميع المراسلات باسم
رئيس التحرير على العناوين التالية

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
صندوق بريد: 10277
منطقة 70 شارع الطرفة، الدوحة، قطر
هاتف 00974 4035 6888

Arab Center For Research & Policy Studies
PO Box: 10277
Al Tarfa Street, Doha, Qatar
Phon: 00974 4035 6888

أو على البريد الإلكتروني للمجلة
siyasat.arabia@dohainstitute.edu.qa

صورة الغلاف

محمد رفاعي (لبنان)

فنان فوتوغرافي. صورة الغلاف تُظهر تجهيزًا فنيًا بعنوان "نشيد الحب" لألفرد طرزي، عُرض في متحف بيروت الوطني عام 2022.



SIYASAT ARABIYA

العدد 70 - المجلد 12 - أيلول/ سبتمبر 2024
Issue 70 - Volume 12 - September 2024

دورية محكّمة تُعنى بالعلوم السياسية والعلاقات الدولية

A Bimonthly Peer Reviewed Journal of Political Science and International Relations

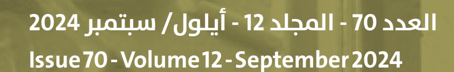
لا تعبِّر آراء الكُتّاب بالضرورة عن اتّجاهات يتبنّاها "المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات" أو "معهد الدوحة للدراسات العليا" أو دورية "سياسات عربية"



المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies







ملف
الانتخابات في العالم العربي: فهم السلوك وتأويل النتائج

المحرر الضيف: عبد الكريم أمنكاي

Special Issue
Elections in the Arab World: Understanding Behavior and Interpreting Results 7

Guest Editor: Abdelkarim Amengay



المـركز العـربي للأبحـاث ودراسة السيـاسات
Arab Center for Research & Policy Studies

The Arab Center for Research and Policy Studies is an independent social sciences and humanities institute that conducts applied and theoretical research seeking to foster communication between Arab intellectuals and specialists and global and regional intellectual hubs. The ACRPS achieves this objective through consistent research, developing criticism and tools to advance knowledge, while establishing fruitful links with both Arab and international research centers.

The Center encourages a resurgence of intellectualism in Arab societies, committed to strengthening the Arab nation. It works towards the advancement of the latter based on the understanding that development cannot contradict a people's culture and identity, and that the development of any society remains impossible if pursued without an awareness of its historical and cultural context, reflecting its language(s) and its interactions with other cultures.

The Center works therefore to promote systematic and rational, scientific research-based approaches to understanding issues of society and state, through the analysis of social, economic, and cultural policies. In line with this vision, the Center conducts various academic activities to achieve fundamental goals. In addition to producing research papers, studies and reports, the center conducts specialized programs and convenes conferences, workshops, training sessions, and seminars oriented to specialists as well as to Arab public opinion. It publishes peer-reviewed books and journals and many publications are available in both Arabic and English to reach a wider audience.

The Arab Center, established in Doha in autumn 2010 with a publishing office in Beirut, has since opened three additional branches in Tunis, Washington and Paris, and founded both the Doha Historical Dictionary of Arabic and the Doha Institute for Graduate Studies. The ACRPS employs resident researchers and administrative staff in addition to hosting visiting researchers, and offering sabbaticals to pursue full time academic research. Additionally, it appoints external researchers to conduct research projects.

Through these endeavours the Center contributes to directing the regional research agenda towards the main concerns and challenges facing the Arab nation and citizen today.

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات مؤسسة بحثية فكرية مستقلة، مختصة بالعلوم الاجتماعية والإنسانية، في جوانبها النظرية والتطبيقية، تسعى، عبر نشاطها العلمي والبحثي، إلى خلق تواصل في ما بين المثقفين والمتخصصين العرب في هذه العلوم، وبينهم وبين قضايا مجتمعاتهم، وكذلك بينهم وبين المراكز الفكرية والبحثية العربية والعالمية، في عملية تواصل مستمرة، من البحث، والنقد، وتطوير الأدوات المعرفية.

يتبنى المركز رؤية نهضوية للمجتمعات العربية، ملتزمة بقضايا الأمة العربية، والعمل على رقيها وتطوّرها، انطلاقًا من فهم أنّ التطور لا يتناقض مع الثقافة والهوية، بل إنّ تطوّر مجتمعٍ بعينه، بفئاته جميعها، غير ممكنٍ إلا في ظروفه التاريخية، وفي سياق ثقافته، وبلغته، ومن خلال تفاعله مع الثقافات الأخرى.

ومن ثمّ، يعمل المركز على تعزيز البحث العلمي المنهجي والعقلانية في فهم قضايا المجتمع والدولة، بتحليل السياسات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في الوطن العربي. ويتجاوز ذلك إلى دراسة علاقات الوطن العربي ومجتمعاته بمحيطه المباشر، وبالسياسات العالمية المؤثّرة فيه، بجميع أوجهها.

وفي ضوء هذه الرؤية، يعمل المركز على تحقيق أهدافه العلمية الأساسية، عن طريق نشاطاته الأكاديمية المختلفة، فهو ينتج أبحاثًا ودراسات وتقارير، ويصدر كتبًا محكّمةً ودوريات علميةً، ويبادر إلى مشاريع بحثية، ويدير عدة برامج مختصة، ويعقد مؤتمرات، وورش عمل وتدريب، وندوات أكاديمية، في مواضيع متعلقة بالعلوم الاجتماعية والإنسانية، وموجّهة إلى المختصين، والرأي العام العربي أيضًا، ويساهم، عبر كل ذلك، في توجيه الأجندة البحثية نحو القضايا والتحديات الرئيسة التي تواجه الوطن والمواطن العربي. وينشر المركز جميع إصداراته باللغتين العربية والإنكليزية.

تأسّس المركز في الدوحة في خريف 2010، وله فرع يعنى بإصداراته في بيروت، وافتتح ثلاثة فروع إضافية، في تونس وواشنطن وباريس. ويشرف على المركز مجلس إدارة بالتعاون مع مديره العام المؤسِّس.

أسّس المركز مشروع المعجم التاريخي للغة العربية، وما زال يشرف عليه بالتعاون مع مجلسه العلمي، كما أسّس معهد الدوحة للدراسات العليا، وهو معهد جامعي تشرف عليه إدارة أكاديمية ومجلس أمناء مستقل يرأسه المدير العام للمركز.

يعمل في المركز باحثون مقيمون، وطاقم إداري. ويستضيف باحثين زائرين للإقامة فيه فترات محددة من أجل التفرّغ العلمي، ويكلّف باحثين من خارجه للقيام بمشاريع بحثية، ضمن أهدافه ومجالات اهتمامه.



DOHA INSTITUTE
FOR GRADUATE STUDIES

The Doha Institute for Graduate Studies (DI) is an independent institute for learning and research in the fields of Social Sciences, Humanities, Public Administration and Development Economics in Doha.

Through its academic programs and the research activities of its professors, the DI aims to achieve its mission of contributing to the formation of a new generation of academics and intellectually independent researchers who are proficient in international scholarship standards and modern interdisciplinary research methodologies and tools, and leading professionals who can advance human knowledge and respond to the needs of the Arab region, resulting in social, cultural and intellectual development.

The institute seeks to establish an intellectual hub that will benefit the Arab region in particular. The Institute supports academic research that deals with Arab issues, in an atmosphere of institutional and intellectual freedom.

The Institute works in cooperation with the Arab Center for Research and Policy Studies and the Doha Historical Dictionary of Arabic Language to facilitate its students and faculty members in their research of the most important current issues related to the Arab world and the wider international community. The involvement of students in the most important research projects is at the heart of the Institute's interests.

The Institute adopts Arabic as its official and primary language for education and research. English serves as an accompaniment to Arabic, with both languages used in presenting and research.

معهد الدوحة للدراسات العليا مؤسّسة أكاديميّة مستقلّة للتعليم العالي والأبحاث في العلوم الاجتماعية والإنسانية والإدارة العامّة واقتصاديات التنمية.

يهدف المعهد من خلال برامجه الأكاديمية ونشاطات أساتذته البحثية إلى تحقيق رسالته المتمثلة في المساهمة في تكوين جيلٍ جديدٍ من الأكاديميين والباحثين المستقلين فكريًا والمتمكّنين من المعايير العلمية العالميّة والأدوات البحثية المنهجية الحديثة القائمة على مبدأ تداخل التخصصات، ومن القادة المهنيين القادرين على الدفع قُدُمًا بالمعرفة الإنسانية والاستجابة إلى حاجات المنطقة العربية في سبيل التطوّر الفكري والاجتماعي والمهني.

ويسعى المعهد لتأسيس نواة لصرح فكري يفيد العالم العربي على نحو خاص. ويدعم المعهد البحوث العلمية التي تهتم بالقضايا العربية، في جوّ من الحرية المؤسسية والفكرية.

يعمل المعهد بالتعاون مع المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ومعجم الدوحة التاريخي للغة العربية على فتح المجال لطلبته وأعضاء هيئته التدريسية للبحث في أهم القضايا الراهنة التي تتعلق بالعالم العربي والمجتمع الدولي. ويعتبر إشراك الطلبة في أهم المشاريع البحثية في صلب اهتمامات المعهد.

يعتمد المعهد اللغة العربية أداةً للبحث العلمي، ولغةً رسمية في الخطاب العام، ولغةً أساسية للتعليم والبحث. وتُعدّ اللغة الإنكليزية لغةً مرافقة في التعلّم والبحث العلمي. وتستعمل اللغتان في طرح المواضيع المختلفة ودراستها.





ملف

الانتخابات في العالم العربي: فهم السلوك وتأويل النتائج

المحرر الضيف: عبد الكريم أمنكاي

Special Issue

Elections in the Arab World: Understanding Behavior and Interpreting Results

Guest Editor: Abdelkarim Amengay





المعرّف الرقمي DOI
https://doi.org/10.31430/AWBN4079

عبد الكريم أمنكاي | Abdelkarim Amengay*

تقديم
دراسة الانتخابات في العالم العربي: لماذا؟ وكيف؟**

Introduction
Studying Elections in the Arab World: Why? and How?

عمّمت الأنظمة السلطوية في العالم العربي نظرة للانتخابات بأنها أداة شكلية، ليس لها وزن في السياسة، ولا طائل من دراستها. ولذلك، لم يحظ حقل الدراسات الانتخابية، عربيًا، بعناية كافية، على الرغم من أنه من أهم الفروع الموضوعاتية في العلوم السياسية المعاصرة. يدافع هذا التقديم عن أهمية العناية بهذا الحقل عربيًا، وتوظيف ما تقدّمه العلوم الاجتماعية من مناهج لدراسة الانتخابات. ويعرض، باقتضاب، للتطور التاريخي للانتخابات في المنطقة، منذ بداياتها في القرن التاسع عشر، ما يُظهر أن الانتخابات ليست فعلًا سياسيًا غريبًا عن المنطقة، بل إنها ممارسة راسخة في سياقات عربية عدة، وإن لم يكن ذلك تعبيرًا عن حكم ديمقراطي دائمًا. ويعرض التقديم للأسئلة التي تثيرها الانتخابات في الحاضر العربي، وتحتاج إلى إجابات تتجاوز المقاربات الوصفية والقانونية المعيارية التي هيمنت على البحث العلمي عنها. وسيعرض التقديم ما يمكن أن توفره المقاربات البنيوية من أطر نظرية تحليلية لفهم المشاركة الانتخابية في السياق العربي.

كلمات مفتاحية: دراسة الانتخابات، تاريخ الانتخابات، السلوك الانتخابي، العالم العربي.

The pattern of authoritarianism in Arab states has popularized the view that elections are a mere formality with no real political weight and are thus unworthy of study. Therefore, the field of electoral studies, in Arabic, has not received enough attention, despite being one of the most important thematic branches in contemporary political science. This paper defends the importance of exploring this field in Arabic, and employing approaches advanced by social sciences. It briefly presents the historical development of elections in the region since the 19th century, which shows that elections are not a political act alien to the region, rather a well-established practice in several Arab contexts, if not always an expression of democratic rule. It introduces questions raised by contemporary Arab elections, which require answers that go beyond the standard descriptive and legal approaches that have dominated research on the matter so far. The presentation demonstrates the potential of structural approaches to provide analytical theoretical frameworks for understanding voter turnout and participation in the Arab context.

Keywords: Electoral Studies, History of Elections, Electoral Behavior, Arab World.

* أستاذ مساعد، برنامج العلوم السياسية والعلاقات الدولية، معهد الدوحة للدراسات العليا.
Assistant Professor, Political Science and International Relations Program, Doha Institute for Graduate Studies.
Email: abdelkarim.amengay@dohainstitute.edu.qa

** يستند هذا التقديم، في أجزاء منه، إلى الورقة المرجعية للدعوة إلى الكتابة في عدد خاص عن "الانتخابات في العالم العربي"، التي أعلنت عنها دورية **سياسات عربية**، ينظر: "الانتخابات في العالم العربي"، **ورقة مرجعية**، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2022، شوهد في 2024/2/21، في: https://acr.ps/1L9zR8t

يرتبط النظام الديمقراطي[1] ارتباطًا عضويًا بالانتخابات، على الأقل في أكثر أشكاله انتشارًا في العالم، وربما الوحيدة الممكنة عمليًا في عصرنا الحالي، الديمقراطية التمثيلية، التي يعرفها البعض بكونها "طريقة لتسمية السلطة ومعالجتها [...] تتضمن [مما تتضمنه] وهي إجراءات مثل الانتخاب المنتظم للمرشحين للسلطة التشريعية، وتحديد مدة الولاية في المناصب السياسية، والاقتراع السري، والأحزاب السياسية المتنافسة"[2]. صحيح أن "هناك في الديمقراطية ما هو أكثر من الانتخابات [لكنها تبقى[...]] أساسية في الشكل"[3] المتعارف عليه بالديمقراطية النيابية أو الديمقراطية غير المباشرة[4]. ورغم الجدالات الأكاديمية حول تعريف الديمقراطية وأنواعها وأنماطها المؤسساتية المختلفة، فإنه يمكن الجزم بأنه لا تكاد تخلو مفهمة إجرائية للديمقراطية من عنصر الانتخابات التعددية الحرة والنزيهة. فالانتخابات من أهم وسائل انخراط المواطنين في الحياة العامة والتعبير عن تفضيلاتهم ومشاركتهم السياسية. بل هي ركن من "أركان الديمقراطية السليمة والمستقرة"[5]، و"أحد أهم المؤشرات على مستوى الشرعية الديمقراطية"[6] الذي يتمتع به أي نظام سياسي. أكثر من ذلك، قد يكون التصويت في الانتخابات هو نوع المشاركة السياسية الوحيد الذي سيمارسه أغلب المواطنين خلال حياتهم[7]. فلا غرابة إذًا أنّ دراسة الانتخابات كانت، وما زالت، من أكثر المواضيع حضورًا في علم السياسة المقارنة منذ نشأته في أواخر القرن التاسع عشر[8]. لكن، أيعني هذا الارتباط العضوي للانتخابات بالديمقراطية التمثيلية أنه لا حاجة أو جدوى بحثية من دراسة الانتخاب في سياق غير ديمقراطي كالذي يميز دول العالم العربي، والذي بحسب تقرير مؤشر بيت الحرية لسنة 2024، لا يصنف أي نظام من أنظمته الحاكمة نظامًا حرًا[9] أو ديمقراطيًا؟

لا يحتاج المرء إلى التفكير كثيرًا ليعرف جوابنا عن هذا السؤال، لأن مجرد صدور هذا العدد يكشف موقفنا المتمثل في أن دراسة الانتخابات، بل تطوير حقل دراسات انتخابية عربي هو مطلب علمي شرعي، إن لم يكن مُلحًا. فالانتخابات بوصفها عملية سياسية هي عنصر أصيل في النظام الديمقراطي، لا يترتب عليه بالضرورة أنه لا قيمة لها في جميع السياقات غير الديمقراطية. فالمطلوب هو دراسة الانتخابات كما هي، بوصفها ممارسة سياسية ذات أبعاد مختلفة يتعين على الباحثين فهمها وتحليلها، مستغنين عن الأحكام المعيارية الصرفة التي لا ترى فائدة تُذكر من ذلك، خصوصًا عندما يتعلق الأمر بالانتخابات في العالم العربي. في هذا الصدد، نوافق على ما ذهب إليه فرانسيسكو كفاتورتا[10]، حين رأى أن الموقف السلبي لبعض الباحثين من دراسة "الأحزاب السياسية والسلوكات الانتخابية في العالم العربي، يعكس جيدًا كيفية تسرّب مفهوم الاستثنائية إلى الجماعة العلمية [...] المتخصصة في العالم العربي، [حين] دفعوا على نحو غير عادل بمواضيع [لها أهميتها وقيمتها البحثية] إلى هوامش الأدبيات [العلمية حول المنطقة] من منطلق [لا يخلو من نظرة استشراقية خفية أو جلية] مفاده أن "الأمور تسير على نحو مختلف في العالم العربي"[11].

يهدف هذا العدد إذًا إلى أن يكون دعوة إلى العناية بتطوير حقل الدراسات الانتخابية وموضوعاته في العالم العربي. فرغم الانتشار العالمي الذي عرفته الدراسات الانتخابية بوصفه حقلًا بحثيًا يوظف أدوات العلوم الاجتماعية ومنهجياتها في دراسة الانتخابات، وتطورها المتواصل على مدى العقود الماضية، فإن موقعها في العلوم السياسية العربية ما زال محدودًا. فإذا كانت الساحة البحثية العربية حبلى

1 يلخص عبد الفتاح ماضي النقاشات الدائرة حول تعريف الديمقراطية بقوله بأن "نظام الحكم الديمقراطي هو ذلك النظام الذي تتركز فيه القوة السياسية في يد الشعب، ويمارس الشعب السلطة إما بنحو مباشر من خلال التصويت على القرارات والسياسات (الديمقراطية المباشرة)، وإما على نحو غير مباشر من خلال التصويت لاختيار ممثلين عنه للقيام بعملية صنع القرارات والسياسات (الديمقراطية غير المباشرة أو النيابية وهي الأكثر انتشارًا)". ينظر: عبد الفتاح ماضي، **الديمقراطية والبندقية: العلاقات المدنية-العسكرية وسياسات تحديث القوات المسلحة** (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2021)، ص 45.

2 جون كين، **حياة الديمقراطية وموتها**، ترجمة محمد العزير (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2021)، ص 243.

3 جون س. درايزك وباتريك دنفلي، **نظريات الدولة الديمقراطية**، ترجمة وتعليق هاشم أحمد محمد (القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2013)، ص 237.

4 وفق تعريف عبد الفتاح ماضي للديمقراطية المشار إليه سابقًا.

5 Ian McAllister, *Advanced Introduction to Elections and Voting* (UK: Edward Elgar Publishing, 2022), p. 48.

6 Stefan Dahlberg & Maria Solevid, "Does Corruption Suppress Voter Turnout?," *Journal of Elections, Public Opinion and Parties*, vol. 26, no. 4 (2016), p. 489.

7 Eva Anduiza Perea, "Individual Characteristics, Institutional Incentives and Electoral Abstention in Western Europe," *European Journal of Political Research*, vol. 41, no. 5 (2002), pp. 643-673.

8 حول نشأة علم السياسة المقارنة في الجامعات الأمريكية وتطوره يمكن الاطلاع على الجزء الأول من دراسة: عبد الكريم أمنكاي وآلان ألوسكان، "هامشية المنهج الكمّي في العلوم السياسية العربية: الإحصاء الاستدلالي نموذجًا"، **سياسات عربية**، مج 11، العدد 60 (2023)، ص 111-126.

9 Freedom House, *Freedom House in the World 2024* (February 2024), accessed on 20/4/2024, at: https://bit.ly/3WUhykp

10 من الباحثين الغربيين القلائل الذين دافعوا عن الجدوى العلمية لدراسة السلوكات الانتخابية في دول العالم العربي.

11 Francesco Cavatorta, "Overcoming Exceptionalism: Party Politics and Voting Behavior in the Middle East and North Africa," in: Larbi Sadiki (ed.), *Routledge Handbook of Middle East Politics* (London: Routledge, 2020), p. 218.

بمئات الكتب والمقالات التي تتطرق إلى موضوع الانتخابات، فإنها تظل في مجملها[12] محصورة في نوعين من الأعمال البحثية. النوع الأول، الأعمال البحثية التي يغلب عليها ما يمكن وصفه بالمقاربة القانونية، والتي تركز على تحليل النصوص الدستورية والقوانين الانتخابية التي تحكم العمليات الانتخابية أو تؤطرها داخل نطاق وطني معيّن[13]. أما النوع الثاني من المساهمات فهو تلك الدراسات التي يمكن وصمها بالوصفية، حيث تُعنى تحديدًا باستعراض نتائج الانتخابات[14]، والتي رغم أهميتها والحاجة إليها تظل محدودة على مستوى طبيعة الأسئلة البحثية التي تطرحها أو الفرضيات التي تسمح باختبارها.

من هذا المنطلق، يسعى هذا المقال التقديمي للعدد إلى الدفاع عن مشروعية دراسة الانتخابات في العالم العربي من خلال: أولًا، تقديم مقتضب لتاريخ الانتخابات في العالم العربي منذ تمظهراتها الأولى في القرن التاسع عشر إلى فترة ما سُمي "الربيع العربي"، وذلك بغرض الحجاج بأن الانتخابات بوصفها ممارسة سياسية وشكلًا من أشكال الانخراط في الفضاء السياسي القائم، أو التفاعل معه، بعيدة كل البعد عن أن تكون ظاهرة غريبة عن المنطقة وشعوبها، بل هي مترسخة فيها (أو على الأقل في كثير من بلدانها)، وهذا وحده يجعلها جديرة بالدراسة، حتى ولو لم تكن في جميع المراحل مرتبطة بالديمقراطية. سيؤدي بنا هذا إلى الوقوف على بعض الأسئلة التي تطرحها الانتخابات في حاضر العالم العربي، خصوصًا تلك المتعلقة بفهم السلوكات الانتخابية للمواطنين التي تظل مهمشة إلى حد بعيد في العلوم السياسية العربية. ثانيًا، سنقوم بالتمثيل لكيفية توظيف الإنتاج المعرفي للعلوم الاجتماعية في دراسة السلوكات الانتخابية في العالم العربي، من خلال مثال التفسيرات البنيوية للمشاركة الانتخابية، والتي كما سنرى توفر إطارًا نظريًا يسمح باعتبار الطبيعة غير الديمقراطية للنظام السياسي القائم جزءًا من تفسير السلوك الانتخابي، من دون أن يحصره في ذلك. في حين سيخصص الجزء الثالث من هذه الورقة لتقديم محتوى العدد.

12 على سبيل المثال، ينظر: **التعبئة الانتخابية في تونس: دراسة حالة الانتخابات التشريعية 2014** (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2016).

13 أسعد كاظم شبيب، "إصلاح النظام الانتخابي في العراق، **مجلة الكوفة للعلوم القانونية والسياسية**، مج 10، العدد 32 (2018).

14 على سبيل المثال، ينظر: أحمد إبراهيم أبو شوك والفاتح عبد الله عبد السلام، **الانتخابات البرلمانية في السودان (1953-1986): مقاربة تاريخية - تحليلية** (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2020)؛ شبيب؛ هيثم سليم زعيتر، **الجنوب بين البلديات والنيابيات** (بيروت: دار ملفات لبنان؛ الفرات للنشر والتوزيع، 2016)؛ يمكن الاطلاع على الورقة المرجعية للعدد، "الانتخابات في العالم العربي"، ص 4.

أولًا: الانتخابات في العالم العربي ممارسة مترسخة

إنّ البحث في أصول الممارسة الانتخابية في العالم العربي لا يمكن أن يتم من دون الرجوع إلى تلك اللحظة المفصلية في القرن التاسع عشر التي شكّلتها، ما يصطلح عليه في التاريخ العربي المعاصر بعصر النهضة، وتبلور القناعة بحتمية بناء مؤسسات "دولة حديثة" شرطًا ضروريًا لولوج "المدنية" أو "التقدم" أو "الترقّي"، سواء لدى أعلامها المتقدمين أو المتأخرين، من رفاعة الطهطاوي إلى جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، مرورًا بعبد الرحمن الكواكبي وخير الدين التونسي، وغيرهم. فثناء فؤاد عبد الله ترى أنه من "الثابت تاريخيًا أنه منذ منتصف القرن التاسع عشر، تبلور في السياق العربي تيار إصلاحي تحديثي ليبرالي [سياسيًا] يروم لإصلاحات ديمقراطية دستورية وبرلمانية، [كانت تهدف مما تهدف له، فتح] المجال للمشاركة الشعبية وقيام مجتمع مدني كالأحزاب والتنظيمات والحركات السياسية والثقافية، وتوسيع نطاق الحرية الفردية"[15]. يتماشى هذا الطرح أيضًا مع ما ذهب إليه محمد عابد الجابري، عندما اعتبر أنّ "المشروع النهضوي العربي قد ارتبط منذ البداية بالأهداف الإنسانية في الحداثة [...] وطرحَ بحدة المسألة الديمقراطية"[16]. فلا غرابة إذًا أن تكون الإرهاصات الأولى للممارسة الانتخابية في العالم العربي ظهرت في مصر في ظل الحركة الإصلاحية المؤسساتية لأسرة محمد علي، وبالتحديد خلال فترة حكم الخديوي إسماعيل باشا، وذلك عندما شكّل "مجلس شورى النواب [سنة 1866]، المكوّن من خمسة وسبعين نائبًا من أربع عشرة محافظة [[...]منتخبين من طرف] مجمع انتخابي يعكس بنى السلطة في المحافظات [المهيمن عليها من طرف] أعيان الريف"[17]. وبعد سبع عشرة سنة، وفي خضم دخول الاحتلال البريطاني مصر، جرى توسيع حق التصويت في انتخابات "الجمعية العمومية" لسنة 1883، ليشمل عددًا أكبر من المصريين (من دون أن يتجاوز 13 في المئة من ساكنة مصر آنذاك)[18].

جاءت هذه الانتخابات نتيجة لمرافعة النخب الإصلاحية عن مبدأ التمثيلية البرلمانية، والتي اعتبر المؤرخ اللبناني وجيه كوثراني أنّ

15 ثناء فؤاد عبد الله، "سؤال الحرية الليبرالية في السياق العربي: تجربة النهضة نموذجًا"، في: **الحرية في الفكر العربي المعاصر** (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2018)، ص 343-344.

16 محمد عابد الجابري، **المشروع النهضوي العربي: مراجعة نقدية** (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2016)، ص 53.

17 Irene Weipert-Fenner, *The Autocratic Parliament: Power and Legitimacy in EGYPT, 1866-2011* (New York: Syracuse University Press, 2020), p. 48.

18 Ibid., 57.

"مرحلة التنظيمات العثمانية والإجراءات التحديثية التي اتُّخذت في ظلها، منطلقًا أوليًا للحديث [عنها في بلدان الشرق الأوسط العربي، والتي تمظهرت[...]] إجرائيًا بتشكيل 'مجالس إدارية' في الولايات العثمانية، بدءًا من عام 1864 [[...]والتي كانت] تمثّل السكان على مستوى الأقضية والطوائف بنسب محددة ويُنتخب أعضاؤها عن طريق مشايخ صلح القرى أو ممثلين وسطاء في الوحدات الإدارية الصغرى في المدن"[19]. يمكن ربط ذلك، أيضًا، بما عرفته تونس "في عام 1861، [حين] تمت كتابة أول دستور في الوطن العربي [[...]و] الذي دستر مؤسسات الباي وأسس نظامًا سياسيًا برلمانيًا"[20]، وإن كان هذا الدستور لم "يتضمّن آلية انتخابية أو قانونًا انتخابيًا"، حيث إن جميع أعضائه كانوا معيَّنين[21]. في مقابل ذلك، يسجّل التاريخ المعاصر أنّ أول انتخابات "عامة" في العالم العربي، بصفتها ممارسة سياسية تنافسية تهدف إلى اختيار ممثلين عن المواطنين (أو على الأقل الرجال المؤهلين لذلك وفق القانون) في مجالس منتخبة ذات صبغة تشريعية وسلطة حقيقية نظمت سنة 1908[22]، التي تميزت بحسب حسن كيالي، بمستوى جيد من الحرية السياسية، رغم بعض الخروقات للقانون الانتخابي التي شابتها في بعض المناطق، خصوصًا في الأقاليم العربية، مثل الحجاز[23]، علمًا أن القانون الانتخابي العثماني أهّل فقط للمشاركة الانتخابية، "الذكور الذين هم فوق العشرين سنة ويدفعون ضريبة مباشرة"[24]. إنّ حصر التصويت في دافعي الضرائب، والحدّ من أعداد المؤهلين كانا معمولًا بهما في العديد من الدول الأوروبية "الديمقراطية"، حيث "خشي الليبراليون من احتمالات استغلال الجهل والعوز وعدم انتشار قيم الحريات للتلاعب بأصوات البسطاء، ولذلك أيّدوا التقييدات"[25]. والخروقات وشراء الأصوات لم يكونا غائبَين هما أيضًا حتى عن أعرق الأنظمة البرلمانية، مثل بريطانيا حيث لم يتمّ السعي إلى الحد منها على نحو جدي إلّا انطلاقًا من سنة 1883، مع "قانون الحماية من الرشوة والممارسات غير القانونية لتحصين العملية الانتخابية"[26].

نُظّمت انتخابات سنة 1908 وفق نظام المرحلتين، حيث ينتخب الناخبون المؤهلون ممثلين عنهم ("ناخبون كبار") الذين ينتخبون بدورهم أعضاء مجلس النواب العثماني، وهو النظام الانتخابي الذي جرى اقتباسه من القانون الانتخابي الفرنسي لسنة 1789 الذي أعقب الثورة الفرنسية[27]، وجرى تفضيله في الانتخابات الأولى التي جرت في عدد من دول المنطقة بعد نشأتها في أعقاب الحرب العالمية الأولى، والتي بدأت في ترسخ التصويت ممارسةً سياسيةً اعتيادية في المشهد السياسي لكل قُطر. كان ذلك حال انتخابات "المجلس التمثيلي" اللبناني لسنة 1922[28]، والذي تحوّل مع دستور سنة 1926 إلى "مجلس النواب"[29]، وانتخابات "المجلس التأسيسي" في المملكة العراقية سنة 1923 في فترة حكم الملك فيصل الأول[30]، وانتخابات "المجلس التأسيسي" في سورية سنة 1928[31]، والذي آلت إليه عملية كتابة دستور 1930، أول دستور جمهوري للبلاد[32].

أما في الخليج، فيمكن، بكثير من التجاوز أو ربما التبسيط، اعتبار عملية اختيار أعضاء مجلس الشورى الكويتي لسنة 1921 أول عملية انتخابية في دول الخليج العربية، "حيث قسمت الكويت إلى دائرتين انتخابيتين، هما قبلة وشرق. ومثّل كل دائرة 6 أعضاء، شريطة أن يكونوا من وجهاء البلد والتجار"[33]، قبل أن تليها بعد عقدين تقريبًا عملية اختيار أعضاء المجلس التشريعي الكويتي

19 وجيه كوثراني، في **المسألة اللبنانية: الطائفية والزبونية السياسية وأزمة الديمقراطية** (بيروت: منتدى المعارف، 2019)، ص 106.

20 جورج جوفيه، "الانتقال السياسي في شمال أفريقيا"، في: **الانتخابات والانتقال الديمقراطي: مقاربات مقارنة** (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2019)، ص 252.

21 Theresa Liane Womble, "Early Constitutionalism in Tunisia, 1857-1864: Reform and Revolt," PhD. Dissertation, Princeton University, New Jersey, 1997, p. 86.

22 Hasan Kayali, "Elections and the Electoral Process in the Ottoman Empire, 1876-1919," *International Journal of Middle East Studies*, vol. 27, no. 3 (1995), p. 271.

23 Ibid.

24 "شريطة ألّا يكونوا من مَحْمِي حكومة أجنبية، مفلسين أو حُجزت ممتلكاتهم أو جُرّدوا من حقوقهم المدنية (المادة 11)، ينظر: Ibid., p. 269.

25 عزمي بشارة، **مسألة الدولة: أطروحة في الفلسفة والنظرية والسياقات** (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2023)، ص 356.

26 Justin Fisher, *British Political Parties* (London: Prentice Hall-Harvester Wheatsheaf, 1996).

27 Kayali, p. 270.

28 بحسب وجيه كوثراني فقد "استمر التمثيل صوريًا حتى عام 1925، عندما قامت الثورة السورية الكبرى، وامتدت شرارتها إلى مناطق لبنانية، فقد تم حينذاك استعجال استصدار دستور للبلاد، وهو الدستور الذي قامت على أساسه 'الجمهورية اللبنانية' في العام 1926"، ينظر: كوثراني، ص 111.

29 Jacob M. Landau, "Elections in Lebanon," *The Western Political Quarterly*, vol. 14, no. 1 (1961), p. 124.

30 ماهر علي غزال، "تزوير الانتخابات في مجلس النواب العراقي 1925-1936"، **مجلة الدراسات التاريخية والحضارية**، مج 15، العدد 2/62 (2024)، ص 598.

31 R. Bayly Winder, "Syrian Deputies and Cabinet Ministers, 1919-1959, Part I," *Middle East Journal*, vol. 16, no. 4 (1962), p. 410.

32 Majd Khadduri, "Constitutional Development in Syria: With Emphasis on the Constitution of 1950," *Middle East Journal*, vol. 5, no. 2 (1951), p. 141.

33 محمد محمود الطناحي، "التجار والحراك الديمقراطي في الكويت (1921-1939)، **أسطور**، العدد 5 (2015)، ص 150، نقلًا عن:
Ralph Hewins, *A Golden Dream: The Miracle of Kuwait* (London: W. H. Allen, 1963), p. 206.

لسنة 1938[34]، والتي يعتبرها البعض لحظة مفصلية "إصلاحية كبيرة وشاملة"، أسست للنظام النيابي الكويتي ولتبني الكويت شكل الإمارة الدستورية سنة 1962[35]. أما اليمن، فقد عرف تنظيم أولى انتخابات في عدن سنة 1955، في ظل الاستعمار البريطاني، عندما جرى انتخاب أربعة أعضاء في مجلسها التشريعي[36]. في حين يسجل التاريخ أنّ البحرين نظّمت أول انتخاباتها البرلمانية في كانون الأول/ ديسمبر 1973[37]. أما في قطر، ورغم تأكيد "النظام الأساسي المؤقت للحكم" لسنة 1971 على انتخابات لأعضاء مجلس شورى، فإنه يتعين انتظار سنة 1999 لتعرف البلاد تنظيم أول انتخابات عامة فيها حين جرى انتخاب المجلس البلدي[38]. وكانت الانتخابات البلدية أيضًا هي أول فرصة لجميع المواطنين السعوديين لينتخبوا ممثلين عنهم سنة 2005[39]، بعدما كانت مقتصرة، في الفترة 1926-1967، على ساكنة مناطق المملكة الحجازية السابقة[40]. في حين أن عمان لن تعرف انتخابات يسمح فيها "لكل المواطنين العمانيين الذين بلغوا سن 21 سنة" بالتصويت إلا سنة 2003 في انتخابات مجلس الشورى لذلك العام[41]. أما الدول المغاربية فلم تسجّل انتخابات عامة حقيقية إلا بعد استقلالها عن الاحتلال الفرنسي أو الإيطالي أو الإسباني، (إلا إذا اعتبرنا تلك التي جرت في ليبيا سنة 1908 بوصفها مقاطعة عثمانية). على سبيل المثال لا الحصر، في تونس أجريت سنة 1956 انتخابات المجلس "القومي التأسيسي"[42]، الذي أوكلت له مهمة صياغة دستورٍ للبلاد الحديثة الاستقلال، بعد ثمانين سنة تقريبًا من "الحماية" الفرنسية. أما المغاربة فكان أول عهدهم بالتصويت عندما شاركوا في أول انتخابات للمجالس البلدية لسنة 1960، والتي سبقت تنظيم أول انتخابات برلمانية تعددية بعد وضع دستور سنة 1962[43].

مع وصول التيارات القومية الناصرية أو البعثية أو اليسارية إلى السلطة في عدد كبير من الجمهوريات العربية انطلاقًا من خمسينيات القرن العشرين، جرى تعميم حق التصويت ليشمل كل المواطنين ذكورًا وإناثًا فيها، وبذلك بدأ رفع كل أنواع التمييز السوسيو-اقتصادي عن الأهلية للتصويت، التي ميزت الملكيات البرلمانية الليبرالية العربية، خصوصًا العراقية والمصرية خلال عقود. في مقابل ذلك غابت التعددية السياسية والتنافسية عن الانتخابات المنظمة، وصارت مجرد أدوات لإبراز الدعم الشعبي للنظام القائم، أو على الأقل إعطاء الانطباع بأن الأمر كذلك في ظل أنظمة كانت جل دساتيرها تقر بالسيادة الشعبية وتعلي من شيء النظام الديمقراطي، في حين أنّ ذلك "لم يخرج عن كونه مجرد نصوص ومواد دساتير [غالبيتها شكلية قصد[...]] إظهار الجانب الدستوري للدولة العربية"[44]، أو لإضفاء صبغة العصرية على مؤسسات الحكم فيها والإيهام باستنادها إلى الإرادة الشعبية، وهو ما كان مجرد توظيف لـ "الدلالات الغامضة" لمفهوم السيادة الشعبية من أجل "تبرير حكم شمولي"[45]، أو سلطوي.

مع ثمانينيات القرن العشرين عرف العالم العربي انفتاحًا انتخابيًا نسبيًا، سواء مع عودة الحياة البرلمانية في دول مثل الأردن سنة 1987، بعدما كانت مجمدة مدة سنوات، أو مع فتح المجال لإجراء انتخابات "تعددية" في عدد من جمهوريات الحزب الواحد، إلى درجة أن سعد الدين إبراهيم (أحد أشهر الباحثين العرب في أواخر القرن العشرين والمدافعين عن الديمقراطية) اعتبر أن "رياح الديمقراطية تهب على الأرض العربية"، بنبرة لا تخلو من التفاؤل، وربما بعض السذاجة، عندما استبشر بإعلان "الرئيس العراقي صدام حسين [سنة 1988] عزمه على التحول تجاه الديمقراطية [...] [معتبرًا أنّ] العراق شهد أول انتخابات ديمقراطية على أساس نظام حزبي تعددي، حيث إن المترشحين لم يكونوا فقط من الحزب الحاكم، حزب البعث العربي الاشتراكي"[46]. جعلت هذه المستجدات "الأجندات البحثية في نهاية الثمانينيات وبداية التسعينيات من القرن الماضي [تبدو] متفائلة

34 Kamal Osman Salih, "The 1938 Kuwait Legislative Council," *Middle Eastern Studies*, vol. 28, no. 1 (1992), p. 76.

35 شفيق ناظم الغبرا، **الكويت: دراسة في آليات الدولة والسلطة والمجتمع** (الكويت: دار آفاق للنشر، 2017)، ص 62.

36 King-yuh Chang, "The United Nations and Decolonization: The Case of Southern Yemen," *International Organization*, vol. 26, no. 1 (1972), p. 41.

37 Gianluca Paolo Parolin, "Generations of Gulf Constitutions: Paths and Perspectives," in: Abdulhadi Khalaf & Giacomo Luciani (eds.), *Constitutional Reform and Political Participation in the Gulf* (Dubai: Gulf Research Center, 2006), p. 61.

38 خالد بن غانم العلي، **التجربة الدستورية في قطر** (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2024)، ص 105-111.

39 Parolin, p. 82.

40 وردت هذه المعلومة في:
Andrzej Kapiszewski, "Elections and Parliamentary Activity in the GCC States: Broadening Political Participation in the Gulf Monarchies," in: Khalaf & Luciani (eds.), p. 92.
نقلًا عن:
Anita Pratap, "Saudi Women Make Gains," *Saudi Gazette*, 16/10/2004.

41 Kapiszewski, p. 120.

42 "تاريخ الانتخابات في تونس من 1956 إلى 2019"، **الجزيرة نت**، 2022/12/16، شوهد في 2024/2/21، في: https://bit.ly/40wpwBi

43 Paul Chambergeat, "Les élections communales marocaines du 29 mai 1960," *Revue Française de science politique*, vol. 11, no. 1 (1961), pp. 89-117.

44 عماد مصباح مخيمر، **أزمة السلطة السياسية: دراسة في الفكر السياسي العربي** (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2020)، ص 66-67.

45 المرجع نفسه، ص 281.

46 Sa'd Eddin Ibrahim, "Winds of Democracy Blowing over Arab Soil" in: Amat Al-Alim As-Suswa (ed.) *Democratic Development in Yemen* (Berlin: Klaus Schwarz Verlag, 1994), p. 81.

نسبيًا بشأن [إمكانية] الديمقراطية عربيًا، لكنها ما لبثت أن انتقلت إلى دراسة أسباب مناعة السلطوية في البلدان العربية وحصانتها"[47]. وظهر لاحقًا أنّ انفتاح الأنظمة العربية على الانتخابات التعددية لم يكن في كثير من الحالات إلا استجابة لضغوطات السياق العالمي لما بعد الحرب الباردة وما ميزها من "نظام القطبية الأحادية الأميركي"، والذي لم يعد مقبولًا "أخلاقيًا" فيه وجود نظام سياسي لا يعتمد الانتخابات التعددية آلية لاختيار الحكومة. في العالم العربي، أنتجت هذه التحولات في أحسن الأحوال أنظمة سياسية هجينة، بتعبير لاري دايموند[48]، لا هي سلطوية خالصة ولا هي أنظمة ديمقراطية حقيقية. لم يغير ما يسمى "الربيع العربي" هذا الوضع كثيرًا، وإن شكّلت الأنظمة التي ميّزت تونس (2011-2021) ومصر (2011-2013)، ولو في فترة محدودة زمنيًا، الاستثناء الديمقراطي في مخرجاته، والذي لم يكتب له الاستمرار، حين عرف نهايته في أعقاب تغيّرَين في السلطة صُنِّفا انقلابًا. الأول وُصف بالدستوري من طرف الرئيس قيس سعيّد في تونس سنة 2021، والمنتخب بطريقة ديمقراطية سنة 2019، والثاني عسكري صريح قاده المشير عبد الفتاح السيسي سنة 2013، وسرعان ما سعى كلاهما إلى اكتساب مشروعية من خلال إجراء انتخابات.

خلاصة القول، إن الانتخابات بعيدة كل البعد عن أن تكون ظاهرة مستجدة في العالم العربي، وإن تباينت هذه الانتخابات على مدى العقود سواء في مستوى تعدديتها السياسية أو نزاهتها أو في هامش الحرية والمنافسة الذي يميزها، أو في الأهداف التي سعت الأنظمة إلى تحقيقها من ورائها ومدى وجود تأثير حقيقي لها في السياسات وبنية السلطة. وهذه التباينات ما زالت قائمة اليوم.

ثانيًا: توظيف أدوات العلوم الاجتماعية في دراسة الانتخابات

ترجع المحاولات الأولى لدراسة الانتخابات باستعمال الأطر المفاهيمية والأدوات المنهجية للعلوم الاجتماعية إلى مطلع القرن العشرين مع عالم الجغرافيا الفرنسي أندري سغفريد الذي طرح، في كتابه "اللوحة السياسية لغرب فرنسا في الجمهورية الثالثة"[49] الصادر سنة 1913[50]، نظرية تدّعي تفسير التوجهات الأيديولوجية والتفضيلات الانتخابية الفردية من خلال خصائص البيئة الجغرافية التي يعيشون فيها. لكن، يمكن الجزم بأن النشأة الحقيقية للدراسات الانتخابية، بصفته حقلًا بحثيًا ينهل من العلوم الاجتماعية المعاصرة، تظل مقترنة بظهور ما يُعرف بالمدرسة السلوكية في علم السياسة في أعقاب الحرب العالمية الثانية داخل أسوار الجامعات الأميركية، مع أعمال رواد هذا الحقل البحثي، من قبيل بول لازرفيلد Paul Lazarsfeld وزملائه، مؤسسي الاقتراب السوسيولوجي في دراسة السلوكات الانتخابية (مدرسة كولومبيا)، والتي قدّموا أولى أطروحاتها في كتابهم المرجعي: "اختيار الشعب" *The People's Choice*. فتح هذا المجال نقاشات كبيرة أدت إلى ظهور الاقتراب النفسي - الاجتماعي (مدرسة مشيغان) في خمسينيات القرن العشرين، والذي يعتبر كتاب "الناخب الأميركي" *The American Voter* لأنجس كامبل Angus Campbell وزملائه، البحث التأسيسي له[51]. شهدت العقود الثلاثة الموالية[52] تطورات رئيسة في حقل الدراسات الانتخابية، والتي تمثلت في: 1. تعزيز الحقل بأطر نظرية جديدة، لعل أهمها الاقتراب المؤسساتي والاختيار العقلاني؛ 2. التطور الهائل في المنهجيات الموظفة، من تحسين للأدوات الإحصائية وتطور في تقنيات المسح الاجتماعي المستعملة ودخول للمناهج التجريبية وانفتاح على الأساليب الكيفية؛ 3. توسّع مجال الاهتمامات البحثية لحقل دراسة الانتخابات ليشمل مواضيع بحثية جديدة، من قبيل: النظم الانتخابية، ونزاهة الانتخابات، والعزوف الانتخابي، واللوجستيك الانتخابي[53]، والقضايا المرتبطة بالتمثيل الانتخابي لفئات اجتماعية، معيّنة كالنساء والشباب والجماعات الإثنية[54].

رغم هذا التنوع الموضوعاتي مع مرور السنوات، ظلت مسألة فهم المشاركة الانتخابية من أهم القضايا البحثية المطروحة، على وجه الخصوص طرح السؤالين التاليين: ما الذي يفسر التباينات في نسبة

47 عزمي بشارة، **الانتقال الديمقراطي وإشكالياته: دراسة نظرية وتطبيقية مقارنة** (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2020)، ص 461.

48 Larry Diamond, "Elections without Democracy: Thinking about Hybrid Regimes," *Journal of Democracy*, vol. 13, no. 2 (2002), pp. 21-35.

49 André Siegfried, *Tableau politique de la France de l'ouest sous la troisième république*, 102 cartes et croquis, 1 carte hors texte (Paris: A. Colin, 1913).

50 Béatrice Giblin-Delvallet, "Les géographes, les élections et la sociologie électorale," *Études Normandes*, vol. 38, no. 2 (1989), p. 51.

51 Vincent L. Hutchings & Hakeem J. Jefferson, "The Sociological and Social-Psychological Approaches," in: Justin Fisher et al. (eds.), *The Routledge Handbook of Elections, Voting Behavior, and Public Opinion* (London/ New York: Routledge, 2018).

52 في السنوات والعقود التي تلت ساهمت عدة عوامل في انتشار الدراسات الانتخابية باعتبارها حقلًا بحثيًا قائمًا بذاته خارج موطنها الأصلي، لعل أبرزها الدور الذي أدته الجامعات ومراكز الأبحاث الأميركية في تدريب المئات، بل الآلاف من الباحثين، من مختلف بقاع العالم على كيفية استخدام التحليل الكمي المعتمد على معطيات المسوح الاجتماعية في تحليل السلوكات الانتخابية وفهمها، خصوصًا، التدريبات التي وفرها مركز الأبحاث المسمى "تحالف بين الجامعات للبحث السياسي والاجتماعي" Inter-university Consortium for Political and Social Research، ومقره جامعة مشيغان.

53 Fisher et al. (eds.).

54 للوقوف على أهم المقاربات الفردية التي وُظفت في تفسير السلوكات الانتخابية بصفة عامة والمشاركة الانتخابية يمكن الاطلاع على دراسة عبد الكريم أمنكاي وياسمين لحنين في هذا العدد وعنوانها "الدوافع الفردية للمشاركة الانتخابية في العالم العربي: أيّ تأثير لتقييم مدى ديمقراطية النظام؟".

المشاركة الانتخابية بين الدول؟ وما العوامل التي تجعل بعض الأفراد أكثر أو أقل جنوحًا للذهاب إلى التصويت؟ تبرز التفسيرات البنيوية بوصفها أحد الأطر النظرية التي وُظّفت في الإجابة عن هذين السؤالين، والتي يمكن توظيفها لدراسة المشاركة الانتخابية في العالم العربي والتباينات في ذلك بين دولـه[55]. تركز الأبحاث البنيوية في العلوم السياسية على رصد "العلاقة بين الفاعلين السياسيين[56] [...] والبيئة التي يجدون أنفسهم فيها"[57]، أي إنها تنطلق من مسلّمة أنّ أحد أهم المداخل لتفسير الظواهر السياسية يكمن في تحديد خصائص الفضاء أو السياق الذي تجري فيه الظواهر السياسية.

1. عن أهمية السياق في تفسير السلوكات الانتخابية

اهتمت العديد من الدراسات الكلّية (الماكرو) بالبحث في العلاقة المحتملة بين التفاوتات في نسبة المشاركة الانتخابية بين البلدان وارتباط ذلك بالاختلافات في خصائصها (أي البلدان) السوسيو ديموغرافية والاقتصادية (من قبيل حجم الساكنة، والتركيبة العمرية للناخبين، ومستوى التنمية، وحجم الفوارق الاجتماعية بين الطبقات[58]، إلخ). فمثلًا، تَبيَّن أن المشاركة الانتخابية مرتفعة في الدول النامية اقتصاديًا[59]، على اعتبار أن عملية التصويت لها تكلفة مادية (مثلًا، عندما يتعين التغيب عن العمل للذهاب إلى التصويت)، وأنها تتطلب قدرات معرفية[60] (مثلًا، لفهم البرامج الانتخابية والتمييز الأيديولوجي بين المرشحين)، والتي لا يتم التحصل عليها إلّا عن طريق التعليم. أي إنه كلما كانت نسبة المقتدرين ماديًا ومعرفيًا مرتفعة في بلد ما، ارتفعت نسبة المشاركة الانتخابية فيه.

أما بخصوص التركيبة العمرية للناخبين، فقد رأى بعض الدراسات أنّ أحد العوامل الكامنة وراء تراجع المشاركة الانتخابية في عدد من البلدان هو تخفيض شرط السنّ الأدنى للتصويت من 21 إلى 18 سنة[61]. فإذا كان الهدف في الأصل توسيع قاعدة الناخبين وفتح المجال لإدماج الفئات الشابة في العملية السياسية، فقد تبيَّن لاحقًا أنّ الشباب هم من أكثر المجموعات جنوحًا إلى الامتناع عن التصويت، سواء لأنهم اعتُبروا أصحاب حسّ مدني أضعف من الأجيال السابقة[62]، أو لقلة اهتمامهم بالسياسة مقارنةً بالأكبر سنًّا، أو بسبب التغييرات القيمية العميقة التي عرفتها بعض المجتمعات، كترسخ القيم ما بعد المادية[63]، والتي تجعل منهم يفضلون ما يسمى بأنماط المشاركة السياسية غير التقليدية، كالمشاركة في المظاهرات وتوقيع عرائض وحملات المقاطعة، وما إلى ذلك، خصوصًا مع ظهور فضاءات تسهّل التنظيم والانخراط في ذلك، مثل مواقع التواصل الاجتماعي[64]. في الحصيلة، فإن هذا يعني أن المشاركة الانتخابية هي بالضرورة منخفضة في المجتمعات التي يشكّل فيها الشباب نسبة مهمة من المؤهلين للتصويت.

أما الاتجاه الثاني في الأبحاث البنيوية، فهو الذي أعطى القواعد التي تجري وفقها العملية الانتخابية في كل بلد أهمية خاصة، أو كما هو متعارف عليها في العلوم السياسية بـ "المؤسسات"، بوصف هذه الأخيرة مجموعة "من الإجراءات الرسمية أو غير الرسمية، والممارسات، والقواعد المعيارية، والأعراف المترسخة في البنية التنظيمية"[65] لفضاء سياسي معيّن. على رأس العناصر المؤسساتية التي حظيت بالاهتمام[66]

---

55 عن إمكانية وطريقة توظيف نظريات حقل السلوكات الانتخابية التي تركز على خصائص الأفراد السوسيو-اقتصادية وتوجهاتهم السلوكية في تفسير المشاركة في البلدان العربية، ينظر: المرجع نفسه.

56 بمن فيهم الأفراد والجماعات.

57 Colin Hay, "Conceptualising Structure and Agency," in: *Political Analysis: A Critical Introduction* (Houndmills/ New York: Palgrave, 2002), p. 89.

58 Daniel Horn, "Income Inequality and Voter Turnout," GINI, *Discussion Papers*, no. 16 (2011).

59 André Blais & Agnieszka Dobrzynska, "Turnout in Electoral Democracies," *European Journal of Political Research*, vol. 33, no. 2 (1998), pp. 239-261.

60 عن الموضوع، ينظر:
Kimuli Kasara & Pavithra Suryanarayan, "When Do the Rich Vote Less than the Poor and Why? Explaining Turnout Inequality Across the World," *American Journal of Political Science*, vol. 59, no. 3 (2015), p. 615; Daniel Stockemer, "Turnout in Developed and Developing Countries: Are the Two Turnout Functions Different or the Same?," *Political Science*, vol. 67, no. 1 (2015), pp. 3-20.

61 Blais & Dobrzynska, p. 246.

62 McAllister, p. 8.

63 وهي الأطروحة التي قدّمها عالم السياسة الأميركي رونالد إنجلهارت، ينظر:
Ronald Inglehart, "The Silent Revolution in Europe: Intergenerational Change in Post-industrial Societies," *American political science review*, vol. 65, no. 4 (1971), pp. 991-1017.

64 McAllister.

65 Peter A. Hall & Rosemary CR Taylor, "Political Science and The Three New Institutionalisms," *Political studies*, vol. 44, no. 5 (1996), p. 938.

66 يرى تاتيانا كوستادينوفا وتيموتي باور أن الفضل لتبنّي المقاربة المؤسساتية لشرح التباين في مستويات المشاركة الانتخابية بين الدول يعود إلى بنغام باول وروبرت جاكمان في مقالتين شهيرتين لهما صدرتا على التوالي سنتي 1986 و1987، ينظر:
Bingham Powell, "American Voter Turnout in Comparative Perspective," *American Political Science Review*, vol. 80, no. 1 (1986), pp. 17-43; Robert Jackman, "Political Institutions and Voter Turnout in the Industrial Democracies," *American Political Science Review*, vol. 81, no. 2 (1987), pp. 405-423; Tatiana Kostadinova & Timothy J. Power, "Does Democratization Depress Participation? Voter Turnout in the Latin American and Eastern European Transitional Democracies," *Political Research Quarterly*, vol. 60, no. 3 (2007), p. 365.

طبيعة النظام الانتخابي، فهو أحد أهم عناصر الإطار المؤسسي الذي يحدد القواعد المؤطرة للعملية الانتخابية، والتي تشمل على سبيل المثال لا الحصر: مدى الإلزامية القانونية للتصويت، ومدى وجود عقوبات قانونية على عدم القيام بذلك من قبيل الغرامات المالية، وطبيعة نمط الاقتراع المعتمد (أغلبي أو نسبي أو مختلط يجمع بين عناصر منهما)، وحجم الدوائر الانتخابية[67]، وغيرها[68]، إلى درجة أن جاري كوكس صرح بأن "أهم التغييرات المفاجئة الدائمة والملموسة في المشاركة الانتخابية تتزامن مع التغييرات في القواعد الانتخابية"، خصوصًا في الدول النامية[69]. في هذا الصدد، تُجمع الدراسات المُجملة Meta-Analysis، على محورية العوامل المؤسسية في تفسير التفاوتات بين الدول في المشاركة الانتخابية، وعلى رأسها إلزامية التصويت[70]، والتي يمكننا الجزم بأنه ثبت ثبوتًا شبه قطعي تأثيره الكبير في رفع المشاركة الانتخابية[71]؛ إذ إن بويل يعتبر التصويت الإلزامي أحد أكثر الآليات فاعلية لضمان مشاركة مرتفعة للمواطنين في التصويت في الانتخابات في الدول التي تطبّقه بصرامة[72].

يتعدى هذا التأثير لإلزامية التصويت مجرد الحضّ على الذهاب للتصويت مخافة التبعات القانونية أو المادية، بل يعمل أيضًا على تعزيز الشعور بالمسؤولية المدنية والحد من تأثير الدوافع الفردية التي قد تثني بعض الفئات عن التصويت[73]، خصوصًا إذا ما تمّت مزاوجته (أي إلزامية التصويت) مع النظام الانتخابي النسبي الذي يعزز إحساس الناخبين بأهمية أصواتهم ويتيح تمثيلًا أوسع للآراء السياسية والتيارات الحزبية المختلفة[74]. كما أنّ النظام الانتخابي النسبي "ينتج تنافسية أقوى [في الانتخابات]، والتي [...] تجعل الأحزاب السياسية تستثمر مجهودات أكثر في تجنيد الناخبين الذين يحتمل أن يعتقدوا أنّ صوتهم مهمٌ كلما كان السباق حاميًا"[75].

أما النوع الثالث من الدراسات ذات الطابع البنيوي فهو الذي أعار اهتمامًا خاصًا للعناصر التي يمكن وصفها بالظرفية، أي التي قد تتغير من انتخابات إلى أخرى في ظل الهيكلة المؤسسية القائمة، من دون أن تكون منفصلة عنها تمامًا. تشمل هذه العناصر ما يلي: مستوى انتشار مظاهر الفساد كالرشوة والزبونية[76]، والطبيعة الوطنية أو المحلية للانتخابات، والتصويت لاختيار أعضاء عدة هيئات في يوم واحد[77]، وعدد الأحزاب المتنافسة في الانتخابات، ومدى تنافسية الانتخابات[78]، وأهمية القضايا التي تكون على المحك في الانتخابات[79]، ومحورية الانتخابات في النظام السياسي (برلمانية أم رئاسية)، وشدة الحملات الانتخابية[80] التي تخوضها الأطراف المتنافسة، ومستوى الصرف المالي فيها[81]، وحتى عدد ساعات فتح المكاتب الانتخابية[82]، وأثر بُعد مراكز التصويت عن مكان الإقامة والتكلفة المترتبة على ذلك في تفسير المشاركة في الانتخابات[83]. وذهب البعض إلى حد دراسة تأثير كون يوم التصويت يوم عطلة أو يوم عمل وحالة الطقس في يوم

67 Daniel Stockemer, "What Affects Voter Turnout? A Review Article/ Meta-Analysis of Aggregate Research," *Government and Opposition*, vol. 52, no. 4 (2017), pp. 698-722.

68 كما هي الحال في المملكة المتحدة التي عزز نظامها الانتخابي ثنائية حزبية هيمن فيها تاريخيًا حزبان كبيران على الحياة السياسية (العمال والمحافظون)، ونتج منها تهميش أحزاب أخرى من العمل الحكومي، حتى في حالات قد تحصل فيها تلك الأحزاب على نسبة كبيرة من الأصوات، كحال حزب الليبراليين الديمقراطيين، والذي كان طوال عقود ثالث أهم حزب سياسي في بريطانيا من حيث حجم قاعدته الانتخابية.

69 Gary Cox, "Electoral Rules, Mobilization, and Turnout," *Annual Review of Political Science*, vol. 18, no. 1 (2015), p. 50.

70 Brian Paul Boyle, "Engineering Democracy: Electoral Rules and Turnout Inequality," *Political Studies*, vol. 72, no. 1 (2024), pp. 177-199.

71 McAllister, p. 5.

72 Boyle.

73 Ibid.

74 Ibid.

75 André Blais & Kees Aarts, "Electoral Systems and Turnout," *Acta politica*, vol. 41 (2006), p. 184.

76 Dahlberg & Solevid, p. 9.
أظهرت دراسة لدانييل ستوكمر وزميليه، والتي شملت خمسًا وسبعين دولة ديمقراطية، أنه كلما ارتفع مستوى الرشوة في البلد انخفضت المشاركة الانتخابية، خصوصًا في الدول التي تُعدّ ديمقراطيتها غير راسخة، ينظر:
Daniel Stockemer, Bernadette LaMontagne & Lyle Scruggs, "Bribes and Ballots: The Impact of Corruption on Voter Turnout in Democracies," *International Political Science Review*, vol. 34, no. 1 (2013), pp. 74-90.

77 Christine Fauvelle-Aymar, "Participation in the 2010 French Regional Elections: The Major Impact of a Change in the Electoral Calendar," *French Politics*, vol. 9 (2011), pp. 1-20.

78 Eric Dubois & Matthieu Leprince, "Do Closeness and Stake Increase Voter Turnout? Evidence from Election Results in Small French Towns in Brittany," *Regional Studies*, vol. 51, no. 4 (2017), pp. 575-585.

79 Jørgen Juel Andersen, Jon H. Fiva & Gisle James Natvik, "Voting When the Stakes are High," *Journal of Public Economics*, vol. 110 (2014), pp. 157-166.

80 Ryan Enos & Anthony Fowler, "Aggregate Effects of Large-Scale Campaigns on Voter Turnout," *Political Science Research and Methods*, vol. 6, no. 4 (2018).

81 Robert Hogan, "Campaign Spending and Voter Participation in State Legislative Elections," *Social Science Quarterly*, vol. 94, no. 3 (2013), pp. 840-864.

82 Niklas Potrafke & Felix Roesel, "Opening Hours of Polling Stations and Voter Turnout: Evidence from a Natural Experiment," *The Review of International Organizations*, no. 1 (2020), p. 15.

83 ينظر الخلاصات حول الموضوع في المقالة التالية:
Mahmut Turan Ektiren, "A Systematic Review Study on the Reasons Preventing Voters from Casting Their Votes," *SN Social Sciences*, vol. 4, no. 70 (2024), pp. 1-25.

الاقتراع[84] في إمكانية الذهاب إلى التصويت من عدمه. من العناصر السياقية التي لها أهمية بالنسبة إلينا، ما أظهره البحث من كون المشاركة الانتخابية في الانتخابات التي يجري تنظيمها بعد سقوط نظام سلطوي تكون عادة مرتفعة، بسبب السياق الخاص لمثل هذه الظرفية، لكن مع مرور الوقت تجنح إلى التراجع[85]. فمثلًا، عرفت الانتخابات البرلمانية التعددية التي نُظّمت في العراق في أعقاب سقوط نظام صدام حسين نسب مشاركة انتخابية مرتفعة في سنوات 2005 و2010 و2014 رغم عدم إلزامية التصويت قانونيًا، والتي راوحت بين 80 في المئة تقريبًا في أولها سنة 2005 و60.5 في المئة سنة 2014[86]، في حين سجلت انخفاضًا كبيرًا إلى 44.8 في المئة سنة 2018، ثم 43.5 في المئة سنة 2021[87]، أي إن المشاركة الانتخابية في العراق فقدت أكثر من 36 نقطة مئوية في الفترة 2005-2021.

نستخلص إجمالًا من الدراسات التي ركزت على استجلاء التأثير المحتمل للعوامل البنيوية في المشاركة الانتخابية، أن خصائص النظام السياسي الذي تجري في سياقه الانتخابات هو من أهم العناصر التي يتعيّن على الباحثين الوقوف عليها لفهم المشاركة الانتخابية أو تفسيرها، والتي من بينها مستوى ديمقراطية النظام أو سلطويته.

2. عن المشاركة في الانتخابات في السياق غير الديمقراطي

يبرز الإكـراه، سـواء كان بدنيًا (كالعنف الجسدي) أو معنويًا (كالتخويف)، بوصفه أحد العوامل التي وقف عندها الباحثون لتفسير إقبال المواطنين على التصويت في الأنظمة الاستبدادية، حيث اعتُبر التصويت في السياق السلطوي ممارسة تعكس سعي الأفراد لحماية أنفسهم من العواقب المحتملة للامتناع عن ذلك، من منطلق أنّ التصويت في ظل السلطوية لا يمكن اعتباره ممارسة للإرادة الحرة وتعبيرًا عن اختيار[88] سياسي وفق ما ينظر إليه الفكر الديمقراطي في صورته البرلمانية التمثيلية، سواء كان هذا الإكراه ناتجًا من النظام السلطوي نفسه أو من جماعات تقيد حرية الناخب تحت وطأة الخوف في بيئة قهرية، كما هو حال بعض الدول في أميركا اللاتينية التي تصنَّف ديمقراطيات[89]. رغم هذا، فإن اختزال تفسير المشاركة الانتخابية في الأنظمة غير الديمقراطية في العالم العربي في عنصر الإكراه قد لا يكون صالحًا في جميع السياقات، حيث إننا نعتقد أنّ الأفضل هو مقاربة مفهوم طبيعة النظام السياسي كمحور طرفاه يحتله من جهة الأنظمة السلطوية المغلقة، ومن جهة أخرى الأنظمة الديمقراطية الليبرالية[90]، وما بينهما مجموعة مواقع محتملة يمكن أن تجعل أيّ نظام سياسي يقترب من أحد الطرفين أو يبتعد عنهما، عوض الاقتصار على ثنائية ديمقراطي مقابل سلطوي. فالأنظمة العربية تختلف في مستوى سلطويتها أو مستوى الحرية السياسية المسموح بها، مثلًا بين من تصنَّف حرة نسبيًا وتلك المصنفة غير حرة، وفي تأثير المجالس البرلمانية المنتخبة في العملية السياسية وصنع السياسات العامة، وحتى في تشكيل الحكومات. وقد توجد اختلافات في مستوى نزاهة الانتخابات بين البلدان ومستوى التزوير أو التلاعب الذي قد تعرفه الانتخابات، ومستوى التحكم في من يسمح له بالمشاركة ووفق أي قواعد انتخابية، وما إلى ذلك من العناصر التي قد تختلف من دولة إلى أخرى في العالم العربي، وحتى في ظل نفس النظام بين انتخابات وأخرى.

في هذا الصدد، يمكن تصور أن الاختلاف في الوزن المؤسساتي للمجالس النيابية مثلًا بين الدول الحرة نسبيًا (المغرب وتونس والكويت[91] ولبنان) وغير الحرة (ما تبقّى من الدول) في العالم العربي قد يترتب عليه بالنسبة إلى الانتخابات أمران مهمّان. أولًا، في الأنظمة الحرة نسبيًا تضمن الانتخابات المنظمة الحد الأدنى من التنافسية والنزاهة، أو على الأقل غياب تحكّم أو تزوير كلّي لنتائجها. ثانيًا، بما أن المجالس النيابية في الأنظمة الحرة نسبيًا ليست صورية تمامًا أو يجري التحكّم فيها بالكامل، من حيث كونها فضاءات تحضر فيها التيارات السياسية المعارضة، ومن حيث عدم قدرة الأجهزة التنفيذية على تجاهلها، قد تكون للتيارات السياسية المختلفة دوافع أكبر للمشاركة وتحفيز المواطنين على ذلك. وربما يكون مستوى الإكراه (البدني أو المادي مثلًا

84 Woo Chang Kang, "Liberals Should Pray for Rain: Weather, Opportunity Costs of Voting and Electoral Outcomes in South Korea," *Political Science*, vol. 71, no. 1 (2019), pp. 61-78.

85 Kostadinova & Power, p. 371.

86 Ahmed Ezzeldin Mohamed, "Turnout in Transitional Elections: Who Votes in Iraq?," *The Journal of the Middle East and Africa*, vol. 9, no. 2 (2018), p. 153.

87 مصدر البيانات عن المشاركة الانتخابية هو المؤسسة الدولية للديمقراطية والمساعدة الانتخابية المعروفة اختصارًا بـ IDEA:
The International Institute for Democracy and Electoral Assistance, "Voter Turnout Database," accessed on 21/2/2024, at: https://bit.ly/48EMslF

88 Emilee Booth Chapman, "The Distinctive Value of Elections and the Case for Compulsory Voting," *American Journal of Political Science*, vol. 63, no. 1 (2019), pp. 101-112.

89 Jeff Fisher, "Electoral Conflict and Violence," IFES White paper, no. 1 (2002), accessed on 21/2/2024, at: https://bit.ly/4fHwgCE

90 Andreas Schedler, "Elections without Democracy: The Menu of Manipulation," *Journal of Democracy*, vol. 13, no. 2 (2002), pp. 36-50.

91 قبل تجميد الحياة البرلمانية في الكويت بقرار أميري والذي حل مجلس الأمة بتاريخ 10 أيار/ مايو 2024 "مدة لا تزيد عن 4 سنوات"، ينظر: ريم إبراهيم الحوسني، "قرار أمير الكويت بحل مجلس الأمة: المضمون والمبررات والدلالات"، تريندز للبحوث والاستشارات، 2024/5/12، شوهد في 2024/5/21، في: https://bit.ly/417kUmO

بالنسبة إلى موظفي الدولة) الذي يتعرض له المواطنون للمشاركة في الانتخابات (سواء من طرف أجهزة النظام أو الجماعات المسلحة مثلًا) أضعف، ما يجعل الامتناع من دون عواقب. هذه فرضيات تحتاج إلى الفحص الإمبريقي في أبحاث مستقبلية.

إن إمكانية الانـطلاق من التفسيرات البنيوية لدراسة المشاركة الانتخابية، هو مثال على كيفية إمكان البناء على نتائج الأبحاث التي تنطلق من الأدوات التحليلية للعلوم الاجتماعية لدراسة الانتخابات في العالم العربي، وإن كانت في الأصل تطوّرت لتحليل الظواهر الانتخابية في البلدان الديمقراطية الغربية. وهذا لا يعني طبعًا عدم التعامل النقدي مع أطروحاتها أو مساءلة سلامة نتائجها وصلاحيتها لتفسير الظواهر الانتخابية في العالم العربي، لكنّ ذلك يجب ألّا ينمّ عن موقف "أيديولوجي" يتوارى خلف مبررات إبستيمولوجية هشة، بل يجب أن يكون أساس الحكم عليها هو البحث الإمبريقي المعتمد على البيانات، بما فيها المسوح الاجتماعية.

تبقى قضية المشاركة الانتخابية مجرد مثال على الأسئلة البحثية التي يمكننا نحن الباحثين من العالم العربي الانخراط فيها، موظِّفين الأدوات التحليلية للعلوم الاجتماعية في سعينا إلى تطويرها بل تأصيلها، إن جاز القول. في الحقيقة، ما زال العديد من المواضيع المتعلقة بالانتخابات في العالم العربي يحتاج إلى البحث. نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر بعضًا من تلك التي كنا قد أوردناها في الورقة المرجعية لهذا العدد: دراسة الأحزاب وبرامجها الانتخابية، ومسألة الانتخابات في المجتمعات المنقسمة طائفيًا أو إثنيًا، والانتخابات بوصفها أداة لبناء ثقافة سياسية مواطنة ديمقراطية أو في تعزيز السلطوية، والبنى المجتمعية التقليدية كالقبيلة ودورها الانتخابي، أو عندما تتحول القبيلة إلى حزب سياسي[92]، والمرأة المترشحة والناخبة وعلاقة النوع الاجتماعي بالسلوكات الانتخابية، والانتخابات المحلية/ البلدية باعتبارها انتخابات درجة ثانية، والفساد الانتخابي[93]، ... إلخ.

ثالثًا: محتوى العدد

يحتوي هذا العدد على هذه المقالة التقديمية وأربع مساهمات بحثية أصلية لكل من فيصل محبوب ومارك تسلر وعبد الكريم أمنكاي وياسمين لحنين وعلي بن موسى، ومقالة مترجمة مرجعية لجينيفر غاندي وإلين لوتر-أوكار، إضافةً إلى مراجعتَي كتاب لخديجة أوبدة وإبراهيم شليح.

تطمح هذه المساهمات إلى أن تكون عيّنة متنوعة للأبحاث التي يمكن إنجازها في إطار دراسة الانتخابات في العالم العربي، سواء تعلّق الأمر بالموضوعات التي تطرحها أو الأسئلة التي تثيرها أو الدول العربية التي تدرسها أو المقاربات المنهجية التي تعتمدها (كمّية أو كيفية)، وذلك سواء في إطار دراسة حالة بعينها أو اعتماد المقارنة بين الدول.

أعدّ الباحثان عبد الكريم أمنكاي وياسمين لحنين، دراسة بعنوان "الدوافع الفردية للمشاركة الانتخابية في العالم العربي: أي تأثير لتقييم مدى ديمقراطية النظام السياسي؟ طرحا فيها مسألة دوافع المشاركة الانتخابية في الأنظمة غير الديمقراطية. فإذا كانت الوظيفة الأولى للانتخابات في الديمقراطيات هي اختيار النخب السياسية التي ستمارس الحكم وفرصة للمواطنين لتحديد الاتجاه الذي يتعين أن تتخذه السياسات العامة للدولة وفق ما تفضّله الأغلبية، فلماذا يشارك المواطنون في العالم العربي في الانتخابات في ظل أنظمة سياسية غير ديمقراطية؟ تنطلق مساهمة أمنكاي ولحنين من التفسيرات المهيمنة في الأدبيات، والتي تركز على عاملَي الإكراه والزبونية، وتبين أنهما ينطلقان من نظرية الاختيار العقلاني لتجادل في محدوديتهما التفسيرية، مقترحة ضرورة الوقوف على الدور المحتمل لتقييم المواطنين لمستوى ديمقراطية النظام الذي يحكمهم في تفسير التصويت أو الامتناع عنه من خلال تحليل للبيانات التي توفرها الدورة الثامنة من استطلاع **المؤشر العربي** لسنة 2022 من تسع دول عربية (الأردن وتونس والجزائر والعراق والكويت ولبنان ومصر والمغرب وموريتانيا). وتبيّن نتائج التحليل الكمّي المقدَّم أنه كلما جنح الأفراد إلى اعتبار نظام الحكم القائم في بلدهم ديمقراطيًا عزز ذلك احتمال ذهابهم للتصويت (والعكس صحيح)؛ وذلك بغضّ النظر عن المعطيات الموضوعية التي قد تعاكس ذلك. وتبرز النتائج أيضًا، وجود تفاوتات بين دول العالم العربي عندما يتعلق الأمر بتأثير عوامل فردية، مثل التعليم والجنس، في احتمال المشاركة. ويشير هذا إلى أهمية النقد الذي وجّهته جينيفر غاندي وإلين لوتر-أوكار في دراستهما "الانتخابات في ظل الاستبداد"، المترجمة في هذا العدد من طرف حسن احجيج، والتي ترى فيها الباحثتان أنّ أغلب التفسيرات حول الانتخابات في الأنظمة غير الديمقراطية تعيبها "الادعاءات التعميمية انطلاقًا من عدد محدود فقط من الدراسات"[94]، ما يمثّل تجاهلًا صارخًا لـ "مصادر اختلاف مهمة [ما بين الانتخابات التي تُجرى في السياقات غير الديمقراطية[...] [مثل نوع الانتخابات والقواعد المؤطرة لها والشروط الاجتماعية والسياسية المحيطة بها"[95]. وهو أمر نبّهنا إليه سابقًا في هذه الورقة في عرضنا لمشروعية دراسة الانتخابات في العالم العربي.

92 حول تحوّل القبيلة إلى حزب سياسي، نشكر الطالب في معهد الدوحة للدراسات العليا سعد القاضي الذي أشار إليها في نقاشاتنا حول آخر انتخابات نيابية في الأردن (2024).

93 "الانتخابات في العالم العربي".

94 Jennifer Gandhi & Ellen Lust-Okar, "Elections under Authoritarianism," *Annual Review of Political Science*, vol. 12, no. 1 (2009), p. 406.

95 Ibid., 407.

إنّ الاختلافات في السياق (مكانيًا وزمانيًا) يجب كذلك مراعاتها عند محاولة فهم العوامل المحددة لقرارات أحزاب المعارضة للمشاركة في الانتخابات أو مقاطعتها. وهي موضوع كتاب "الانتخابات السلطوية وجماعات المعارضة في العالم العربي" لجيل بوتورف الذي تقدّم خديجة أوبدة قراءة متعمقة في محتواه، تلخيصًا ونقدًا وإغناءً. توظف بوتورف مفهوم "مراكز القوى" في دارسة مقارنة بين حزبَي جبهة العمل الإسلامي في الأردن وجبهة القوى الاشتراكية الجزائري، لتبيّن وفق ما تشير إليه أوبدة، أنّ تقييم أحزاب المعارضة لمستوى قوة النظام والتكلفة المتوقعة من عدم المشاركة هو عنصر مركزي في قرار المشاركة أو المقاطعة. بعبارة أخرى، "عندما ترى المعارضة النظام قويًا بما فيه الكفاية، وعندما تكون المسافة الأيديولوجية بينها وبين هذا الأخير ضئيلة والتكاليف التي ستتحمّلها إثر تنظيمها لاحتجاجات ما بعد الانتخابات مرتفعة، فإنّ قرار المشاركة يبدو هو الأنسب"[96].

ومن العناصر التي تركز عليها أيضًا غاندي وإلين لوتر-أوكار في دراستهما، قضية علاقة الانتخابات في السياق السلطوي بمسألة الدمقرطة أو التحوّل الديمقراطي، أي محاولة الكشف عن "الظروف التي تفشل الانتخابات [...] [المنظمة من طرف نظام سلطوي] من خدمة مصالح الحكام وتؤدي عوض ذلك إلى تناوب سياسي أو تغيير في السياسات"[97]. بعبارة أخرى، هل الانتخابات في النظام غير الديمقراطي يمكن أن تؤدي في الحصيلة إلى الديمقراطية؟ يلامس مارك تسلر أحد أبعاد هذا السؤال في مساهمته في هذا العدد بعنوان "هل يعزز التصويت في الانتخابات الثقافة السياسية الديمقراطية؟ أدلة من بحث مسحي في ست دول عربية"، من خلال وقوفه على الدور المتوقع للمشاركة الانتخابية في تعزيز التوجهات الديمقراطية للأفراد في العالم العربي، منطلقًا من أدبيات الثقافة السياسية وموظّفًا بيانات مسوح اجتماعية من الجزائر ومصر والأردن والمغرب وفلسطين وتونس.

تبدأ الدراسة بالتذكير بأهم نتائج مساهمة سابقة لتسلر صدرت سنة 2009 مع إليانور جـاو[98]، وحدّدا فيها أربعة أنماط سلوك للثقافة السياسية في الأردن وفلسطين والجزائر، وهي: الديمقراطي، والناشط والمنغلق وغير المبالي. وتُظهر نتائج الدراسة أنّ نمط الثقافة السياسية الغالب في دول الدراسة الست هو الانغلاق، أي الذي يتميز بجنوح أكبر إلى عدم المشاركة السياسية والتسامح المنخفض إزاء الآخرين. ويؤدي ذلك إلى استخلاص مفاده أنه "يبدو أنّ توجه الثقافة السياسية الأقل دفعًا نحو ديمقراطية هو ما يميّز المواطنين العاديين غالبًا، بينما يندر أن يسود توجه الثقافة السياسية الأكثر دفعًا نحو الديمقراطية بين المواطنين العاديين"[99]. لا يتعين أن تُؤوَّل هذه النتيجة تأويلًا ثقافويًا، أي أن تُربَط بخصائص ثقافية جوهرانية لشعوب المنطقة، حيث تظهر نتائج البحث أن هناك مؤشرات على أن المشاركة الانتخابية في بعض الحالات (كالجزائر مثلًا) تدفع إلى تبنّي الأفراد للتوجهات والمواقف المؤيّدة للديمقراطية؛ أي إنه في بعض السياقات يمكن أن تعزز المشاركة الانتخابية في ظل نظام غير ديمقراطي التوجهات الديمقراطية لدى المواطنين، وإن تعيّن التعامل مع هذه النتيجة بحذر وفق ما يشير إليه تسلر، ما يستدعي دراسات أخرى حولها لإثبات العلاقة السببية.

أما فيصل حسن محمد محبوب فتتمحور دراسته، "النظام الانتخابي والأزمة السياسية في تونس بين عامَي 2011 و2021: هل كان للعتبة الانتخابية أن تخلق حكومات مستقرة؟"، حول أحد المواضيع البحثية الأكثر حضورًا في حقل الدراسات الانتخابية، وهو النظم الانتخابية وآثارها في العملية السياسية. كما هو معلوم، عرفت تونس تجربة ديمقراطية فريدة من نوعها، بل متفردة في أعقاب ما سُمي "ثورات الربيع العربي"، التي أنتجت فيها نظامًا سياسيًا يمكن تصنيفه نظامًا شبه برلماني تميز بتشرذم المشهد الحزبي داخل مجلس نواب الشعب التونسي نتيجة طبيعة نظام الانتخاب النسبي ذي اللوائح المغلقة، الذي جرى تبنّيه منذ المجلس التأسيسي المنتخب سنة 2011، ثم على التوالي في الانتخابات التشريعية لسنتَي 2014 و2019 التي أنتجت مجالسَ برلمانية مشتتة وتعاني أزمة مستمرة أدّت في الحصيلة إلى تغيير في بنية النظام السياسي التونسي، حين قرر الرئيس قيس سعيد حلّ البرلمان صيف 2021 وإدخال تعديلات دستورية وانتخابية عملت على تغيير النظام الانتخابي وإضعاف دور السلطة التشريعية في البرلمان، في ما اعتُبر تقهقرًا للديمقراطية في تونس، التي صُنّفت انطلاقًا من سنة 2022 "نسبيًا حرّة"، بعدما كانت تصنَّف "حرة" إلى غاية 2021[100]. ويطرح محبوب هذا السؤال: هل كان لنظام انتخابي مغاير أن ينتج مشهدًا برلمانيًا "معقلنًا"؟

96 ينظر مراجعة خديجة أوبدة في هذا العدد، ص 141-153.

97 Gandhi & Lust-Okar, p. 414.

98 Mark Tessler & Eleanor Gao, "Democracy and the Political Culture Orientations of Ordinary Citizens: A Typology for the Arab World and Beyond," *International Social Science Journal*, vol. 59, no. 192 (2008), pp. 197-207.

99 ينظر دراسة مارك تسلر في هذا العدد، ص 24-45.

100 للوقوف على ذلك من خلال الاطلاع على تصنيف مؤشر بيت الحرية لسنتَي 2021 و2022، ينظر:
Freedom House, *Countries & Regions* (2021), accessed on 21/2/2024, at: https://bit.ly/42R5nbO; Freedom House, *Global Freedom Status*, accessed on 21/2/2024, at: https://bit.ly/4aV88ec

يدفع محبوب بذلك من خلال: أولًا، الوقوف على مختلف المحطات الانتخابية التي عرفتها الجمهورية التونسية منذ 2011، مستعرضًا نظامها الانتخابي والتعديلات التي شملته على مرّ السنوات، ومقدِّمًا نتائجها التي تعكس التشتت المتزايد في المشهد البرلماني التونسي، والذي بلغ أوجه في مجلس النواب التونسي المنتخب سنة 2019، حين لم يكن لأيّ حزب سياسي أكثر من ربع المقاعد في البرلمان. وانعكس هذا التشرذم على الاستقرار الحكومي من خلال تعدد الحكومات "وعدم استقرارها وعجزها عن القيام بأيّ إصلاحات محورية"[101]، وهيمنة الصراعات السياسوية الضيقة على المجالس المختلفة، ما جعلها عاجزة عن أداء دورها التشريعي على أحسن وجه.

وتُظهر التحليلات التي تقدّمها الدراسة أن اعتماد عتبة انتخابية في حدود 5 في المئة في انتخابات مجلس النواب لسنة 2019 كان سينتج منه تخفيض في عدد القوائم الانتخابية في مجلس الشعب التونسي من 31 إلى 18، وهو ما كان يمكن أن يسهّل بناء التحالفات داخل المجلس وتخفيض عدد الحد الأدنى من الأحزاب اللازمة لتشكيل الحكومة. الانتخابات التونسية لسنة 2019 هي أيضًا موضوع كتاب ساهم فيه ثلة من الباحثين التونسيين وحرره مهدي مبروك، بعنوان: **الانتخابات التشريعية والرئاسية في تونس عام 2019: الحقل السياسي والسلوك الانتخابي وحراك النخب**، وأعدّ إبراهيم شليح مراجعة مطوّلة له. لا تقتصر مساهمة المُراجِع على تلخيص الكتاب بل أغناها بالتحليل والمناقشة، ما جعلها في الحقيقة ورقة غنية لا تمكّن القارئ من الاطّلاع على محتواه فقط بل تتيح له فهمًا دقيقًا للحيثيات التي أحاطت بتلك الانتخابات في تونس سنة 2019، والتي هي آخر انتخابات أُجريت في البلاد في جو ديمقراطي سليم.

أما دراسة علي بن موسى، "انتخابات المؤتمر الوطني العام في ليبيا في عام 2012: قراءة في ديناميات الانتخابات وتداعياتها"، فهي أيضًا تتموقع في إطار الأبحاث التي تهدف إلى تحليل نتائج الانتخابات التي عرفتها دولة من دول "الربيع العربي"، وهي ليبيا. تمثل هذه المساهمة في نظرنا مثالًا جيدًا لما يجب على الباحث أن يتحلى به من مساءلة لبعض التحليلات أو الأفكار التي تفتقر إلى الدقة، والتي قد تنشأ في السياق الصحافي أو الفضاء العام، وتجد طريقها لكتابات الأكاديميين والباحثين من دون تمعّن أو تفحّص. من هذا المنطلق، يقدّم الباحث مراجعة نقدية للأطروحة القائلة بفوز التيار الليبرالي (المتمثل في تحالف القوى الوطنية) على حساب الإسلاميين (حزب العدالة والبناء المرتبط بالإخوان المسلمين وحلفائه)، في الانتخابات الليبية لسنة 2012. بداية بالعودة إلى السياق الذي سبق الانتخابات من سجال على طبيعة النظام الانتخابي، بما في ذلك عدد المقاعد التي تخصص للوائح الحزبية في مقابل اللوائح الفردية (في النظام الانتخابي المختلط الذي جرى اعتماده)، إلى كيفية توزيع المقاعد بين الأقاليم الليبية التاريخية الثلاثة (طرابلس وبرقة وفزّان). وبعد استعراض نتائج الانتخابات وتحليلها يجادل بن موسى في أطروحة فوز الليبراليين من خلال ثلاثة عناصر. أولًا، استدلّ على أن المستقلين هم الفائزون في الانتخابات وليس التنظيمات والتحالفات الحزبية. ثانيًا، أبرز عدم دقة التوصيف الليبرالي لتحالف القوى الوطنية. ثالثًا، ظهور التفوّق العددي للتيارات الإسلامية داخل البرلمان، كما سيتبين خلال أعماله عبر فرضه داخل المجلس المنتخب أجندته، ومن خلال التصويت على "قانون العزل السياسي".

101 ينظر دراسة فيصل محبوب في هذا العدد، ص 65-79.

المراجع

العربية

أبو شوك، أحمد إبراهيم والفاتح عبد الله عبد السلام. **الانتخابات البرلمانية في السودان (1953-1986): مقاربة تاريخية - تحليلية**. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2020.

أمنكاي، عبد الكريم وآلان ألوسكان. "هامشية المنهج الكمّي في العلوم السياسية العربية: الإحصاء الاستدلالي نموذجًا". **سياسات عربية**. مج 11، العدد 60 (2023).

"الانتخابات في العالم العربي". **ورقة مرجعية**. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. في: https://acr.ps/1L9zR8t

الانتخابات والانتقال الديمقراطي: مقاربات مقارنة. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2019.

الانتخابات التشريعية والرئاسية في تونس عام 2019: الحقل السياسي والسلوك الانتخابي وحراك النخب. مهدي مبروك (محرر). الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2022.

بشارة، عزمي. **الانتقال الديمقراطي وإشكالياته: دراسة نظرية وتطبيقية مقارنة**. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2020.

________. **مسألة الدولة: أطروحة في الفلسفة والنظرية والسياقات**. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2023.

التعبئة الانتخابية في تونس: دراسة حالة الانتخابات التشريعية 2014. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2016.

الجابري، محمد عابد. **المشروع النهضوي العربي: مراجعة نقدية**. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2016.

الحرية في الفكر العربي المعاصر. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2018.

درايزك، جون س، وباتريك دنفلي. **نظريات الدولة الديمقراطية**. ترجمة وتعليق هاشم أحمد محمد. القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2013.

زعيتر، هيثم سليم. **الجنوب بين البلديات والنيابيات**. بيروت: دار ملفات لبنان؛ الفرات للنشر والتوزيع، 2016.

شبيب، أسعد كاظم. "إصلاح النظام الانتخابي في العراق". **مجلة الكوفة للعلوم القانونية والسياسية**. مج 10، العدد 32 (2018).

الطناحي، محمد محمود. "التجار والحراك الديمقراطي في الكويت (1921-1939)". **أسطور**. العدد 5 (2015).

العلي، خالد بن غانم. **التجربة الدستورية في قطر**. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2024.

الغبرا، شفيق ناظم. **الكويت: دراسة في آليات الدولة والسلطة والمجتمع**. الكويت: دار آفاق للنشر، 2017.

غزال، ماهر علي. "تزوير الانتخابات في مجلس النواب العراقي 1925-1936". **مجلة الدراسات التاريخية والحضارية**. مج 15، العدد 2/62 (2024).

كوثراني، وجيه. **في المسألة اللبنانية: الطائفية والزبونية السياسية وأزمة الديمقراطية**. بيروت: منتدى المعارف، 2019.

كين، جون. **حياة الديمقراطية وموتها**. ترجمة محمد العزير. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2021.

ماضي، عبد الفتاح. **الديمقراطية والبندقية: العلاقات المدنية-العسكرية وسياسات تحديث القوات المسلحة**. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2021.

مخيمر، عماد مصباح. **أزمة السلطة السياسية: دراسة في الفكر السياسي العربي**. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2020.

الأجنبية

Andersen, Jørgen Juel. Jon H. Fiva & Gisle James Natvik. "Voting When the Stakes are High." *Journal of Public Economics*. vol. 110 (2014).

As-Suswa, Amat Al-Alim (ed.). *Democratic Development in Yemen*. Berlin: Klaus Schwarz Verlag, 1994.

Blais, André & Kees Aarts. "Electoral Systems and Turnout." *Acta politica*. vol. 41 (2006).

Blais, André. "What Affects Voter Turnout?." *Annual Review of Political Science*. vol. 9, no. 1 (2006).

Enos, Ryan & Anthony Fowler. "Aggregate Effects of Large-Scale Campaigns on Voter Turnout." *Political Science Research and Methods*. vol. 6, no. 4 (2018).

Fauvelle-Aymar, Christine. "Participation in the 2010 French Regional Elections: The Major Impact of a Change in the Electoral Calendar." *French Politics*. vol. 9 (2011).

Fisher, Jeff. "Electoral Conflict and Violence." *IFES White Paper*. no. 1 (2002). at: https://bit.ly/4fHwgCE

Fisher, Justin et al. (eds.). *The Routledge Handbook of Elections, Voting Behavior and Public Opinion*. London/ New York: Routledge, 2018.

Fisher, Justin. *British Political Parties*. London: Prentice Hall - Harvester Wheatsheaf, 1996.

Freedom House. *Countries & Regions* (2021). at: https://bit.ly/42R5nbO

________. *Freedom House in the World 2024* (February 2024). at: https://bit.ly/3WUhykp

________. *Global Freedom Status*. at: https://bit.ly/4aV88ec

Gandhi, Jennifer & Ellen Lust-Okar. "Elections under Authoritarianism." *Annual Review of Political Science*. vol. 12, no. 1 (2009).

Giblin-Delvallet, Béatrice. "Les géographes, les élections et la sociologie électorale." *Études Normandes*. vol. 38, no. 2 (1989).

Hall, Peter A. & Rosemary CR Taylor. "Political Science and The Three New Institutionalisms." *Political Studies*. vol. 44, no. 5 (1996).

Hewins, Ralph. *A Golden Dream: The Miracle of Kuwait*. London: W. H. Allen, 1963.

Horn, Daniel. "Income Inequality and Voter Turnout." GINI. *Discussion Papers*. no. 16 (2011).

Blais, André & Agnieszka Dobrzynska. "Turnout in Electoral Democracies." *European Journal of Political Research*. vol. 33, no. 2 (1998).

Boyle, Brian Paul. "Engineering Democracy: Electoral Rules and Turnout Inequality." *Political Studies*. vol. 72, no. 1 (2024).

Buttorf, Gail. J. *Authoritarian Elections and Opposition Groups in the Arab World*. New York: Palgrave Macmillan, 2019.

Chambergeat, Paul. "Les élections communales marocaines du 29 mai 1960." *Revue Française de science politique*. vol. 11, no. 1 (1961).

Chang, King-yuh. "The United Nations and Decolonization: The Case of Southern Yemen." *International Organization*. vol. 26, no. 1 (1972).

Chapman, Emilee Booth. "The Distinctive Value of Elections and the Case for Compulsory Voting." *American Journal of Political Science*. vol. 63, no. 1 (2019).

Cox, Gary. "Electoral Rules, Mobilization, and Turnout." *Annual Review of Political Science*. vol. 18, no. 1 (2015).

Dahlberg, Stefan & Maria Solevid. "Does Corruption Suppress Voter Turnout?." *Journal of Elections, Public Opinion and Parties*. vol. 26, no. 4 (2016).

Diamond, Larry. "Elections without Democracy: Thinking about Hybrid Regimes." *Journal of democracy*. vol. 13, no. 2 (2002).

Dubois, Eric & Matthieu Leprince. "Do Closeness and Stake Increase Voter Turnout? Evidence from Election Results in Small French Towns in Brittany." *Regional Studies*. vol. 51, no. 4 (2017).

Ektiren, Mahmut Turan. "A Systematic Review Study on the Reasons Preventing Voters from Casting Their Votes." *SN Social Sciences*. vol. 4, no. 70 (2024).

Landau, Jacob M. "Elections in Lebanon." *The Western Political Quarterly*. vol. 14, no. 1 (1961).

McAllister, Ian. *Advanced Introduction to Elections and Voting*. UK: Publishing, 2022.

Mohamed, Ahmed Ezzeldin. "Turnout in Transitional Elections: Who Votes in Iraq?." *The Journal of the Middle East and Africa*. vol. 9, no. 2 (2018).

Perea, Eva Anduiza. "Individual Characteristics, Institutional Incentives and Electoral Abstention in Western Europe." *European Journal of Political Research*. vol. 41, no. 5 (2002).

Political Analysis: A Critical Introduction. Houndmills/ New York: Palgrave, 2002.

Potrafke, Niklas & Felix Roesel. "Opening Hours of Polling Stations and Voter Turnout: Evidence from a Natural Experiment." *The Review of International Organizations*. vol. 15, no. 1 (2020).

Powell, Bingham. "American Voter Turnout in Comparative Perspective." *American Political Science Review*. vol. 80, no. 1 (1986).

Sadiki, Larbi (ed.). *Routledge Handbook of Middle East Politics*. London: Routledge, 2020.

Salih, Kamal Osman. "The 1938 Kuwait Legislative Council." *Middle Eastern Studies*. vol. 28, no. 1 (1992).

Schedler, Andreas. "Elections without Democracy: The Menu of Manipulation." *Journal of Democracy*. vol. 13, no. 2 (2002).

Siegfried, André. *Tableau politique de la France de l'ouest sous la troisième république*. 102 cartes et croquis, 1 carte hors texte. Paris: A. Colin, 1913.

Stockemer, Daniel, Bernadette LaMontagne & Lyle Scruggs. "Bribes and Ballots: The Impact of Corruption on Voter Turnout in Democracies." *International Political Science Review*. vol. 34, no. 1 (2013).

Hogan, Robert. "Campaign Spending and Voter Participation in State Legislative Elections." *Social Science Quarterly*. vol. 94, no. 3 (2013).

Inglehart, Ronald. "The Silent Revolution in Europe: Intergenerational Change in Post-industrial Societies." *American Political Science Review*. vol. 65, no. 4 (1971).

International Institute for Democracy and Electoral Assistance. "Voter Turnout Database." at: https://bit.ly/48EMslF

Jackman, Robert. "Political Institutions and Voter Turnout in the Industrial Democracies." *American Political Science Review*. vol. 81, no. 2 (1987).

Kang, Woo Chang. "Liberals Should Pray for Rain: Weather, Opportunity Costs of Voting and Electoral Outcomes in South Korea." *Political Science*. vol. 71, no. 1 (2019).

Kasara, Kimuli & Pavithra Suryanarayan. "When Do the Rich Vote Less than the Poor and Why? Explaining Turnout Inequality Across the World." *American Journal of Political Science*. vol. 59, no. 3 (2015).

Kayali, Hasan. "Elections and the Electoral Process in the Ottoman Empire, 1876-1919." *International Journal of Middle East Studies*. vol. 27, no. 3 (1995).

Khadduri, Majid. "Constitutional Development in Syria: With Emphasis on the Constitution of 1950." *Middle East Journal*. vol. 5, no. 2 (1951).

Khalaf, Abdulhadi & Giacomo Luciani (eds.). *Constitutional Reform and Political Participation in the Gulf*. Dubai: Gulf Research Center, 2006.

Kostadinova, Tatiana & Timothy J. Power. "Does Democratization Depress Participation? Voter Turnout in the Latin American and Eastern European Transitional Democracies." *Political Research Quarterly*. vol. 60, no. 3 (2007).

_______. "Turnout in Developed and Developing Countries: Are the Two Turnout Functions Different or the Same?" *Political Science*. vol. 67, no. 1 (2015).

Stockemer, Daniel. "What Affects Voter Turnout? A Review Article/Meta-Analysis of Aggregate Research." *Government and Opposition*. vol. 52, no. 4 (2017).

Tessler, Mark & Eleanor Gao. "Democracy and the Political Culture Orientations of Ordinary Citizens: A Typology for the Arab world and Beyond." *International Social Science Journal*. vol. 59, no. 192 (2008).

Weipert-Fenner, Irene. *The Autocratic Parliament: Power and Legitimacy in Egypt, 1866-2011*. New York: Syracuse University Press, 2020.

Winder, R. Bayly. "Syrian Deputies and Cabinet Ministers, 1919-1959, Part I." *Middle East Journal*. vol. 16, no. 4 (1962).

Womble, Theresa Liane. "Early Constitutionalism in Tunisia, 1857-1864: Reform and Revolt." PhD Dissertation. Princeton University. New Jersey. 1997.

صـدر حديـثًا



تـأليف: ديفيد هِلد
تـرجمة: فاضل جتكر

نماذج الديمقراطية

صدر عن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ضمن سلسلة "ترجمان"، كتاب **نماذج الديمقراطية** *Models of Democracy* للكاتب ديفيد هِلد، وترجمة فاضل جتكر. يقع الكتاب في 560 صفحة، شاملةً ببليوغرافيا وفهرسًا عامًا.

التسلم Received
2023-10-1
التعديل Revised
2024-1-15
القبول Accepted
2024-3-20
المعرف الرقمي DOI
https://doi.org/10.31430/DUBP8268

مارك تسلر | Mark Tessler*

هل يعزز التصويت في الانتخابات الثقافة السياسية الديمقراطية؟ أدلة من بحث مسحي في ست دول عربية

Does Voting in Elections Strengthen Democratic Political Culture? Evidence from Survey Research in Six Arab Countrie

تتناول هذه الدراسة العلاقة بين التصويت في الانتخابات والثقافة السياسية الديمقراطية في ست دول عربية، مستندة إلى أبحاث سابقة حول الديمقراطية وتوجهات المواطنين. وتكشف أن الثقافة السياسية في العالم العربي ظلت غير مدروسة على المستوى الفردي، حيث لم تتوفر بيانات كافية عن توجهات المواطنين تجاه الديمقراطية وسلوكهم السياسي، مما جعل هذا البعد غائبًا في أبحاث العلوم السياسية سنوات. تنطلق الدراسة من تحديد العناصر التي تعكس التوجهات الديمقراطية في الثقافة السياسية، مستندة إلى الأدبيات العلمية التي تؤكد ضرورتها للتحول الديمقراطي المستدام. كما تبحث في مدى ارتباط تأييد المواطنين للديمقراطية بانتشار قيمها، وتأثير المشاركة الانتخابية على هذه التوجهات. عبر تحليل بيانات جديدة، توسّع الدراسة خريطة الثقافة السياسية زمنيًا وجغرافيًا، لتشمل دولًا جديدة وتقدم فهمًا أعمق لآليات التحول الديمقراطي في المنطقة.

كلمات مفتاحية: الانتخابات، الثقافة السياسية، الديمقراطية، العالم العربي.

This paper examines the relationship between voting in elections and democratic political culture in six Arab countries, drawing on previous research on democracy and citizens' attitudes. It reveals that political culture in the Arab world has remained largely unexamined at the individual level due to the lack of sufficient data on citizens' attitudes toward democracy and their political behavior, leaving this aspect absent from political science research for years. The paper identifies key elements that reflect democratic orientations in political culture, based on scholarly literature emphasizing their necessity for sustainable democratization. It also explores the link between citizens' support for democracy and the prevalence of democratic political values, as well as the impact of electoral participation on these orientations. By analyzing new data, the paper expands the map of political culture temporally and geographically, encompassing new countries and offering deeper insights into the mechanisms of democratic transition in the region.

Keywords: Elections, Political Culture, Democracy, Arab World.

* أستاذ صمويل جيه إلدرسفيلد للسياسة، جامعة مشيغان، الولايات المتحدة.
Samuel J. Eldersveld Collegiate Professor of Political Science, University of Michigan, USA.
Email: tessler@umich.edu

مقدمة

ركّزت أبحاث كثيرة على أهمية عوامل المستوى الوطني في الدمقرطة. وتشمل تلك العوامل مما تشمله مدى تطوّر المؤسسات والسيرورات السياسية وتأثيرها (بما فيها إجراء انتخابات حرة ونزيهة) ووجود نخب سياسية مستعدّة لدعم التحوّل الديمقراطي وقيادته. طُرحت هذه النقاط في دراسات مبكّرة عن "الموجة الثالثة" من الدمقرطة في تسعينيات القرن العشرين[1]، في حين حظيت الانتخابات باهتمام خاص في عدد كبير من الدراسات الحديثة. تتضمّن هذه المجموعة من الأبحاث تحليلات للانتخابات في بلدان الشرق الأوسط وشمال أفريقيا[2]، وفي مناطق أخرى من العالم، خارج الولايات المتحدة الأميركية وأوروبا.

كانت التوجهات المعيارية والسلوكية للمواطنين العاديين هي أيضًا محلّ اهتمام لافت [لدى بعض الباحثين الذين اعتبروها محدّدًا مهمًا لاحتمال ظهور الديمقراطية في بلدان معيّنة، وغيابها في بلدان أخرى][3]. يُعدّ رونالد إنغلهارت من أوائل المناصرين الأوفياء لهذا الموقف، وهو مؤسّس "مسح القيم العالمي" World Values Survey (WVS) ومديره لمدة طويلة. وقد دافع عن رأيه المتمثّل في أن الديمقراطية وتوطيدها لا يتطلّبان مؤسسات وسيرورات سياسية مناسبة وفاعلة فحسب، بل يستلزمان أيضًا مواطنين يتبنّون اتجاهات وقيمًا تفضي إلى الديمقراطية[4]. يُعدّ التسامح والمشاركة المدنية من بين [أهم] التوجّهات التي حدّدها إنغلهارت [باعتبارها مرتبطة بموقف الأفراد من الديمقراطية]. ولدعم فرضياته، عرض نتائج مستقاة من مسح القيم العالمي. وقد أشار لاري دايموند، الذي يُعدّ أحد أبرز علماء السياسة الغربيين الذين يدرسون الديمقراطية، إلى النقطة نفسها، عارضًا أدلّة من كوريا وتايوان وبلدان أخرى[5].

هناك الكثير من الدراسات التي تركّز، في تحليلها العلاقة بين توجهات المواطنين والديمقراطية، على المناطق[6]. واستنادًا إلى مسح القيم العالمي وغيره من بيانات الرأي العام، تم السعي لتحديد تلك التوجهات [التي لها علاقة باتجاهات الأفراد تجاه الديمقراطية] في آسيا[7] وأفريقيا[8] وأميركا اللاتينية[9] وسواها من الأماكن، فضلًا عن تقييم المنحى العام فيها. لكن حينما يتعلّق الأمر بالدول العربية، فإنه حتى العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، لم تكن البيانات الخاصة باتجاهات المواطنين العاديين نحو الديمقراطية، فضلًا عن قيمهم وسلوكهم، متوافرة بالقدر الذي يسمح بإجراء تحليل على المستوى الفردي؛ ما أدّى إلى أن هذا النوع من الدراسات ظلّ، لأعوام طويلة، بُعدًا مفقودًا في أبحاث العلوم السياسية الخاصة بالعالم العربي. ولم يطرأ تغيّر على هذا الوضع إلّا بحلول منتصف العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، مع خروج مشروع مسح **الباروميتر العربي** إلى الوجود، وتنفيذ الموجة الأولى من مسوح الرأي العام الخاصة بالاتجاهات والسلوك والقيم السياسية على المستوى الوطني[10].

منطلقًا من هذه الخلفية، شرعتُ في عام 2005 في دراسة العوامل المؤثّرة في تفضيلات النظام والقيم السياسية في الأردن والجزائر وفلسطين، من خلال ورقة بحثية بعنوان "الديمقراطية وتوجّهات الثقافة السياسية للمواطنين العاديين: تصنيف للعالم العربي وغيره"[11]، قدّمتها في عدد من المؤتمرات الدولية، ونشرتها لاحقًا في عام 2009

---

1 S. Huntington, "Democracy's Third wave," in: Larry Diamond & Marc Plattner (eds.), *The Global Resurgence of Democracy* (Baltimore: Johns Hopkins University Press, 1993); P. Schmitter & T. L. Karl, "What Democracy Is ... and Is Not," in: Diamond & Plattner (eds.); L. Diamond, *Developing Democracy: Toward Consolidation* (Baltimore: Johns Hopkins University Press, 1999).

2 M. Robbins & M. Tessler, "The Effect of Elections on Public Opinion toward Democracy: Evidence from Longitudinal Survey Research in Algeria," *Comparative Political Studies*, no. 45 (October 2012), pp. 1255-1276.

3 ما وُضع بين معقوفين [ ] هو إضافات من محرر العدد، قصد توضيح المعنى.

4 R. Inglehart, "Culture and Democracy," in: Lawrence E. Harrison & Samuel Huntington (eds.), *Culture Matters: How Values Shape Human Progress* (New York: Basic Books, 2000); R. Inglehart & C. Welzel, "Political Culture and Democracy: Analyzing Cross-level Linkages," *Comparative Politics*, vol. 36, no. 1 (2003), pp. 61-79.

5 Y. Chu, L. Diamond & D. C. Shin, "Halting Progress in Korea and Taiwan," *Journal of Democracy*, vol. 12, no. 1 (2001).

6 أي مناطق معيّنة من العالم، التي يشير إليها أحيانًا بعض باحثي العلاقات الدولية في العالم العربي بـ "الأقاليم".

7 C. Welzel & R. Dalton, "Cultural Change in Asia and beyond: From Allegiant to Assertive Citizens," *Asian Journal of Comparative Politics*, vol. 2, no. 2 (2016).

8 M. Bratton, R. Mattes & E. Gyimah-Boadi, *Public Opinion, Democracy, and Market Reform in Africa* (New York: Cambridge University Press, 2005).

9 J. A. Booth & M. Seligson, *The Legitimacy Puzzle in Latin America: Political Support and Democracy in Eight Nations* (Cambridge, UK: Cambridge University Press, 2009).

10 لمزيد من المعلومات عن الباروميتر العربي، يمكن زيارة موقعه الإلكتروني في: https://www.arabbarometer.org/ar/. (المحرر)

11 العنوان الأصلي للدراسة:
Mark Tessler & Eleanor Gao, "Democracy and the Political Culture Orientations of Ordinary Citizens: a Typology for the Arab World and beyond," *International Social Science Journal* (UNESCO), vol. 59, no. 192 (2009), pp. 197-207.

في **المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية** (ISSJ) التابعة لليونسكو[12]. وقد شكّلت هذه المسوح، والتقرير البحثي الصادر عن المجلة، أرضية جديدة لدراسة الثقافة السياسية في العالم العربي. أظهرت تلك الدراسة أن الثقافة السياسية للمواطنين، في الدول الثلاث التي شملتها، تُدرج تحت إحدى الفئات الأربع المحدّدة: 1. ديمقراطية Democratic، 2. لامبالية Indifferent، 3. نضالية Activist، 4. منغلقة Parochial.

تستند دراستنا الحالية إلى [نتائج] دراستنا [المشار إليها] (التي مضى عليها نحو عقدين من الزمن)، لتُوسّع نتائجها أكثر، وتعمم خريطتها المفاهيمية والإمبريقية على مستويَي الزمان والمكان، لتشمل بلدانًا [جديدة]. تنطلق الدراسة من رصد العناصر والأبعاد التي يمكن وصفها بالتوجّهات الديمقراطية في الثقافة السياسية، والتي هي عبارة عن اتجاهات Attitudes المواطنين العاديين وقيمهم وسلوكهم التي حدّدتها الأدبيات العلمية (بما في ذلك أعمال إنغلهارت وويلزل ودايموند ودالتون المذكورة سلفًا) بأنها ضرورية للدمقرطة الناجحة والمستدامة. ثم تقف الدراسة بعد ذلك عند عنصرَين إضافيَين، نعتبرهما مهمَّين بالنسبة إلى الديمقراطية: أولهما يتعلّق بسؤال: ما حدود وكيفية ارتباط استحسان المواطنين العاديين للديمقراطية (بوصفها نظامًا سياسيًا) بمدى انتشار قيم ثقافة سياسية ديمقراطية التوجّه [بين المواطنين]؟ أما ثانيهما، فهو المشاركة في الانتخابات، وإذا ما كانت لتجربة المشاركة الانتخابية القدرة على التأثير في توجّهات الثقافة السياسية للفرد، وفي موقفه من الديمقراطية.

أولًا: الثقافة السياسية ديمقراطية التوجّه: عناصرها وأبعادها

يشير مصطلح "الثقافة السياسية" إلى مجموعة من التوجهات Orientations ذات الأهمية السياسية، معياريًا وسلوكيًا، التي تكون بارزة (وإلى حدّ ما بصفة مبالغ فيها) بين مواطني بلد ما. بناءً على ذلك، يشير هذا المصطلح إلى إحدى الخصائص المميِّزة لبلد ما. أما مصطلح "توجه الثقافة السياسية"، فيحيل إلى ذلك النوع من الثقافة السياسية التي تميّز بلدًا ما والكيفية الأفضل لمفهمتها ووصفها، على الرغم من أن هذه التوصيفات قد تكون ذاتية، والتي قد يُتفق، أو لا يُتفق، بشأن المصطلح [المناسب أو الأفضل] المستخدم في الإشارة إليها. والتوجّه الديمقراطي هو أحد أنواع الثقافة السياسية، أو أحد توجّهاتها [الممكنة]. توصف الثقافة السياسية في بلد معيّن بأنها ديمقراطية التوجّه [أو أنها ثقافة سياسية ديمقراطية] عندما تكون الاتجاهات والسلوك والقيم السياسية البارزة [أو الغالبة بين المواطنين] في ذلك البلد، هي تلك التي توصف بأنها تُفضي بصفة كبيرة إلى الديمقراطية، وفق ما نُقدّمه بمزيد من التفصيل في التحليلات أدناه.

يُعدّ كتاب "الثقافة المدنية" لغابريال أبراهام ألموند وسيدني فيربا أول محاولة جدّية لفهم العلاقة بين توجّهات المواطنين والديمقراطية[13]، حيث استندت دراستهما إلى مسوح Surveys مبتكرة الاتجاهات السياسية في خمس دول ديمقراطية في أوروبا وأميركا الشمالية. ومن بين التوجّهات التي اكتشفاها في بحثهما، نجد واجب المشاركة [السياسية]، والإحساس بالفاعلية السياسية Political Efficacy، ومستوى الثقة المتبادلة بين الأشخاص. وعلى الرغم من أن دراستهما تعرّضت لاحقًا للنقد؛ نظرًا إلى محدودية العدة المستخدمة فيها، على سبيل المثال عدم فحصها الثقافات الفرعية Subcultures، فإنها ظلت أول دراسة مسحية مقارنة واسعة من نوعها، أظهرت أهمية دراسة الاتجاهات وقيم وأنماط سلوك الرجال والنساء العاديين. خلال العقد أو العقدين اللاحقَين، وعلى الرغم من الغياب شبه التام لأبحاث ذات قيمة [حول الموضوع] عن العالم العربي، فقد تناولت عدة أبحاث إمبريقية العلاقة بين توجّهات المواطنين والدمقرطة. الخلاصة العامة لهذه الدراسات قدمها إنغلهارت (التي اعتمدت في جزء منها على مسح القيم العالمي المتعدّد البلدان الذي أسّسه وأدار أعماله)، تفيد أن "الثقافة تؤدي دورًا حاسمًا في الديمقراطية [...] [باعتبار أن] بقاءها رهينٌ بقيم المواطنين العاديين ومعتقداتهم"[14].

نشب خلاف [بين الباحثين] لفترة معيّنة بشأن إن كان وجود ثقافة سياسية [معيّنة] يؤدي إلى الديمقراطية، بعبارة أخرى، إن توافر "الثقافة السياسية الديمقراطية التوجّه" هو شرط مسبق لحصول انتقال ناجح إلى الديمقراطية. ومع أن بعض المحلّلين جادلوا بأن هذه هي الحال[15]، يبقى الرأي الأكثر انتشارًا [أو قبولًا بين الباحثين] هو أنه لا يُشترط أن تكون المعايير والسلوكات الديمقراطية سابقة

12 Ibid.
أنجز مركز الدراسات الاستراتيجية في الجامعة الأردنية مسح الأردن، وأنجز المركز الفلسطيني للبحوث السياسية والمسحية في رام الله مسح فلسطين، بينما أنجز فريق في جامعة الجزائر مسح الجزائر. واستندت المسوح الثلاثة إلى عيّنات عنقودية على ثلاث مراحل، استنادًا إلى أحدث تعداد وطني: الأردن (1994)، والضفة الغربية وغزة (1997)، والجزائر (1998). وقد هيّأت هذه المسوح، والبحث المنشور في **المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية**، أرضية جديدة لدراسة الثقافة السياسية في العالم العربي.

13 G. Almond & S. Verba, *The Civic Culture: Political Attitudes and Democracy in Five Nations* (Boston, MA: Little, Brown & Company, 1963); G. Almond & S. Verba, *The Civic Culture Revisited* (Boston, MA: Little, Brown and Company, 1980).

14 Inglehart, p. 96.

15 Huntington, p. 13.

لعملية التحوّل [الديمقراطي]، بل هي في الأغلب لاحقة لعملية إصلاح المؤسسات والإجراءات السياسية التي تقوم بها النخب[16]. بناءً على هذه الحجّة، يمكن أن تنشأ توجهات المواطنين المؤدّية إلى الديمقراطية بصفتها تجاوبًا [إيجابيًا] لتجربة تحوّل ديمقراطي. لكن، بغض النظر عن النقاشات المتعلّقة بالتوقيت والتسلسل [السببي بين التوجّهات الديمقراطية والدمقرطة]، فإن هناك اتفاقًا عامًا [بين الباحثين] على أن استدامة الديمقراطية [بصفتها نظامًا سياسيًا قائمًا في بلد معيّن] لا يمكن أن ترتكز على التزامات النخب السياسية وأفعالها فحسب، بل إن ذلك رهينٌ أيضًا بالاستعدادات Predispositions المعيارية والسلوكية للمواطنين العاديين أيضًا.

في هذا الصدد، فحصت الدراسات المبكّرة طيفًا واسعًا من الاتجاهات والقيم وأنماط السلوك، بما في ذلك تلك التي يمكن وصفها بأنها تُفضي إلى الديمقراطية. فباستخدام بيانات مسح القيم العالمي بين عامَي 1990 و1995، بحث إنغلهارت العلاقة بين الإنجاز الديمقراطي والالتزام بقيم التعبير عن الذات Self-expression Values، التي تشمل، من بين ما تشمله، الثقة والتسامح والفاعلية السياسية[17]. واستنادًا إلى بيانات أوروبا الشرقية، بحثت دراسة إمبريقية نشرها مؤلّفون آخرون دعم حرية التعبير، والتسامح السياسي، واحترام الأفكار والتفضيلات المنافسة، والاهتمام السياسي، ورغبة المشاركة في العملية السياسية[18]. ومن أبعاد الثقافة السياسية التي حظيت أيضًا بالاهتمام في دراسات أخرى، نجد الاهتمام السياسي والتسامح السياسي وتقدير الحرية والوعي بالحقوق ودعم العصيان المدني واستقلالية وسائل الإعلام والمشاركة السياسية[19].

على الرغم من أن كثيرًا من التحليلات قد ركّزت على دراسة طبيعة ومدى انتشار هذه المعايير "الديمقراطية" وغيرها بين ساكنة في منطقة معيّنة، فإن هذا لا يعني أن أبعاد الثقافة السياسية هذه تشكّل بالضرورة متلازمة Syndrome متجانسة. بعبارة أخرى، من المحتمل ألّا تكون الثقافة السياسية ذات التوجه الديمقراطي أحادية البعد؛ أي أن يعتنق المواطن نوعًا واحدًا من المعايير الديمقراطية لا يعني بالضرورة أنه يعتنق المعايير الأخرى. لكن من جهة أخرى، لا يوجد سبب لنفترض الغياب التام لترابطات بين الاتجاهات والقيم وأنماط السلوك ذات الأهمية. في ضوء هذه الاحتمالات، يكون هدف هذه الدراسة، كما هدف دراستي السابقة (التي نشرت في **المجلة الدولية لعلم الاجتماع**) هو فهم درجة ارتباط الاستعدادات المعيارية والسلوكية المتعلّقة بالديمقراطية في ما بينها؛ وبأكثر تحديدًا، توضيح المعنى المفاهيمي للأنماط الملاحَظة [لهذه الاستعدادات المعيارية والسلوكية] عندما يتعلق الأمر بالثقافة السياسية وتوجهاتها، إضافة إلى حدود إمكانية أن تساهم الانتخابات في توليد الاستعدادات المعيارية والسلوكية المتعلقة بالثقافة السياسية الديمقراطية التوجّه.

ثانيًا: النتائج المستخلَصة من دراسة المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية

استخدمت الدراسة السابقة التي نُشرت في **المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية**، والتي استندت إلى مسوح أُجريت في الأردن وفلسطين والجزائر، الاستمارة نفسها في البلدان الثلاثة. احتوت أداة المسح [أي الاستمارة] (ينظر الملحق 1) أسئلة تقيس ستة توجّهات معيارية وسلوكية، أظهرت الأدبيات العلمية أنها ذات أهمية للديمقراطية. لا نزعم أن هذه العناصر الستة هي أنماط الرأي والسلوك الوحيدة التي يمكن أن تكون لها أهمية على المستوى الكلي، ليكون ساكنة منطقة معيّنة مؤيّدين للديمقراطية؛ ومن ثمّ فإنها ذات أهمية، بل نزعم فقط، كما سبق أن ناقشنا ذلك، أنها من العناصر المهمة التي حدّدتها الدراسات السابقة وقيّمتها بأنها من المحتمل أنها تُفضي إلى الديمقراطية.

أما التوجهات الستة التي قِيست من خلال الاستبيان الذي أُجري في الأردن وفلسطين والجزائر، فهي: 1. دعم المساواة بين الجنسين، 2. التسامح، 3. الثقة المتبادلة بين الأشخاص، 4. المشاركة المدنية، 5. الاهتمام السياسي، 6. المعرفة السياسية. لقد قيست هذه التوجهات الستة من خلال مؤشّر تجميعي[20] أُنشِئ عبر الجمع بين بندَين أو أكثر من بنود [أسئلة] الاستمارة المترابطة إلى حدّ بعيد. وتتمتّع البنود

16 R. Rose, "Where Are Postcommunist Countries Going?" *Journal of Democracy*, no. 8 (July 1997), p. 98; Schmitter & Karl, p. 47.

17 Inglehart.

18 R. Rose, W. Mishler & C. Haerpfer, *Democracy and its Alternatives: Understanding Postcommunist Societies* (Cambridge: Polity Press, 1998), p. 98.

19 J. L. Gibson, R. M. Duch & K. L. Tedin, "Democratic Values and the Transformation of the Soviet Union," *The Journal of Politics*, vol. 54, no. 2 (1992), pp. 329-371; A. Nathan & T. Shi, "Cultural Requisites for Democracy in China: Findings from a Survey," *Daedalus*, vol. 122, no. 2 (1993), pp. 95-123; T. Rice & J. L. Feldman, "Civic Culture and Democracy from Europe to America," *The Journal of Politics*, vol. 39, no. 4 (1997), pp. 1143-72; J. A. Booth & P. B. Richard, "Civil Society, Political Capital, and Democratization in Central America," *The Journal of Politics*, vol. 60, no. 3 (1998), pp. 780-800; R. Dalton, "Citizen Attitudes and Political Behavior," *Comparative Political Studies*, vol. 33, no. 6-7 (2000), pp. 912-940; C. Garcia-Rivero, H. Kotze & P. du Toit, "Political Culture and Democracy: The South African Case," *Politikon*, vol. 29, no. 2 (2002), pp. 163-181; Inglehart & Welzel.

20 تجميعي بمعنى ناتج من عملية الجمع الحسابية (المحرر).

كلها بصدق ظاهري Face Validity ، مع وجود إشارات إلى التكافؤ المفاهيمي والقياسي للمؤشرات بين الدول، الذي ظهر من خلال تحقق ثبات ارتباطات البنود Correlations من دولة إلى أخرى؛ أي إن البنود نفسها قد ارتبط بعضها ببعض، بدرجة ذات دلالة إحصائية لكل مؤشر من المؤشّرات الستة في كلٍّ من الدول الثلاث.

بعد تطوير مقاييس التوجّهات المعيارية والسلوكية الستة، انتقلت الدراسة إلى العلاقات بين هذه التوجّهات، من أجل البحث في بنية توجّهات الثقافة السياسية؛ باعتبار أن الأخيرة نتاج التفعيل الجماعي للتوجّهات الستة. استُخدِم التحليل العاملي Factor Analysis لاستكشاف العلاقات بين مؤشّرات التوجّهات الستة. من اللافت أن نتائج التحليلات العاملية (المرفقة في الملحق 2) كانت متماثلة في البلدان الثلاثة. وفي كل حالة، برز حلّ ذو عاملَين؛ حيث حقّق التسامح السياسي ودعم المساواة بين الجنسين أوزانًا Loads مرتفعة على عامل واحد، بينما حقّق الاهتمام السياسي والمعرفة السياسية والمشاركة المدنية والثقة المتبادلة بين الأشخاص أوزانًا مرتفعةً على عامل ثانٍ. كانت الأوزان العاملية Factor Loadings كلها قوية، باستثناء مؤشر الثقة المتبادلة بين الأشخاص، الذي وإن كان وزنه ذا حضور متكرر في العامل نفسه، فإن ذلك كان بمستوى قوة أقل نوعًا ما [من المؤشرات الثلاثة الأخرى المُشكّلة للعامل الثاني] في الدول الثلاث. لم تكن النتيجة المتعلّقة بالثقة المتبادلة بين الأشخاص متوَقّعة، ولم تكن إلى حدّ ما شذوذًا، وهو ما سنناقشه في إيجاز لاحقًا، على أن نستكشفه على نحوٍ أوفى مستقبلًا.

يُظهر الجدول (2) أن العناصر الستة للثقافة السياسية التي بُحِثَت في دراسة **المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية**، لا هي شكلت توجهًا أُحادي البعد للثقافة السياسية، ولا هي منفصل تمامًا بعضها عن بعض، بل انقسمت على نحوٍ متكرر إلى مجموعتين متمايزتين. تتكوّن المجموعة الأولى من التسامح السياسي ودعم المساواة بين الجنسين، التي يمكن وصفها بأنها بُعد "التعدّدية" أو "التنوّع". أما الأخرى، التي تضمّ الاهتمام السياسي والمعرفة السياسية والمشاركة المدنية والثقة المتبادلة بين الأشخاص، فيمكن وصفها بأنها بُعد "المشاركة". لم تسمح البيانات بتحديد هذه الأبعاد المتمايزة مفاهيميًا فحسب، بل برهنت على استقلاليتها الإمبريقية أيضًا. فإذا كان بعض المواطنين قد اعتنقوا توجّهات مرتبطةً بالبعدَين معًا، أو لم يعتنقوا أيًّا منهما بدرجة ملحوظة، فإن توجهات الثقافة السياسية للمواطنين الآخرين تميّزت بمعايير أحد البعدَين، دون الآخر.

أما الجدول (1)، فيوضّح الطرائق الأربع المحتملة لتقاطع هذين البعدَين المعياريَين والسلوكيَين: 1. توجه قوي نحو التعدّدية، وتوجه قوي نحو المشاركة، 2. توجّه قوي نحو التعدّدية، وتوجّه ضعيف نحو المشاركة، 3. توجّه ضعيف نحو التعدّدية، وتوجه قوي نحو المشاركة، 4. توجّه ضعيف نحو التعدّدية، وتوجه ضعيف نحو المشاركة. ولأغراض التيسير، لكن أيضًا رغبة في التقدّم خطوة نحو التوضيح المفاهيمي، وُصِفت هذه التوليفات على التوالي بأنها: 1. ديمقراطية، 2. غير مبالية، 3. نشطة، 4. منغلقة. وعلى الرغم من أن تلك التوليفات شكّلت نماذج مثالية Ideal Types إلى حدّ ما، فإن كلًّا منها مثّل توجّهًا معيّنًا في الثقافة السياسية، ميّز، في وقت إجراء المسح، مجموعة فرعية من المواطنين العاديين في الأردن وفلسطين والجزائر، وربما أيضًا في مجتمعات غير ديمقراطية أخرى في العالم العربي وسواه.

يتّسم الفرد، الذي يمكن وصف توجّه ثقافته السياسية بأنه **ديمقراطي،** بالتسامح تجاه وجهات النظر السياسية المتنوّعة، ودعم المساواة بين الجنسين، وإظهاره اهتمامًا بالسياسة، وامتلاكه معرفة سياسية، ومشاركته في الحياة المدنية والجمعيات، وثقته بالمواطنين الآخرين. أما الشخص الذي يمكن وصف توجهه بأنه **نشط**، فلا يتسامح مع الرؤى السياسية المتنوعة، ولا يدعم المساواة بين الجنسين، لكنه يُبدي اهتمامًا بالسياسة، ولديه معرفة سياسية، وينشط في الحياة المدنية والجمعيات، ويثق بالمواطنين الآخرين. ربما يعكس هذا الأمر منظورًا أيديولوجيًا؛ إذ إنه ينخرط في الحياة السياسية والعامة، من دون أن يقبل بشرعية الرؤى والميول وأنماط الحياة البديلة.

أما الشخص، الذي يمكن وصف توجّه ثقافته السياسية بأنه **غير مبالٍ،** فيتسامح مع الرؤى السياسية المتنوّعة ويدعم المساواة بين الجنسين، لكنه لا يُبدي اهتمامًا بالسياسة، وليس لديه معرفة سياسية، ولا يشارك في الحياة المدنية والجمعيات، ولا يثق بالمواطنين الآخرين. هذا الشخص في الوقت نفسه منعزل وغير ميّال إلى إصدار الأحكام، وغير مهتم بالشؤون السياسية أو بسلوك الآخرين. في حين أن الشخص، الذي يمكن وصف توجّه ثقافته السياسية بأنه **منغلق،** لا يتسامح مع الرؤى السياسية المتنوّعة، ولا يدعم المساواة بين الجنسين، ولا يبدي اهتمامًا بالسياسة، وليس لديه معرفة سياسية، ولا يشارك في الحياة المدنية والجمعيات، ولا يثق بالمواطنين الآخرين.

لتصنيف الأفـراد في أحد توجّهات الثقافة السياسية المقدمة في الجدول (1)، علينا أولًا دمج المؤشّرين المرتبطين ببُعد التعدّدية، والعناصر الأربعة المرتبطة ببُعد المشاركة على التوالي. من أجل ذلك، أجرينا تحليلَين عامليَين إضافيَين، أحدهما باستخدام مقاييس التسامح السياسي والمساواة بين الجنسين فحسب، والآخر باستخدام مقاييس الاهتمام السياسي والمعرفة السياسية والمشاركة المدنية والثقة المتبادلة بين الأشخاص فحسب. أنتج كل تحليل عاملي قيمًا عاملية Factor Scores، شكّلت مقياسًا لبُعدَي التعدّدية والمشاركة على

الجدول (1)

توجّهات الثقافة السياسية بناءً على أبعاد التعدّدية

		بُعد التعدّدية	
		قوي	ضعيف
بُعد المشاركة	قوي	**الديمقراطي:** هو المواطن الذي يتسامح مع الرؤى السياسية المتنوّعة، ويدعم المساواة بين الجنسين، ويُبدي اهتمامًا بالسياسة، ولديه معرفة سياسية، ويشارك في الحياة المدنية والجمعيات، ويثق بمواطنيه.	**النشط:** هو المواطن الذي لا يتسامح مع الرؤى السياسية المتنوّعة، ولا يدعم المساواة بين الجنسين، لكنه يُبدي اهتمامًا بالسياسة، ولديه معرفة سياسية، ويشارك في الحياة المدنية والجمعيات، ويثق بمواطنيه.
	ضعيف	**غير مبالٍ:** هو المواطن الذي يتسامح مع الرؤى السياسية المتنوّعة، ويدعم المساواة بين الجنسين، لكنه لا يُبدي اهتماما بالسياسة، وليس لديه معرفة سياسية، ولا يشارك في الحياة المدنية والجمعيات، ولا يثق بمواطنيه.	**المنغلق:** هو المواطن الذي لا يتسامح مع الرؤى السياسية المتنوّعة، ولا يدعم المساواة بين الجنسين، ولا يُبدي اهتماما بالسياسة، وليس لديه معرفة سياسية، ولا يشارك في الحياة المدنية والجمعيات، ولا يثق بمواطنيه.

المصدر:

Mark Tessler & Eleanor Gao, "Democracy and the Political Culture Orientations of Ordinary Citizens: A Typology for the Arab World and beyond," *International Social Science Journal* (UNESCO), vol. 59, no. 192 (2009), pp. 197-207.

الجدول (2)

أنواع توجّهات الثقافة السياسية للأردنيين والفلسطينيين والجزائريين المشاركين

		الأردن (نسبة مئوية)	فلسطين (نسبة مئوية)	الجزائر (نسبة مئوية)
توجه الثقافة السياسية	الديمقراطي	11.2	11.9	37.0
	النشط	15.2	21.3	16.5
	اللامبالي	25.7	19.6	33.1
	المنغلق	47.9	47.2	13.3
	المجموع	100	100	100

المصدر: Ibid.

التوالي. ومن المعلوم أنه في حالة بُعد المشاركة، لحساب القيم العاملية، قد أُخذت في الحسبان أوزان المؤشّرات الأربعة في التحليل العاملي.

بعد توليد القيم العاملية التي تقيس بُعدَي التعدّدية والمشاركة، علينا أيضًا مقابلة القيمتين العامليتين [لكل بعد]، بغية تصنيف الأفراد في إحدى الفئات الأربع التي يوضحها الجدول (1). من أجل ذلك، قسّمنا كل مجموعة من القيم العاملية فئتين ثنائيتين، عبر اختيار نقطة المنتصف [معيارًا للتصنيف][21]، مع اعتبار أن كل فئة من الفئتين تشير إلى ارتباط قوي أو [على الأقل] أقوى، في مقابل الفئة الأخرى التي تشير إلى ارتباط ضعيف أو [على الأقل] أضعف. بعد ذلك قابلنا بين المقاييس الثنائية للبُعدَين [بالنسبة إلى أفراد العيّنة في الدول الثلاث]، ما أنتج جدولًا ثنائي البُعد، تُمثّل كل خلية فيه أحد أنماط الثقافة السياسية الأربعة الموصوفة أعلاه. يعرض الجدول (2) توزيع توجّهات الثقافة السياسية بين الأردنيين والفلسطينيين والجزائريين، الذي نتج من مقابلة هذه المقاييس الثنائية الخاصة ببُعدي التعدّدية والمشاركة.

21 من جهة فئة الأفراد الذين تكون القيم العاملية الخاصة بهم أكبر من قيمة نقطة المنتصف (يأخذون الرقم 1)، ومن جهة أخرى فئة الأفراد الذين تكون القيم العاملية الخاصة بهم أصغر من قيمة المنتصف (يعطون الرقم 0). ينتج من هذه العملية توليد متغير ثنائي، تقتصر فيه القيم العددية الممعنة على 0 أو 1. (المحرر)

العدد 70 - المجلد 12 - أيلول/ سبتمبر 2024
Issue 70 - Volume 12 - September 2024

> باتت أبحاث الرأي العام في البلدان العربية عن القضايا السياسية أكثر شيوعًا في السنوات التي تلت إتمام الدراسة المنشورة في المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية. وعلى الرغم من أن إجراء مثل هذه الأبحاث ما زال متعذّرًا، ولا يُنجَز إلّا في أكثر من ثلث أعضاء جامعة الدول العربية، فإنه يتم إنجاز مثل هذه الأبحاث في الدول المتبقية، على الأقل من حين إلى آخر

ثالثًا: نتائج جديدة من الباروميتر العربي

باتت أبحاث الرأي العام [في البلدان العربية] عن القضايا السياسية أكثر شيوعًا في السنوات التي تلت إتمام الدراسة المنشورة في **المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية**. وعلى الرغم من أن إجراء مثل هذه الأبحاث ما زال متعذّرًا، ولا يُنجَز إلّا في أكثر من ثلث أعضاء جامعة الدول العربية، فإنه يتم إنجاز مثل هذه الأبحاث في الدول المتبقية، على الأقل من حين إلى آخر. أُسِّس مشروع مسح **الباروميتر العربي** في عام 2006، وتمكّن من إجراء مسوح تمثيلية Representative على المستوى الوطني في سبع دول في دورته الأولى. ارتفع العدد إلى عشر دول في الموجة الثانية من المسوح في الفترة 2010-2011، واثنتي عشرة دولة في الموجة الثالثة من المسوح في الفترة 2012-2014[22]. أنجز الباروميتر سبع موجات من المسوح إلى الآن. أما الموجة الثامنة، فهي قيد التنفيذ، وتوشك أن تكتمل[23]، وأجرى الباروميتر مقابلات وجهًا لوجه مع أكثر من 125 ألف مواطن عادي. يمكن تحميل البيانات التي سنُحلّلها هنا بغية تقديم نتائج جديدة، حول توجّه الثقافة السياسية والديمقراطية، انطلاقًا من الموقع الإلكتروني الذي يعتمده **الباروميتر العربي**، مجانًا[24].

1. إعادة توليد النتائج والقياس بالبيانات الجديدة

قصد معرفة إن كانت النتائج المتعلّقة بتوجّه الثقافة السياسية والديمقراطية الواردة في دراسة **المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية** ما زالت صالحة بعد عقدين من الزمن، علاوة على إن كان يمكن تعميمها على عدد أكبر من البلدان العربية، تُحلّل دراستنا الحالية بيانات ست دول من الموجة الرابعة من **الباروميتر العربي** لعام 2016، وفي الموجة الخامسة منه، المنجزة في الفترة 2018-2019. إن الدول الست المقصودة هي الجزائر ومصر والأردن والمغرب وفلسطين وتونس. ستوفّر نتائج هذه المسوح (سواء من خلال المقارنات بين نتائجها أم مقارنتها بنتائج البحوث السابقة) معلومات وإشارات تتعلّق بالصدق الظاهري والشروط الخاصة التي ترتبط بعناصر وبنية أبعاد توجّهات الثقافة السياسية ذات الأهمية للديمقراطية.

يقدم الجدول (3) البنود المستخدمة [عادة] لقياس أبعاد الثقافة السياسية، وهي البنود نفسها التي وردت في الموجتين الرابعة والخامسة من مسوح **الباروميتر العربي**، وإلى حدٍ ما (وإن لم تتطابق معها تمامًا) البنود نفسها المستخدمة في دراسة **المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية** [المشار إليها في المبحث الأول من هذه الدراسة]. ويعرض الجدول (4) نتائج تحليلات العوامل، استنادًا إلى البنود الستة المُدرَجة في الجدول (3) باستخدام البيانات الجامعة [للدول الست كلها Pooled Data] للموجتين الرابعة والخامسة، كل واحدة على حدة. أما الجدول (5)، فيقدم نتائج التحليل العاملي المستند إلى تحليل البيانات الجامعة للدول الست من الموجتين معًا.

تشير النتائج المُستنِدة إلى بيانات الموجتين الرابعة والخامسة التي يعرضها الجدول (4)، إلى أنها ليس متشابهة في ما بينها بصفة جلية

---

22 مزيد من التفصيلات حول بيانات **الباروميتر العربي**، في موقعه الإلكتروني: https://www.arabbarometer.org/

23 بدأ الاشتغال على الموجة الثامنة من الباروميتر العربي في كانون الأول/ ديسمبر 2023، والبيانات لم تحمل بعد على الموقع بتاريخ 2024/9/17. المرجع نفسه. (المحرر)

24 قدّم المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات في الدوحة أيضًا إسهامًا مهمًا في مجال دراسة الرأي العام في العالم العربي؛ إذ أجرى خلال أكثر من عقد من الزمان، مسوحًا على المستوى الوطني في الكثير من البلدان العربية، واستخدم بيانات تلك المسوح في إعداد **المؤشّر العربي** ونشره. أُجرِيت المسوح الأولى للمركز العربي في عام 2011، وقد أنجز سبع موجات أخرى من المسوح منذ ذلك الحين. شملت موجته الأخيرة، في عام 2022، مقابلات مع 33 ألف رجل وامرأة، في أربعة عشر بلدًا. ومن بين المنظمات الأخرى التي يمكن ذكرها، هناك **مسح القيم العالمي** الذي أُسِّس في عام 1980، لكنه لم يباشر إجراء مسوح منتظمة للأفراد، في عشر دول عربية أو أكثر، إلّا في الأعوام الستة أو السبعة الأخيرة. فضلًا عن ذلك، وعلى الرغم من تعذّر تنفيذ ذلك في كل مكان، يُجري عدد متزايد من الباحثين والطلاب الأفراد اليوم مسوحًا خاصة بمشاريع محدّدة. وبناءً على ذلك، نخلص إلى أنه إن كان علينا ألّا نقلّل من شأن العقبات والحواجز التي ما زالت قائمة، فإن بيئة بحوث الرأي العام في العالم العربي تختلف اليوم كثيرًا عما كانت عليه قبل عَقدين فقط.

الجدول (3)

بيانات الباروميتر العربي: البنود المستخدمة في قياس أبعاد الثقافة السياسية

الاهتمام السياسي	بوجه عام، إلى أي حدّ أنت مهتمّ بالسياسة؟
المشاركة المدنية	هل أنت عضو في منظمة أو جماعة أو نادٍ؟
دعم المساواة بين الجنسين	التعليم الجامعي للذكور أكثر أهمية من التعليم الجامعي للإناث.
النشاط الاحتجاجي	هل حضرت خلال الأعوام الثلاثة الماضية اجتماعًا لمناقشة موضوع ما، أو التوقيع على عريضة ما؟
	هل شاركت خلال الأعوام الثلاثة الماضية في احتجاج أو مظاهرة أو اعتصام؟
التسامح	يُرجى إخباري عن مدى رغبتك في أن يكون جيرانك من هذه المجموعة: ديانة مختلفة.
	يُرجى إخباري عن مدى رغبتك في أن يكون جيرانك من هذه المجموعة: عِرق أو لون مختلف.
	يُرجى إخباري عن مدى رغبتك في أن يكون جيرانك من هذه المجموعة مهاجرين أو عمالًا أجانب.
الثقة المتبادلة بين الأشخاص	بوجه عام، هل ترى أن "معظم الناس أهلٌ للثقة"، أو "أنك يجب أن تكون حذرًا جدًا في التعامل معهم"؟

المصدر: من إعداد الباحث إنطلاقًا من الأسئلة الواردة في استمارتي استبياني الباروميتر العربي للموجتين الرابعة والخامسة*.

* يمكن تحميل استمارات استبيانات الموجات المختلفة من الباروميتر العربي في موقعه الإلكتروني: https://acr.ps/1L9zPac

الجدول (4)

الأوزان العاملية للمؤشّرات (الجزائر، الأردن، مصر، المغرب، فلسطين، تونس)

الحلول بعد التدوير *Rotated solutions*						
البنود	بعد الثقافة السياسية الذي يقيسه البند	تحليل جامع لبيانات الباروميتر العربي (5) (2018-2019)		تحليل جامع لبيانات الباروميتر العربي (4) (2016)		
		العامل الأول	العامل الثاني	العامل الأول	العامل الثاني	العامل الثالث
الاهتمام السياسي	المشاركة	.670	-.033	.650	.067	.030
المشاركة المدنية	المشاركة	.746	-.026	.720	-.001	-.087
دعم المساواة بين الجنسين	التسامح	-.042	-.722	-.087	-.657	.544
النشاط الاحتجاجي	المشاركة	-.766	-.129	.738	-.120	.097
التسامح	التسامح	-.091	.652	-.028	.702	.207
الثقة المتبادلة بين الأشخاص	التسامح	.174	.439	.030	.273	.811

المصدر: من إعداد الباحث.

الجدول (5)

تحليل جامع لبيانات الباروميتر العربي الخامس والرابع مجتمعة:
الأوزان العاملية لمجموعات فرعية من المؤشّرات (الجزائر، الأردن، مصر، المغرب، فلسطين، تونس)

البنود	الحلول بعد التدوير *Rotated solutions*			
	المشاركة الموجة الخامسة	المشاركة الموجة الرابعة	التسامح الموجة الخامسة	التسامح الموجة الرابعة
الاهتمام السياسي	.641	.623		
المشاركة المدنية	.723	.701		
دعم المساواة بين الجنسين			-.723	.789
النشاط الاحتجاجي	.711	.763		
التسامح			.646	-.609
الثقة المتبادلة بين الأشخاص			.472	.135

المصدر: المرجع نفسه.

فحسب، بل تكاد تكون متطابقة مع نتائج الدراسة المنشورة في **المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية**، حيث تُظهر النتائج المعروضة في الجدول (4) أن ثلاثة بنود تُعدّ مؤشّرات صالحة للمشاركة، وهي تلك التي تمتلك أوزانًا قوية (أي تساوي أو تفوق قيمة وزنها 0.600) على العامل الأول لا غير؛ في حين أن بندَين يُعدّان مؤشّرَين صالحَين للتسامح، لهما وزنان قويّان على العامل الثاني لا غير. أما البند الثالث، أي الثقة المُتبادَلة بين الأشخاص، الذي كان يمكن عدّه مقياسًا للتسامح، وكان له في دراسة **المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية** وزنٌ قويٌّ إلى حدٍ ما في عامل المشاركة، فيفتقر إلى وزن عالٍ، سواء على العامل [الثاني] الذي يقيس التسامح أم العامل [الأول] الذي يقيس المشاركة. وتحاكي هذه النتائج، كما أسلفنا، نتائج دراسة **المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية**.

2. تأكيد توجّهات الثقافة السياسية

أجريت أربعة تحليلات عاملية إضافية، استُخدمت في اثنين منها بيانات الموجة الرابعة، تضمّن أحدهما البنود الثلاثة التي تُعدّ مقاييس صالحة للمشاركة، بينما تضمّن الآخر البنود الثلاثة التي تُعدّ مقاييس صالحة للتسامح. ضُمّ بند الثقة المتبادلة بين الأشخاص في التحليل الأخير، لمعرفة إن كان وزنه أعلى في حال تحليل [عوامل] يحتوي على بنود قياس التسامح فحسب. أما التحليلان العامليان الآخران، فقد استُخدمت فيهما بيانات الموجة الخامسة، ووفق المنطق نفسه، تضمّن أحدهما البنود الثلاثة التي تُعدّ مقاييس صالحةً للمشاركة، بينما تضمّن الآخر البنود الثلاثة التي تُعدّ مقاييس صالحةً للتسامح. هنا أيضًا ضُمنت الثقة المتبادلة بين الأشخاص في التحليل الأخير، لمعرفة إمكانية أن يكون وزنها أعلى، في حال كانت ضمن تحليل يحتوي على بنود قياس التسامح فحسب. يعرض الجدول (5) نتائج هذه التحليلات العاملية الأربعة.

محاكين ما قمنا به في دراسة **المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية**، استُخدمت تحليلات العوامل الأربعة الموضّحة في الجدول (5)، لتوليد قيم العوامل Factor Scores الخاصة بكل بُعد من أبعاد الثقافة السياسية، باستعمال بيانات كل موجة من مسوح **الباروميتر العربي**. بعد ذلك، وكما كانت الحال في دراسة **المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية** (ينظر الملحق 1)، قُسّمَت قيم العوامل التي تقيس كل بُعد قسمين عند الوسيط Median، ثم وُضِعت جنبًا إلى جنب لتوفير خريطة مفاهيمية ثنائية الأبعاد للثقافة السياسية. هذه "الخرائط" هي في الواقع تصنيف لتوجّه الثقافة السياسية، استنادًا إلى الفئات الأربع المبيّنة في الملحق (1) [وما تم تقديمه في المبحث الأول من الدراسة]. إن الفئات التي يمثّل كل منها توجّهًا معيّنًا للثقافة السياسية، هي المشاركة القوية والتسامح القوي، وهو الصنف الذي يُفترَض فيه أن يكون أشدّ دعمًا للديمقراطية، وسمّيناه **ديمقراطيًا**، والمشاركة القوية والتسامح الضعيف، وهو صنف أطلقنا عليه اسم **نشط**، والمشاركة الضعيفة والتسامح القوي، وهو صنف سمّيناه **غير مبالٍ**، والمشاركة الضعيفة والتسامح الضعيف، وهو الصنف الذي سميناه **منغلقًا**.

الجدول (6)
توزيعات النسبة المئوية لأربعة أنواع من توجّهات الثقافة السياسية
(الجزائر، مصر، الأردن، المغرب، فلسطين، تونس)

	ديمقراطي أكثر مشاركة أكثر تسامحًا	نشط أكثر مشاركة أقل تسامحًا	غير مبالٍ أقل مشاركة أكثر تسامحًا	منغلق أقل مشاركة أقل تسامحًا
الجزائر الموجة 5	14.5	27.1	19.4	38.7
الجزائر الموجة 4	12.6	18.5	30.2	38.6
مصر الموجة 5	17.5	23.5	19.2	39.7
مصر الموجة 4	18.9	12.9	35.4	32.7
الأردن الموجة 5	18.1	15.9	30.7	35.3
الأردن الموجة 4	15.6	15.2	32.3	36.9
المغرب الموجة 5	28.8	22.4	21.1	27.7
المغرب الموجة 4	20.7	18.0	29.7	31.5
فلسطين الموجة 5	21.6	28.8	18.0	31.5
فلسطين الموجة 4	21.7	31.2	19.9	27.3
تونس الموجة 5	15.1	20.6	22.7	41.5
تونس الموجة 4	33.9	9.6	39.7	16.7
إجمالي الموجة 5	19.3	22.9	22.0	35.8
إجمالي الموجة 4	20.6	17.5	31.2	30.6

المصدر: المرجع نفسه.

3. أنماط الثقافة السياسية بحسب البلدان والزمن

إذا ما أخذنا في الحسبان أن هذه النتائج هي على المستوى الفردي، فإن كل نوع يمثّل ما يمكن تسميته "توجّهًا" للثقافة السياسية. قدّمتُ هذه التسمية، واستعملتُها، وعرّفتُها في دراسة في **المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية**. من هنا، يمكن فهم توجّه الثقافة السياسية على المستوى الوطني، على الأقل في ما يتعلّق ببُعدَي المشاركة والتسامح، بوصفه توزيعًا للاستعدادات المسبقة للمواطنين بين أنواع الثقافة السياسية الأربعة. يوضّح الجدول (6) النسب المئوية لتوزيعات [المواطنين] عبر هذه الأنواع، أو التوجّهات الخاصة بالنسبة إلى كل دولة شملها التحليل في كل موجة من الموجتين. يشير الخط البارز إلى المنوالية Modal Category [أي فئة التوجّه الأكثر تكرارًا] بالنسبة إلى كل دولة في كل موجة.

> في مقابل تركيز الأدبيات العلمية ذات الصلة على أهمية هذا المتغيّر أو المفهوم، وعلى الرغم من كون السردية السببية التي تقدمها تلك الأدبيات حول أهميته تبدو مقنعةً، فإن بياناتنا تظهر عدم ارتباطه بالتسامح، مع أننا كنّا نتوقّع العثور على ذلك الارتباط. ثمّ إنه لا يرتبط بالمشاركة أيضًا

قبل المُضي قُدمًا، يمكن الوقوف في إيجاز عند ملاحظة تتعلّق بالثقة المتبادلة بين الأشخاص. في مقابل تركيز الأدبيات العلمية ذات الصلة على أهمية هذا المتغيّر أو المفهوم، وعلى الرغم من كون السردية

السببية التي تقدمها تلك الأدبيات حول أهميته تبدو مقنعةً، فإن بياناتنا تظهر عدم ارتباطه بالتسامح، مع أننا كنّا نتوقّع العثور على ذلك الارتباط. ثمّ إنه لا يرتبط بالمشاركة أيضًا. تدعم هذه النتائج بيانات ثلاث دول عربية شملها المسح، في ثلاث محطات زمنية، فضلًا عن ثلاث دول عربية أخرى شملها المسح في محطتين زمنيتين. ربما توجد أسباب لعدم انطباق النتائج المُستخلَصة من أماكن أخرى [من العالم] على الدول العربية، أو ربما تشكّل الثقة المتبادلة بين الأشخاص بُعدًا ثالثًا للثقافة السياسية على مستوى التحليل الفردي، الأمر الذي يتطلّب خريطة مفاهيمية وتصنيفًا موسّعًا. تشير إلى هذا الاحتمال النتائجُ المُستنِدة إلى بيانات الموجة الرابعة من مسوح **الباروميتر العربي**. وفي الأحوال كلها، تشير نتائجنا بشدة إلى أن موقع الثقة المتبادلة بين الأشخاص، في مقاييس الثقافة السياسية على المستويَين الفردي والوطني، يستحق مزيدًا من البحث.

إن تلخيص النتائج المبيّنة في الجدول (6) ليس بالأمر الهيّن. لكن، على الأقل، فإن هذه النتائج التي تبقى وصفية تبرر الحاجة إلى إجراء أبحاث أكثر تفصيلًا. فعلى مستوى التحليل الوطني، ستسعى مثل هذه الأبحاث للتساؤل إن كانت السمات والخبرات الخاصة بدولة محدّدة وزمان محدّد، مؤثّرة في فهم تباين توجّهات الثقافة السياسية. أما على المستوى الفردي، فقد تكون للسمات والخبرات الخاصة بدولة محدّدة وزمان قوةٌ تفسيريةٌ، باعتبارها شروطًا تحدّد مدى صحة الفرضيات التي يكون فيها توجه الثقافة السياسية للمواطنين العاديين، متغيّرًا تابعًا Dependent Variable أو متغيّرًا مستقلًا Independent Variable.

مع ذلك، يمكن تقديم بعض التعليقات على النتائج المعروضة في الجدول (6). إن النمط الأكثر أهمية هو الانغلاق؛ أي الأقل مشاركة والأقل تسامحًا، وهو نمط الثقافة السياسية الأكثر تكرارًا بين توجهات الأفراد في تسعة من توزيعات الدول/ الموجات الاثنتي عشرة. فضلًا عن ذلك، يُعدّ نمط الانغلاق في اثنتين من الثلاث الأخرى [المتبقية] أقل رواجًا بشكل طفيف، فحسب، عن نمط الثقافة السياسية الأكثر شيوعًا فيها. لذلك، وفي حدود القبول بفكرة أن الثقافة السياسية المنغلقة عاجزة عن تقديم أي دعم للدمقرطة والديمقراطية، فإن هذه النتيجة يمكن اعتبار أنها تقف عند أحد العوامل – وإن ليس العامل الأهم بالضرورة، لكنه مهم مع ذلك – يساعد في تفسير غياب الديمقراطية في الدول العربية.

هناك حقيقة تُعزّز هذه النتيجة المحبِطة، مفادها أن التوجه الديمقراطي في الثقافة السياسية، أي ذاك الذي يتميّز بنسبة أكبر من المشاركة والتسامح، هو النمط الأكثر تكرارًا في حالة واحدة فقط، هي المغرب في الموجة الخامسة؛ وباستثناء حالة تونس في الموجة الرابعة، فإنه [التوجّه الديمقراطي] يشكل أقل من 22 في المئة من مواطني الدولة في توزيعات الدول/ الموجات المتبقية. وبناءً على ذلك، وعلى الرغم من بعض الاستثناءات الطفيفة، فإن توجّه الثقافة السياسية الأقل دفعًا نحو ديمقراطية يبدو هو ما يميّز المواطنين العاديين غالبًا، بينما يندر أن يسود توجّه الثقافة السياسية الأكثر دفعًا نحو الديمقراطية بين المواطنين العاديين.

إذا ما وضعنا جانبًا بعض الاستثناءات، فإن هذه النتائج الخاصة بتوجّه الثقافة السياسية المنغلقة، وتوجّه الثقافة السياسية الديمقراطية، لا تشير إلى وجود اختلافات عميقة ومنتظمة Systematic بين الدول الست، أو خلال الفترتين الزمنيتين. في الحقيقة، هناك بعض الحالات التي يمكن عدّها نماذج للنمط الذي يميّز بوجه عام كل التوزيعات الواردة في الجدول (6). هذه النماذج التي نعرّفها بأنها تلك الحالات التي تكون فيها نسبة المواطنين ذوي التوجّه المنغلق أعلى بـ 20 نقطة مئوية من أولئك المواطنين ذوي التوجّه الديمقراطي، والتي تشمل الجزائر في كلتا الموجتين، ومصر والأردن وتونس في الموجة الخامسة. أما الحالة الخاصة الوحيدة الحقيقية، فهي تونس في الموجة الرابعة؛ إذ كان التوجه الديمقراطي للثقافة السياسية فيها أكثر شيوعًا من التوجه المنغلق للثقافة السياسية، والمغرب في الموجة الخامسة؛ إذ كان التوجّهان فيها متساويَين بين المواطنين.

4. حال المشاركة والتسامح محددَين للثقافة السياسية

إن فحص بُعدَي الثقافة السياسية المتمثّلَين في المشاركة والتسامح على نحوٍ منفصل، سيُلقي الضوء على بعض الاختلافات بين الدول، وبعض الاختلافات الزمنية أيضًا. يمكن قياس مدى المشاركة من خلال الجمع بين النسبة المئوية للأفراد الذين لهم توجّهٌ ديمقراطي، والنسبة المئوية للأفراد الذين لهم توجه نشط. ويمكن أيضًا قياس مدى التسامح، من خلال الجمع بين النسبة المئوية للأفراد الذين لهم توجّه ديمقراطي، والنسبة المئوية للأفراد الذين لهم توجّه غير مبالٍ. تجدر الإشارة هنا إلى أنه بين المستجيبين الفلسطينيين فحسب، نجد أن النسبة المئوية للأفراد الذين أشاروا إلى المشاركة أعلى من النسبة المئوية للأفراد الذين عبّروا عن التسامح، وذلك في موجتَي المسح، وبلغ الفارق بين الفئتين 10 و12 نقطة مئوية على التوالي.

من النتائج الجديرة بالاهتمام والتأمّل أنه باستثناء فلسطين، فإن التعبير عن التسامح لدى المواطنين العاديين كان أكثر شيوعًا، مقارنة بالمشاركة في الموجة الرابعة التي تم إجراؤها في عام 2016، حيث راوحت الفروق بين 11 نقطة مئوية في المغرب و31 نقطة مئوية في تونس. وعلى

النقيض من ذلك، كان التعبير عن التسامح أعلى بصفة ملحوظة، مقارنة بمن أشار إلى المشاركة، في مسح واحد فقط، وهو الذي أُجري في الأردن ضمن الموجة الخامسة، وبفارق 15 نقطة مئوية.

يبدو أن التكهّن بالأسباب الكامنة، وراء هذه الأنماط المتعلّقة ببُعدَي المشاركة والتسامح في الثقافة السياسية، أمر مُغرٍ. فلعل احتلال فلسطين، وما يصاحبه من حاجة إلى الوحدة من أجل المقاومة، يفسّر سبب الارتفاع الكبير في الجنوح إلى التعبير عن المشاركة، مقارنةً بتعبيرات التسامح بين الفلسطينيين العاديين. وربما تفسّر بعض الأحداث أو المنعطفات الحرجة Junctures التي شهدها عام 2016 شيوع تعبيرات التسامح، مقارنة بالمشاركة بين المواطنين العاديين في مسوح الموجة الرابعة من **الباروميتر العربي**، في مقابل تراجعها في مسوح الموجة الخامسة.

على الرغم من الإغراء الذي ينطوي عليه مثل هذا التكهّن، فإن هذا سيكون بمنزلة فرط تحديد Overdetermination، إذا ما تعاملنا مع النتائج المعروضة في الجدول (6) على أنها ليست أكثر من نتائج وصفية. في الوقت نفسه، ومن دون التقليل من قيمة الوصف، قد تُقدِّم هذه النتائج في الواقع سرديات منظمة ومفيدة حول التوجّهات المعيارية والسلوكية المتعلّقة بالمشاركة والتسامح، ومن ثم لتوجّه الثقافة السياسية لدى المواطنين العاديين في عدد من الدول العربية، وذلك في نقطتين زمنيتين مختلفتين، أو ثلاث نقاط زمنية إذا راعينا أيضًا نتائج دراسة **المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية**. ومن خلال الإسهام في رسم الخرائط المفاهيمية وتفعيل Operationalization الثقافة السياسية وأبعادها وتوجّهاتها، فإن الأنماط المحدّدة على مستوى الأفراد والدول تنظّم التباين بطريقة تؤسس ركائز للبحث الاستقصائي القائم على اختبار الفرضيات. في هذا الصدد، يمكن أن يكون التباين في أبعاد توجّه الثقافة السياسية وأنواعه متغيّرًا تابعًا أو متغيّرًا مستقلًا. وفي كلتا الحالتين، سواء أكان في هذا البحث أم في غيره، فإن البحث ينطلق من الاهتمام بالتباين الذي يُقترح تفسيره أو يدعو إلى التفسير.

رابعًا: التوجه الديمقراطي متغيرًا تابعًا

فضلًا عن توافر القيم الديمقراطية أو التوجّه الديمقراطي في الثقافة السياسية، ركّز دارسو الديمقراطية والدمقرطة على أن التحوّل الناجح إلى الديمقراطية، أي ذلك التحوّل الذي يمكن توطيده والحفاظ عليه، يتطلّب أن تكون غالبية مواطني البلد ملتزمة بمقولة إن الديمقراطية هي النظام السياسي الأفضل والأمثل لبلدهم. في هذا الصدد، لاحظ ماينوارينغ ذلك، في كتابته عن أميركا اللاتينية مثلًا، خصوصًا في ما يتعلق بقدرة الدول على مواجهة التحدّيات الاقتصادية، ويكمن مفتاح ذلك في "تثمين أكبر للديمقراطية" من المواطنين العاديين[25]. وقدّم يون هان تشو ولاري دايموند و دوه تشول شين تقييمًا أقرب إلى التقييم المباشر [لتلك العلاقة] في دراستهم عن كوريا وتايوان. فقد صرّحوا أن "توطيد الديمقراطية يتطلّب التزامًا مُستدامًا وراسخًا بالديمقراطية بين المواطنين على نطاق واسع"[26].

1. النظام السياسي الأفضل

تتضمّن أداة مسح **الباروميتر العربي** أسئلة كثيرة حول الحكم Gouvernance بوجه عام، والديمقراطية بخاصة. طُرِحت على المشاركين في المسح مجموعة من الأسئلة حول إن كانوا يعتقدون أن للديمقراطية أحدَ العيوب المتعدّدة: هل تعزّز الانقسامات المجتمعية؟ وهل تعوّق التنمية الاقتصادية؟ وهل هي غير فعالة في حلّ المشكلات؟ بعد ذلك يأتي سؤال المشاركين حول إن كانوا يؤيّدون بشدّة، أو يؤيّدون، أو يعارضون، أو يعارضون بشدّة، [فكرة] أن الديمقراطية تبقى النظام السياسي الأفضل، على الرغم من عيوبها. لا يتمتّع هذا البند بالصدق الظاهري فحسب، بل يرتبط أيضًا بالبنود الأخرى المتعلّقة بالديمقراطية، وهو ما يدل على صدقيته.

يعرض الجدول (7) توزيعات الردود عن هذا السؤال [الأخير حول الديمقراطية] في الدول الست، وفي كلتا الموجتين اللتين توفّران البيانات لهذا البحث. تظهر النتائج دعمًا قويًا لفكرة أن الديمقراطية هي النظام السياسي الأفضل، على الرغم من محدودياتها. [في المقابل]، تشير الإجابات عن بنود أخرى من المسوح إلى وجود بعض التباين في كيفية وحُسن فهم الأفراد للديمقراطية، وما تحويه بالضبط. لكن ما يبرز من وراء الإجابات المختلفة هو أن الديمقراطية تعني وجود حكومة ترعى مواطنيها وتعمل على الاستجابة لحاجياتهم، وأن الشعب قادر على مساءلة الحكومة. على أساس هذا الفهم، يشير الجدول نفسه إلى أن غالبية مواطني الجزائر ومصر والأردن والمغرب وفلسطين وتونس تعتقد أن الديمقراطية هي النظام السياسي الأفضل. يراوح الحد الأدنى من الموافقة أو الموافقة بشدة على اعتبار الديمقراطية أفضل نظام سياسي، على الرغم من عيوبه، بين 73 و79 في المئة، وذلك في الحالات الثلاث التي تعرف أقل نسبة دعم للديمقراطية. في حين بلغت في حالة واحدة نسبة الموافقة أو الموافقة بشدّة 92 في المئة من المشاركين، وراوحت النسب بين 80 و88 في المئة في الحالات المتبقية.

---

25 Scott Mainwaring, "Democratic Survivability in Latin America," *Working Paper* no. 267, Helen Kellogg Institute for International Studies (May 1999).

26 Chu, Diamond & Shin.

الجدول (7)
توزيع النسبة المئوية للإجابات عن سؤال
"هل تبقى الديمقراطية أفضل نظام سياسي على الرغم من نواقصها؟"

	مؤيّد بشدّة	مؤيّد	معارض	معارض بشدّة
الجزائر الموجة 5	16.1	57.1	20.2	6.5
الجزائر الموجة 4	25.7	53.1	15.7	5.6
مصر الموجة 5	42.0	41.9	10.2	5.9
مصر الموجة 4	30.1	42.8	22.3	4.9
الأردن الموجة 5	27.4	60.6	9.2	2.8
الأردن الموجة 4	43.8	52.6	9.4	3.1
المغرب الموجة 5	35.4	40.9	14.4	9.2
المغرب الموجة 4	31.7	60.7	6.5	1.1
فلسطين الموجة 5	17.5	63.0	15.7	3.8
فلسطين الموجة 4	16.1	64.0	15.8	4.1
تونس الموجة 5	20.7	62.4	12.7	4.2
تونس الموجة 4	51.4	38.7	15.7	4.3
مجموع الموجة 5	26.2	54.9	13.7	5.3
مجموع الموجة 4	31.8	51.8	12.6	3.9

المصدر: المرجع نفسه.

2. التوليفة الديمقراطية عند المواطنين

يرتبط السؤال هنا بالعلاقة بين الاتجاهات والقيم التي تشكّل التوجّه الديمقراطي في الثقافة السياسية، ودعم الديمقراطية، بوصفها نظامًا سياسيًا. يُفترض على الأقل نظريًا أن كليهما ضروري لظهور الدمقرطة والديمقراطية وبقائهما على المدى الطويل. وانطلاقًا من هذه الخلفية، يعرض الجدولان (8) و(9) النتائج المتعلّقة بالعلاقات بين أنواع توجّه الثقافة السياسية ودعم الديمقراطية في الدول الست وموجتي مسوح **الباروميتر العربي** اللتين توفّران البيانات اللازمة للتحليل الراهن. يعرض الجدول (8) جداول التكرار المزدوج[27] Contingency Tables للبيانات المجمّعة لكل موجة، التي تُبيّن العلاقة بين نوع الثقافة السياسية، أي التوجه، وتوزيع الإجابات عن السؤال إن كانت الديمقراطية هي النظام السياسي الأفضل. أما الجدول (9)، فيعرض النسبة المئوية لأولئك المشاركين في كل دولة، وفي كل موجة، الذين كان توجّه ثقافتهم السياسية ديمقراطيًا، ويؤيّدون أو يؤيّدون بشدة أن الديمقراطية هي النظام السياسي الأفضل، على الرغم من نواقصها. تمثّل هذه الفئة ذلك الصنف من المواطنين الذين تُعتبر آراؤهم الأكثر توافقًا مع الديمقراطية.

إذا سلّمنا بصحة هذه الحجة، فإن النتائج المعروضة في الجدولين (8) و(9) تشير إلى أن آفاق الديمقراطية في مجموعة متنوّعة من البلدان العربية، ليست مبشّرة. ويُظهر الجدولان أن نسبة المواطنين الذين يعتنقون هذا المزيج من الآراء الداعمة للديمقراطية منخفضة؛ حيث إن أعلى نسبة من المواطنين الذين هم في الوقت نفسه لديهم

27 بحسب الترجمة التي اعتمدها باسم سرحان في كتابه: **طرائق البحث الاجتماعي الكمية** (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2017)، ص 226. (المحرر)

الجدول (8)
العلاقة بين توجّه الثقافة السياسية
ودرجة اعتبار أن الديمقراطية هي النظام السياسي الأفضل على الرغم من نواقصها (نسبة مئوية)

		ما زالت الديمقراطية النظام السياسي الأفضل، على الرغم من نواقصها							
		البيانات المجمّعة من الموجة الخامسة في البارومتر العربي				البيانات المجمّعة من الموجة الرابعة في البارومتر العربي			
		مؤيد بشدة	مؤيد	معارض	معارض بشدة	مؤيد بشدة	مؤيد	معارض	معارض بشدة
توجه الثقافة السياسية	الديمقراطي: أكثر مشاركة وأكثر تسامحًا	38.5	43.3	11.8	6.4	47.6	38.0	9.9	4.6
	الناشط: أكثر مشاركة وأقل تسامحًا	23.4	55.5	16.0	5.1	35.9	44.3	15.3	4.5
	غير مبالٍ: أقل مشاركة وأكثر تسامحًا	27.1	55.0	12.0	5.9	29.5	52.1	14.9	3.6
	منغلق: أقل مشاركة وأقل تسامحًا	19.8	62.5	14.2	3.5	24.3	52.6	19.9	3.2
	المجموع	26.0	55.4	13.7	5.0	33.3	47.1	15.7	3.9

المصدر: المرجع نفسه.

توجّهات ديمقراطية في ثقافتهم السياسية، ويؤكّدون أن الديمقراطية هي النظام السياسي الأفضل، سُجّلت في تونس في عام 2016، بـ 29.6 في المئة. هناك حالة أخرى، هي الوحيدة التي تعدّت النسبة فيها الـ 20 في المئة، في عام 2018، هي المغرب، بنسبة 22.3 في المئة. في مقابل ذلك، هناك خمس حالات فيها نسبة من هذا المزيج من التوجهات، مؤيّدة للديمقراطية 13.1 في المئة أو أقل.

سيكون من قبيل التجنّي أن نقول إن هذا هو سبب تخلّف الديمقراطية في الكثير من الدول العربية، وإن توجّه الثقافة السياسية إلى المواطنين العاديين هو سبب الاستبدادية. لكن النتائج التي وصلنا إليها تشير، في أقل تقدير، إلى أن التأييد القوي للديمقراطية الذي وقفنا عنده من خلال إجابات المشاركين عن السؤال المنفرد حولها [المتمحور حول مدى اعتبار الديمقراطية بمنزلة النظام السياسي الأفضل، على الرغم من نواقصها] لا يدفع بالضرورة المواطنين نحو مجموعة القيم والسلوك التي تشكّل توجّهًا ديمقراطيًا في الثقافة السياسية. كما أن النتائج لا تدعم الحجة القائلة إن العلاقة السببية هي في التوجّه المعاكس. من هنا، يبدو أن الضغط الجاد والآفاق الحقيقية للدمقرطة لن تأتي من الاستعدادات المسبقة للمواطنين العاديين الذين يشكّلون معظم مواطني الدولة. مع ذلك، هناك الشيء الكثير مما يمكن أن يُقال في هذا الشأن، كما سنرى في المبحث الأخير من هذه الدراسة.

الجدول (9)

النسبة المئوية بحسب الدولة والموجة للمواطنين ذوي التوجّه الديمقراطي في ثقافتهم السياسية ويؤمنون بأن الديمقراطية هي أفضل نظام سياسي على الرغم من نواقصها

	التوجه الديمقراطي للثقافة السياسية مع التأييد أو التأييد الشديد لاعتبار الديمقراطية هي النظام السياسي الأفضل	مزيج آخر من توجهات الثقافة السياسية مع مستوى التأييد المختلفة سؤال الديمقراطية هي النظام السياسي الأفضل
الجزائر الموجة 5	10.3	89.7
الجزائر الموجة 4	9.9	90.1
مصر الموجة 5	15.1	84.9
مصر الموجة 4	14.2	85.8
الأردن الموجة 5	16.4	83.6
الأردن الموجة 4	10.9	89.1
المغرب الموجة 5	22.3	77.7
المغرب الموجة 4	18.3	81.7
فلسطين الموجة 5	18.0	82.0
فلسطين الموجة 4	17.3	82.7
تونس الموجة 5	13.1	86.9
تونس الموجة 4	29.6	70.4
مجموع الموجة 5	13.1	86.1
مجموع الموجة 4	16.5	83.5

المصدر: المرجع نفسه.

3. دور الانتخابات في تعلم الديمقراطية

ذكرنا في مقدّمة الدراسة أن هناك أيضًا حجّةً مطروحةً في الأدبيات العلمية ذات الصلة، مفادها أن التوجهات والاتجاهات الديمقراطية لا تحتاج إلى أن تكون موجودة في بداية التحوّل الديمقراطي. ووفق هذا المنطق، فإن التحوّل إلى الديمقراطية بقيادة النخبة يمكنه أن يوفّر تجربة تعلّمية، يؤدّي فيها التعرّض لمؤسسات الحكم الديمقراطي وإجراءاتها والمشاركة فيها إلى ظهور توجهات مؤيّدة للديمقراطية التي كانت في الماضي نادرة بين الجماهير العربية. ولو لم يُحبط الانتقال إلى الديمقراطية في تونس ومصر مبكرًا، لأمكن لهاتين الدولتين أن توفّرا حالتين في العالم العربي، يمكن من خلالهما اختبار فرضية تعلم الديمقراطية عبر التجربة. لكن، كما أوضحنا في بداية هذه الدراسة من خلال بعض الاستشهادات، فإن الأدلّة الداعمة لهذه الفرضية توفرها بلدان أميركا اللاتينية وأفريقيا وشرق آسيا ومناطق أخرى.

يمكن أن تُختبر فرضيةُ تعلم الديمقراطية عبر التجربة، ولو بصفة جزئية للغاية، مع الإقرار بأن هذا الاختبار ليس مثاليًا. نستطيع فعل ذلك من خلال النظر في إن كان التصويت يعزّز إمكانية وجود توجه ديمقراطي في الثقافة السياسية، فضلًا عن الاعتقاد أن الديمقراطية هي النظام السياسي الأفضل. فالتصويت ينطوي على المشاركة في مشروع ديمقراطي، ومن ثم يمكن أن تعمل هذه المشاركة على تعزيز الذهنية الديمقراطية. إن هذا الاختبار غير مثالي بطبيعة الحال، في أقل تقدير، لأن الانتخابات قد لا تكون حرة ونزيهة، أو لأنها لا تتيح للناخبين خيارًا حقيقيًا. مع ذلك، تُعدّ هذه العلاقة جديرة بالبحث، ويمكن أن تساهم النتائج في توضيح الصورة المُكوّنة عن استعدادات المواطنين ذات الأهمية للديمقراطية.

يعرض الجدول (10) النتائج. فوفق ما ورد في الجدول (9)، يميز المتغيّر التابع الثنائي الأفراد الذين يجمعون بين التوجّه الديمقراطي

الجدول (10)

قيم الاحتمالات الناتجة لتحليل الانحدار اللوجستي الثنائي للعلاقة بين التصويت في الانتخابات الوطنية والتوجه الديمقراطي في الثقافة السياسية والاعتقاد أن الديمقراطية هي النظام السياسي الأفضل

المتغيّر التابع: التوجه الديمقراطي في الثقافة السياسية مع الاعتقاد أن الديمقراطية هي النظام السياسي الأفضل		
	4. التصويت في الانتخابات الوطنية الأخيرة من دون المتغيّرات الضابطة	4. التصويت في الانتخابات الوطنية الأخيرة مع المتغيّرات الضابطة
الجزائر الموجة 5	<.001	<.001
الجزائر الموجة 4	.002	.010
مصر الموجة 5	.147	.121
مصر الموجة 4	.101	.157
الأردن الموجة 5	.713	.325
الأردن الموجة 4	.004	.022
المغرب الموجة 5	.931	.666
المغرب الموجة 4	.506	.285
فلسطين الموجة 5	.069	.059
فلسطين الموجة 4	<.001	.006
تونس الموجة 5	.005	.112
تونس الموجة 4	<.001	<.001

المصدر: المرجع نفسه.

في الثقافة السياسية والاعتقاد أن الديمقراطية هي النظام السياسي الأفضل، من غيرهم. أما المتغير المستقل، فيتعلّق بإن كان المشارك [في المسح] قد صوّت في الانتخابات الوطنية الأخيرة. أُجرِي تحليل للانحدار اللوجستي الثنائي Binary Logistic Regression من أجل فحص العلاقة المذكورة، سواء بإدراج متغيّرات الضابطة Control Variables أم من دونها، علمًا أن المتغيّرات الضابطة هي الجنس والعمر والمستوى التعليمي والتديّن الشخصي. تبرز النتائج في الجدول (10) الذي يعرض قيم الاحتمالات [المتعلقة بالدلالة الإحصائية] التي تشير إلى إمكانية أن يدفع التصويت إلى ذهنية أكثر ديمقراطية، في كل دولة وموجة. فكلما انخفض هذا الاحتمال [بأخذه قيمة أصغر من 0.050]، دلّ ذلك على وجود أثر [دال إحصائيًا] للتصويت في توجّهات المواطنين الخاصة بالديمقراطية.

يُبيّن الجدول (10) أن قوة العلاقة بين التصويت وامتلاك توجّه مؤيّد للديمقراطية، وهو المتغيّر التابع في التحليل الذي يعرضه الجدول، تتفاوت تفاوتًا كبيرًا بين الدول وخلال الفترات الزمنية أيضًا[28]. في معظم الحالات، لا يؤدّي إدراج المتغيّرات الضابطة في التحليل إلى تغيير كبير في النتائج. تشمل الحالات التي يرتبط فيها التصويت ارتباطًا قويًا بالمتغيّر التابع ما يلي: الجزائر في كلتا الموجتين، سواء مع المتغيّرات الضابطة أم من دونها؛ الأردن مع المتغيّرات الضابطة ومن دونها، لكن في الموجة الرابعة في عام 2016 فحسب؛ فلسطين مع المتغيّرات الضابطة ومن دونها في الموجة الرابعة في عام 2016؛ وتونس مع المتغيّرات الضابطة ومن دونها، في الموجة الرابعة في عام 2016. أما في حالتي المغرب ومصر، فلم تكن العلاقات ذات دلالة إحصائية في كلتا الموجتين، سواء مع المتغيّرات الضابطة أم من دونها.

يظهر الجدول (10) أيضًا عددًا من الأنماط الجديدة بالوقوف عندها. فمن ناحية أولى، تبرز دولتا الجزائر والمغرب على نحوٍ مثير للاهتمام، لكن متباين. فكما يوضح الجدول (9)، فإن لدى الجزائر النسبة

28 Robbins & Tessler.

الأصغر من المشاركين الذين يتوفرون على مزيج من الآراء المؤيّدة للديمقراطية، في حين أنها هي الحالة التي تدعم بقوة وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين هذا التوجه [الديمقراطي] والتصويت، ومن ثمّ هي الحالة التي تقلل من احتمال أن يكون قبول فرضية وجود العلاقة بين المتغيرين أمرًا خاطئًا. أما المغرب، فإن الموجتين معًا تشيران إلى أنه يتوافر على النسبة الأكبر من المشاركين الذين يعتنقون المزيج المؤيّد للديمقراطية وفق ما هو موضّح في الجدول (9)، في حين يعكس الجدول (10) غياب أي حالة لعلاقة ذات دلالة إحصائية بين المتغيرين.

تدعو هذه النتيجة إلى التفكير والملاحظة، وتستحق مزيدًا من التحقق مستقبلًا، وهي قابلة لتأويل مفاده أن عملية التصويت، بوصفها إجراء ديمقراطيًّا، ربما تؤدي إلى تعلّم الديمقراطية. لكن يبدو أن هذا لا يحصل إلّا حين يكون انتشار التوجه الديمقراطي في الثقافة السياسية والاعتقاد أن الديمقراطية هي النظام السياسي الأفضل [المواطنين] محدودًا، كما في حالة الجزائر. في المقابل، في المغرب، حيث نسبة أعلى من المواطنين العاديين لهم اتجاهات مساندة للديمقراطية، لا يبدو أن المشاركة في الانتخابات يمكن أن ترفع هذه النسبة. لكن، نظرًا إلى غياب المتغيّرات الضابطة ونوع من فرط التحديد، فضلًا عن إمكانية وجود تفسيرات أخرى معقولة، فلا بد لنا من قبول هذا الطرح بحذر شديد. على الرغم من هذا، فإنها نتيجة تستحقّ مزيدًا من الدراسة؛ إذ يبدو أن التصويت يدفع نحو توجّهات واتجاهات مؤيّدة للديمقراطية، لكن فحسب إذا كانت دولة معيّنة فيها النسبة الأقل من المواطنين الذين لديهم تلك التوجهات والاتجاهات.

يزوّدنا الجدول (10) باستنتاج آخر قد يكون مـهمًا، مفاده أن التصويت يتنبأ بمدى امتلاك الأفراد لثقافة سياسية ديمقراطية التوجّه واعتبارهم الديمقراطية النظام السياسي الأفضل بشكل أكثر في عام 2016، إبان الموجة الرابعة من **الباروميتر العربي**، مقارنة بالموجة الخامسة في عام 2018. وإذا اكتفينا بالنظر إلى النتائج المقترنة بوجود المتغيّرات الضابطة، يُظهر الجدول أن لبيانات عام 2018، فحسب، في حالة الجزائر، دلالةً إحصائية. أما الأردن وفلسطين وتونس، فيقتصر تحقق الدلالة الإحصائية فيها على بيانات الموجة الرابعة التي جُمِعت في عام 2016. وهذا يشير إلى أن السياق الزمني قد يحدّد أهمية المشاركة الانتخابية، محددًا متى تكون، أو لا تكون، مرتبطة بالتوجّهات والاستعدادات المؤيّدة للديمقراطية في بعض البلدان، في أقل تقدير.

وبما أن الاختلاف بين نتائج الموجة الرابعة ونتائج الموجة الخامسة يميّز ثلاثة مجتمعات شديدة التباين، هي الأردن وفلسطين وتونس، يتساءل المرء عن ماهية العوامل الداخلية أو الخارجية أو توليفة بينها التي قد تميّز هذه الدول الثلاث، أو التي اختبرتها، في حين قد تكون غابت في مصر والمغرب، وربما غابت في الجزائر أيضًا. ننبّه مرة أخرى إلى أنه يجب الحذر من فرط التحديد، لكن أولئك الذين لهم معرفة جيدة بالدول المختلفة ومساراتها السياسية الخاصة، ستكون لهم رغبة في تقديم إضاءات، يُفضّل أن تكون قابلة للفحص، حول العوامل التي قد تكون لها قوة تفسيرية. وبقدر ما يوجد تماسك مفاهيمي بين العوامل التي حدّدناها، وهي تبدو معقولة في الدول الثلاث، فإن المفهوم أو المفاهيم قد تحدد شروط نطاق [الحالات]، وسيُعمّق تحديدها فهمنا للعلاقة بين التفاعل مع الإجـراءات الديمقراطية [من جهة]، التي هي في هذه الحالة التصويت، واتخاذ توجهات واتجاهات داعمة للديمقراطية [من جهة أخـرى]. من العناصر التي يمكن أن تكون ذات قيمة في هذا الصدد ما يقترح التحليل الشامل Meta-analysis لنتائج عدة دراسات حالة، على الرغم من أن صلتها بحالتنا الراهنة ليست بدهية بالضرورة[29]. يفيد هذا البحث بأن توقيت الانتخابات وتسلسلها يؤثّران في أهميتها في المجتمعات التي تمرّ بمرحلة انتقالية، الأمر الذي يقدّم دليلًا على أن الاعتبارات الزمنية والتنموية قد تحوز قوة تفسيرية حقيقية، حين يتعلّق الأمر بالانتخابات والمشاركة الانتخابية وآثارهما.

الملخص والنتائج

تُقدّم النتائج المعروضة أعلاه استنتاجات تتعلّق بثلاثة مجالات بحثية مترابطة. يرتبط المجال **الأول** بالثقافة السياسية؛ أما نقطة انطلاقه، فقد استندت إلى تقرير بحثي منشور، يُشار إليه هنا بدراسة **المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية**، وعنوانها "الديمقراطية وتوجهات الثقافة السياسية للمواطنين العاديين: تصنيف للعالم العربي وغيره"، حيث حدّدت تصنيفًا ثنائي الأبعاد للثقافة السياسية، نتج منه التمييز بين أربعة أنواع مختلفة من توجهات الثقافة السياسية (ديمقراطي، ونشط، وغير مبالٍ، ومنغلق). وباستخدام البيانات المُستقاة من مسوح **الباروميتر العربي** في ست دول عربية، وفي نقطتين زمنيتين مختلفتين، حاكى البحث الجديد الذي قدّمته دراستنا الحالية تلك الإجراءات التحليلية، ووجد أن النتائج متطابقة تقريبًا من حيث التصنيف، الأمر الذي وفّر أدلّة قوية على صدقها الظاهري. تلتقط كل فئة من فئات التصنيف الأربع تباينًا، سيكون موضع اهتمام الباحثين، وسواهم ممن يهتمون بالديمقراطية والدمقرطة. هذه

29 S. Alihodzic & N. Matatu, "Timing and Sequencing of Transitional Elections," *Policy Paper no. 18*, Stockholm: International IDEA (2019).

الفئات هي متغيّرات ثنائية، قد تكون لها قوة تفسيرية، أو قد تشير إلى تباين يتطلّب تفسيرًا، أو كليهما معًا، وقد تكون هذه هي الحال لكل واحد من توجّهات الثقافة السياسية الأربعة المحددة. ومن المحتمل أيضًا أن يكون لهذا التصنيف أهمية في مواضع أخرى، تتطلب ترتيبَ ومفهمةَ توجّهات المواطنين المعيارية والسلوكية ذات الصلة بالديمقراطية. في حين، انصبّ تركيزنا في دراستنا هذه على التوجه الديمقراطي في الثقافة السياسية، وقد تعاملنا معه هنا على أنه على الأغلب متغيّر تابع.

على الرغم من هذه الصورة التي تدعو إلى الإحباط، فإن الدراسة الراهنة تقدّم استنتاجًا ثالثًا. ففي حين تجادل بعض الأبحاث السابقة بأن توجهات الجمهور المؤيّدة للديمقراطية هي شرط مسبق لنجاح الدمقرطة، تذهب بحوث أخرى - وهي الأغلب - إلى أن اتجاهات الجمهور المؤدّية إلى الديمقراطية يمكن أن تظهر في أثناء عملية تحوّل ديمقراطي تقوده النخبة وتستجيب له. وإذا حدث ذلك، فسيكون الأمر استجابة للمشاركة في إجراءات الحكم الديمقراطي، وستكون المشاركة الانتخابية من بين أهم الإجـراءات في هذا المجال. لذا، يبدو مهمًا ملاحظة ارتباط التصويت في حالات كثيرة، وإن لم تكن في الحالات كلها، بالتوجّه الديمقراطي للثقافة السياسية، والاعتقاد أن الديمقراطية هي النظام السياسي الأفضل. من هنا، ستزداد نسبة مواطني هذه الفئة المهمة، في بعض الحالات في أقل تقدير، مع الشيوع المتزايد للانتخابات وسواها من عناصر الحكم الديمقراطي، وإشراك الجمهور فيها أكثر.

الملاحق

الملحق (1)

دراسة "المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية": البنود المستخدمة في قياس أبعاد الثقافة السياسية

التسامح السياسي	يتحدّث الناس أحيانًا عن العوامل التي تجعل من شخص ما مؤهّلًا للقيادة الوطنية. في هذه البطاقة، توجد ستة مؤهّلات يمنحها الناس الأولوية. يُرجى تحديد المؤهّل الذي يحظى بالأهمية الكبرى عندك، وأي منها يأتي ثانيًا من حيث الأهمية، وأي منها يأتي ثالثًا؟ إن ترميزها يقوم على إمكانية أن يحتلّ "الانفتاح على الأفكار السياسية المنوّعة" المرتبة الأولى أو الثانية.
	الأردن وفلسطين: هل تعارض هذه العبارة أو تؤيّدها: يجب أن يتمتّع المواطنون المسيحيون في بلدنا بالحقوق التي يتمتّع بها المواطنون المسلمون في تولّي أي منصب سياسي، بما في ذلك رئيس الدولة؟
	الجزائر: يتحدّث الناس أحيانًا عن الأهداف التي ينبغي لهذه الدولة أن تسعى لتحقيقها خلال الأعوام العشرة الآتية. في هذه البطاقة، أدرجنا أربعة أهداف يمكن أن يمنحها أشخاص مختلفو الأولوية. يرجى أن تحدّد الهدف الذي يحظى بالأهمية الكبرى عندك، وأي منها يأتي ثانيًا من حيث الأهمية، وأي منها يأتي ثالثًا؟ إن ترميزها يقوم على إمكانية أن يحتلّ "ضمان المساواة بين المواطنين في الحقوق، بصرف النظر عن الدين أو الجنس" المرتبة الأولى أو الثانية.
دعم المساواة بين الجنسين	هل تعارض هذه العبارة أو تؤيّدها: "بشكل عام، يُعدّ الرجال قادة سياسيين أفضل من النساء؟".
	هل تعارض هذه العبارة أو تؤيّدها: "التعليم الجامعي أكثر أهمية للفتى منه للفتاة؟".
	هل تعارض هذه العبارة أو تؤيّدها: "يجوز للمرأة أن تعمل خارج المنزل، إذا رغبت في ذلك؟".
الاهتمام السياسي	ما الأهمية التي تحظى بها السياسة في حياتك؟
	عند اجتماعك بأصدقائك، هل تناقش معهم الأمور السياسية غالبًا أو أحيانًا، أو أنكم لا تناقشونها قط؟
المعرفة السياسية	هل يمكنك ذكر اسم رئيس وزراء الدولة؟
	هل يمكنك ذكر اسم وزير الاقتصاد؟
	هل يمكنك ذكر اسم رئيس مجلس النواب؟
	كم مرة تقرأ الجريدة؟
المشاركة المدنية	ما مدى تفاعلك مع أعضاء المجموعات الاجتماعية أو الثقافية أو الشبابية؟
	ما مدى تفاعلك مع الناس في مسجدك أو كنيستك أو في الجمعيات الدينية؟
	ما مدى تفاعلك مع أعضاء المجموعات أو الأندية أو حلقات النقاش السياسية؟
	ما مدى تفاعلك مع أعضاء جمعيتك المهنية؟
	ما مدى تفاعلك مع أعضاء المجموعات الرياضية أو الإبداعية؟
الثقة السياسية	بوجه عام، هل تؤيّد الوثوق بالسواد الأعظم من الناس أو تعارض ذلك؟
	سأقرأ بعض العبارات المتعلّقة بالقضايا الاجتماعية والسياسية. يرجى الإشارة إلى تأييدك لكل منها أو معارضتك. لا يمكنك الوثوق بأحد في أيامنا هذه.

المصدر:

Mark Tessler & Eleanor Gao, "Democracy and the Political Culture Orientations of Ordinary Citizens: A Typology for the Arab World and beyond," *International Social Science Journal* (UNESCO), vol. 59, no. 192 (2009).

الملحق (2)

دراسة "المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية": الأوزان العاملية للمؤشّرات

	الحل المتناوب	
	العامل الأول	العامل الثاني
التسامح السياسي	الأردن 149. فلسطين 076. الجزائر 093.	الأردن 725. فلسطين 675. الجزائر 597.
دعم المساواة بين الجنسين	الأردن 113.- فلسطين 057.- الجزائر 003.	الأردن 760. فلسطين 729. الجزائر 750.
الاهتمام السياسي	الأردن 675. فلسطين 712. الجزائر 773.	الأردن 009. فلسطين 042.- الجزائر 047.
المعرفة السياسية	الأردن 755. فلسطين 680. الجزائر 562.	الأردن 130. فلسطين 298. الجزائر 066.
المشاركة المدنية	الأردن 717. فلسطين 680. الجزائر 562.	الأردن 233.- فلسطين 005. الجزائر 438.-
الثقة المتبادلة بين الأشخاص	الأردن 220. فلسطين 427. الجزائر 297.	الأردن 139. فلسطين 274.- الجزائر 383.

المصدر: .Ibid

المراجع

العربية

سرحان، باسم. **طرائق البحث الاجتماعي الكمية**. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2017.

الأجنبية

Alihodzic, S. & N. Matatu. "Timing and Sequencing of Transitional Elections." *Policy Paper no. 18*. Stockholm: International IDEA (2019).

Almond, G. & S. Verba. *The Civic Culture: Political Attitudes and Democracy in Five Nations*. Boston, MA: Little, Brown, and Company, 1963.

________. *The Civic Culture Revisited*. Boston, MA: Little, Brown and Company, 1980.

Booth, J. A. & M. Seligson. *The Legitimacy Puzzle in Latin America: Political Support and Democracy in Eight Nations*. Cambridge, UK: Cambridge University Press, 2009.

Booth, J. A. & P. B. Richard. "Civil Society, Political Capital, and Democratization in Central America." *The Journal of Politics*. vol. 60, no. 3 (1998).

Bratton, M., R. Mattes & E. Gyimah-Boadi. *Public Opinion, Democracy, and Market Reform in Africa*. New York: Cambridge University Press, 2005.

Chu, Y., L. Diamond & D. C. Shin. "Halting Progress in Korea and Taiwan." *Journal of Democracy*. vol. 12, no. 1 (2001).

Dalton, R. "Citizen Attitudes and Political Behavior." *Comparative Political Studies*. vol. 33, no. 6-7 (2000).

Diamond, L. *Developing Democracy: Toward Consolidation*. Baltimore: Johns Hopkins University Press, 1999.

Diamond, Larry & Marc Plattner (eds.). *The Global Resurgence of Democracy*. Baltimore: Johns Hopkins University Press, 1993.

Garcia-Rivero, C., H. Kotze & P. du Toit. "Political Culture and Democracy: The South African Case." *Politikon*. vol. 29, no. 2 (2002).

Gibson, J. L., R. M. Duch & K. L. Tedin. "Democratic Values and the Transformation of the Soviet Union." *The Journal of Politics*. vol. 54, no. 2 (1992).

Harrison, Lawrence E. & Samuel Huntington (eds.). *Culture Matters: How Values Shape Human Progress*. New York: Basic Books, 2000.

Inglehart, R. & C. Welzel. "Political Culture and Democracy: Analyzing Cross-level Linkages." *Comparative Politics*. vol. 36, no. 1 (2003).

Mainwaring, Scott. "Democratic Survivability in Latin America." *Working Paper* no. 267. Helen Kellogg Institute for International Studies (May 1999).

Nathan, A. & T. Shi. "Cultural Requisites for Democracy in China: Findings from a Survey." *Daedalus*. vol. 122, no. 2 (1993).

Rice, T. & J. L. Feldman. "Civic Culture and Democracy from Europe to America." *The Journal of Politics*. vol. 39, no. 4 (1997).

Robbins, M. & M. Tessler. "The Effect of Elections on Public Opinion toward Democracy: Evidence from Longitudinal Survey Research in Algeria." *Comparative Political Studies*. no. 45, no. 10 (October 2012).

Rose, R. "Where Are Postcommunist Countries Going?" *Journal of Democracy*. no. 8 (July 1997).

Rose, R., W. Mishler & C. Haerpfer. *Democracy and its Alternatives: Understanding Postcommunist Societies*. Cambridge: Polity Press, 1998.

Tessler, Mark & Eleanor Gao. "Democracy and the Political Culture Orientations of Ordinary Citizens: A Typology for the Arab World and

beyond." *International Social Science Journal* (UNESCO). vol. 59, no. 192 (2009).

Welzel, C. & R. Dalton. "Cultural Change in Asia and beyond: From Allegiant to Assertive Citizens." *Asian Journal of Comparative Politics*. vol. 2, no. 2 (2016).

التسلم Received 2023-10-25 | التعديل Revised 2024-4-3 | القبول Accepted 2024-6-15 | المعرف الرقمي DOI https://doi.org/10.31430/BUEL2669

عبد الكريم أمنكاي | Abdelkarim Amengay*
ياسمين لحنين | Yasmine Lahnin*

الدوافع الفردية للمشاركة الانتخابية في العالم العربي: أيّ تأثير لتقييم مدى ديمقراطية النظام؟

Individual Motives for Voter Turnout in the Arab World: What Impact Does the Evaluation of the Political System's Democratic Level Have?

يعتبر عدد من المتخصصين في دراسة ما يسمى الانتخابات السلطوية، وهي التي تجري في سياق غير ديمقراطي، أن الدافع الرئيس للمواطنين للذهاب إلى التصويت في العالم العربي يكمن في الرغبة في تحقيق مصالح فردية (مادية على الأغلب) وفق منطق زبوني، سواء اتخذ شكل عملية بيع وشراء صريحة للأصوات، أو الحصول على خدمات أو امتيازات أثناء الحملة الانتخابية أو بعدها. في حين لم تُعر الدراسات حول المنطقة اهتمامًا كبيرًا، أو على الأقل كافيًا، للأثر المحتمل لتقييم المواطنين لمستوى ديمقراطية النظام الذي يعيشون تحته في المشاركة الانتخابية. من هذا المنطلق، تطرح هذه الدراسة السؤال البحثي التالي: إلى أيّ حد يُعدّ تقييم المواطنين في العالم العربي لمستوى ديمقراطية النظام السياسي من العوامل التي تؤثر في احتمالية مشاركتهم في الانتخابات أو الامتناع عن ذلك؟ للإجابة عن هذا السؤال، تمّت الاستعانة ببيانات الدورة الثامنة لاستطلاع المؤشر العربي لعام 2022 في تسع دول عربية (الأردن، تونس، الجزائر، العراق، الكويت، لبنان، مصر، المغرب، موريتانيا) وإخضاعها لتحليل الانحدار اللوجستي الثنائي، الذي أظهرت نتائجه أن تقييم الأفراد الإيجابي لمستوى الديمقراطية في بلدهم يعزز من احتمالية ذهابهم إلى التصويت، وذلك بغضّ النظر عن العوامل الموضوعية التي قد تشير إلى الطبيعة غير الديمقراطية للنظام السياسي.

كلمات مفتاحية: المشاركة الانتخابية، تقييم مستوى الديمقراطية، العالم العربي.

Several scholars studying the so-called authoritarian elections argue that the primary motivation for citizens to vote in the Arab world is the pursuit of individual (mostly material) interests driven by clientelism that may take the form of explicit vote-buying or granting services and privileges to electors. However, research overlooked the potential impact of citizens' evaluation of the regime's democratic level on electoral participation. The goal of this study is to fill this gap. The analysis of the eighth round of the Arab Opinion Index (2022) across nine Arab countries—Jordan, Tunisia, Algeria, Iraq, Kuwait, Lebanon, Egypt, Morocco, and Mauritania— reveals that individuals who perceive their country as more democratic are more likely to vote, regardless of objective indicators suggesting the undemocratic nature of the political system.

Keywords: Electoral Turnout, Democracy Evaluation, Arab World.

* أستاذ مساعد، برنامج العلوم السياسية والعلاقات الدولية، معهد الدوحة للدراسات العليا.
Assistant Professor, Political Science and International Relations Program, Doha Institute for Graduate Studies.
Email: abdelkarim.amengay@dohainstitute.edu.qa

** باحثة مغربية مختصة بالعلوم السياسية والعلاقات الدولية، معهد الدوحة للدراسات العليا.
Moroccan Researcher, and Master's student in Politics and International Relations, Doha Institute for Graduate Studies.
Email: yla001@dohainstitute.edu.qa

مقدمة

في تسعينيات القرن العشرين، أدى التزايد الملحوظ في عدد الدول التي تحكمها أنظمة هجينة[1] إلى إعادة النظر في التصور الذي كان يهيمن على حقل دراسات الانتقال الديمقراطي، والذي كان يفترض أن الانتخابات التعددية هي ممارسة سياسية مرتبطة حصرًا بالأنظمة الديمقراطية. فعلى الرغم من انتشار الانتخابات التعددية في جل بلدان العالم في الفترة التي أعقبت سقوط المعسكر الشرقي، بما فيها الأنظمة غير الديمقراطية، فقد ظلت الانتخابات في هذه الأخيرة عملية متحكَّمًا في مخرجاتها بوسائل متعددة[2]، وغالبًا محسومة النتائج مسبقًا لصالح الأحزاب والمترشحين المحسوبين على الأنظمة القائمة، وإن اختلفت هذه الأنظمة في الحيز الذي تتركه لمعارضيها للحصول على مقاعد في المؤسسات التمثيلية كالبرلمانات والمجالس المحلية. وأدى هذا الوضع إلى إثارة تساؤلات عدة، من بينها تساؤل حول الأسباب الكامنة وراء ذهاب المواطنين إلى التصويت في مثل هذه الانتخابات ذات التأثير المحدود في بنية السلطة ومخرجات السياسات العامة للدولة.

اعتبرت دراسات عديدة[3] (إن لم يكن أغلبها) انكبّت على تفسير المشاركة الانتخابية في الأنظمة غير الديمقراطية، بما فيها تلك التي انصبّ اهتمامها على دول العالم العربي، أن الدافع الأساسي وراء ذهاب المواطنين إلى التصويت فيما اصطلح عليه بعض الباحثين بالانتخابات السلطوية[4]، هي العلاقات الزبونية Clientelism بين المترشحين والمصوتين؛ أي الدوافع المصلحية البراغماتية[5]. وبحسب هذا التصور، لا يعدو أن يكون الذهاب إلى التصويت في السياقات غير الديمقراطية آلية أو وسيلة يسعى من خلالها الأفراد للحصول على مجموعة من المنافع، سواء أكانت موارد مادية (عينية أو نقدية) أم خدمات من الشخص أو التنظيم الحزبي الذي يصوتون له، والذي قد يصبح في حالات معيّنة نقطة الوصل الوحيدة لهم بمؤسسات الدولة، إلى درجة أن هؤلاء المُنتخبين قد يتحولون إلى بديل من الدولة في توفير الخدمات العمومية، وهو ما يُعرف في بعض السياقات العربية بـ "نواب الخدمات"[6].

إجمالًا، بقي تفسير المشاركة الانتخابية في العالم العربي حبيسًا للمقدمات النظرية لمقاربة الاختيار العقلاني، من دون إعطاء الاهتمام الكافي لعوامل أخرى إدراكية، من قبيل الدور المحتمل لمستوى الرضا عن النظام القائم في تحفيز المشاركة الانتخابية، على اعتبار أنه يصعب القبول بكون كل المواطنين الذي يذهبون إلى التصويت في العالم العربي هم مجرد "مصلحيين" لا يحرّكهم سوى البحث عن المنافع الذاتية أو تأمين "الواسطة". وتعدّ مسألة الرضا عن النظام السياسي متعددة الأبعاد وجدالية بالضرورة، سواء من حيث العناصر المشكّلة لها أو من حيث تمظهراتها، التي سنحاجّ بأن من أهمها في سياق العملية الانتخابية تقييم الأفراد لمستوى الديمقراطية في البلد، الذي يمكن أن يكون إيجابيًا، حتى في سياق الأنظمة غير الديمقراطية وفي ظل وجود عناصر مادية قد تخالف هذا التقييم، من قمع وتضييق على الحريات السياسية وما إلى ذلك.

إن تقييم الأفـراد لأيّ نظام سياسي لا تحكمه بـالضرورة عناصر موضوعية، وقد يختلف فيه الأشخاص فيما بينهم حتى داخل البلد نفسه. فقد يرى البعض أن النظام القائم في بلدهم ديمقراطي، في حين يعتبره آخرون أقل ديمقراطية أو غير ديمقراطي على الإطلاق. ومن المتوقع أن تكون لهذه الاختلافات في تقييم مستوى ديمقراطية النظام أثر في السلوكات الانتخابية الفردية، على اعتبار الارتباط العميق لمفهوم الديمقراطية بالانتخابات (فلا ديمقراطية من دون انتخابات في السياق المعاصر). وبناءً على هذا، تطرح الدراسة السؤال البحثي التالي: إلى أيّ حد يُعدّ تقييم المواطنين في العالم العربي لمستوى ديمقراطية النظام السياسي من العوامل التي تسمح بتفسير احتمالية مشاركتهم في الانتخابات أو الامتناع عن ذلك؟

للإجابة عن هذا السؤال، قُسمت الدراسة إلى أربعة مباحث. يستعرض المبحث الأول، انسجامًا مع الأهداف المسطرة لهذا العدد، المقاربات النظرية الكبرى[7] التي طُورت في حقل دراسات السلوكات السياسية لتفسير المشاركة الانتخابية، بما فيها مقاربة الاختيار العقلاني التي غلبت على شرح المشاركة الانتخابية في السياقات غير الديمقراطية بصفة عامة، والعربية منها بصفة خاصة، وذلك من خلال هيمنة توظيف مفهوم الزبونية الانتخابية في الدراسات السابقة، وفق

---

1 Larry Diamond, "Elections without Democracy: Thinking about Hybrid Regimes," *Journal of Democracy*, vol. 13, no. 2 (2002), pp. 21-35.

2 Andreas Schedler, "Elections without Democracy: The Menu of Manipulation," *Journal of Democracy*, vol. 13, no. 2 (2002), pp. 36-50.

3 والمنطلقة في جلها من مقاربة الاختيار العقلاني، وإن كانت لا تصرّح جليًا بذلك.

4 Jennifer Gandhi & Ellen Lust-Okar, "Elections under Authoritarianism," *Annual Review of Political Science*, vol. 12, no. 1 (2009), pp. 403-422.

5 Carolina De Miguel, Amaney A. Jamal & Mark Tessler, "Elections in the Arab World: Why do Citizens Turn Out?" *Comparative Political Studies*, vol. 48, no. 11 (2015), pp. 1355-1388.

6 جاسم العطاوي، "نواب الخدمات: نواب محبوبون ومرغوبون"، **الأيام**، العدد 10926، 2019/3/9، شوهد في 2024/8/9، في: https://acr.ps/1L9zRbb

7 سنقتصر هنا على المقاربات النظرية التي ركّزت على الخصائص والدوافع الفردية من دون التطرق إلى التفسيرات التي اعتمدت مقاربات بنيوية، كالمؤسساتية.

ما سيتبين في المبحث الثاني. في حين يعرض المبحث الثالث الإطار المنهجي، بما في ذلك قاعدة البيانات الموظَّفة (الدورة الثامنة من استطلاع المؤشر العربي لعام 2022) والمتغيران التابع (المشاركة الانتخابية) والمستقل الرئيس (تقييم مستوى الديمقراطية) ومتغيرات التحكم الإدراكية والسوسيوديموغرافية والكيفية التي رُمزت بها في تحليل الانحدار اللوجستي الثنائي Binary Logistic Regression؛ وهو الأداة المنهجية الكمية المستخدمة لاختبار الفرضية الرئيسة للبحث. أما المبحث الرابع، فيناقش النتائج والخلاصات المتوصل إليها حول المحددات الفردية للمشاركة الانتخابية في دول العالم العربي، التي تسمح البيانات باختبار الفرضيات فيها، وهي: الأردن وتونس والجزائر والعراق والكويت ولبنان ومصر والمغرب وموريتانيا.

أولًا: التفسيرات الفردية للمشاركة الانتخابية: المقاربات النظرية الكبرى

وفقًا ليان ماكلستر، ظهرت أولى الدراسات حول "من يصوّت ومن يمتنع عن ذلك قبل قرن من الزمن على أقل تقدير، [في حين] كانت الأسئلة حول المشاركة الانتخابية من بين أولى الأسئلة التي طُرحت في بدايات تطوير عينات المسوح الاجتماعية"[8]. وعلى الرغم من هذا الظهور المبكر لسؤال الباحثين عن أسباب المشاركة الانتخابية، فإنه طوال عقود عديدة بقي حقل الدراسات الانتخابية[9] مركزًا جل اهتمامه على دراسة التفضيلات الانتخابية للأفراد (أي ما الذي يفسر تصويت المواطنين لمترشح أو حزب أو سياسي معيّن؟) أكثر منه على تحليل العوامل الكامنة وراء الذهاب إلى التصويت أو الامتناع عنه. وقد تغير هذا الوضع مع مطلع ثمانينيات القرن العشرين في ظل التراجع المطّرد الذي شهدته نسب المشاركة الانتخابية في عدد من الديمقراطيات الليبرالية والقلق الذي خلقه هذا الوضع بين أنصار الديمقراطية[10].

فمثلًا، إذا كان معدل نسب المشاركة الانتخابية في دول منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية OECD قد فاق 80 في المئة في العقد الذي تلا نهاية الحرب العالمية الثانية، فإنه لم يعُد يتجاوز 68 في المئة

8 Ian McAllister, *Advanced Introduction to Elections and Voting* (Cheltenham, UK: Edward Elgar Publishing, 2022), p. 48.

9 ذلك منذ نشأته في الولايات المتحدة الأميركية في أعقاب الحرب العالمية الثانية.

10 André Blais & Daniel Rubenson, "The Source of Turnout Decline: New Values or New Contexts?" *Comparative Political Studies*, vol. 46, no. 1 (January 2013), pp. 95-117.

منذ عام 2011[11]، ما أدى إلى تزايد غير مسبوق[12] للأبحاث حول الموضوع، إلى درجة أن دجاو كانسلاو وبيني جيس اعتبرا أن "المواضيع في العلوم السياسية التي أنتجت هذا الكم من الأدبيات قليلة"[13]. وظلت هذه الأدبيات في غالبيتها محصورة في (أو متأرجحة بين) المقاربات الثلاث الكبرى المهيمنة على حقل السلوكات الانتخابية: المقاربة السوسيولوجية، والمقاربة السوسيونفسية[14]، ومقاربة الاختيار العقلاني[15]، مع تفضيل للأخيرة في تفسير المشاركة الانتخابية في الأنظمة غير الديمقراطية.

1. المحددات السوسيو-اقتصادية للمشاركة الانتخابية

تنطلق المقاربة السوسيولوجية من مقدمة نظرية مفادها أن التباين في الخصائص الفردية للأشخاص هو المدخل لشرح الاختلافات في سلوكهم الانتخابي، سواء تعلّق الأمر بتفسير تصويتهم لمترشح أو تيار سياسي معيّن، أو فهم العوامل الكامنة وراء ذهابهم إلى التصويت من عدمه. فبحسب هذه المقاربة، يُعتبر الوضع السوسيو-اقتصادي للمواطنين بمنزلة العنصر الحاسم في تحديد أنماط المشاركة السياسية التي سيتبنّاها الأشخاص[16]، بما فيها الانتخابية منها. فالأخيرة لا يمكن فصلها عن الخلفية الاجتماعية للأفراد أو انتمائهم الطبقي، سواء عرّفنا الطبقة على أساس اقتصادي أو ثقافي - هوياتي، وبغضّ النظر عن التغييرات التي طرأت على مفهوم الطبقة منذ القرن التاسع عشر في ظل التحولات التي سجّلتها عدة مجتمعات (الغربية منها على وجه الخصوص) بتحولها إلى "مجتمعات ما بعد صناعية" تهيمن عليها قيم ما بعد مادية[17].

11 McAllister, p. 7.

12 João Cancela & Benny Geys, "Explaining Voter Turnout: A Meta-analysis of National and Subnational Elections," *Electoral Studies*, vol. 42 (2016), p. 264.

13 Ibid.

14 تُعرفان على التوالي بمدرسة كولومبيا ومدرسة مشيغان، نسبة إلى الجامعتين الأميركيتين اللتين شهدتا نشأة كل واحدة منهما. للمزيد حول الموضوع ينظر:
Vincent Hutchings & Hakeem J. Jefferson, "The Sociological and Social-Psychological Approaches," in: Justin Fisher et al. (eds.), *The Routledge Handbook of Elections, Voting Behavior and Public Opinion* (London/ New York: Routledge, 2018), p. 21.

15 حول المقاربات الثلاث الكبرى في حقل السلوكات السياسية، ينظر: .Fisher et al. (eds.)

16 Paul F. Lazarsfeld, Bernard Berelson & Hazel Gaudet, *The People's Choice: How the Voter Makes up his Mind in a Presidential Campaign* (New York: Columbia University Press, 1968).

17 McAllister, pp. 85-87.

ثمة جدل مفاده أن الخصائص السوسيو-اقتصادية للشخص تُؤثر في سلوكه الانتخابي، وذلك من خلال تحديدها لثلاثة عناصر. أولها، طبيعة مصالحه الفردية وانتظاراته تجاه النظام السياسي بما فيها خلال اللحظة الانتخابية. ثانيها، الجماعة الاجتماعية التي ينتمي إليها (إثنية أو مهنية أو دينية أو غيرها) والتي قد يكون لها مصالحها الخاصة التي تسعى لتحقيقها أو الدفاع عنها في السياق الانتخابي. ثالثها، الشبكة أو الشبكات الاجتماعية التي ينخرط فيها أو هو عضو فيها، والتي قد تختلف في مدى قدرتها على التعبئة للدفع بأعضائها إلى المشاركة في الانتخابات أو التصويت لمترشح أو تيار سياسي معيّن. ويفيد رواد المقاربة السوسيولوجية (بول لازارسفيلد وبرنار بيريلسون وهازل غوديت)[18]، أنه عندما يكون الأفراد مندمجين في شبكات اجتماعية تشارك بنشاط في الانتخابات، تزداد احتمالية تعبئتهم للتصويت من خلال مزيج من الأعراف الاجتماعية والتأثير الشخصي وجهود التعبئة المباشرة التي يتعرض لها أفراد الجماعة[19]، وهذا هو ما أشار إليه بعض الباحثين بـ "نموذج التعبئة"[20].

من هذا المنطلق، أظهرت دراسات عديدة أن هناك علاقة طردية بين الموقع السوسيو-اقتصادي للفرد في المجتمع واحتمالية انخراطه في الممارسات الديمقراطية المختلفة[21]، في مقدمتها التصويت في الانتخابات. ويمكن الوقوف على هذا الموقع السوسيو-اقتصادي من خلال عدة عناصر من أهمها مستوى دخله، وطبيعة النشاط المهني الذي يزاوله، ومستواه التعليمي[22] (والتي تعتبر من بين أكثر المتغيرات الديموغرافية[23] التي وُظفت بوصفها مؤشرات عاكسة للفئة أو الجماعة السوسيو-اقتصادية التي ينتمي إليها الأفراد[24]). فبحسب كلير ويليك وتالي مندلبرغ، "يعتبر الترابط [الإيجابي] بين التعليم والمشاركة الانتخابية من أقوى العلاقات [التي تم إثباتها] في العلوم السياسية"[25]، في حين أن العديد من الدراسات بيّنت أن الدخل المنخفض له تأثير سلبي[26] في احتمالية ذهاب الأفراد إلى التصويت. وقد فُسرت هذه العلاقة بأربعة أسباب على الأقل.

أولًا، يتمتع الأفراد ذوو المستويات التعليمية العالية والدخل المرتفع بفهم أعمق للقضايا السياسية، ما يؤدي إلى زيادة الاهتمام السياسي ومن ثم زيادة احتمالية ذهابهم إلى التصويت[27]. فالتعليم،"الذي يعتبر من أقوى محددات المشاركة الانتخابية"[28]، يساهم في تشكيل إدراك الفرد وفهمه للظواهر السياسية ومواقفه تجاهها[29]. ثانيًا، يُعتقد أن المصالح الذاتية للأفراد الميسورين والمتعلمين تتماشى بصفة عامة مع استقرار النظام السياسي الديمقراطي، ما يعزز دافعهم للمشاركة الانتخابية. ثالثًا، يميل الأشخاص محدودو الموارد إلى تبني "توجهات غير مبالية تجاه النظام السياسي، لذا "يصعب على الأحزاب والمؤسسات تحفيزهم للتصويت"[30]. رابعًا، يجادل البعض بأن "المشاركة السياسية عبارة عن فعل تقوده الموارد"[31]. خلاصة القول، يخفض انتماء الفرد إلى الطبقات الاجتماعية الفقيرة أو الهشة من إمكانية انخراطه في العملية الانتخابية.

2. الاستعدادات النفسية والدوافع الإدراكية للمشاركة الانتخابية

ركّز النوع الثاني من الدراسات التي هدفت إلى شرح التفاوتات بين الأفراد على مستوى المشاركة الانتخابية على الأبعاد النفسية للمشاركة السياسية، والتي تجد أصلها في أعمال أنغس كامبل وزملائه[32] ("الآباء المؤسسون للمقاربة السوسيو-نفسية"). فهم أول من طور مفهوم "الهوية الحزبية" Party Identification، للإشارة

18 Lazarsfeld, Berelson & Gaudet.

19 Kaat Smets & Carolien Van Ham, "The Embarrassment of Riches? A Meta-Analysis of Individual-Level Research on Voter Turnout," *Electoral Studies*, vol. 32, no. 2 (2013), pp. 344-359.

20 Ibid., p. 351.

21 Ibid.

22 Hutchings & Jefferson, p. 22.

23 Eric Plutzer, "Demographics and the Social Bases of Voter Turnout," in: Fisher et al. (eds.), pp. 69-82.

24 وفقًا لإريك بلوتزر، ترجع جذور اهتمام باحثي السلوكات السياسية بها إلى أعمال رائدة مثل: "اختيار الشعب"، و"الرأي العام والديمقراطية الأميركية"، و"الناخب الأميركي". ينظر هذه الأعمال على التوالي:
Lazarsfeld, Berelson & Gaudet; Valdimer Orlando Key, *Public Opinion and American Democracy* (New York: Knopt, 1961); Angus Campbell et al., *The American Voter* (Chicago: Chicago University Press, 1960).

25 Claire Willeck & Tali Mendelberg, "Education and Political Participation," *Annual Review of Political Science*, vol. 25, no. 1 (2022), p. 91.

26 Smets & Van Ham, p. 350.

27 Isabelle Stadelmann-Steffen & Daniela Koller, "What Type of Resources? Household Effects and Female Electoral Participation," *Swiss Political Science Review*, vol. 20, no. 4 (2014), pp. 529-549.

28 Smets & Van Ham, p. 348.

29 D. Sunshine Hillygus, "The Missing Link: Exploring the Relationship Between Higher Education and Political Engagement," *Political Behavior*, vol. 27, no. 1 (2005), pp. 25-47.

30 Eva Anduiza Perea, "Individual Characteristics, Institutional Incentives and Electoral Abstention in Western Europe," *European Journal of Political Research*, vol. 41, no. 5 (2002), p. 647.

31 Smets & Van Ham, p. 348.

32 Campbell et al.

إلى الارتباط العاطفي[33] بحزب سياسي معيّن، الذي عندما يكون قويًا فقد يؤدي إلى زيادة الانخراط السياسي للأفـراد[34]، بما ذلك المشاركة الانتخابية، من منطلق أن التعلق العاطفي بحزب أو تيار سياسي معيّن سيكون محفزًا للذهاب للتصويت له، ما يرفع تلقائيًا من المشاركة الانتخابية. وبغضّ النظر عن الانتقادات التي تعرّض لها مفهوم الهوية الحزبية (بما فيها الدفع بعدم صلاحيته لتفسير السلوكات الانتخابية خارج السياق الأميركي الذي طُور فيه)[35]، فإن المقاربة السوسيو-نفسية أثارت اهتمام الباحثين بالتأثير المحتمل للعوامل النفسية والإدراكية في تفسير الظواهر الانتخابية، على وجه الخصوص الوقوف على "الدور الذي تؤديه التوجهات Attitudes والاستعدادات النفسية Psychological Predispositions من قبيل الاهتمام السياسي، والتحزب [والإحساس الفردي بـ] الفاعلية السياسية في تفسير المشاركة الانتخابية"[36]. فمثلًا، أظهرت دراسات عديدة (غالبيتها حول المشاركة الانتخابية في الديمقراطيات الغربية) أن "نسبة معتبرة من المواطنين لا تعدّ التصويت مجرد حق، بل هو واجب أخلاقي أيضًا يتعين على المواطن الجيد Good Citizen تأديته"[37]. كما تَبيّن أيضًا أن "للمعتقدات الدينية تأثيرًا عميقًا في سلوكات [المواطنين] المؤمنين [...] بما فيها [...] المشاركة السياسية التقليدية"[38]، والمشاركة الانتخابية أحد أهم أنواعها.

مـن التوجهات التي حظيت بـاهـتمام الباحثين في علاقتها بالمشاركة الانتخابية ما يسمى بالتوجهات الديمقراطية Democratic Attitudes (أو ما يصطلح عليها أيضا بالتوجهات تجاه الديمقراطية Attitudes towards Democracy) التي تعكس مواقف الأفراد من الديمقراطية بوصفها نظامًا سياسيًا من خلال ثلاثة أبعاد: البعد العاطفي الذي يعكس مستوى تفضيل الفرد للديمقراطية مقابل السلطوية بوصفها نظامًا سياسيًا، والبعد الإدراكي الذي يعبّر عن مستوى فهم معنى الديمقراطية ومحتواها، والبعد التوجهي Conative الذي "يستحضر النيات السلوكية تجاه الديمقراطية"[39]. وقد أظهرت دراسات عديدة أن الأفراد الذين لديهم مستوى عالٍ من التوجهات الديمقراطية هم أكثر ميلًا إلى الذهاب إلى التصويت من غيرهم، سواء في الدول الأوروبية بشقيها الغربي والشرقي[40] أو في عدد من الدول النامية[41]. وفي مقابل ذلك، درس عدد من الباحثين أثر مستوى الرضا عن كيفية اشتغال النظام الديمقراطي القائم في البلد في نسب المشاركة الانتخابية، حيث تبيّن أن احتمالية ذهاب الأفراد إلى التصويت تميل إلى الارتفاع مع ارتفاع مستوى رضاهم عن كيفية اشتغال الديمقراطية في البلد[42].

3. الحسابات المصلحية دافعًا للمشاركة الانتخابية

أما التقليد الثالث الذي وُظّف في دراسة المشاركة الانتخابية على مستوى الأفراد فهو الذي يتبنّى المنطلقات النظرية لمقاربة الاختيار العقلاني، الذي ينكبّ على تحليل السلوك الانتخابي من خلال عدسة حسابات المصلحة الذاتية[43]. فقد اعتبر أنتوني داونز (صاحب كتاب **نظرية اقتصادية للديمقراطية**[44]) أن الناخبين يدلون بأصواتهم للحزب الذي يعتقدون أنه سيوفر لهم أكبر قدر من المنافع، آخذين في الاعتبار التكاليف والفوائد السياسية، فحسب، التي تؤثر فيهم مباشرة من خلال نتيجة التصويت[45]، وهي المدخل لفهم المشاركة الانتخابية. بمعنى أن هذه المقاربة تنطلق من "مفهمة قرار الذهاب إلى التصويت باعتباره نتيجة لحسابات شخصية للتكلفة [المترتبة على الذهاب إلى التصويت] مقابل المنفعة"[46] المتوقع جنيها. فالأفراد سيتكلفون عناء الذهاب إلى التصويت فقط إذا اعتبروا أن المنافع

33 McAllister, p. 34.

34 Ibid., p. 40.

35 Ibid., pp. 34-36.

36 Smets & Van Ham, p. 344.

37 Carol Galais & André Blais, "Do People Feel more of a Duty to Vote in some Elections?" *West European Politics*, vol. 39, no. 4 (2016), p. 755.

38 Daniel Stockemer & Susan Khazaeli, "Electoral Turnout in Muslim-Majority States: A Macro-Level Panel Analysis," *Politics and Religion*, vol. 7, no. 1 (2014), p. 84;

نقلًا عن:

Anthony Gill, "Religion and Comparative Politics," *Annual Review of Political Science*, vol. 4, no. 1 (2001), pp. 117-138.

39 Youngho Cho, "Democratic Attitudes and Political Participation in the Developing World," *The Korean Journal of International Studies*, vol. 13, no. 1 (2015), pp. 63-87.

40 Jeffrey A. Karp & Caitlin Milazzo, "Democratic Scepticism and Political Participation in Europe," in: Juliet Pietsch, Michael Miller & Jeffrey Karp (eds.), *Public Opinion and Democracy in Transitional Regimes* (London/ New York: Routledge, 2017), pp. 105-118.

41 Cho.

42 Kimmo Grönlund & Maija Setälä, "Political Trust, Satisfaction and Voter Turnout," *Comparative European Politics*, vol. 5 (2007), pp. 400-422.

43 Benny Geys, "'Rational' Theories of Voter Turnout: A Review," *Political Studies Review*, vol. 4, no. 1 (2006), pp. 16-35.

44 Anthony Downs, *An Economic Theory of Democracy* (New York: Happer & Row, 1957).

45 Ibid.

46 Ibid.;

نقلًا عن: Smets & Van Ham.

التي سيجنونها من المشاركة الانتخابية أعلى من التكلفة التي ستترتب عليها. وإن كانت الدراسات لا تتفق بالضرورة حول طبيعة المنافع التي تدخل في عملية المفاضلة هذه. فمثلًا، يجادل البعض بأن المنفعة المتوقعة هي نجاح المترشح المفضل لدى الفرد أو ضمان عدم فوز الأكثر كرهًا عنده[47].

وعلى الرغم من ذلك، تبقى المنافع الاقتصادية هي الأكثر حضورًا في الدراسات الحديثة المندرجة تحت مقاربة الاختيار العقلاني، والتي عملت على اختبار فرضيات متعلقة بمدى تأثير عناصر مثل: التقييم الفردي للوضع الاقتصادي للبلد، ومقارنة الأفراد بين المترشحين والمنافع الشخصية المتوقعة وتكلفة التصويت على احتمالية المشاركة في الانتخابات[48]. ولم يقتصر توظيف مقاربة الاختيار العقلاني في شرح الدوافع الكامنة وراء المشاركة الانتخابية أو الامتناع عن التصويت في سياق الديمقراطيات الغربية، بل نعتقد أنها الإطار النظري الأكثر استعمالًا في تفسير الإقبال على التصويت في سياقات غير ديمقراطية أو سلطوية (وإن كان على نحو غير صريح)، بما فيها الدراسات التي انصبّت على دراسة المشاركة الانتخابية في العالم العربي، فماذا تخبرنا هذه الدراسات حول دوافع التصويت في الأنظمة غير الديمقراطية، والعربية منها على وجه الخصوص؟

ثانيًا: المشاركة الانتخابية في الأنظمة غير الديمقراطية: إكراه أم بحث عن منافع؟

تثير مشاركة المواطنين في الانتخابات في ظل الأنظمة غير الديمقراطية تساؤلًا مثيرًا للاهتمام هو: ما الذي يدفع الناس إلى التصويت في ظل أنظمة حكم يكون فيها تأثير اختياراتهم في السلطة محدودًا جدًا، إن لم يكن منعدمًا؟ ففي هذه الأنظمة التي تبدو نتائج انتخاباتها محسومة سلفًا، وحيث تكون المعارضة إما مقيدة أو مقموعة، قد يتوقع المرء أن يسود الشعور بعدم الاكتراث بين الناخبين، أو أن تقاطع أعداد كبيرة منهم الانتخابات. وقد ركّزت غالبية الدراسات السابقة، في تفسيرها لهذا الأمر، على عنصرين: الإكراه وملازمة الخوف من قمع النظام، والبحث عن المنافع الفردية في إطار العلاقات الزبونية.

برز الإكـراه، سـواء كان بدنيًا (كالعنف الجسدي) أو معنويًا (كالتخويف والتهديد)، عاملًا تفسيريًا قدّمته بعض الدراسات لتفسير مشاركة الناخبين في الأنظمة غير الديمقراطية، خصوصًا تلك التي تتميز بمستوى عالٍ من القمع، حيث تصبح عملية الذهاب إلى المراكز الانتخابية للتصويت في مثل هذه السياقات القمعية ممارسة هدفها الحفاظ على الذات، وليس تعبيرًا عن الإرادة الحرة أو اختيار سياسي[49]، سواء كان ذلك الإكراه ناتجًا من النظام السلطوي نفسه، أو من جماعات تُقيّد حرية الناخب تحت وطأة التهديد في بيئة قهرية، حتى لو لم يكن النظام في حدّ ذاته سلطويًا[50]. لكن على الرغم من معقوليته، فإن هذا التفسير لا يأخذ في الاعتبار الاختلافات الموجودة بين الأنظمة غير الديمقراطية، ولا حتى كون أن بعض الأنظمة السلطوية الأكثر قمعًا قد تحظى بدعم "صادق" من نسبة معينة من المواطنين الذين قد تكون لهم توجهات سلطوية أو تفضيل أيديولوجي للنظام القائم أو مصالح مرتبطة به، كالحالات التي قد تكون فيها الطائفية السياسية منتشرة.

إن طبيعة النظم السياسية التي تجري في ظلها الانتخابات تستدعي مثلًا الأخذ في الاعتبار الاختلافات الموجودة بينها، فمثلًا عندما يتعلق الأمر بالأنظمة غير الديمقراطية، لا يمكن الجزم من دون تدقيق بأن المواطنين يتعرّضون فيها بالضرورة للإكراه للمشاركة في الانتخابات، أو على الأقل قد لا يكون الإكراه على المستوى نفسه أو من النوع نفسه في جميعها؛ أي قد تكون في العديد من الدول ذات الحكم غير الديمقراطي مشاركة شعبية من دون أن يكون عامل الإكراه كافيًا لشرحها. وقد بيّنت بعض الدراسات أنه حتى في السياقات غير الديمقراطية قد ينظر المواطنون إلى التصويت بوصفه واجبًا مدنيًا أو التزامًا أخلاقيًا تمامًا مثل نظرائهم في المجتمعات الديمقراطية. فعلى سبيل المثال، قدم أورا جون رويتر في دراسة تناولت الانتخابات الروسية لعام 2016، بيانات مسحية تفيد أن 2.29 في المئة فقط من المستجيبين أخبروا بتعرضهم للتهديد للمشاركة فيها[51].

47 John Aldrich & Libby Jenke, "Turnout and the Calculus of Voting: Recent Advances and Prospects for Integration with Theories of Campaigns and Elections," in: Fisher et al., p. 84.

48 Smets & Van Ham, p. 353.

49 Emilee Booth Chapman, "The Distinctive Value of Elections and the Case for Compulsory Voting," *American Journal of Political Science*, vol. 63, no. 1 (2019), pp. 101-112.

50 Jeff Fisher, "Electoral Conflict and Violence," *IFES White Paper*, no. 1, International Foundation for Electoral Systems (2002), accessed on 8/8/2024, at: https://acr.ps/1L9zQyA

51 Ora John Reuter, "Civic Duty and Voting Under Autocracy," *The Journal of Politics*, vol. 83, no. 4 (2021), pp. 1602-1618.

في مقابل الإكراه، ركّزت مجموعة من الدراسات حول العالم العربي على مركزية الزبونية[52] في تفسير اختيار الناخبين المشاركة في الانتخابات[53]. يعرّف حافظ عبد الرحيم الزبونية السياسية بأنها "عملية، يلتزم الطرف الأول بتوفير مكافأة مادية [...] بما يُلزم الطرف الثاني – بشكل صريح أو ضمني – توفير المقابل المتمثل في تقديم المساندة السياسية والدعم لإدراك منصب سياسي مرغوب فيه [للطرف الأول]"[54]. ويحاجّ العديد من الباحثين بأن الناخبين في العالم العربي ينظرون إلى الانتخابات على نحو أساسي بوصفها فرصة لتأمين منافع مادية؛ أي إن أهم عنصر يجعل مواطني المنطقة يتحفزون للذهاب إلى صناديق الاقتراع هو تحصيلهم فوائد ملموسة، مثل الأموال، أو الوظائف، أو مشاريع البنية التحتية، أو المساعدات الاجتماعية، من خلال دعم مترشحين إما تربطهم بهم علاقات شخصية، أو هم جزء من شبكاتهم الاجتماعية في إطار علاقة تبادل منافع زبونية، إلى درجة أن كارولينا دي ميغيل وأماني جمال ومارك تسلر اعتبروا أن الأشخاص الذين يلجؤون إلى ما يسمى في مجتمعات المشرق العربي بـ "الواسطة" يكونون أكثر احتمالًا للذهاب إلى التصويت مقارنة بمن يمتنعون عن اللجوء إلى هذه الممارسة الزبونية[55]. وكذلك اعتُبرت الزبونية الانتخابية تفسيرًا لميل الناخبين إلى الإدلاء بأصواتهم لصالح مترشحين ينتمون إلى قبيلتهم أو عائلتهم أو مجتمعهم المحلي، حيث يتوقعون أن يكون هؤلاء الممثلون أكثر استجابة لاحتياجاتهم ومصالحهم الخاصة[56].

بهذا المعنى، يصبح قرار التصويت في العالم العربي عبارة عن عملية مفاضلة حسابية براغماتية بين الفوائد والتكاليف المحتملة للمشاركة، بدلًا من المبادئ المجرّدة للواجب المدني أو الأيديولوجيا السياسية[57]، بما فيها "الإغراءات التي تعِد بمنافع خاصة للمصوتين من قبيل الهدايا، والوظائف، والأموال، ومزايا أخرى"[58]. فمثلًا، يشير عبد الحليم مهورباشة في بحثه عن "اتجاهات فئة الشباب الجامعي نحو المشاركة في الانتخابات الرئاسية في الجزائر" لعام 2019، إلى أن أكثر من ثلث أعضاء العينة التي وظّفها في دراسته صرّحوا بأن مشاركتهم في الانتخابات تحرّكها دوافع مالية محضة متعلقة بعملية بيع الأصوات وشرائها[59]. وحتى الانتخابات التونسية لعام 2014، التي على الرغم من كونها انتخابات جرت في سياق متفق على ديمقراطيته، وما "وصفت به من نزاهة وشفافية واستجابة في مجملها للمعايير الدولية، تؤكد [وقائع الميدان] تسرّب بعض علامات الزبونية" فيها[60].

وفي مقابل ذلك، شرع عدد من الباحثين خلال السنوات الأخيرة في مراجعة الدور التفسيري للدوافع المادية في المشاركة الانتخابية في الأنظمة غير الديمقراطية، حيث أظهرت دراسة عابرة للدول أجراها فيران مارتينيز ولي مورغنبيسر، شملت 108 دول ذات أنظمة سلطوية، خلال الفترة 1960-2011، أن للزبائنية الانتخابية في الحقيقة تأثيرًا سلبيًا في نسبة المشاركة الانتخابية[61]. بل أكثر من ذلك، قدّمت ناتالي ليتسا حججًا عن الدور المركزي الذي يؤديه تمثّل التصويت واجبًا مدنيًا Civic Duty والدور الإيجابي للمشاركة الانتخابية في "تحسين الديمقراطية" في زيادة احتمالية المشاركة الانتخابية في سياق غير ديمقراطي[62].

ومن هذا المنطلق، نقترح دراسة الدور المحتمل الذي يضطلع به تقييم الأفراد لمستوى ديمقراطية النظام السياسي الذي يعيشون تحته في دفعهم إلى الذهاب إلى التصويت في الانتخابات في العالم العربي، باعتباره عاملًا لم ينل في اعتقادنا الاهتمام الكافي في الدراسات السابقة، والذي يختلف مفاهيميًا عن التوجهات الديمقراطية والرضا عن اشتغال الديمقراطية اللذين أشرنا إليهما عند الحديث عن الدوافع الإدراكية للتصويت في المبحث السابق. بمعنى أننا نسعى لمعرفة إلى أيّ حد يمكن أن يكون بعض المواطنين الذين يذهبون إلى التصويت في العالم العربي يقومون بذلك من منطلق أنهم يعتبرون النظام الذي يعيشون في

52 في سياق الانتخابات يشير جوناثان هوبكن إلى وجود نوعين من الزبونية الانتخابية. يتمثل الأول فيما يسميه "الزبونية القديمة"، التي تقوم على تقديم الراعي Patron "حماية عامة" للزبائن، وهم في هذه الحالة المصوتون، مقابل تصويتهم له. أما النوع الثاني وهو "الزبونية الجديدة"، فـ "يأخذ فيها الحزب السياسي دور المنظّم [الراعي]، لكنه لا يعمل وسيطًا بين الزبون والدولة، وإنما يستخدم موارد الدولة للفوز بالدعم الانتخابي للزبون". ينظر: Jonathan Hopkin, "A 'Southern Model' of Electoral Mobilisation? Clientelism and Electoral Politics in Spain," *West European Politics*, vol. 24, no. 1 (2001), p. 116.

53 De Miguel, Jamal & Tessler.

54 حافظ عبد الحليم، "الممارسة الانتخابية في تونس بين الركح والكواليس: الانتخابات التشريعية 2014، قراءة في نتائج دراسة ميدانية"، في: **التعبئة الانتخابية في تونس: دراسة حالة الانتخابات التشريعية 2014** (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2016)، ص 66.

55 De Miguel, Jamal & Tessler.

56 Bethany Shockley & Justin J. Gengler, "Social Identity and Coethnic Voting in the Middle East: Experimental Evidence from Qatar," *Electoral Studies*, vol. 67 (2020).

57 Ibid.

58 Eva Wegner & Francesco Cavatorta, "Revisiting the Islamist-Secular Divide: Parties and Voters in the Arab World," *International Political Science Review*, vol. 40, no. 4 (2019), p. 559.

59 عبد الحليم مهورباشة، "اتجاهات فئة الشباب الجامعي نحو المشاركة في الانتخابات الرئاسية في الجزائر"، **سياسات عربية**، مج 3، العدد 13 (2015)، ص 102-116.

60 عبد الحليم، ص 97.

61 Ferran Matinez i Coma & Lee Morgenbesser, "Election Turnout in Authoritarian Regimes," *Electoral Studies*, vol. 68 (2020).

62 Natalie Wenzell Letsa, "Expressive Voting in Autocracies: A Theory of Non-economic Participation with Evidence from Cameroon," *Perspectives on Politics*, vol. 18, no. 2 (2020), pp. 447-448.

ظله فعلًا نظامًا ديمقراطيًا، وذلك بغضّ النظر عن المؤشرات الموضوعية التي قد تعاكس هذا التقييم، مقترحين في ذلك اختبار الفرضية الرئيسة التالية: في العالم العربي، كلما جنح الأفراد إلى اعتبار النظام السياسي لبلدهم ديمقراطيًا، ارتفعت احتمالية مشاركتهم في الانتخابات.

ثالثًا: الإطار المنهجي: قاعدة البيانات والمتغيرات

لاختبار الفرضية الرئيسة المقدّمة في المبحث الأول من هذه الدراسة، سنوظّف البيانات التي يوفّرها المؤشر العربي في دورته الثامنة لعام 2022. والمؤشر هو "برنامج لقياس الرأي العام العربي في المجالات السياسية والثقافية والاجتماعية"[63] يشرف عليه المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات في قطر منذ عام 2011. وإذا كان الاستطلاع في الدورة الثامنة، الذي "نفّذ ميدانيًا خلال الفترة [الممتدة] من أيار/ مايو [إلى] كانون الأول/ ديسمبر2022"، شمل ثلاث عشرة دولة عربية[64]، فإننا سنوظف البيانات المتعلقة بتسع دول فحسب، هي: الأردن وتونس والجزائر والعراق والكويت ولبنان ومصر والمغرب وموريتانيا، بما يضمن تنوعًا في العينة من حيث انتماء هذه الدول إلى أقاليم مختلفة من العالم العربي، ويأخذ في الاعتبار التنوع والاختلافات بين الدول العربية، سواء في طبيعة أنظمتها السياسية أو خصائصها الاجتماعية والاقتصادية.

تتضمن قاعدة بيانات المؤشر العربي في دورته الثامنة عدة أسئلة مهمة لموضوع بحثنا، أبرزها سؤالان متعلقان بالمشاركة الانتخابية. أولهما، وهو الذي يحمل الرقم 305 في استمارة المؤشر ("هل قمت بالتصويت في آخر انتخابات وطنية (انتخابات نيابية/ تشريعية/ رئاسية) والتي جرت بتاريخ ...؟")، وثانيهما، وهو الذي يحمل رقم 312 في الاستمارة ذاتها ("هل تنوي أن تصوّت في الانتخابات النيابية/ التشريعية القادمة؟). سيشكل السؤال الأخير الأساس للمتغير التابع Dependent Variable[65] الذي سنسميه "المشاركة الانتخابية"، وهو عبارة عن متغير ثنائي يأخذ القيمة الرقمية (1) بالنسبة إلى الأشخاص الذي صرّحوا بأنهم سيذهبون إلى التصويت، والقيمة الرقمية (0) بالنسبة إلى الذين صرّحوا بأنهم لن يصوّتوا في الانتخابات التشريعية/ النيابية المقبلة. وكذلك السؤال الذي يُطلب فيه من المستجيبين تقييمهم لمستوى الديمقراطية في بلدهم على سلّم من 1 (البلد غير ديمقراطي على الإطلاق) إلى 10 (البلد ديمقراطي تمامًا)[66]، والذي هو أساس المتغير المستقل الرئيس للدراسة Independent Variable الذي سنطلق عليه "تقييم الديمقراطية". أما النوع الثالث من المتغيرات الذي سنوظفه، فهو ما يُتعارف عليه في التحليل الإحصائي بمتغيرات التحكم Control Variables، وهي كالتالي:

أولًا، "تقييم نزاهة آخر انتخابات"، وهو متغير يعكس تقييم الأفراد لمدى نزاهة آخر انتخابات أُجريت في البلد. وقد جرى الوصول إليه من إجابات المشاركين عن السؤال التالي "بشكل عام، كيف تقيّم نزاهة آخر انتخابات وطنية (انتخابات نيابية/ تشريعية/ رئاسية) جرت في تاريخ (...)؟" وطرحت على المستجيبين ثلاثة اختيارات: "(1) تميزت بنزاهتها المطلقة"؛ "(2) كانت نزيهة، مع وجود بعض المشكلات"؛ "(3) لم تكن نزيهة". وقد أعيد ترميز هذه الإجابات ليأخذ متغير "تقييم نزاهة آخر انتخابات" شكل متغير ثنائي يميز بين من يعتبر أن "الانتخابات كانت نزيهة" بإعطائه القيمة الرقمية (1)، ومن يعتبرها أنها "لم تكن نزيهة" بإعطائه القيمة الرقمية (0). بمعنى أنه تم تجميع الفئتين المرمزتين (1) و(2) في السؤال الأصلي لتشكيل الفئة رقم (1) في متغير "تقييم نزاهة الانتخابات". وهنا نفترض أن الأشخاص الذين يعتبرون أن آخر انتخابات في بلدهم لم تكن نزيهة لن يكون لهم حافز كبير للذهاب إلى التصويت في الانتخابات المقبلة، وذلك في غياب أيّ تغيير حقيقي أو واضح في طبيعة أو بنية النظام السياسي القائم في بلدهم منذ آخر انتخابات جرت فيه. وهو الأمر الذي لم يحصل في أيّ دولة من دول الدراسة باستثناء ربما تونس[67] التي لم يطرح فيها سؤال تقييم الانتخابات السابقة، إضافةً إلى الكويت. بعبارة أخرى، سيكون هذا المتغير جزءًا من النموذج التحليلي فقط في سبع دول: الأردن، الجزائر، العراق، لبنان، مصر، المغرب، موريتانيا.

---

63 ينظر نتائج الدورة الثامنة من استطلاع المؤشر العربي: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، **المؤشر العربي 2022**، برنامج قياس الرأي العام العربي (الدوحة: كانون الأول/ ديسمبر 2022)، شوهد في 2024/8/9، في: https://acr.ps/1L9zR6x

64 المرجع نفسه. وتضم لائحة الدول التي شملتها الدورة الثامنة ما يلي: الأردن، تونس، الجزائر، السعودية، السودان، العراق، فلسطين، الكويت، لبنان، ليبيا، مصر، المغرب، موريتانيا، قطر، بما مجموعه 33648 مستجيبًا بمعدل 2400 شخص في كل بلد.

65 على عكس السؤال رقم 305، فإن السؤال رقم 312 طُرح في كل الدول، لذا فإنه يسمح بتغطية جميع دول الدراسة، كما يتميز بكونه يتمحور حول نوع واحد من الانتخابات (التشريعية) في كل البلدان.

66 السؤال المطروح هو كالتالي: "على فرض وجود مقياس متدرج من 1-10، بحيث يعني الرقم (1) أن "البلد غير ديمقراطي على الإطلاق"، والرقم (10) يعني أن "البلد ديمقراطي تمامًا"، ويمكنك أن تختار أيّ رقم يعبّر عن رأيك في مستوى الديمقراطية في بلدك، فأين تضع بلدك على هذا السلّم؟

67 للمزيد عن النكسة الديمقراطية التي عرفها هذا البلد في أعقاب حل الرئيس التونسي قيس سعيد البرلمان المنتخب ديمقراطيًا واحتكاره السلطات في تموز/ يوليو 2021، ينظر: "خريطة قيس سعيد: أتحل أزمة تونس أم تعمقها؟"، **تقدير موقف**، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2021/12/21، شوهد في 2024/8/9، في: https://acr.ps/1L9zR1K

ثانيًا، متغير "انتشار الفساد" الذي يعكس تقييم الأفراد لمدى انتشار الفساد المالي والإداري في بلدهم على سلّم ممتد من (1) ("غير منتشر على الإطلاق") إلى (4) ("منتشر جدا")، حيث إننا نتوقع أنه كلما اعتبر الأفراد أن الفساد منتشر في بلدهم كان ذلك دافعًا لعدم المشاركة الانتخابية. ولهذا المتغير في الحقيقة أهمية خاصة في إطار النقاش مع الأدبيات التي تعتبر أن الدوافع المصلحية هي عنصر مهم في تفسير المشاركة الانتخابية في العالم العربي[68]. فإذا كان الفساد المالي والإداري منتشرًا في بلد معيّن، فليس هناك سبب منطقي يدفع إلى الاعتقاد أن الانتخابات ستسلم منه، لأنها في الحصيلة بوصفها عملية سياسية لا يمكن فصلها عن السياق الاجتماعي التي تجري فيه. ومن هذا المنطلق، فإذا ما أظهر لنا التحليل الإمبريقي أن اعتبار الأفراد أن الفساد منتشر في بلدهم يرفع من احتمالية ذهابهم إلى التصويت، فإن ذلك قد يشير إلى أن المحفز للمشاركة الانتخابية قد يكون دوافع مصلحية[69].

ثالثًا، "الثقة بالحكومة"، ويقيس مستوى ثقة المستجيبين بحكومة بلدهم على سلّم من (1) إلى (4)، حيث يشير الرقم (1) إلى أن المستجيب "لا يثق على الإطلاق" بالحكومة، في حين يعكس الجواب رقم (4) "ثقة كبيرة" بها. ويوظَّف هذا المتغير في التحليل مؤشرًا على مستوى الثقة بالمؤسسات السياسية في البلد، حيث إننا نفترض أن الأفراد الذين لديهم مستوى منخفض من الثقة السياسية يكونون أقل احتمالًا للذهاب إلى التصويت في الانتخابات.

رابعًا، متغير "الاهتمام السياسي"، الذي تراوح قيمته الرقمية ما بين (1) و(4)، حيث إن الأفراد الذي اختاروا الرقم (4) "مهتمون جدًا بالشؤون السياسية في البلد"، أما الذين اختاروا الرقم (1) فهم "غير مهتمين على الإطلاق" بها. ونفترض، وذلك وفق ما ذهبت إليه العديد من الدراسات الإمبريقية السابقة[70]، أن الاهتمام السياسي له علاقة إيجابية بالمشاركة الانتخابية، حيث يعزّز من احتمالية الذهاب إلى التصويت؛ أي كلما ارتفع الاهتمام السياسي، ارتفعت احتمالية الذهاب إلى التصويت.

خامسًا، متغير "الشبكات الاجتماعية" الذي يرصد مدى انخراط الأفراد في جماعات قد تدفعهم إلى التصويت (الأحزاب والتيارات السياسية، وجمعيات المجتمع المدني، والنقابات، والرابطات العائلية والدينية)، وذلك وفق ما عُرض في المبحث الأول من الدراسة حول الدور التي تؤديه مثل هذه الشبكات في الدفع بالمشاركة السياسية. وقد جرى تشكيل هذا المتغير من خلال تجميع القيم الرقمية لخمسة متغيرات ثنائية ترد في قاعدة بيانات المؤشر العربي تسأل المستجيبين عن عضويتهم في كل واحدة من هذه المجموعات (الرقم (1) بالنسبة إلى الجواب بنعم؛ والرقم (0) الجواب بلا). وتراوح القيمة الرقمية لمتغير "الشبكات الاجتماعية" من (0) للأفراد الذين ليسوا أعضاءً في أيّ منها، و(5) للأشخاص الذين هم أعضاء في جميعها. ونفترض أنه كلما ارتفع مستوى انخراط الشخص في شبكات متعددة (أي ارتفعت القيمة الرقمية لمتغير الشبكات الاجتماعية)، ارتفعت احتمالية ذهابه إلى التصويت.

سادسًا، عدد من المتغيرات السوسيو-اقتصادية والديموغرافية. أولها، "الوضع الاقتصادي للفرد"، وهو متغير يأخذ قيمًا تراوح بين (1) بالنسبة إلى المستجيبين الذين أشاروا إلى أن الوضع الاقتصادي لأسرهم سيئ جدًا، و (4) للذين صرّحوا بأن الوضع الاقتصادي لأسرهم جيد جدًا. ثانيها، "مستوى التعليم"، ويتشكل من أربع فئات بأربع قيم رقمية متصاعدة ((1) أمي/ ملمّ [بالقراءة]، (2) أقل من الثانوي، (3) مستوى الثانوي، (4) أعلى من الثانوي). وبالنسبة إلى الوضع الاقتصادي، نفترض أنه كلما ارتفع الوضع الاقتصادي لأسرة الفرد ارتفعت احتمالية تصويته في الانتخابات، في حين أن أثر تعليم الشخص يحتمل فرضيتين: الأولى، علاقة إيجابية، بمعنى أنه كلما ارتفع مستوى تعليمه ارتفعت احتمالية ذهابه إلى التصويت، وفق ما قدّمناه في المبحث الأول من الدراسة. والثانية، علاقة سلبية؛ أي إن ارتفاع مستواه التعليمي قد يؤدي إلى خفض احتمالية ذهابه إلى التصويت على اعتبار أن الأفراد الأكثر تعلمًا قد يكونون أكثر اعتقادًا أن الانتخابات في سياق غير ديمقراطي لها أثر محدود، ومن ثم لا طائلة من الذهاب للمشاركة.

سابعًا، متغير العمر وهو مشكّل من خمس فئات (من 18 إلى 24 عامًا)، و(من 25 إلى 34 عامًا)، و(من 35 إلى 44 عامًا)، و(من 45 إلى 54 عامًا) و(ما فوق 55 عامًا)، مرمّزة بقيم رقمية من 1 إلى 5 على التوالي. فمنذ عقود، تُظهر الدراسات "أن احتمالية ذهاب المواطنين الأكبر سنًا للتصويت هي أعلى من صغارهم"[71]؛ أي إن هناك ترابطًا سلبيًا بين العمر والمشاركة الانتخابية. ومن هذا المنطلق، نفترض أنه في عينة الدراسة لدينا كلما ارتفعت الفئة العمرية، ارتفعت احتمالية الذهاب إلى التصويت، والعكس صحيح.

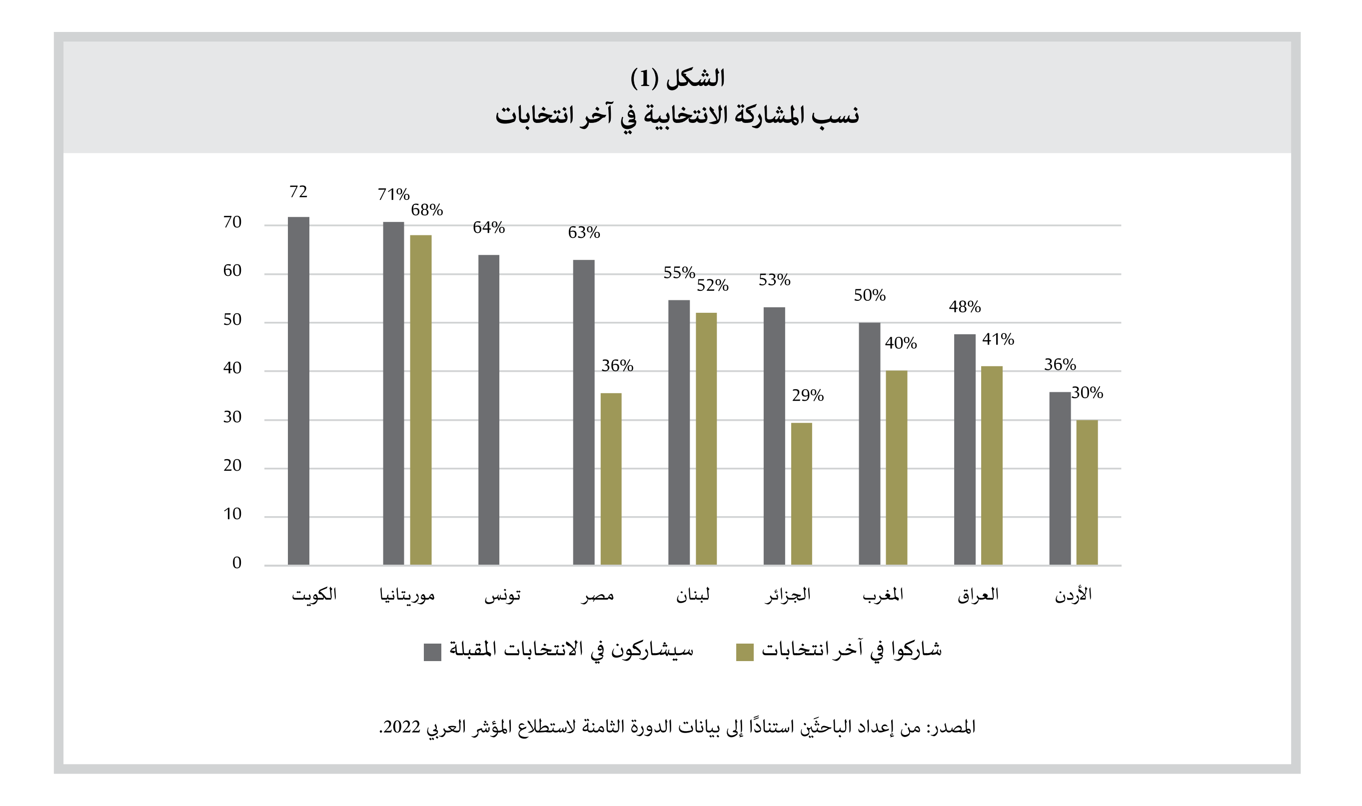
68 من الناحية المبدئية، ليس هذا المتغير مثاليًا لقياس الدوافع الزبونية ومدى تأثيرها في احتمالية الذهاب إلى التصويت بين أفراد عينة الدراسة، ولكن إزاء غياب سؤال صريح في المؤشر العربي لسنة 2022 بهذا الخصوص، فإننا نوظّف هذا المتغير.

69 وذلك من دون استبعاد أن الذهاب إلى التصويت قد تكون وراءه الرغبة في دعم مترشحين غير فاسدين أو دوافع أخرى.

70 للمزيد عن الموضوع، ينظر: Smets & Van Ham, p. 354.

71 André Blais, Elisabeth Gidengil & Neil Nevitte, "Where does Turnout Decline Come from?" *European Journal of Political Research*, vol. 43, no. 2 (2004), p. 221.

الشكل (1)
نسب المشاركة الانتخابية في آخر انتخابات



المصدر: من إعداد الباحثَين استنادًا إلى بيانات الدورة الثامنة لاستطلاع المؤشر العربي 2022.

أخيرًا، متغيرَا "الجنس و"محل الإقامة"، وهما عبارة عن متغيرين ثنائيين يأخذان القيمة (0) للإناث، والقيمة (1) للذكور بالنسبة إلى متغير الجنس، و(0) للساكن في الأرياف و(1) للساكن في المجال الحضري/ المدينة بالنسبة إلى متغير محل الإقامة. وهنا يمكن الافتراض أنه "لعوامل ثقافية" قد تكون احتمالية ذهاب الذكور إلى التصويت أعلى من الإناث في العالم العربي، كما هو الشأن أيضًا بالنسبة إلى سكان الأرياف مقارنةً بسكان المدن، حيث من المحتمل أن تكون لروابط القرابة الأقوى في الأرياف (بما فيها القبلية) دور إيجابي في تحفيز الذهاب إلى التصويت، وفقًا لما تشير إليه المقاربة السوسيولوجية المشار إليها في المبحث الأول من الدراسة.

رابعًا: النتائج والتحليل

لاختبار الفرضية الرئيسة للدراسة المتعلقة بعلاقة تقييم مستوى الديمقراطية في البلد باحتمالية المشاركة الانتخابية، سنلجأ إلى استعمال تقنية تحليل الانحدار اللوجستي الثنائي التي تبرّرها الطبيعة الثنائية للمتغير التابع (كونه أنه يمكن أن يأخذ قيمتين: (1) سيذهب إلى التصويت في الانتخابات البرلمانية/ التشريعية القادمة؛ (0) لن يذهب إلى التصويت في الانتخابات البرلمانية/ التشريعية القادمة). وقبل استعراض نتائج تحليل الانحدار، سنتوقف قليلًا عند بعض عناصر الإحصاء الوصفي الخاصة بنسب المشاركة الانتخابية في الدول التي يشملها البحث، إضافة إلى تقييم المواطنين لمستوى الديمقراطية بها.

1. المشاركة الانتخابية وتقييم الديمقراطية: ما الصورة الكلية؟

في بيانات الدورة الثامنة للمؤشر العربي لعام 2022، أجاب 18706 مستجيبين عن سؤال المشاركة الانتخابية المستقبلية في الدول التسع التي تشملها الدراسة (الأردن، تونس، الجزائر، العراق، الكويت، لبنان، مصر، المغرب، موريتانيا). ومن بين هؤلاء، صرّح 10559 مواطنًا بأنهم سيذهبون إلى التصويت في الانتخابات التشريعية القادمة 2022؛ أي 56.4 في المئة من المستجيبين، في مقابل 43.5 في المئة صرّحوا بأنهم سيمتنعون عن الذهاب إلى التصويت. ويعرض الشكل (1) مقارنة بين نسب الأفراد الذين صرّحوا بأنهم سيشاركون في الانتخابات التشريعية القادمة (المتغير التابع للدراسة) مقابل نسبة الأفراد الذين صرّحوا بأنهم شاركوا فعليًا في آخر انتخابات برلمانية أو رئاسية جرت في بلدهم، وذلك في كل بلد من البلدان التي تغطيها العينة التي نوظّفها، باستثناء تونس والكويت اللتين لم يُطرح فيهما سؤال المشاركة في آخر انتخابات.

كما يظهر من خلال الشكل (1)، فإن نسب المشاركة التي صرّح بها المستجيبون حول آخر انتخابات برلمانية أو رئاسية جرت في بلدهم تراوح ما بين 29 في المئة في الجزائر و68 في المئة في موريتانيا. وهي أرقام في مجملها جد قريبة من نسب المشاركة الفعلية (أو على الأقل الرسمية) المسجّلة في تلك الانتخابات وفقًا لما ظهر من مراجعتنا لقواعد البيانات الانتخابية للمؤسسة الدولية من أجل الديمقراطية والدعم الانتخابي[72] التي تقوم على تجميع بيانات المشاركة الانتخابية في مختلف دول العالم، بما فيها دول العالم العربي. وهذا الأمر في الحقيقة يشير إلى جودة البيانات التي تقدّمها الدورة الثامنة من المؤشر العربي، وأنها تضمن مستوى عاليًا من الموثوقية والتمثيلية لما هي عليه آراء هذه المجتمعات وتوجهاتها في المنطقة. ومن جهة أخرى، تراوح نسب الأفراد الذين صرّحوا بأنهم سيذهبون إلى التصويت في الانتخابات البرلمانية/ التشريعية المقبلة في بلدهم بين 36 في المئة في الأردن و72 في المئة في الكويت، بفارق بسيط عن موريتانيا التي كانت النسبة فيها 71 في المئة.

وهكذا يبين الشكل (1) أنه إجمالًا هناك تقارب بين نسبة المشاركة في آخر انتخابات التي سجّلها كل بلد ونسب المشاركة المحتملة في الانتخابات التشريعية المقبلة (خصوصًا في الأردن والعراق ولبنان وموريتانيا). وتُستثنى من ذلك الحالتان الجزائرية والمصرية اللتان يوجد فيهما فارق كبير بين نسبة الأفراد الذين صرّحوا بأنهم شاركوا في آخر انتخابات جرت في بلدهم ونسبة الأفراد الذين أشاروا إلى أنهم سيصوتون في الانتخابات التشريعية المقبلة، وهذا الفارق يتجاوز عشرين نقطة مئوية. ويشير هذا الفارق إلى احتمالية أن يكون انخفاض نسبة المشاركة في آخر انتخابات شهدها البلدان قبل تجميع بيانات المؤشر العربي في عام 2022 مرتبطًا بعناصر سياقية خاصة بالانتخابات في مصر التي جرت في تشرين الأول/ أكتوبر 2020[73]، وفي الجزائر في حزيران/ يونيو 2021[74]. ويدعم هذه الاحتمالية وجود نسبة أعلى كثيرًا من المواطنين الذين عبّروا عن رغبتهم في المشاركة في الانتخابات التشريعية المقبلة في كلا البلدين، وهذا عكس الأردن مثلًا، الذي كانت فيه كلتا النسبتين متقاربتين ومنخفضتين، ما يشير إلى أن انخفاض المشاركة الانتخابية في الانتخابات البرلمانية في الأردن قد يكون مرتبطًا بعوامل هيكلية، وليست ظرفية.

فمثلًا، في الحالة الجزائرية يمكن المحاجة بوجود عنصرين، على الأقل، يمكن أن يشكّلا مدخلًا لتفسير انخفاض المشاركة في الانتخابات التشريعية لعام 2021. أولـهما، أن تلك الانتخابات كانت "أول انتخابات برلمانية [نُظمت في البـلاد] بعد [رحيل الرئيس عبد العزيز] بوتفليقة"[75]، الذي أُجبر على ترك السلطة في أعقاب الحراك الشعبي الجزائري عام 2019. وعلى الرغم من هذا التحول، فإنه لم يسجّل أيّ تغيير حقيقي في بنية طبيعة النظام السياسي في الجزائر الذي ظل يصنّف في إطار الأنظمة غير الحرة بحسب مؤشر بيت الحرية[76]. ثانيهما، كون الانتخابات التشريعية في الجزائر هي في الأصل انتخابات ثانوية مقارنةً بالانتخابات الرئاسية، وهو ما يوافق ما اصطُلح عليه في الأدبيات دراسة الانتخابات بـ "انتخابات الدرجة الثانية" Second-order Elections[77]، وهي الانتخابات التي لمخرجاتها تأثير ضعيف في السياسات العامة للدولة، ومن ثم يكون محفز مشاركة المواطنين فيها أضعف مقارنةً بـ "انتخابات الدرجة الأولى" First-order Elections[78] ذات التأثير الأهم أو المحوري. وفي الحقيقة، يشير هذا العنصر إلى أن الاختلافات المهمة في نسبة المشاركة الانتخابية بين الدول العربية قد تكون مرتبطة بمدى الوزن أو التأثير الفعلي للانتخابات في مخرجات العملية السياسية.

في هذا الصدد، يلاحظ أن الدول الثلاث التي تسجّل أعلى نسبة في التصريح بالاستعداد للذهاب إلى التصويت في الانتخابات البرلمانية/ التشريعية المقبلة (الكويت وموريتانيا وتونس) كلها دول صُنفت أنظمتها السياسية في إطار الأنظمة "الحرة نسبيًا" في مؤشر بيت الحرية لعام 2024 (وفق ما أشرنا إليه سابقًا). وفي مقابل ذلك، فإن ثلاثًا من الدول الأربع التي سجّلت أقل قيم في نسبة المشاركين الذين أعربوا عن استعدادهم للتصويت في الانتخابات البرلمانية/ التشريعية في بلدهم (الأردن والعراق والجزائر) هي بلدان تصنّف أنظمتها السياسية أنها "غير حرة" وفق مؤشر بيت الحرية المشار إليه، وهذا يشير إلى ضعف دور الانتخابات التشريعية والمجالس البرلمانية في التأثير في بنية النظام، ما قد يعكس ترابطًا، على الأقل على المستوى

72 يمكن الوصول إلى البيانات في:
"Voter Turnout Database," International Institute for Democracy and Electoral Assistance (International IDEA), accessed on 9/8/2024, at: https://acr.ps/1L9zQDB

73 "أهــم المحطات الانتخابية التي مرت بها مصر منذ 2011"، **دويتشه فيله**، 2023/12/10، شوهد في 2024/8/9، في: https://acr.ps/1L9zQsf

74 وليد بدران، "الانتخابات التشريعية في الجزائر 2021: ما الذي يجب معرفته عن أول انتخابات برلمانية بعد بوتفليقة؟"، **بي بي سي عربي**، 2021/6/10، شوهد في 2024/8/9، في: https://acr.ps/1L9zRhx

75 المرجع نفسه.

76 يمكن الاطلاع على المؤشر في: "Global Freedom Status".

77 Karlheinz Reif, Hermann Schmitt & Pippa Norris, "Second-order Elections," *European Journal of Political Research*, vol. 31, no. 1-2 (1997), pp. 109-124.

78 Ibid., p. 111.

الشكل (2)
تقييم المستجيبين للديمقراطية في دول عينة الدراسة

	منخفضة	متوسطة	مرتفعة
العراق	%46	%31	%23
لبنان	%44	%28	%28
موريتانيا	%41	%20	%40
مصر	%37	%30	%33
تونس	%35	%29	%36
الكويت	%33	%22	%45
الأردن	%31	%32	%37
المغرب	%28	%28	%44
الجزائر	%16	%58	%26

المصدر: المرجع نفسه.

الكلي بين نسبة المواطنين المستعدين للانخراط في العملية الانتخابية ومستوى الحرية السياسية الفعلي في البلد.

أما الشكل (2) فيوزع إجابات المشاركين عن سؤال تقييم الديمقراطية (المتغير المستقل) بعد أن صنفناها إلى ثلاث فئات: أولئك الذين يعتبرون أن مستوى الديمقراطية منخفض (الأشخاص الذين قيّموا مستوى الديمقراطية في بلدهم من 1 إلى 4)، وأولئك الذين يعتبرون أن مستوى الديمقراطية مرتفع (الذين قيّموا مستوى الديمقراطية في بلدهم من 7 إلى 9)، وأخيرًا أولئك الذين يعتبرون مستوى الديمقراطية في بلدهم متوسطًا (القيمتان 5 و6). صحيح أن هذا التقسيم لا يخلو من بعض الذاتية من حيث معيار تحديد حدود كل فئة (مثلًا، لماذا كان تحديد الفئة الأولى في مستوى الإجابة 4 وليس 3 أو 2)، لكن هذا الأمر ليس في نظرنا إشكاليًا، لأن هذا التصنيف مجرد أداة لتحسين مقروئية البيانات بهدف وصفي لا غير.

يسمح الشكل (2) بالوقوف عند بعض النقاط. أولًا، تراوح نسب المشاركين الذين يعتبرون أن مستوى الديمقراطية منخفض في بلدهم ما بين 16 في المئة في الجزائر (أقل نسبة) و46 في المئة في العراق (أعلى نسبة). كما يسجل العراق أقل نسبة من المواطنين الذين يعتبرون أن مستوى الديمقراطية فيه مرتفع، حيث لا تتجاوز هذه النسبة 23 في المئة فيه، تليه الجزائر بـ 26 في المئة. بمعنى أن العراقيين هم أقل شعوب العينة يعتبرون أنهم يعيشون في بلد ديمقراطي، يليهم في ذلك اللبنانيون بـ 44 في المئة. وفي مقابل ذلك، تبرز الجزائر بوصفها الدولة التي تسجّل أعلى نسبة من المواطنين في العينة الذين صرّحوا أن مستوى الديمقراطية في بلدهم متوسط بنسبة تبلغ 58 في المئة من المستجيبين؛ أي تقريبًا الثلثين. وهي بهذا تشكّل حالة خاصة، حيث إن هذه الفئة تقف في كل الدول الأخرى عند حدود 30 في المئة في المتوسط.

أما المغرب ولبنان، وباعتبارهما من الدول الأربع ضمن قائمة الدول التسع التي تشملها الدراسة، ويصنفان وفقًا لمؤشر بيت الحرية ضمن الدول "الحرة نسبيًا"، فإنهما يقدّمان صورة متناقضة فيما يخص تقييم مواطنيهما المستجيبين لمستوى الديمقراطية في بلديهما. فكما تقدّم، يعتبر 44 في المئة من اللبنانيين في العينة أن مستوى الديمقراطية في بلدهم منخفض، و28 في المئة يعتبرونه مرتفعًا. في حين أن الصورة معاكسة في المغرب، إذ يقيّم 44 في المئة من المغاربة مستوى الديمقراطية في بلدهم بأنه مرتفع، و28 في المئة يقيّمونه بأنه منخفض. وهذه النتيجة في الحقيقة غير متوقعة، حيث كان من المنتظر (على الأقل من الناحية المبدئية) ألا يختلف توزيع إجابات المواطنين كثيرًا بين هذين البلدين عندما يتعلق الأمر بتقييم مستوى الديمقراطية فيهما، لكونهما لا يختلفان كثيرًا فعليًا في مستوى ديمقراطية نظاميهما السياسيين، على الأقل بحسب مؤشر بيت الحرية، وإن كانت بنية نظاميهما السياسيين في الحقيقة مختلفة

جذريًا (جمهورية تحكمها الطائفية السياسية في لبنان في مقابل ملكية دستورية ذات بعد تاريخي تقليداني في المغرب). ويؤكد هذا الأمر أن تقييم المواطنين لمستوى الديمقراطية في أيّ بلد قد لا تحكمه بالضرورة عوامل موضوعية مرتبطة بمدى فعلية ديمقراطية النظام، بل قد تتداخل في تحديده عناصر أخرى، وهو ما يوافق الأطروحة التي انطلقنا منها لبناء الإشكالية البحثية.

2. التوجهات الديمقراطية وأثرها في المشاركة الانتخابية

يقدم الجدول (1) نتائج تحليل الانحدار اللوجستي الكلي[79] الذي نسعى من خلاله لاختبار الفرضية الرئيسة لهذه الدراسة، والتي نذكّر بأن المتغير التابع فيها "المشاركة الانتخابية" يأخذ قيمتين؛ أي (1) بالنسبة إلى الأفراد الذين صرّحوا بأنهم سيذهبون إلى التصويت في الانتخابات البرلمانية/ التشريعية المقبلة في بلدهم، و(0) بالنسبة إلى الذين صرّحوا بأنهم لن يذهبوا إلى التصويت في الانتخابات البرلمانية/ التشريعية المقبلة في بلدهم. وتُظهر نتائج النماذج المقدّمة في الجدول وجود ترابط إيجابي ذي دلالة إحصائية قوية بين تقييم الأفراد لمستوى الديمقراطية في بلدهم واحتمالية المشاركة الانتخابية من خلال الذهاب إلى التصويت. فكلما ارتفع مستوى اعتبار الأفراد أن بلدهم ديمقراطي ارتفعت أرجحية Odds أن يكونوا ضمن مجموعة الأفراد الذين صرحوا بأنهم سيذهبون إلى التصويت في الانتخابات التشريعية المقبلة. وتتأكد هذه العلاقة سواء في النموذج (1) الذي لا يتضمن أيًا من متغيرات التحكم، أو في النماذج (2) و(3) و(4) التي أُدرج فيها تباعًا متغيرات التحكم ذات الطبيعة الإدراكية/ المعرفية، ثم المتغيرات السوسيو-ديموغرافية، وأخيرًا تقييم مدى نزاهة آخر انتخابات تشريعية أو رئاسية جرت في البلد، ما يعكس متانة هذه العلاقة من الناحية الإحصائية. ويَثبت تماسك هذه العلاقة حتى حين القيام بتحليلات الانحدار اللوجستي على مستوى كل بلد على حدة (ينظر الملحق).

في التفاصيل، يظهر النموذج (4) أنه إذا قارنا بين مجموعتين من المستجيبين لهم المواقف والتوجهات السلوكية والخصائص السوسيو-اقتصادية والديموغرافية نفسها بالنسبة إلى كل متغيرات التحكم، والمواقف نفسها من مدى نزاهة آخر انتخابات جرت في بلدهم، فإن ارتفاعًا بدرجة واحدة على سلم تقييم الديمقراطية في البلد الذي يمتد من (1) (البلد ليس ديمقراطيًا على الإطلاق) إلى (10) (البلد ديمقراطي تمامًا) في إحدى المجموعتين سيرافقه ارتفاع بـ 12 في المئة تقريبًا في أرجحية ذهاب أعضاء تلك المجموعة إلى التصويت. وزيادة في توضيح العلاقة بين تقييم مستوى الديمقراطية في البلد والمشاركة الانتخابية، يقدّم الشكل (3) ما يسمى في التحليل الكمي بـ "الاحتمالات المتوقعة" Predicted probabilities لذهاب تصويت الأفراد بحسب مستوى تقييم الديمقراطية في بلدهم انطلاقًا من النموذج التحليلي (3) المقدّم في الجدول (1)، عند وضع قيم كل المتغيرات الأخرى في النموذج عند المتوسط.

يُبرز المنحى في الشكل (3) وجود علاقة إيجابية مطّردة بين التزايد في تقييم الأفراد لمستوى الديمقراطية في بلدهم واحتمالية ذهابهم إلى التصويت في الانتخابات البرلمانية/ التشريعية المقبلة. فاحتمالية تصويت الأفراد الذين يعتبرون أن "بلدهم غير ديمقراطي تمامًا" (أي القيمة (1) في الشكل) لا تتجاوز 46 في المئة. ويعني هذا عمليًا أن احتمالية ألّا يشارك هؤلاء في الانتخابات هي أعلى من أن يشاركوا فيها، لكون قيمة الاحتمالية أصغر من 0.50 (وهي القيمة التي تكون فيها احتمالية الذهاب إلى التصويت أو الامتناع عن التصويت متساوية تمامًا). وفي مقابل ذلك، فإن احتمالية ذهاب الأشخاص إلى التصويت الذين يعتبرون أن "بلدهم ديمقراطي تمامًا" (أي القيمة (10) في الشكل) تتعدى 71 في المئة. وهذا يعني أن احتمالية أن يكون أفراد هذه الفئة من بين الذين سيذهبون إلى التصويت هي أعلى كثيرًا من أن يكونوا من بين الذين لن يشاركوا في الانتخابات. وأكثر من ذلك، يمكن ملاحظة أنه انطلاقًا من القيمة (4) على سلّم تقييم الأفراد لمستوى الديمقراطية في بلدهم، تصبح احتمالية أن يذهب أفراد العينة إلى التصويت أعلى من أن يمتنعوا عن ذلك.

تُمكِّن نتائج النموذج (4) من تحليل الانحدار اللوجستي الثنائي المقدّمة في الجدول (1) من الوقوف أيضًا عند وجود ترابط قوي بين مدى اعتبار الأفراد أن آخر انتخابات جرت في بلدهم نزيهة، وأرجحية المشاركة في الانتخابات التشريعية المقبلة. وتبدو هذه العلاقة من أقوى العلاقات التي تكشف عنها التحليلات الإحصائية المقدّمة في هذه الدراسة، حيث إنه عند المقارنة بين مجموعتين من المواطنين لديهم التقييم نفسه لمستوى الديمقراطية في البلد والمواقف والتوجهات السلوكية والخصائص السوسيو-اقتصادية والديموغرافية نفسها بالنسبة إلى كل متغيرات التحكم المدمجة في نموذج تحليل الانحدار رقم (4)، فإن أولئك الذين يعتبرون أن آخر انتخابات جرت في بلدهم كانت نزيهة تكون أرجحية ذهابهم إلى التصويت في الانتخابات المقبلة 3.8 مرات أرجحية الذين صرّحوا بأنها

79 الذي يستعمل بيانات الدول التسع مجتمعة في نموذج تحليل الانحدار اللوجستي الثنائي بتأثيرات ثابتة Fixed-effects، مع تجميع للأخطاء المعيارية على مستوى البلدان Clustered Standard Errors. يستثني النموذجان (3) و(4) على التوالي المشاركين في الكويت وتونس لكون سؤال تقييم نزاهة الانتخابات السابقة لم يطرح فيهما، أما سؤال السكن في وسط حضري أو ريفي فلم يطرح في الكويت.

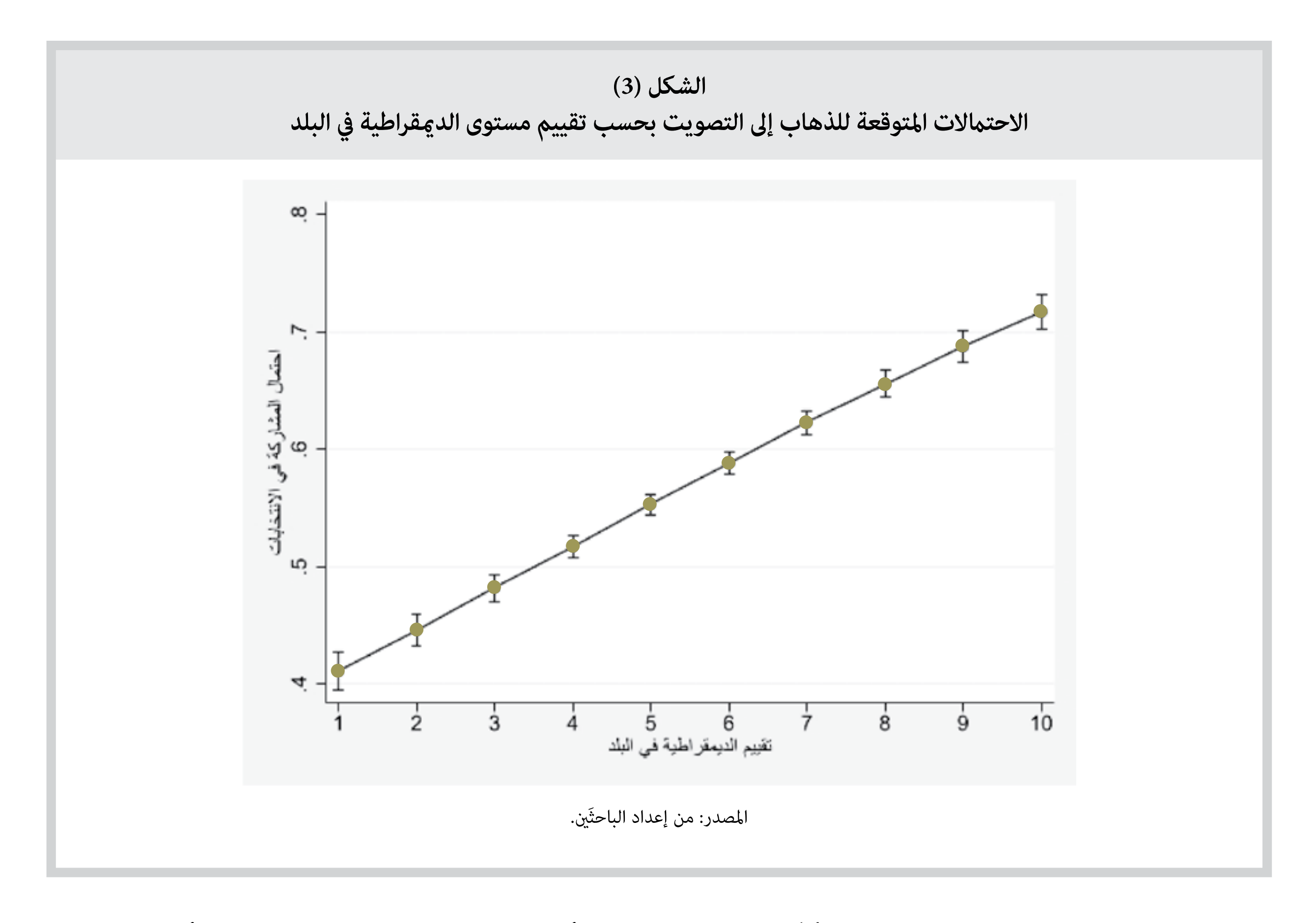
الجدول (1)

تحليل الانحدار اللوجستي الثنائي للمشاركة الانتخابية

المتغيرات	النموذج (1)	النموذج (2)	النموذج (3)	النموذج (4)
	نسب الأرجحية Odds Ratios			
مستوى الديمقراطية في البلد	***1.204	***1.171	***1.154	***1.117
نزاهة آخر الانتخابات				***3.864
الثقة بالحكومة		***1.383	***1.389	*1.234
انتشار الفساد		1.007	0.965	1.010
الاهتمام السياسي		***1.606	***1.613	***1.427
الوضع الاقتصادي الشخصي		**1.178	**1.190	*1.142
الشبكات الاجتماعية		1.152	*1.216	*1.205
الجنس (أنثى)+		0.892	0.905	0.850
مقر السكن (ريفي)			1.144	1.164
الفئات العمرية				
العمر (18-24)		1.090	1.098	1.144
العمر (25-34)		1.030	1.042	1.054
العمر (35-54)		**1.247	*1.233	1.007
العمر (55 فما فوق)		*1.290	*1.300	1.159
الفئات التعليمية				
أمي/ ملم بالقراءة		0.952	0.973	0.833
أقل من الثانوي		0.956	1.005	0.928
أعلى من الثانوي		**1.245	**1.276	1.092
الدول				
الأردن	***0.592	**0.851	*0.908	*0.905
تونس	***2.099	***2.450	***2.570	--------
الجزائر	***1.174	1.064	1.099	*1.282
العراق	***1.184	***1.607	***1.647	***1.556
الكويت	***2.818	*1.297	--------	--------
لبنان	***1.542	***2.038	***2.166	***2.219
مصر	***2.073	***1.533	***1.438	**1.267
موريتانيا	***2.845	***2.753	***2.687	***2.819
الثابت	***0.324	***0.041	***0.367	***0.044
عدد الملاحظات N	18200	17680	15989	8413

تشير النجمات في الجدول إلى مستوى الدلالة الإحصائية: * ($p<0.001$) *** ،($p<0.01$) ** ،($p<0.05$). الفئات المرجعية للمتغيرات الفئوية هي كالتالي: العمر (35-44 سنة)، الجنس (ذكر)، مقر السكن (حضري)، التعليم (المستوى الثانوي)، البلد (المغرب).

الشكل (3)
الاحتمالات المتوقعة للذهاب إلى التصويت بحسب تقييم مستوى الديمقراطية في البلد



المصدر: من إعداد الباحثَين.

لم تكن نزيهة. وهذه العلاقة المتينة إحصائيًا، وتتبين أيضًا عند تحليل البيانات الخاصة بكل دولة على حدة من تلك التي طُرح فيها سؤال تقييم نزاهة انتخابات، أي في كل من الأردن والجزائر والعراق ولبنان والمغرب موريتانيا ومصر (ينظر الملحق).

أما بالنسبة إلى علاقات بقية متغيرات التحكم باحتمالية المشاركة الانتخابية، وكما تُظهر ذلك نتائج تحليل الانحدار، فإنه تثبت لكل من متغيرات "الثقة بالحكومة" و"الاهتمام السياسي" و"الوضع الاقتصادي الشخصي" علاقة إيجابية دالة إحصائيًا مع احتمالية المشاركة الانتخابية كما يظهر في الجدول (1). فالنموذج (4) مثلًا يبين أن العناصر التي ترفع من أرجحية المشاركة الانتخابية هي: (1) الثقة المرتفعة بالحكومة، (2) الوضع الاقتصادي الشخصي الجيد، (3) الاهتمام العالي بالسياسة، (4) الانخراط في الشبكات الاجتماعية، بما فيها مؤسسات المجتمع المدني. في حين أن الأمية أو التعليم المحدود أو انتماء الشخص إلى فئة الشباب أو الإناث يخفّض من أرجحية المشاركة الانتخابية وإن كانت هذه العلاقة لا تثبت إلا في النموذجين (2) و(3) وذلك عند اعتبار كل قيم المتغيرات الأخرى متساوية. مع ضرورة الوعي بوجود تفاوتات بين الدول التسع في مدى تأثير بعض هذه المتغيرات في سياقات دون أخرى بحسب ما تُظهره التحليلات الإحصائية على مستوى كل بلد (ينظر الملحق)، كما هو الحال بالنسبة إلى متغير الجنس في الأردن ومصر، حيث إن النساء أقل جنوحًا إلى الذهاب إلى التصويت من الرجال، في حين أن باقي الدول لا تثبت فيها علاقة دالة إحصائية لهذا المتغير مع احتمالية المشاركة الانتخابية.

في الحصيلة، تؤكد هذه النتائج صحة الفرضية الرئيسة التي قدّمناها في هذه الدراسة، والتي مفادها أنه في العالم العربي كلما ارتفع تقييم الأفراد لمستوى ديمقراطية النظام السياسي في بلدهم، ارتفعت احتمالية مشاركتهم الانتخابية، على الأقل عندما يتعلق الأمر بمواطني الدول التسع التي شملتها الدراسة. وتَثبُت متانة هذه النتيجة في عينة تتشكل من مواطنين عرب ينتمون إلى دول تمثّل مختلف أقاليم العالم العربي، وذلك بغضّ النظر عن الاختلافات الموجودة بين هذه الدول، سواء في طبيعة الأنظمة السياسية التي تحكمها، أو في مستوى الحريات وهامش المشاركة السياسية التي تسمح به لمواطنيها، والتي تبقى في مجملها أنظمة غير ديمقراطية وفقًا لجل التصنيفات الدولية، وإن لم تكن كلها تصنّف أنظمةً سلطوية خالصة.

خاتمة

سعت هذه الدراسة للمساهمة في النقاش العلمي حول الأسباب الكامنة وراء المشاركة الانتخابية في العالم العربي من خلال البحث في العلاقة بين تقييم مستوى دمقراطية النظام السياسي القائم واحتمالية الذهاب إلى التصويت. وأظهر التحليل المقدّم فيها أن الأشخاص الذين يميلون إلى اعتبار بلدهم دمقراطيًا هم أكثر ميلًا إلى المشاركة الانتخابية، حتى إذا كانت معطيات الواقع السياسي تعاكس هذا التقييم الذاتي للأفراد. وتُسائل هذه النتائج الأطروحة التي تجعل من الدوافع المصلحية والزبائنية المحرك الأساسي للمشاركة الانتخابية في دول العالم العربي، من دون أن يعني ذلك أن هذه الدوافع لا تحضر أو لا تؤدي دورًا في تفسير السلوكات الانتخابية في المنطقة، ولكن نتائج الدراسة تحاجّ بأنها ليست ربما الوحيدة ذات القيمة التفسيرية عندما يتعلق الأمر بالمشاركة الانتخابية في سياق يُوصف بأنه غير دمقراطي.

وتبيّن لنا أيضًا أن العديد من المتغيرات التي أظهرت الأبحاث تأثيرها إيجابيًا أو سلبيًا في المشاركة الانتخابية في السياقات الدمقراطية الغربية، أو ما يُصطلح عليه بـ "الدمقراطيات العريقة"، كالاهتمام السياسي وتقييم الوضع السوسيو-اقتصادي الشخصي، أو السن لها هي أيضًا تأثير محتمل في المشاركة الانتخابية في دول العالم العربي التي شملتها الدراسة، بل أكثر من ذلك في الاتجاه نفسه الذي تظهره تلك الأبحاث، ما يدل على أهمية جعل الفحص الإمبريقي للأطر التفسيرية المهيمنة في حقل الدراسات الانتخابية التي تم تطويرها في سياقات غير عربية بمنزلة الحَكم الذي يُفصل به حول صلاحيتها من عدمها في شرح السلوكات الانتخابية في العالم العربي، من دون أن يعني ذلك عدم السعي لتطوير أطر نظرية بديلة يكون في وسعها تقديم تفسير أفضل للسلوكات الانتخابية في المنطقة، أو عدم القدرة على ذلك.

المراجع

العربية

التعبئة الانتخابية في تونس: دراسة حالة الانتخابات التشريعية 2014. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2016.

"خريطة قيس سعيد: أتحل أزمة تونس أم تعمقها؟". **تقدير موقف**. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. 2021/12/21. في: https://acr.ps/1L9zR1K

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. **المؤشر العربي 2022**. برنامج قياس الرأي العام العربي. الدوحة: كانون الأول/ ديسمبر 2022. في: https://acr.ps/1L9zR6x

مهورباشة، عبد الحليم. "اتجاهات فئة الشباب الجامعي نحو المشاركة في الانتخابات الرئاسية في الجزائر". **سياسات عربية**. مج 3، العدد 13 (2015).

الأجنبية

Blais, André & Daniel Rubenson. "The Source of Turnout Decline: New Values or New Contexts?" *Comparative Political Studies*. vol. 46, no. 1 (January 2013).

Blais, André, Elisabeth Gidengil & Neil Nevitte. "Where does Turnout Decline Come from?" *European Journal of Political Research*. vol. 43, no. 2 (2004).

Campbell, Angus et al. *The American Voter*. Chicago: Chicago University Press, 1960.

Cancela, João & Benny Geys. "Explaining Voter Turnout: A Meta-analysis of National and Subnational Elections." *Electoral Studies*. vol. 42 (2016).

Chapman, Emilee Booth. "The Distinctive Value of Elections and the Case for Compulsory Voting." *American Journal of Political Science*. vol. 63, no. 1 (2019).

Cho, Youngho. "Democratic Attitudes and Political Participation in the Developing World." *The*

Hopkin, Jonathan. "A 'Southern Model' of Electoral Mobilisation? Clientelism and Electoral Politics in Spain." *West European Politics*. vol. 24, no. 1 (2001).

i Coma, Ferran Matinez & Lee Morgenbesser. "Election Turnout in Authoritarian Regimes." *Electoral Studies*. vol. 68 (2020).

Key, Valdimer Orlando. *Public Opinion and American Democracy*. New York: Knopt, 1961.

Lazarsfeld, Paul F., Bernard Berelson & Hazel Gaudet. *The People's Choice: How the Voter Makes up his Mind in a Presidential Campaign*. New York: Columbia University Press, 1968.

Letsa, Natalie Wenzell. "Expressive Voting in Autocracies: A Theory of Non-economic Participation with Evidence from Cameroon." *Perspectives on Politics*. vol. 18, no. 2 (2020).

McAllister, Ian. *Advanced Introduction to Elections and Voting*. Cheltenham, UK: Edward Elgar Publishing, 2022.

Perea, Eva Anduiza. "Individual Characteristics, Institutional Incentives and Electoral Abstention in Western Europe." *European Journal of Political Research*. vol. 41, no. 5 (2002).

Pietsch, Juliet, Michael Miller & Jeffrey Karp (eds.). *Public Opinion and Democracy in Transitional Regimes*. London/ New York: Routledge, 2017.

Reif, Karlheinz, Hermann Schmitt & Pippa Norris. "Second-order Elections." *European Journal of Political Research*. vol. 31, no. 1-2 (1997).

Reuter, Ora John. "Civic Duty and Voting Under Autocracy." *The Journal of Politics*. vol. 83, no. 4 (2021).

Schedler, Andreas. "Elections without Democracy: The Menu of Manipulation." *Journal of Democracy*. vol. 13, no. 2 (2002).

Korean Journal of International Studies. vol. 13, no. 1 (2015).

De Miguel, Carolina, Amaney A. Jamal & Mark Tessler. "Elections in the Arab World: Why do Citizens Turn Out?" *Comparative Political Studies*. vol. 48, no. 11 (2015).

Diamond, Larry. "Elections without Democracy: Thinking about Hybrid Regimes." *Journal of Democracy*. vol. 13, no. 2 (2002).

Downs, Anthony. *An Economic Theory of Democracy*. New York: Happer & Row, 1957.

Fisher, Jeff. "Electoral Conflict and Violence." *IFES White Paper* no. 1. International Foundation for Electoral Systems (2002). at: https://acr.ps/1L9zQyA

Fisher, Justin et al. (eds.). *The Routledge Handbook of Elections, Voting Behavior and Public Opinion*. London/ New York: Routledge, 2018.

Galais, Carol & André Blais. "Do People Feel more of a Duty to Vote in some Elections?" *West European Politics*. vol. 39, no. 4 (2016).

Gandhi, Jennifer & Ellen Lust-Okar. "Elections under Authoritarianism." *Annual Review of Political Science*. vol. 12, no. 1 (2009).

Geys, Benny. "'Rational' Theories of Voter Turnout: A Review." *Political Studies Review*. vol. 4, no. 1 (2006).

Gill, Anthony. "Religion and Comparative Politics." *Annual Review of Political Science*. vol. 4, no. 1 (2001).

Grönlund, Kimmo & Maija Setälä. "Political Trust, Satisfaction and Voter Turnout." *Comparative European Politics*. vol. 5 (2007).

Hillygus, D. Sunshine. "The Missing Link: Exploring the Relationship Between Higher Education and Political Engagement." *Political Behavior*. vol. 27, no. 1 (2005).

Shockley, Bethany & Justin J. Gengler. "Social Identity and Coethnic Voting in the Middle East: Experimental Evidence from Qatar." *Electoral Studies*. vol. 67 (2020).

Smets, Kaat & Carolien Van Ham. "The Embarrassment of Riches? A Meta-Analysis of Individual-Level Research on Voter Turnout." *Electoral Studies*. vol. 32, no. 2 (2013).

Stadelmann-Steffen, Isabelle & Daniela Koller. "What Type of Resources? Household Effects and Female Electoral Participation." *Swiss Political Science Review*. vol. 20, no. 4 (2014).

Stockemer, Daniel & Susan Khazaeli. "Electoral Turnout in Muslim-Majority States: A Macro-Level Panel Analysis." *Politics and Religion*. vol. 7, no. 1 (2014).

"Voter Turnout Database." International Institute for Democracy and Electoral Assistance (International IDEA). at: https://acr.ps/1L9zQDB

Wegner, Eva & Francesco Cavatorta. "Revisiting the Islamist-Secular Divide: Parties and Voters in the Arab World." *International Political Science Review*. vol. 40, no. 4 (2019).

Willeck, Claire & Tali Mendelberg. "Education and Political Participation." *Annual Review of Political Science*. vol. 25, no. 1 (2022).

ملحق

تحليل الانحدار اللوجستي الثنائي للمشاركة الانتخابية

المتغيرات	الأردن	تونس	الجزائر	العراق	الكويت	لبنان	مصر	المغرب	موريتانيا
	نسب الأرجحية Odds Ratios								
تقييم الديمقراطية في البلد	***1.060**	*****1.075**	****1.689**	****1.059**	*****1.338**	*****1.122**	****1.120**	*****1.266**	*****1.137**
نزاهة آخر انتخابات	*****3.410**	-------	*****529.001**	*****3.055**	-------	*****5.077**	****5.942**	*****3.698**	*****1.137**
الثقة بالحكومة	*****1.300**	*****1.652**	****3.120**	*****1.278**	*****1.316**	0.969	*****1.887**	1.005	****1.310**
انتشار الفساد	0.949	0.949	1.023	*0.760	*****1.270**	1.330	1.189	0.928	1.210
الاهتمام السياسي	***1.146**	*****1.806**	****3.496**	*****1.332**	*****1.458**	*****1.507**	1.207	*****1.527**	*****2.047**
الوضع الاقتصادي الشخصي	****1.272**	1.076	1.452	1.056	1.088	0.946	***1.319**	1.063	*****1.390**
الشبكات الاجتماعية	1.268	***1.340**	0.924	1.158	****1.115**	*****1.502**	*****1.424**	***0.813**	****1.245**
الجنس (أنثى)	***0.723**	0.957	0.776	0.885	0.844	0.924	*****0.536**	0.921	1.209
مقر السكن (ريفي)	***1.714**	***1.348**	1.862	0.946	-------	***1.585**	1.246	****1.460**	0.753
24-18 عامًا	1.376	***0.703**	18.54	0.797	0.917	1.106	0.725	****1.793**	***1.062**
34-25 عامًا	0.956	0.860	0.472	0.689	0.790	1.290	0.733	*****2.176**	1.205
54-45 عامًا	1.157	****1.737**	2.665	0.787	1.266	0.999	0.663	1.488	0.881
فوق 55 عامًا	***1.645**	*****1.832**	2.181	***0.597**	0.967	1.334	0.667	***1.683**	0.992
أمي/ ملم بالقراءة	0.815	1.073	0.665	1.244	0.998	0.623	0.815	0.820	0.642
أقل من الثانوي	0.935	0.991	1.017	0.993	*****0.535**	0.971	0.768	0.895	0.928
أعلى من الثانوي	0.838	1.206	1.744	1.076	0.887	0.982	1.140	1.312	0.805
الثابت	***0.246	***0.090	**0.000	1.197	***0.046	0.323	***0.083	***0.118	*0.058
عدد الملاحظات N	1354	2030	391	1525	1691	1344	1167	1200	1432

التسلم Received
2023-2-5

التعديل Revised
2023-8-30

القبول Accepted
2024-6-20

المعرف الرقمي DOI
https://doi.org/10.31430/MDHZ1948

فيصل حسن محبوب | Faisal H. Mahbob*

النظام الانتخابي والأزمة السياسية في تونس بين عامَي 2011 و2021: هل كان للعتبة الانتخابية أن تخلق حكومات مستقرة؟

The Electoral System and Political Crisis in Tunisia (2011–2021): Could the Electoral Threshold Have Created Stable Governments?

تحلل هذه الدراسة تأثير نتائج الانتخابات التشريعية في العملية السياسية في تونس خلال الفترة 2011–2021، فتناقش التأثير السلبي للنظام الانتخابي في نتائج الانتخابات التشريعية عمومًا، وفي العملية السياسية برمتها خصوصًا، وذلك بسبب صعوبة حصول الأحزاب السياسية الفائزة بالمرتبة الأولى في الانتخابات التشريعية على الأغلبية المطلوبة التي تمكّنها من تحمّل مسؤولية العملية السياسية منفردةً خلال الفترة النيابية، الأمر الذي خلق حالةً من التشتت البرلماني، أصابت مجلس نواب الشعب في ثلاث دورات انتخابية خلال الأعوام 2011 و2014 و2019، وأدى إلى تعطيل الدور التشريعي والانتخابي للمجلس، وتعدد الحكومات وعدم استقرارها. وتناقش هذه الدراسة مقترحات تعديل قانون الانتخابات والاستفتاء التونسي، وتتضمن اقتراح اعتماد عتبة انتخابية، فضلًا عن مسألة تأثير تطبيق هذه العتبة في تمثيل الأحزاب السياسية في مجلس نواب الشعب التونسي، وفي العملية السياسية.

كلمات مفتاحية: الانتخابات التشريعية، المجلس الوطني التأسيسي، التشتت البرلماني، العتبة الانتخابية، تونس.

This paper analyzes the impact of the results of the legislative elections on the political process in Tunisia during the period from 2011 to 2021. It discusses the negative impact of the electoral system on the results of the legislative elections in general, and on the political process as a whole in particular. Due to the difficulty of the political parties that won first place in the legislative elections to obtain the required majority that enables them to bear responsibility for the political process alone during the parliamentary period. This created a state of parliamentary fragmentation that affected the Assembly of the Representatives of the People in three electoral cycles in 2011, 2014, and 2019 which led to the disruption of the legislative and electoral role of the Assembly, and the multiplicity and instability of governments. This paper also discusses proposals to amend the Tunisian Election and Referendum Law, which include a proposal to adopt an electoral threshold, and the impact of applying the electoral threshold on the representation of political parties in the Tunisian Assembly of People's Representatives, and on the political process.

Keywords: Legislative Elections, National Constituent Assembly, Parliamentary Fragmentation, Electoral Threshold, Tunisia.

* باحث يمني مختص في العلوم السياسية.

Yemeni Researcher Specialized in Political Science.
Email: faisalmahbob@gmail.com

مقدمة

شهدت تونس خلال الفترة الممتدة بين 14 كانون الثاني/ يناير 2011 (تاريخ سقوط نظام الرئيس زين العابدين بن علي) و25 تموز/ يوليو 2021 (تاريخ حلّ الرئيس قيس سعيّد مجلس نواب الشعب في الخطوة التي وصفها معارضوه بـ "الانقلاب الدستوري")، إجراء ثلاث دورات انتخابية تشريعية للمجلس الوطني التأسيسي ومجلس نواب الشعب، في الأعوام 2011، و2014، و2019، وفقًا لنظام القائمة النسبية المغلقة على مستوى الدوائر الانتخابية، مع الأخذ بطريقة أكبر البقايا[1]. وقد سمح هذا النظام الانتخابي للقوائم الانتخابية الحزبية والائتلافية والمستقلة الحاصلة على عدد قليل من الأصوات بالفوز بمقاعد في مجلس نواب الشعب التونسي؛ ما صعّب حصول أي حزب من الأحزاب السياسية على الأغلبية داخل المجلس، بل إنه خلق حالة من التشتت السياسي داخله، وأثّر سلبيًا في عمله المتعلق بالتصديق على مشاريع القوانين، وانتخاب أعضاء الهيئات الدستورية المستقلة التي تتطلّب الحصول على أغلبيات مختلفة تتدرج من الأغلبية البسيطة، فالأغلبية المطلقة، وصولًا إلى أغلبية الثلثين. وانعكس هذا التشتت في المجلس أيضًا على القدرة على تشكيل حكومة منسجمة وقوية؛ إذ يضطر الحزب الفائز بالمرتبة الأولى في الانتخابات إلى تقديم تنازلات للأحزاب السياسية الأخرى من أجل عقد تحالفات سياسية وتشكيل حكومة ائتلافية كثيرًا ما تكون غير منسجمة أيديولوجيًا أو سياسيًا، من أجل تأمين الأغلبية المطلوبة لنيل الثقة، وأدّى هذا الأمر إلى عدم استقرار الحكومات وتعاقبها على نحو سريع.

دفع هذا الوضع الحكومة التونسية، برئاسة يوسف الشاهد، في 26 أيلول/ سبتمبر 2018، ثم كتلة حركة النهضة في مجلس نواب الشعب، في 24 كانون الثاني/ يناير 2020، إلى تقديم مقترحات لتعديل قانون الانتخابات والاستفتاء رقم (16) لسنة 2014، يتضمن اقتراحًا بإقرار عتبة انتخابية في حدود 5 في المئة[2]، بحيث لا يحق للقوائم الانتخابية المترشحة الاشتراك في عملية توزيع المقاعد ما لم تحصل على النسبة المطلوبة من إجمالي الأصوات التي جرى الإدلاء بها على مستوى الدائرة الانتخابية، وفقًا لاعتقاد مفاده أنّ إقرار عتبة انتخابية سيعمل على التقليل من عدد الأحزاب داخل مجلس نواب الشعب، وتسهيل عملية إيجاد أغلبية، وتشكيل ائتلاف أغلبي مساند لحكومة تتمكن من ممارسة صلاحياتها طوال الفترة النيابية، ومن ثم سيعمل على حل أزمة الحكم في البلاد. ومن هذا المنطلق، تحاول هذه الدراسة الإجابة عن السؤال التالي: إذا كانت الأزمات المتوالية التي عرفها العمل في المجلس في تونس منذ عام 2011، على نحو أو آخر، نتاجَ النظام الانتخابي النسبي الذي جرى تبنيه في أعقاب الربيع العربي، فهل كان لاعتماد عتبة انتخابية أن يؤدي إلى مخرجات مختلفة؟ بعبارة أخرى، هل كان للعتبة الانتخابية أن تؤدي إلى نتائج مختلفة جوهريًا؛ بالقدر الذي يسمح بالجزم أنها كانت ستولّد تركيبة نيابية تحكمها ديناميات مغايرة للديناميات التي شهدها مجلس نواب الشعب التونسي خلال الأعوام 2011 و2014 و2019؟

تهدف هذه الدراسة إلى الإجابة عن ذلك من خلال الوقوف على ثلاثة عناصر: أولًا، محددات النظام الانتخابي الذي جرت وفقه الانتخابات التشريعية في دوراتها الثلاث، والنتائج التي أسفرت عنه. ثانيًا، تأثير نتائج هذه الانتخابات في العملية السياسية، سواء في دور مجلس نواب الشعب التشريعي والانتخابي، أو في عملية تشكيل الحكومات، وكيفية توليد التقييم السلبي للعمل في المجلس، من جانب بعض الأطراف السياسية، حاجةً إلى ضرورة تعديل القانون الانتخابي، من أجل "عقلنة" المشهد في المجلس، خصوصًا عبر اعتماد عتبة انتخابية في هذا القانون. ثالثًا، تحليل الأثر المحتمل لاعتماد العتبة الانتخابية في تمثيل الأحزاب السياسية في مجلس نواب الشعب التونسي، وفي العملية السياسية كلها، عبر تأثيرها في عمل مجلس نواب الشعب التشريعي والانتخابي، وتشكيل الحكومات. وبناءً عليه، ستجري هيكلة هذه الدراسة في ثلاثة محاور رئيسة، هي: الانتخابات التشريعية في الجمهورية التونسية؛ وتأثير نتائج الانتخابات التشريعية التونسية في العملية السياسية؛ والأثر المحتمل لإعمال العتبة الانتخابية.

أولًا: الانتخابات التشريعية في الجمهورية التونسية

يعود اختيار النظام الانتخابي الذي عُمِل به في تونس في الانتخابات التشريعية، خلال الفترة 2011-2021، إلى الهيئة العليا لتحقيق أهداف الثورة والإصلاح السياسي والانتقال الديمقراطي[3]، وكانت

1 تم تغيير النظام الانتخابي للانتخابات التشريعية في تونس، ليصبح التصويت على الأفراد في دورة واحدة، أو في دورتين عند الاقتضاء، وذلك في دوائر انتخابية ذات مقعد واحد، بموجب المرسوم رقم (55) لسنة 2022، المؤرخ في 15 أيلول/ سبتمبر 2022، بتنقيح القانون الأساسي رقم (16) لسنة 2014، المؤرخ في 26 أيار/ مايو 2014 المتعلق بالانتخابات والاستفتاء وإتمامه، وجرت بموجب النظام الانتخابي الجديد الانتخابات التشريعية في 17 كانون الأول/ ديسمبر 2022.

2 خميس بن بريك، "العتبة الانتخابية بتونس.. حل لأزمة الحكم أم إقصاء سياسي؟"، **الجزيرة نت**، 2019/2/19، شوهد في 2024/8/19، في: https://bit.ly/3YLpAhb

3 الهيئة العليا لتحقيق أهداف الثورة والإصلاح السياسي والانتقال الديمقراطي: هي هيئة عمومية مستقلة أُحدثت بموجب المرسوم عدد (6) لسنة 2011 المؤرخ في 18 شباط/ فبراير 2011، وتتكون من شخصيات سياسية وطنية وممثلين عن مختلف الأحزاب السياسية والهيئات والمنظمات والجمعيات ومكونات المجتمع المدني المعنية بالشأن الوطني في العاصمة والجهات ممن شاركوا في الثورة وساندوها، وهي مسؤولة مباشرةً عن اقتراح الإصلاحات الكفيلة بتحقيق أهداف الثورة والانتقال الديمقراطي.

الجدول (1)

عدد المقاعد المخصصة للدوائر الانتخابية في التراب التونسي وفي الخارج

الدوائر الانتخابية في التراب التونسي						الدوائر الانتخابية في الخارج	
الدائرة الانتخابية	عدد المقاعد	الدائرة الانتخابية	عدد المقاعد	الدائرة الانتخابية	عدد المقاعد	الدائرة الانتخابية	عدد المقاعد
تونس 1	9	باجة	6	سيدي بوزيد	8	فرنسا 1	5
تونس 2	8	الكاف	6	قفصة	7	فرنسا 2	5
أريانة	8	سليانة	6	توزر	4	إيطاليا	3
منوبة	7	جندوبة	8	صفاقس 1	7	ألمانيا	1
بن عروس	10	القيروان	9	صفاقس 2	9	القارة الأميركية وبقية الدول الأوروبية	2
بنزرت	9	سوسة	10	قابس	7		
نابل 1	7	المنستير	9	مدنين	9		
نابل 2	6	المهدية	8	تطاوين	4	الدول العربية وبقية دول العالم	2
زغوان	5	القصرين	8	قبلي	5		

المصدر: الجمهورية التونسية، "أمر عدد (1088) لسنة 2011 يتعلق بتقسيم الدوائر الانتخابية وبضبط عدد المقاعد المخصصة لها لانتخاب أعضاء المجلس الوطني التأسيسي"، **الرائد الرسمي للجمهورية التونسية**، العدد 59، 2011/8/3.

هذه الهيئة قد هدفت من خلاله إلى ضمان أوسع تمثيل ممكن في المجلس الوطني التأسيسي المكلّف بصوغ دستور جديد للبلاد.

1. محددات النظام الانتخابي التونسي بعد الثورة

تطرّق المرسوم رقم (35)، لعام 2011، المتعلق بانتخاب المجلس الوطني التأسيسي، إلى النظام الانتخابي الذي سيجري الأخذ به في الانتخابات التأسيسية؛ إذ نص على أن يجري التصويت على القوائم الانتخابية المغلقة في دورة واحدة، على مستوى الدوائر الانتخابية (الفصل 33)، ويتم توزيع المقاعد على أساس التمثيل النسبي داخل كل دائرة، مع الأخذ بأكبر البقايا (الفصل 32). كما نص المرسوم نفسه على أن يختار الناخب إحدى القوائم الانتخابية المترشحة، من دون شطب أو مساس بترتيب المترشحين (الفصل 34)، ومن ثم استناد المقاعد إلى القوائم، باعتماد الترتيب الوارد في كلّ منها عند تقديم الترشحات (الفصل 36)[4].

وقد نص المرسوم أيضًا على أن تشكّل كل ولاية (محافَظة) دائرةً واحدةً، أو تتكوّن من عدة دوائر، على أن يتم ضبط عدد المقاعد المخصصة لكل دائرة انتخابية على قاعدة نائب لكل 60 ألف ساكن، وعلى ألّا يتجاوز عدد المقاعد المخصصة لكل دائرة 10 مقاعد، وعلى أن يُسند مقعدان إضافيان إلى الولايات التي يقلّ عدد سكانها عن 270 ألف ساكن، كما يُسند مقعد إضافي إلى الولايات التي يراوح عدد سكانها بين 270 ألفًا و500 ألف ساكن (الفصلان 31 و33)[5]. ووفقًا لذلك، وبناءً على اقتراح من الهيئة العليا المستقلة للانتخابات، أصدر رئيس الجمهورية المؤقت، فؤاد المبزع (15 كانون الثاني/ يناير – 13 كانون الأول/ ديسمبر 2011)، أمرًا يتعلق بتقسيم الدوائر الانتخابية، وضبط عدد المقاعد المخصصة لها، وتم تحديد العدد الإجمالي للمقاعد بالمجلس الوطني التأسيسي بـ 217 مقعدًا، وحدد العدد الإجمالي للدوائر الانتخابية بـ 33 دائرة (الفصل 1)، كما حدد عدد المقاعد المخصصة للدوائر الانتخابية بالتراب التونسي بـ 199 مقعدًا، توزع على 27 دائرة انتخابية، وحدد عدد المقاعد المخصصة للدوائر

4 الجمهورية التونسية، "مرسوم عدد (35) لسنة 2011 يتعلق بانتخاب المجلس الوطني التأسيسي"، **الرائد الرسمي للجمهورية التونسية**، العدد 33، 2011/5/10.

5 المرجع نفسه.

الانتخابية بالنسبة إلى التونسيين في الخارج بـ 18 مقعدًا، توزع على 6 دوائر انتخابية (الفصل 2)[6]، وذلك كما هو مبيّن في الجدول (1).

بعد إقرار الدستور التونسي في 27 كانون الثاني/ يناير 2014، جرى التوافق على الإبقاء على هذا النظام الانتخابي في انتخاب مجلس نواب الشعب[7]، وتمّ التنصيص عليه في القانون الأساسي للانتخابات والاستفتاء رقم (16) لسنة 2014، الذي يمثل الإطار القانوني المنظم لانتخاب أعضاء مجلس نواب الشعب، وقد أكد القانون نظام القائمة النسبية المغلقة على مستوى الدوائر الانتخابية (الفصلان 107 و108). كما نص القانون رقم (16) نفسه على أن يتم تقسيم الدوائر الانتخابية، ويُضبط عدد مقاعدها استنادًا إلى قانون (الفصل 106)، لكن جرى تعليق العمل بنص هذا الفصل إلى حين صدور القانون المتعلق بتقسيم الدوائر الانتخابية، من خلال التنصيص، على نحو واضح، على أن يتم الاعتماد على تقسيم الدوائر الانتخابية نفسه وعدد المقاعد المعتمد في انتخاب المجلس الوطني التأسيسي (الفصل 173)[8]. واشترط القانون أن يُقدّم مطلب الترشّح إلى الهيئة العليا المستقلة للانتخابات، متضمنًا، وجوبًا، أسماء المرشحين وترتيبهم داخل القائمة (الفصل 21)، كما اشترط أن تُقدم الترشحات على أساس مبدأ التناصف بين النساء والرجال، وقاعدة التناوب بينهم داخل القائمة (الفصل 24)، والقائمة التي لا تحترم هذا المبدأ، فإنها لا تُقبل[9].

وفي ما يخص طريقة تحديد الفائزين، أكد قانون الانتخابات التونسي أن توزيع مقاعد مجلس نواب الشعب على القوائم الانتخابية، سيكون في مرحلتين. ففي المرحلة الأولى، يجري توزيع المقاعد على أساس طريقة الحاصل الانتخابي، ويتمّ تحديده بقسمة إجمالي الأصوات التي جرى الإدلاء بها على مستوى الدائرة الانتخابية على عدد المقاعد المخصصة لتلك الدائرة، ويُسند إلى القائمة الانتخابية عدد مقاعد بقدر عدد المرات التي حصلت فيها على الحاصل الانتخابي. وإذا لم توزَّع مقاعد في المرحلة الأولى، فإنه يجري توزيعها في المرحلة الثانية على أساس طريقة أكبر البقايا على مستوى الدائرة، وإذا تساوت بقايا قائمتين أو أكثر، فيجري تغليب المرشّح الأصغر سنًّا، وتُسند المقاعد إلى القوائم الانتخابية باعتماد الترتيب الوارد في كل منها (الفصل 110)[10].

ولم يتطرق هذا القانون إلى مسألة العتبة الانتخابية في انتخاب أعضاء مجلس نواب الشعب، على الرغم من أن بعض الدول التي تأخذ بنظام القائمة النسبية يفرض اجتياز نسبة حسمٍ (عتبة انتخابية) محددة للحصول على تمثيل في الهيئة المنتخبة؛ فإذا كانت هذه النسبة مرتفعة (كما كانت عليه الحال في تركيا، طوال عدة عقود، مع عتبة 10 في المئة)، فإنّ ذلك سيؤدي إلى استبعاد الأحزاب الصغيرة، وحرمانها من الحصول على تمثيل لها، بينما قد تسمح لهم بذلك نسبة حسمٍ منخفضة (كما هي الحال في هولندا)، في حين لا تفرض دول أخرى نسبة حسمٍ على الأحزاب السياسية المشاركة في العملية الانتخابية؛ ما يسمح لكل الأحزاب السياسية الاشتراك في عملية توزيع المقاعد، ومن ثم إمكانية حصول الأحزاب على تمثيل لها في الهيئة المنتخبة[11].

2. نتائج الانتخابات التشريعية التونسية

جرت في تونس ثلاث دورات انتخابية تشريعية في تشرين الأول/ أكتوبر خلال الأعوام 2011 (المجلس التأسيسي) و2014 و2019 (مجلس نواب الشعب). ويعرض الجدول (2) نتائج الأحزاب والقوائم الحزبية التي حصلت على المراتب الأربع الأولى، إضافة إلى مجموع الأحزاب التي فازت بما بقي من المقاعد.

أسفرت نتائج الانتخابات التأسيسية التي جرت في 23 تشرين الأول/ أكتوبر 2011 عن فوز 27 قائمة انتخابية بمقاعد المجلس الوطني التأسيسي، البالغ عددها 217 مقعدًا، وقد تصدّرتها حركة النهضة، 89 مقعدًا، يليها حزب المؤتمر من أجل الجمهورية، 29 مقعدًا، فالعريضة الشعبية للحرية والعدالة والتنمية، 26 مقعدًا، فالتكتل الديمقراطي من أجل العمل والحريات، 20 مقعدًا، فالحزب الديمقراطي التقدمي، 16 مقعدًا، إلى جانب ستة أحزاب حصلت ما بين مقعدين وخمسة مقاعد، وحصول 16 قائمة انتخابية على مقعد واحد في المجلس. فإذا ما استثنينا الأحزاب الأربعة الأولى، وهي الأحزاب الوحيدة التي تمكّنت من الفوز بـ 20 مقعدًا فأكثر، ومن ثم استحوذت على 164 مقعدًا، فإن المقاعد الـ 53 المتبقية، توزعت على 23 قائمة انتخابية؛ ما يشكّل تقريبًا ربع مقاعد المجلس.

أما في الانتخابات التشريعية التي جرت في 26 تشرين الأول/ أكتوبر 2014، فيتضح من خلال الجدول (2)، أن نتائجها أسفرت عن فوز

6 الجمهورية التونسية، "أمر عدد (1088) لسنة 2011 يتعلق بتقسيم الدوائر الانتخابية وبضبط عدد المقاعد المخصصة لها لانتخاب أعضاء المجلس الوطني التأسيسي"، **الرائد الرسمي للجمهورية التونسية**، العدد 59، 2011/8/3.

7 مهدي العش، "هل نحن بحاجة إلى تغيير نظام الاقتراع في تونس؟ تعليق حول مقترح القانون بإدراج عتبة للفوز بمقعد انتخابي"، **المفكرة القانونية**، 2019/2/25، شوهد في 2022/9/17، في: https://bit.ly/38YrYWW

8 الجمهورية التونسية، "القانون الأساسي عدد (16) لسنة 2014 يتعلق بالانتخابات والاستفتاء"، **الرائد الرسمي للجمهورية التونسية**، العدد 42، 2014/5/27.

9 المرجع نفسه.

10 المرجع نفسه.

11 أندرو رينولدز [وآخرون]، **أشكال النُظم الانتخابية**، ترجمة أيمن أيوب، ط 2 (السويد: المؤسسة الدولية للديمقراطية والانتخابات، 2010)، ص 87.

الجدول (2)

النتائج الرسمية للانتخابات التشريعية التونسية في الأعوام 2011 و2014 و2019

المجلس الوطني التأسيسي 2011			مجلس نواب الشعب 2014			مجلس نواب الشعب 2019		
القائمة	المقاعد	النسبة	القائمة	عدد المقاعد	النسبة	القائمة	عدد المقاعد	النسبة
حركة النهضة	89	41.01	حركة نداء تونس	86	39.63	حركة النهضة	52	23.96
المؤتمر من أجل الجمهورية	29	13.36	حركة النهضة	69	31.80	قلب تونس	38	17.51
العريضة الشعبية للحرية والعدالة والتنمية	26	11.98	الاتحاد الوطني الحر	16	7.37	التيار الديمقراطي	22	10.14
التكتل الديمقراطي من أجل العمل والحريات	20	9.22	الجبهة الشعبية	15	6.91	ائتلاف الكرامة	21	9.68
بقية المقاعد موزعة على 23 قائمة	53	24.43	بقية المقاعد موزعة على 14 قائمة	31	14.29	بقية المقاعد موزعة على 27 قائمة	84	38.71
المجموع	217	100	**المجموع**	217	100	**المجموع**	217	100

المصدر: الجمهورية التونسية، "قرار الهيئة المركزية للهيئة العليا المستقلة للانتخابات، مؤرخ في 2011/11/13، يتعلق بالتصريح بالنتائج النهائية لانتخابات المجلس الوطني التأسيسي"، **الرائد الرسمي للجمهورية التونسية**، العدد 87، 2011/11/15؛ الجمهورية التونسية، "قرار الهيئة العليا المستقلة للانتخابات، عدد 34، مؤرخ في 21 تشرين الثاني/ نوفمبر 2014، يتعلق بالتصريح بالنتائج النهائية للانتخابات التشريعية 2014"، **الرائد الرسمي للجمهورية التونسية**، العدد 94، 2014/11/21؛ الجمهورية التونسية، "قرار الهيئة العليا المستقلة للانتخابات، عدد 30، مؤرخ في 8 تشرين الثاني/ نوفمبر 2019، يتعلق بالتصريح بالنتائج النهائية للانتخابات التشريعية 2019"، **الرائد الرسمي للجمهورية التونسية**، العدد 91، 2019/11/12.

18 قائمة انتخابية بمقاعد مجلس نواب الشعب، البالغ عددها 217 مقعدًا؛ إذ حصل حزب حركة نداء تونس على 86 مقعدًا، يليه حركة النهضة، 69 مقعدًا، ثم الاتحاد الوطني الحر، 16 مقعدًا، فالجبهة الشعبية، 15 مقعدًا، فحزب آفاق تونس، 8 مقاعد، إلى جانب خمسة أحزاب حصلت ما بين مقعدين وأربعة مقاعد، وحصول 8 قوائم انتخابية على مقعد واحد في المجلس. وإذا ما استثنينا الأحزاب الحاصلة على المراتب الأربع الأولى التي استحوذت على 186 مقعدًا، فإن بقية المقاعد الـ 31، تقاسمها 14 قائمة انتخابية؛ أي ما يمثّل تقريبًا 14 في المئة من مقاعد المجلس.

أما في ما يخص ثالث انتخابات تشريعية التي جرت في 6 تشرين الأول/ أكتوبر 2019، فإن نتائجها أسفرت عن فوز 31 قائمة انتخابية بمقاعد مجلس نواب الشعب، البالغ عددها 217 مقعدًا؛ مع عودة حركة النهضة إلى التصدر بـ 52 مقعدًا، يليها حزب قلب تونس، 38 مقعدًا، ثم التيار الديمقراطي، 22 مقعدًا، فائتلاف الكرامة، 21 مقعدًا، فالحزب الدستوري الحر، 17 مقعدًا، فحركة الشعب، 15 مقعدًا، فحركة تحيا تونس، 14 مقعدًا، إلى جانب سبعة أحزاب حصلت ما بين مقعدين وأربعة مقاعد، إضافة إلى حصول 17 قائمة انتخابية على مقعد واحد في المجلس. وإذا استثنينا الأحزاب والقوائم الانتخابية المحتلة للمراتب الأربع الأولى التي حصلت في مجموعها على 133 مقعدًا، فإن المقاعد الـ 84 المتبقية توزّعت على 27 قائمة انتخابية؛ أي ما يمثّل تقريبًا 39 في المئة من مقاعد المجلس.

يرى بعضهم أن نتائج الانتخابات التشريعية التي عرضناها لا تعكس في الحقيقة أي تشتت للمشهد في مجلس نواب الشعب، ويُستدلّ على ذلك، من خلال أن التركيبة في المجلس التي أفرزتها انتخابات عام 2014 التشريعية تكوّنت من كتلتين كبريَين تملكان 155 مقعدًا؛ أي ما نسبته 72 في المئة من مقاعد المجلس؛ لحزب نداء تونس 86 مقعدًا، أي ما نسبته 40 في المئة من المقاعد، ولحركة النهضة 69 مقعدًا، أي ما نسبته 32 في المئة، ويُرى أن تشتت المجلس هو لاحق بالعملية الانتخابية (وليس نتاجًا لها)، ويعود عدم استقراره، في الأساس، إلى تفتت الكتلة الأكبر لحزب نداء تونس[12]؛ إذ تعرّضت للعديد من

12 العش.

الانقسامات والانشقاقات بسبب الصراع بين قياداته العليا، خاصةً مع حافظ السبسي (نجل الرئيس التونسي الباجي قائد السبسي ومؤسس الحزب)، وقد عملت هذه الانقسامات على تجزيء الحزب إلى أحزاب صغيرة، وكانت البداية باستقالة ثُلث أعضاء الكتلة بقيادة محسن مرزوق الذي أسس كتلة الحرة التي تحوّلت في ما بعد إلى حزب حركة مشروع تونس، الأمر الذي أدى إلى تراجع كتلة حزب نداء تونس إلى المرتبة الثانية. ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل إن عددًا من الأعضاء المستقيلين، وعددًا من أعضاء الكتل الأخرى في المجلس، أسسوا كتلة الائتلاف الوطني داخل مجلس نواب الشعب التي تحوّلت في ما بعد إلى حزب حركة تحيا تونس، برئاسة رئيس مجلس الوزراء يوسف الشاهد، وهو ما أدّى إلى تراجع كتلة حزب نداء تونس إلى المرتبة الثالثة، وقد تسببت هذه الانشقاقات في خسارتها أكثر من نصف نوّابها؛ ومن ثم، فإن التشتت في المجلس لم ينتجه النظام الانتخابي، بقدر ما أنتجته الانقسامات[13]. وإذا كانت هذه القراءة للنتائج لا تخلو من الصواب في المطلق، فإنها، تبقى في نظرنا، نسبية ومرتبطة بسياق مجلس نواب الشعب المنبثق من انتخابات عام 2014، ولا يمكن جعلها أساسًا أو حجة كافية للحكم بغياب أي تأثير لطبيعة النظام الانتخابي في تشتت المشهد في المجلس؛ إذ إن الخلاصة عن وجود هذا التأثير أو انعدامه، يجب أن تنطلق من القراءة المقارنة لنتائج الانتخابات الثلاثة، موضوع الدراسة، التي تسمح بالوقوف على العناصر التالية:

أولًا، نلاحظ في الانتخابات التشريعية الثلاثة (2011 و2014 و2019) أنه لم يتمكن أي حزب في المرتبة الأولى فيها من الحصول على ما يكفي من المقاعد لضمان الأغلبية المطلقة المطلوبة لتشكيل حكومة، من دون الحاجة إلى دخولٍ في تحالفات مع كتل نيابية أخرى، بل أكثر من ذلك؛ ما فتئت حصة الحزب المتصدر لنتائج الانتخابات تتراجع من انتخابات إلى أخرى، من 41 في المئة في انتخابات عام 2011، إلى 40 في المئة في انتخابات عام 2014، إلى أقل من 24 في المئة في الانتخابات التشريعية في عام 2019.

ثانيًا، يمكن اعتبار مجلس نواب الشعب المنبثق من انتخابات عام 2014 بمنزلة البرلمان الأقل تشتتًا من بين المجالس الثلاثة موضوع الدراسة، على اعتبار أنه المجلس الذي عرف فوز أقل عدد من القوائم الانتخابية بمقاعد في المجلس، بل إن هذه الانتخابات الوحيدة كان يكفي متصدّريها (نداء تونس وحركة النهضة)، من الناحية العددية، أن يتحالفا، ليحصلا على أغلبية مطلقة مريحة، متمثلة في 155 مقعدًا، وهو ما يفوق ثلثي مقاعد المجلس. لكن واقع الحال أنه، في ضوء نتائج الانتخابات، لم يكن في إمكان أي فاعل سياسي وحده أن يفرض أجندته، أو حكومته، من دون اللجوء إلى تحالفات مع كتل أخرى، حتى لو لم تعرف كتلة حزب نداء تونس التفتت الذي عرفته لاحقًا.

ثالثًا، يعتبر المجلس المتولّد من انتخابات عام 2019 أكثر المجالس النيابية الثلاثة تشتتًا. فهو ليس المجلس الذي عرف فوز أكبر عدد من القوائم الانتخابية فحسب، بل هو أيضًا المجلس الوحيد الذي لا يمكن، من الناحية العددية، أن يُكتفى فيه بتحالف كتلتين لضمان الأغلبية؛ إذ لا يمكن الحصول عدديًا على الأغلبية إلّا بتحالف ثلاث كتل على الأقل.

تؤكد هذه العناصر الثلاثة، في نظرنا، تشتت المشهد في مجلس نواب الشعب التونسي في أعقاب الانتخابات التشريعية في دوراتها الثلاث، ولا يمكن فصل هذه العناصر عن طبيعة النظام الانتخابي المعتمد منذ عام 2011. فكيف كان تأثير تشتت النتائج المتولّدة من النظام الانتخابي في العملية السياسية التونسية؟

كان للنظام الانتخابي، عبر تأثيره في نتائج الانتخابات التشريعية، أثر في العملية السياسية برمّتها، وذلك بسبب صعوبة حصول أي حزب من الأحزاب السياسية على الأغلبية في مجلس نواب الشعب، نتيجةً لنظام التمثيل النسبي الذي جرى تبنّيه في أعقاب الثورة التونسية (2011)

ثانيًا: تأثير نتائج الانتخابات التشريعية التونسية في العملية السياسية

كان للنظام الانتخابي، عبر تأثيره في نتائج الانتخابات التشريعية، أثر في العملية السياسية برمّتها، وذلك بسبب صعوبة حصول أي حزب من الأحزاب السياسية على الأغلبية في مجلس نواب الشعب، نتيجةً لنظام التمثيل النسبي الذي جرى تبنّيه في أعقاب الثورة التونسية (2011). وقد أدّى هذا الأمر إلى حالة من التشتت في المجلس الذي انعكس سلبيًّا على مستويين: أولهما، عدم الاستقرار الحكومي، أي

13 المرجع نفسه.

الحؤول دون تشكيل حكومات منسجمة وقوية ومستقرة. ثانيهما، تعطيل فاعلية الدور التشريعي في عملية إقرار القوانين التي تحتاج إليها تونس من أجل القيام بالإصلاحات الضرورية، وكذا الدور الانتخابي للمجلس المتمثل في اختيار أعضاء هيئات دستورية أخرى.

1. تعدد الحكومات وعدم استقرارها

عرفت تونس منذ عام 2011 أزمات متتالية للحكم، متمثلة في تعاقب عدد كبير من الحكومات وعدم استقرارها وعجزها عن القيام بأي إصلاحات محورية تقتضيها المرحلة. ولا يمكن فصل هذا الأمر عن حالة التشتت في المجلس التي أفرزها النظام الانتخابي المعمول به (كما عرضناها في المحور الأول) الذي لا يسمح عمليًا لأي حزب بالفوز بالأغلبية المطلقة في المجلس[14]؛ ما جعل الحزب الفائز بأكبر عدد من المقاعد مضطرًا، في كل مرة، إلى عقد تحالفات سياسية مع عدد من الكتل الأخرى من أجل تأمين هذه الأغلبية التي تُمكّنه عند تشكيل الحكومة من نيل ثقة المجلس[15]، على الرغم من التنافر السياسي والأيديولوجي الذي قد يكون موجودًا بين الكتل المتحالفة.

هذا ما حصل فعليًا منذ انتخابات عام 2011، وإنْ بدرجات متفاوتة في الحدة. وكما رأينا سابقًا، أسفرت انتخابات المجلس الوطني التأسيسي في ذلك العام عن فوز حركة النهضة بالمرتبة الأولى، لكن ذلك قد كان من دون تمكّنها من تأمين الأغلبية المطلقة، على الرغم من تصدّرها المشهد في مجلس نواب الشعب بفارق كبير متمثل في 60 مقعدًا مقارنةً بالحاصل على المرتبة الثانية (حزب المؤتمر من أجل الجمهورية). وقد أجبر هذا الأمر حركة النهضة، ذات التوجه الإسلامي، على التحالف مع حزبين علمانيين: حزب المؤتمر من أجل الجمهورية وحزب التكتل الديمقراطي من أجل العمل والحريات، لتشكيل حكومة ما سُمي إعلاميًا "الترويكا" (الثلاثي)، برئاسة حمادي الجبالي (23 كانون الأول/ ديسمبر 2011-19 شباط/ فبراير 2013)[16].

ولم يكن هذا التحالف قطُّ خيارًا طوعيًا حتّمه تقارب البرامج الانتخابية لتلك الأحزاب، بل فرضته نتائج وواقع سياسي وانتخابي[17].

نتج من هذا التحالف اتفاق على تقاسم المناصب على مستوى الرئاسات الثلاث: الدولة، والحكومة، والبرلمان، من خلال التوافق على ترشيح الأمين العام لحركة النهضة حمادي الجبالي لرئاسة الحكومة، وزعيم حزب التكتل الديمقراطي مصطفى بن جعفر لرئاسة المجلس الوطني التأسيسي، ومحمد المنصف المرزوقي، زعيم حزب المؤتمر، لرئاسة الجمهورية. وفي الحقيقة، لم يكن التوافق سهلًا، فقد واجه تشكيل الحكومة صعوبات في توزيع الحقائب الوزارية وتقاسمها بين الأحزاب الثلاثة، خاصةً في ما يتعلق بالحقائب السيادية، فأحدث هذا الأمر شروخًا متفاوتة داخل الأحزاب نفسها؛ إذ اختار عدد من مؤسسي حزب المؤتمر من أجل الجمهورية الانفصال عنه، وتكوين حركة مستقلة، كما شهد حزب التكتل الديمقراطي من أجل العمل والحريات حركة استقالات جماعية من المكتب الوطني للتكتل وعدد من مكاتبه الجهوية[18].

بعد اغتيال المعارض شكري بلعيد، الأمين العام لحزب حركة الوطنيين الديمقراطيين الموحد، والمنسق العام للجبهة الشعبية (ائتلاف مكوّن من 13 حزبًا سياسيًا وعدد كبير من المستقلين)، في 6 شباط/ فبراير 2013، دخلت البلاد في أزمة سياسية، أدت برئيس الحكومة إلى الإعلان عن أنه قرر تشكيل حكومة كفاءات وطنية، لا تنتمي إلى أي حزب سياسي، من أجل تسيير أمور البلاد حتى إجراء انتخابات مبكرة[19]. ونظرًا إلى فشله في تشكيلها، أعلن (الجبالي) استقالته من منصبه في 19 شباط/ فبراير 2013؛ وبعدها، كلّف الرئيسُ المرزوقي القياديَّ في حركة النهضة علي العريض، ووزير الداخلية في حكومة الجبالي، بتشكيل حكومة جديدة (13 آذار/ مارس 2013-9 كانون الثاني/ يناير 2014)[20].

---

14 عائد عميرة، "العتبة الانتخابية.. هل تشهد تونس اندثار الأحزاب الصغيرة؟"، **نون بوست**، 2019/2/21، شوهد في 2022/9/18، في: https://bit.ly/3EuKoiV

15 العش.

16 تشكلت حكومة الجبالي من 41 عضوًا، 30 وزيرًا و11 كاتب دولة، وقد حصلت فيها حركة النهضة على 16 حقيبة وزارية، وحصل حزب المؤتمر على 6 حقائب، والتكتل الديمقراطي على 7 حقائب، في حين حصل المستقلون على 12 حقيبة، ونالت الحكومة ثقة المجلس الوطني التأسيسي لإدارة المرحلة الانتقالية، من خلال حصولها على تأييد 154 نائبًا، بنسبة 75.86 في المئة، في مقابل اعتراض 38 نائبًا، وتحفّظ 11 آخرين، وذلك من مجموع النواب الحاضرين، البالغ عددهم 203 نواب. ينظر: أنور الجمعاوي، "المشهد السياسي في تونس: الدرب الطويل نحو التوافق"، **سياسات عربية**، مج 2، العدد 6 (كانون الثاني/ يناير 2014)، ص 73.

17 المرجع نفسه، ص 77.

18 عائشة التايب، "الترويكا الحاكمة في تونس: حصاد العام بين صعوبات الممارسة وجسامة التحديات"، **سياسات عربية**، مج 1، العدد 1 (آذار/ مارس 2013)، ص 77.

19 "حكومة كفاءات بتونس بعد مقتل معارض"، **الجزيرة نت**، 2013/2/7، شوهد في 2022/12/25، في: https://bit.ly/3XvJvgO

20 تشكلت حكومة العريض من 37 عضوًا: 27 وزيرًا و10 كُتاب دولة، وهي تشكيلة الحكومة السابقة نفسها من القوى السياسية والمستقلين، إذ حصلت فيها حركة النهضة على 11 حقيبة وزارية، وحزب المؤتمر من أجل الجمهورية على 3 حقائب، بينما حصل التكتل الديمقراطي من أجل العمل والحريات على 4 حقائب، في حين حصل المستقلون على 19 حقيبة. وقد نالت هذه الحكومة ثقة المجلس الوطني التأسيسي، بحصولها على تأييد 139 نائبًا، بنسبة 70.56 في المئة، في مقابل اعتراض 45 نائبًا، وتحفّظ 13 من النواب الآخرين، وذلك من مجموع النواب الحاضرين، البالغ عددهم 197 نائبًا. ينظر: "تتكوّن من 27 وزيرًا وأدّت القسم أمام المرزوقي، تونس: حكومة العريض تنال ثقة البرلمان"، **الراية**، 2013/3/14، شوهد في 2022/12/27، في: https://bit.ly/3WWa4e1

سرعان ما تأزّم الوضع السياسي التونسي مرة أخرى بعد اغتيال النائب عن حركة الشعب محمد البراهمي، عضو المجلس الوطني التأسيسي، المنسق العام لحزب التيار الشعبي والقيادي في ائتلاف الجبهة الشعبية، في 25 تموز/ يوليو 2013، فأعلن في أثره 42 نائبًا انسحابهم من المجلس الوطني التأسيسي. إضافة إلى ذلك، علّق رئيس المجلس مصطفى بن جعفر، في 6 آب/ أغسطس 2013، أعماله إلى حين إجراء حوار وطني جدّي[21]. دفع هذا الوضع في مجلس نواب الشعب والوضع السياسي المتأزم، أربع منظمات وطنية تونسية كبرى: الاتحاد العام التونسي للشغل، والاتحاد التونسي للصناعة والتجارة والصناعات التقليدية، والهيئة الوطنية للمحامين بتونس، والرابطة التونسية للدفاع عن حقوق الإنسان، إلى تقديم مبادرة في 17 أيلول/ سبتمبر 2013، لرعاية حوار وطني شامل من أجل تسوية الأزمة السياسية. ومن مخرجات هذا الحوار وجوب تقديم علي العريض استقالة حكومته، وتكليف مهدي جمعة، وزير الصناعة في حكومة العريض، بتشكيل حكومة تكنوقراط (29 كانون الثاني/ يناير 2014-26 كانون الثاني/ يناير 2015)[22].

بعد إعلان نتائج الانتخابات التشريعية في عام 2014، تكرر مشهد المفاوضات الشاقة لتشكيل الحكومة؛ إذ اضطر حزب نداء تونس، الفائز بالمرتبة الأولى، إلى عقد تحالفات سياسية مع عدد من الكتل الأخرى لتشكيل الحكومة، وقد اختار الحزب أن تترأس الحكومة شخصية مستقلة هي الحبيب الصيد (5 شباط/ فبراير 2015-30 تموز/ يوليو 2016).

في 23 كانون الثاني/ يناير 2015، قدّم الصيد مقترحه لتشكيلة حكومته من 40 عضوًا، لكن لم يلقَ ذلك تأييدًا واسعًا لدى القوى الفاعلة في المشهد السياسي، بسبب الاقتصار على ضم ممثلين عن حزب نداء تونس والاتحاد الوطني الحر وعدد من التكنوقراط، وتجاهُل أحزاب ذات وزنٍ في مجلس نواب الشعب، وفي مقدمها حركة النهضة الحاصلة على المرتبة الثانية في المجلس، وائتلاف الجبهة الشعبية، وحزب آفاق تونس الذي يُعدّ حليفًا لحزب نداء تونس[23]. وقررت حركة النهضة عدم تزكيتها في البرلمان، وكذلك حزب آفاق تونس، كما أعلنت شخصيات من داخل نداء تونس نفسه عن رفضها هذه الحكومة، وعدم تزكيتها في المجلس، علاوةً على موقف أحزاب اليسار المنضوية تحت ائتلاف الجبهة الشعبية؛ ما اضطر رئيس الحكومة المكلّف إلى الدخول في مفاوضات جديدة مع الأحزاب، لإجراء تعديلات على تركيبة حكومته، يُراعي فيها التوازنات السياسية وحجم الأحزاب الممثلة في المجلس[24]، وقد تمخّض عنها عرض تشكيلة جديدة مكوّنة من ستة أحزاب، فنالت ثقة مجلس نواب الشعب في 5 شباط/ فبراير 2015[25]. لكن بعد مرور أقل من سنة ونصف على تنصيبها، وفي 30 تموز/ يوليو 2016، صوّت مجلس نواب الشعب التونسي بسحب الثقة منها، وذلك لإفساح المجال أمام مبادرة الرئيس الباجي قائد السبسي التي قدّمها في 2 حزيران/ يونيو 2016، والتي تضمّنت تشكيل حكومة وحدة وطنية يشارك فيها كل من: الاتحاد العام التونسي للشغل واتحاد الصناعة والتجارة والصناعات التقليدية وبقية مكوّنات المعارضة الراغبة في تحمل أعباء الحكم، للتخفيف من حدة الاحتقان الاجتماعي، وستُمكن هذه الحكومة من العودة إلى العمل والإنتاج[26]. ووفقًا للمبادرة الرئاسية، تم تكليف القيادي في حزب نداء تونس يوسف الشاهد، ووزير الشؤون المحلية في حكومة الصيد بتشكيل حكومة جديدة (26 آب/ أغسطس 2016-27 شباط/ فبراير 2020)[27].

وفي أعقاب الانتخابات التشريعية في عام 2019، فشلت حركة النهضة، التي حلّت في المرتبة الأولى، في ضمان الأغلبية التي تسمح لحكومة الحبيب الجملي المقترحة (وهي حكومة كفاءات وطنية خالية من الأحزاب السياسية) بنيل الثقة في 10 كانون الثاني/ يناير 2020. وأدّى

21 "الرباعي الراعي للحوار الوطني بتونس.. نوبل للسلام"، **الجزيرة نت**، 2015/10/11، شوهد في 2022/12/25، في: https://bit.ly/3ZRO3j4

22 تشكلت حكومة جمعة من 28 عضوًا: 21 وزيرًا، و7 كُتاب دولة، وتم تشكيلها من المستقلين، ونالت ثقة المجلس الوطني التأسيسي بحصولها على تأييد 149 نائبًا، بنسبة 77.20 في المئة، في مقابل اعتراض 20 نائبًا، وتحفّظ 24 آخرين، وذلك من مجموع النواب الحاضرين، البالغ عددهم 193 نائبًا. ينظر: أنور الجمعاوي، "تونس: العبور إلى الديمقراطية"، **سياسات عربية**، مج 2، العدد 7 (آذار/ مارس 2014)، ص 67.

23 أنور الجمعاوي، "الحكومة الائتلافية في تونس: قراءة في الملامح والتداعيات والتحديات"، **سياسات عربية**، مج 3، العدد 13 (آذار/ مارس 2015)، ص 39.

24 محمود حرشاني، "حكومة الحبيب الصيد وأوكد الملفات المطروحة"، **رأي اليوم**، 2015/2/10، شوهد في 2022/12/27، في: https://bit.ly/3XRB5QP

25 تشكلت حكومة الصيد من 41 عضوًا: 27 وزيرًا و14 كاتب دولة. وقد حصل فيها حزب نداء تونس على 10 حقائب وزارية، وحصلت حركة النهضة على 4 حقائب وزارية، بينما حصل كلٌّ من الاتحاد الوطني الحر وحزب آفاق تونس على 3 حقائب وزارية، وحصلت الجبهة الوطنية للإنقاذ على حقيبة وزارية واحدة، في حين حصل المستقلون على 20 حقيبة وزارية. ونالت الحكومة في 5 شباط/ فبراير 2015 على ثقة مجلس نواب الشعب بحصولها على تأييد 166 نائبًا، بنسبة 81.37 في المئة، مقابل اعتراض 30 عضوًا، وتحفّظ 8 آخرين، وذلك من مجموع النواب الحاضرين البالغ عددهم 204 نوّاب. ينظر: الجمعاوي، "الحكومة الائتلافية في تونس"، ص 39.

26 وليد التليلي، "الرئيس التونسي يطلق مبادرة تشكيل حكومة وحدة وطنية"، **العربي الجديد**، 2016/6/2، شوهد في 2022/12/28، في: https://bit.ly/3X4sf17

27 تشكلت حكومة الشاهد من 40 عضوًا: 26 وزيرًا و14 كاتب دولة، وقد حصل فيها حزب نداء تونس على 8 حقائب وزارية، وحصلت حركة النهضة على 6 حقائب وزارية، بينما حصل حزب آفاق تونس على 4 حقائب وزارية، وحصل كلٌّ من المسار الديمقراطي الاجتماعي، والحزب الجمهوري، والتحالف الديمقراطي على حقيبة وزارية واحدة، في حين حصل المستقلون على 19 حقيبة وزارية. ونالت الحكومة ثقة مجلس نواب الشعب بحصولها على تأييد 167 نائبًا، بنسبة 86.08 في المئة، مقابل اعتراض 22 عضوًا، وتحفّظ 5 آخرين، وذلك من مجموع النواب الحاضرين البالغ عددهم 194 نائبًا.

هذا الوضع إلى ما يُعرف دستوريًّا بـ "حكومة الرئيس"[28] التي تعني قيام رئيس الجمهورية بتكليف الشخصية الأقدر من أجل تشكيل حكومة، لكن بعد إجراء مشاورات مع الأحزاب والائتلافات والكتل النيابية، وإذا لم يحصل رئيس الحكومة المكلف على ثقة البرلمان، فيجب على الرئيس حل البرلمان، والدعوة إلى انتخابات تشريعية جديدة (الفصل 89)[29].

وفي هذا السياق، كلّف رئيس الجمهورية، قيس سعيّد، إلياس الفخفاخ، القيادي في حزب التكتل الديمقراطي من أجل العمل والحريات، بتشكيل حكومة ائتلافية جديدة (27 شباط/ فبراير 2020-15 تموز/ يوليو 2020)[30].

بعد خمسة أشهر على تولي الفخفاخ المنصب، قدّم استقالته إلى رئيس الجمهورية، في 15 تموز/ يوليو 2020، نتيجةً لسحب أربع كتل نيابية الثقة منه: حركة النهضة، وائتلاف الكرامة، وقلب تونس، والمستقبل، على خلفية اتهامه بالتورط في تضارب مصالح، بعد الكشف عن امتلاكه أسهمًا في شركة خاصة لتدوير النفايات، متعاقدة مع الدولة[31]. وفي إثر هذا الوضع، كلّف سعيّد، هشام المشيشي، وزير الداخلية في حكومة الفخفاخ، بتشكيل حكومة جديدة (2 أيلول/ سبتمبر 2020-25 تموز/ يوليو 2021)[32]. وكانت هذه الحكومة هي الحكومة الثانية التي تنال ثقة مجلس نواب الشعب التونسي خلال ستة أشهر بعد انتخابات عام 2019، والحكومة الثالثة التي يتم تشكيلها في عام 2020، واستمرت هذه الحكومة حتى حلّها سعيّد ضمن الإجراءات الاستثنائية التي أعلنها في 25 تموز/ يوليو 2021.

28 ناجي البغوري، "النهضة والعتبة الانتخابية: إنهاء للتشتت أم إجهاض للتعدّدية؟"، **نواة**، 2020/2/3، شوهد في 2022/9/18، في: https://bit.ly/3EbHFs9

29 زيد العلي، "دستور تونس الجديد: تحليل سياقي"، **سياسات عربية**، مج 4، العدد 18 (كانون الثاني/ يناير 2016)، ص 121.

30 تشكلت حكومة إلياس الفخفاخ من 32 عضوًا و29 وزيرًا و3 كُتاب دولة، حصلت فيها حركة النهضة على 6 حقائب، والتيار الديمقراطي على 3 حقائب، بينما حصلت كل من حركة الشعب، وحركة تحيا تونس، على حقيبتين، وحصل كل من حزب نداء تونس، وحزب البديل التونسي، اللذين ينتميان إلى كتلة الإصلاح الوطني، على حقيبة واحدة، في حين حصل المستقلون على 17 حقيبة. ونالت الحكومة ثقة مجلس نواب الشعب، بتأييد 129 نائبًا، بنسبة 62.32 في المئة، في مقابل اعتراض 77 عضوًا، وتحفّظ نائب واحد، من مجموع النواب الحاضرين البالغ عددهم 207 نوّاب.

31 حمادي معمري، "الفخفاخ يقدم استقالته لرئيس الجمهورية ويعمق الأزمة السياسية في تونس"، **إندبندنت عربية**، 2020/7/15، شوهد في 2022/12/28، في: https://bit.ly/3HU3zUy

32 تشكلت حكومة هشام المشيشي من 28 عضوًا و25 وزيرًا و3 كُتاب دولة، وتم تشكيلها من المستقلين، ونالت الحكومة ثقة مجلس نواب الشعب بحصولها على تأييد 134 نائبًا، بنسبة 66.67 في المئة، مقابل اعتراض 67 عضوًا، ولم يتحفّظ أي نائب، وذلك من مجموع النواب الحاضرين البالغ عددهم 201 من النوّاب.

2. تعطيل دور مجلس نواب الشعب التشريعي والانتخابي

يضطلع مجلس نواب الشعب في تونس، وفقًا لأحكام الدستور، بدور محوري في وضع القوانين والتصديق عليها وإنشاء المؤسسات الدستورية الضامنة لتحقيق انتقال ديمقراطي؛ فللمجلس دور مهم في تأسيس حياة سياسية ديمقراطية، من خلال دوره التشريعي، سواء في ما يتعلق بالتشريع في مواد تتعلق بالحقوق والحريات، أو في ما يتعلق بوضع النظام القانوني للهيئات الدستورية المستقلة، وله أيضًا دورٌ انتخابي مهمٌّ يمكن من خلاله إنشاء عدد من المؤسسات الدستورية المستقلة[33].

بالنسبة إلى الدور التشريعي للمجلس، فإنّ الدستور التونسي أكد الأغلبية المطلوبة من أعضاء المجلس للتصديق على مشاريع القوانين، وحدّدها في ما يتعلق بمشاريع القوانين الأساسية بالأغلبية المطلقة لأعضائه، وحدّدها أيضًا في ما يتعلق بمشاريع القوانين العادية بأغلبية أعضائه الحاضرين، واشترط في هذه الأغلبية ألّا تقل عن ثلث أعضاء المجلس (الفصل 64). إضافة إلى ذلك، حدّد الدستور مواضيع القوانين التي تُدرج تحت قوانين أساسية، وهي تتمثل في تنظيم الهيئات الدستورية المستقلة، وتنظيم العدالة والقضاء، وتنظيم الإعلام والصحافة والنشر، وتنظيم الأحزاب والنقابات والجمعيات والمنظمات والهيئات المهنية وتمويلها، وتتمثل كذلك في القانون الانتخابي، والحريات وحقوق الإنسان، والأحوال الشخصية، والواجبات الأساسية للمواطنة، والسلطة المحلية، وتنظيم الجيش الوطني، وتنظيم قوات الأمن الداخلي والديوانة، والميزانية، والتمديد في مدة مجلس نواب الشعب، والتمديد في الفترة الرئاسية، والموافقة على المعاهدات (الفصل 65)[34].

وبالنسبة إلى الدور الانتخابي للمجلس، فإنّ الدستور التونسي أكد أن ينتخب أعضاء المجلس أعضاء الهيئات الدستورية المستقلة بأغلبية معزّزة، أي بأغلبية الثلثين (الفصل 125)، وحدّدها الدستور بخمس هيئات: الهيئة العليا المستقلة للانتخابات (الفصل 126)، وهيئة الاتصال السمعي والبصري (الفصل 127)، وهيئة حقوق الإنسان (الفصل 128)، وهيئة التنمية المستدامة وحقوق الأجيال القادمة (الفصل 129)، وهيئة الحوكمة الرشيدة ومكافحة الفساد (الفصل 130)، إضافة إلى انتخاب 4 من أعضاء المحكمة الدستورية (الفصل 118)[35].

33 محمد أنور الزياني، "أي أولويات لمجلس نواب الشعب في تونس-2018؟ (1) التشريع تحت الضرورة يغلب التشريع تحقيقًا لرؤى الدستور"، **المفكرة القانونية**، 2019/4/23، شوهد في 2022/12/25، في: https://bit.ly/3HpHsDX

34 الجمهورية التونسية، **دستور الجمهورية التونسية**، شباط/ فبراير 2014.

35 المرجع نفسه.

> أدّت حالة التشتت في مجلس نواب الشعب التي أفرزها النظام الانتخابي المعمول به في الانتخابات التشريعية إلى تعطيل دوره التشريعي والانتخابي؛ ما جعل الحكومات المتعاقبة تواجه صعوبات في تمرير مشاريع القوانين الأساسية داخل المجلس بالأغلبية المطلقة لأعضائه

وقد أدّت حالة التشتت في مجلس نواب الشعب التي أفرزها النظام الانتخابي المعمول به في الانتخابات التشريعية إلى تعطيل دوره التشريعي والانتخابي؛ ما جعل الحكومات المتعاقبة تواجه صعوبات في تمرير مشاريع القوانين الأساسية داخل المجلس بالأغلبية المطلقة لأعضائه[36]، لأنه لا توجد أي كتلة نيابية قادرة بمفردها على تمريره بـ 109 أصوات.

فبالنسبة إلى التشريع، نجد أن عدد القوانين التي صدرت عن المجلس، خلال فترة عمله، في الفترة كانون الأول/ ديسمبر 2014-تموز/ يوليو 2019، 331 قانونًا. وعلى الرغم من ذلك، فإن نسبة عالية منها هي قوانين تصديق على اتفاقيات وبروتوكولات تعاون وشراكة وقروض وهبات ومساعدات، وهي قوانين لا تحتوي في أغلبها إلّا على مادة قانونية واحدة، تُقرّ بالموافقة على المعاهدة، ويبلغ عددها 189 قانونًا؛ أي ما نسبته 57.1 في المئة. أما القوانين المتبقية، وعددها 142 قانونًا، فمنها 54 من القوانين تمس مباشرةً الحقوق والحريات، بما نسبته 16.3 في المئة، علمًا أن مصدر أغلب هذه القوانين كان من الحكومة، بينما كانت المبادرات التشريعية قليلة في هذا المجال[37].

أما بالنسبة إلى إرساء الهيئات الدستورية المستقلة، فنجد أن المجلس الوطني التأسيسي لم يتمكن من إرساء أي منها، باستثناء الهيئة العليا المستقلة للانتخابات التي أنشأها وأصدر قانونها الأساسي رقم (16) لسنة 2014، المتعلق بالانتخابات والاستفتاء، الصادر في 27 أيار/ مايو 2014. ومع نهاية الفترة النيابية (2014-2019)، لم يصدر عن مجلس نواب الشعب إلّا قانونان متعلقان بالهيئات الدستورية المستقلة؛ الأول، هو القانون الأساسي رقم (59) لسنة 2017، المتعلق بهيئة الحوكمة الرشيدة ومكافحة الفساد، في 24 آب/ أغسطس 2017؛ والثاني هو القانون الأساسي رقم (51) لسنة 2018، المتعلق بهيئة حقوق الإنسان، في 29 تشرين الأول/ أكتوبر 2018[38]. أما بقية الهيئات المستقلة الأخرى، المتمثلة في هيئة الاتصال السمعي والبصري وهيئة التنمية المستدامة وحقوق الأجيال القادمة، فلم يتمّ النظر في مشاريع القوانين المتعلقة بها، على الرغم من إيداعها في المجلس منذ عام 2018[39]. وعلى الرغم من صدور قانونَي هيئة الحوكمة الرشيدة ومكافحة الفساد وهيئة حقوق الإنسان، فإنه لم تبدأ أي هيئة من هاتين الهيئتين العمل؛ نظرًا إلى عدم انتخاب أعضاء كل منهما.

أما بالنسبة إلى المحكمة الدستورية التي تُعدّ من الأعمدة الأساسية للنظام السياسي الديمقراطي التي نص عليها دستور عام 2014، فقد نص الدستور التونسي على أن يتم إنشاؤها خلال مدّة أقصاها سنة واحدة من تاريخ الانتخابات التشريعية (الفقرة 5 من الفصل 148). وبناءً عليه، يكون مجلس نواب الشعب ملزمًا بإصدار القانون الأساسي لهذه المحكمة واختيار قُضاتها في مدّة لا تتجاوز 26 تشرين الأول/ أكتوبر 2015[40]. وعلى الرغم من هذا الإلزام، فإن صدور القانون الأساسي رقم (50) لسنة 2015، المتعلق بالمحكمة الدستورية، تأخر إلى 3 كانون الأول/ ديسمبر 2015، وهو ما يعني تأخر المجلس في انتخاب أعضاء المحكمة. وتتكوّن المحكمة الدستورية، وفقًا للدستور، من 12 عضوًا؛ إذ يُعيّن كل من رئيس الجمهورية، ومجلس نواب الشعب، والمجلس الأعلى للقضاء، أربعة أعضاء (الفصل 118)[41]، وقد نص قانون المحكمة الدستورية على أن يتم تعيين أعضاء المحكمة الدستورية تباعًا من جانب مجلس نواب الشعب والمجلس الأعلى للقضاء ورئيس الجمهورية (الفصل 10)[42]، وهو أمرٌ يعني ألّا تنظر جهة في ملف التعيين إلّا بعد إتمام الجهة التي تسبقها النظر فيه. وبعد مرور نحو 7 سنوات من انقضاء الأجل الدستوري وصدور قانون المحكمة الدستورية، نجد أنه لم يتم تطبيقه؛ نظرًا إلى فشل مجلس نواب الشعب في انتخاب الأعضاء الأربعة الذين يجب أن ينتخبهم[43]. ولا يُرجع بعضهم ذلك إلى صعوبة توفير أغلبية الثلثين

36 بن بريك.

37 وحيد الفرشيشي ومحمد أنور الزياني، "خمس سنوات من عمل مجلس نواب الشعب 2014-2019: أي حصيلة تشريعية في مجال الحقوق والحريات"، **المفكرة القانونية**، 2020/3/27، شوهد في 2022/12/25، في: https://bit.ly/3XY90Ys

38 المرجع نفسه.

39 الزياني.

40 وحيد الفرشيشي، "المحكمة الدستورية التونسية في مقترحي الحكومة والنواب"، **المفكرة القانونية**، 2015/9/15، شوهد في 2022/12/25، في: https://bit.ly/3HMRfWb

41 الجمهورية التونسية، **دستور الجمهورية التونسية**.

42 الجمهورية التونسية، "القانون الأساسي عدد (50) لسنة 2014 يتعلق بالمحكمة الدستورية"، **الرائد الرسمي للجمهورية التونسية**، العدد 98، 2015/12/8.

43 الفرشيشي والزياني.

لتمرير أي قرار، وهو ما كانت تملكها الأغلبية الحاكمة آنذاك، بل إلى عدم اتفاق الكتل النيابية، وخصوصًا الكبيرة منها، على أسماء المرشحين[44]. فعلى سبيل المثال، نجد أن رئاسة مجلس نواب الشعب واللجنة الانتخابية[45] احتاجت إلى سنتين كاملتين في ضبط الترشحات لعضوية المحكمة الدستورية؛ بسبب الخصومات بين الأحزاب السياسية، وسعي كل منها لفرض مرور مرشحيه إلى مرحلة التصويت.

> التشتت في مجلس نواب الشعب الذي تولّد من النظام الانتخابي الذي اعتمدته تونس في أعقاب "ثورة الياسمين" - وإن كان لا يمكن الذهاب إلى حد الجزم بأنه المسؤول الوحيد عن الأزمات المتعاقبة التي عرفتها البلاد منذ عام 2011 - لا يمكن إنكار وجود دورٍ محوري له في غياب الاستقرار الحكومي وعدم قيام المجلس أيضًا بدوره على أحسن وجه، بل كان له دور في جعلِ المؤسسة التشريعية أحد مصادر التأزم التي عرفتها الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية التونسية طوال نحو عقد من الزمن

ثالثًا: إعمال العتبة الانتخابية: ما الأثر المحتمل؟

أظهر المحوران السابقان أن التشتت في مجلس نواب الشعب الذي تولّد من النظام الانتخابي الذي اعتمدته تونس في أعقاب "ثورة الياسمين" - وإن كان لا يمكن الذهاب إلى حد الجزم بأنه المسؤول الوحيد عن الأزمات المتعاقبة التي عرفتها البلاد منذ عام 2011 - لا يمكن إنكار وجود دورٍ محوري له في غياب الاستقرار الحكومي وعدم قيام المجلس أيضًا بدوره على أحسن وجه، بل كان له دور في جعلِ المؤسسة التشريعية أحد مصادر التأزم التي عرفتها الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية التونسية طوال نحو عقد من الزمن. وقد كوّن هذا الأمر قناعةً لدى جزء من النخب السياسية التونسية بأن أحد مخرجات هذا الوضع هو "عقلنة" المشهد في المجلس عبر تعديل القانون الانتخابي وإقرار عتبة انتخابية.

من هنا، قدّمت الحكومة التونسية، برئاسة يوسف الشاهد، في 26 أيلول/ سبتمبر 2018، مقترحًا لتعديل قانون الانتخابات، جاء في فصله الأول إلغاء أحكام الفقرة الثالثة (الفصل 110) من قانون الانتخابات، التي تنص على أن "لا تعتمد الأوراق البيضاء في احتساب الحاصل الانتخابي"، واستبدالها بالفقرة التالية: "لا تحتسب الأوراق البيضاء والأصوات الراجعة للقائمات التي تحصلت على أقل من 5 في المئة من الأصوات المصرّح بها على مستوى الدائرة في احتساب الحاصل الانتخابي". ونص المشروع في فصله الثاني على إضافة فقرة جديدة إلى (الفصل 110) من القانون، تُدرج مباشرةً بعد الفقرة الثالثة، وتنص على القول: "لا تدخل في توزيع المقاعد القائمات المترشحة التي تحصلت على أقل من 5 في المئة من الأصوات المصرّح بها على مستوى الدائرة"[46].

جاء في شرح أسباب تعديل القانون الذي تقدّمت به الحكومة أن هذه المرحلة تفرض على القيادة السياسية التماس أفضل الوسائل حتى تتحقق أهداف الانتقال الديمقراطي، من دون صعوبات كبرى. وهذا الأمر يفرض اعتماد مفهوم النجاعة والمردودية للنظام الانتخابي كلّه، ولطريقة الاقتراع على وجه الخصوص؛ إذ إن منطق التمثيل الصوري للكل هو منطق يصلح في بداية مرحلة الانتقال الديمقراطي. وأضافت الحكومة ما مفاده أن أغلب الدول التي تعتمد نظم التمثيل النسبي تفرض عتبة انتخابية بمستويات عالية، أحيانًا، تصل إلى 10 في المئة من إجمالي الأصوات المصرّح بها، ضمانًا للنجاعة التي تقتضي توفير الأرضية القانونية اللازمة لإيجاد أغلبية، أو على الأقل ائتلافٍ أغلبيٍّ قادرٍ على تحمّل العهدة النيابية طوال المدة المحدّدة لها[47].

تعدّدت الآراء بشأن مقترح تعديل قانون الانتخابات وإدراج عتبة انتخابية بنسبة 5 في المئة بين مؤيد ومعارض. رأى المعارضون أنّ من شأن إقرار عتبة انتخابية بنسبة 5 في المئة التأثيرَ على نحو مباشر في نتائج الانتخابات النهائية، وإقصاءَ أحزاب المعارضة والأحزاب الصغيرة والمستقلين من الفوز بمقاعد في مجلس نواب الشعب، وأن ذلك ينسف أحد أبرز مبادئ الديمقراطية، وهو التعددية الحزبية، في مقابل تقوية هيمنة الأحزاب الكبرى، على الرغم من أن تونس لا تزال في مراحلها الأولى في المسار الانتقالي الذي يقتضي فسح المجال

44 العش.

45 اللجنة الانتخابية: هي لجنة خاصة تابعة لمجلس نواب الشعب، تتولّى القيام بالمهمات الانتخابية المسندة إلى المجلس لانتخاب أعضاء في المحكمة الدستورية والهيئات الدستورية المستقلة.

46 "مشروع قانون أساسي عدد 63/ 2018 يتعلق بتنقيح وإتمام القانون الأساسي عدد 16 لسنة 2014 المؤرخ في 26 ماي 2014 المتعلق بالانتخابات والاستفتاء"، مشروع قانون مقدم من الحكومة في 26 أيلول/ سبتمبر 2018، مركز جنيف لحوكمة قطاع الأمن، شوهد في 2024/8/20، في: https://bit.ly/4cHr8MI

47 المرجع نفسه.

للتعددية والتنوع[48]. ومن خلال منظور المعارضين، فإنّ من يعتقد أن إقرار عتبة انتخابية سيعمل على إيجاد حل لأزمة الحكم مخطئ؛ لأنّ نظام التمثيل النسبي مع أكبر البقايا في الأساس يجعل من تحقيق حزب واحد الأغلبيةَ المطلقة أمرًا بالغ الصعوبة، ثم إنّ اعتماد عتبة انتخابية سيؤدي إلى انحصار التمثيل في المجلس في حزبين كبيرين أو أكثر، لكنه سيحرم الحزب المتصدر من إمكانية إجراء تحالفات مع كيانات قد تكون صغيرة، مع أنها أقرب إليه أيديولوجيًا وسياسيًا. وبناءً عليه، فإن اعتماد عتبة انتخابية مرتفعة، تجعل من "التحالف المكره" أمرًا حتميًا[49]، مع كل ما يعنيه ذلك من إمكانية حدوث أزمات داخل الحكومة ومجلس نواب الشعب واستمرار الأزمات السياسية التي يؤمل من العتبة الانتخابية حلّها.

في المقابل، رأى المؤيدون أن الغاية من إقـرار هذه العتبة هي ترشيد الترشح للانتخابات، وتجميع الأصوات، والحد من التشتت في المجلس، وإيجاد حلّ لأزمة الحكم التي تعانيها البلاد من جرّاء تعدّد الحكومات وعدم استقرارها، وعدم قدرتها على القيام بأي إصلاحات؛ نظرًا إلى عدم قدرة أي كتلة نيابية بمفردها على تمرير مشاريع القوانين الأساسية بالأغلبية المطلقة. وقد كان لعدم فرض عتبة انتخابية في انتخابات المجلس الوطني التأسيسي، بعد ثورة 14 كانون الثاني/ يناير 2011، مبرراته أيضًا؛ ومن بينها توسيع قاعدة المشاركة السياسية أمام كل الأطياف لكتابة دستور توافقي[50]. أما في الوقت الراهن، فإن البلاد في حاجة إلى "الغربلة" وتنظيم العمل الحزبي وزيادة ترشيده، وحثّ الأحزاب الصغرى على البحث عن المشترك في ما بينها، ولا سيما أنّ كل تجارب البلدان التي مرت بثورات، تشير إلى حدوث انفجار حزبي في البداية. لكن بعد سنوات، تبدأ الأحزاب والفاعلون السياسيون في التفكير في عقلنة المشهد السياسي والحزبي، وتعتبر العتبة الانتخابية خطوة أولى في هذا الاتجاه لقيام نظام سياسي مستقر[51].

على الرغم من الاعتراضات، فإن مجلس نواب الشعب صدّق في 18 حزيران/ يونيو 2019، بأغلبية كبيرة، على تعديل قانون الانتخابات وإدراج عتبة انتخابية بنسبة 3 في المئة في الانتخابات التشريعية (في نوع من الحل الوسط بين عتبة 5 في المئة وغياب العتبة)، وقد شارك في عملية التصويت 172 نائبًا، من إجمالي أعضاء المجلس، البالغ عددهم 217 نائبًا، وحظي مشروع القانون على موافقة 128 نائبًا، بنسبة 74.42 في المئة، واعتراض 30 آخرين، بينما تحفّظ 14 نائبًا عن الإدلاء بأصواتهم[52]. لكن رئيس الجمهورية لم يصدّق على قانون الانتخابات المعدل، الأمر الذي جعل الهيئة العليا المستقلة للانتخابات تدعو إلى تطبيق قانون الانتخابات المعتمد في الانتخابات السابقة في إجراء الانتخابات التشريعية في تشرين الأول/ أكتوبر 2019؛ لكون الهيئة لا يمكنها اعتماد قانون الانتخابات المعدل إلّا بعد نشره في **الرائد الرسمي**[53]. ونتيجةً لما أفرزته الانتخابات التشريعية (التي جرى عرضها في المحور الأول من هذه الدراسة) بشأن عدم تمكّن أي حزب من الأحزاب الكبرى من الحصول على نسبة مريحة تُمكّنه من تشكيل الحكومة، تقدمت كتلة حركة النهضة في مجلس نواب الشعب، في 24 كانون الثاني/ يناير 2020، بمقترح تعديل قانون الانتخابات، طالبت فيه بإيجاد عتبة انتخابية بنسبة 5 في المئة؛ بحيث لا تسمح للقوائم الانتخابية التي لا تتخطى هذه العتبة من الحصول على مقاعد في مجلس نواب الشعب[54]. لكن هل كان لنتائج الانتخابات التشريعية أن تكون، جوهريًا، مختلفة لو جرى اعتماد عتبة انتخابية؟

لمعرفة تأثير تطبيق العتبة الانتخابية المحتمل في تمثيل الأحزاب السياسية في مجلس نواب الشعب التونسي، سنقارن بين النتائج الرسمية للانتخابات التشريعية التونسية في عام 2019 والنتائج المحتملة في حالة اعتماد العتبة الانتخابية بنسبة 3 المئة تارةً، ونسبة 5 في المئة تارةً أخرى، مع الاحتفاظ بعناصر النظام الانتخابي المتبقية نفسها، من دون تغيير (طبيعة الدائرة الانتخابية والمقاعد المخصصة لكل واحدة منها، وكيفية احتساب الحاصل الانتخابي، وكيفية توزيع المقاعد المتبقية).

يعرض الجدول (3) معطيات المقارنة لنتائج القوائم الانتخابية الثماني الأولى التي حصلت على مقاعد في الانتخابات التشريعية في عام 2019، والتي أسفرت عن فوز 31 قائمة انتخابية، حزبية ومستقلة. وتُظهر النتائج أن العتبة الانتخابية بنسبة 3 في المئة لو أنها طُبّقت، لتراجع عدد القوائم الانتخابية الحاصلة على مقاعد في مجلس نواب الشعب إلى 25، ولَنتج من تطبيقها (التي صدّقها المجلس) ارتفاع عدد مقاعد حركة النهضة إلى 70 مقعدًا، بدلًا من 52 مقعدًا، ما نسبته 32.26 في المئة، وحصول حزب قلب تونس على 47 مقعدًا،

48 بن بريك.

49 العش.

50 بن بريك.

51 "الترفيع في العتبة الانتخابية من 3 إلى 5 بالمائة .. 'إقصاء للأحزاب الصغرى' أم 'عقلنة للمشهد السياسي والحزب'"، **باب نت**، 2018/11/23، شوهد في 2022/12/11، في: https://bit.ly/3lbT820

52 يامنة سالمي، "برلمان تونس يصادق بالأغلبية على تعديل قانون الانتخابات"، **وكالة الأناضول**، 2019/6/18، شوهد في 2022/12/15، في: https://bit.ly/3k1zSoK

53 هدى الطرابلسي، "أسباب رفض الرئيس التونسي التوقيع على القانون الانتخابي الجديد"، **إندبندنت عربية**، 2019/7/22، شوهد في 2022/12/14، في: https://bit.ly/3nofWyx

54 زياد المزغني، "مقترح قانون.. ما شكل برلمان تونس حال إقرار العتبة الانتخابية؟"، **الاستقلال**، 2020/2/11، شوهد في 2022/12/21، في: https://bit.ly/3lgi5cJ

الجدول (3)

أثر العتبة الانتخابية في نتائج انتخابات مجلس نواب الشعب عام 2019

القائمة	المقاعد من دون عتبة انتخابية		المقاعد مع عتبة 3 في المئة		المقاعد مع عتبة 5 في المئة	
	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية
حركة النهضة	52	23.96	70	32.26	82	37.79
قلب تونس	38	17.51	47	21.66	53	24.42
التيار الديمقراطي	22	10.14	18	8.29	16	7.37
ائتلاف الكرامة	21	9.68	18	8.29	18	8.29
الحزب الدستوري الحر	17	7.83	19	8.76	17	7.83
حركة الشعب	15	6.91	11	5.07	11	5.07
حركة تحيا تونس	14	6.45	10	4.61	7	3.23
حركة مشروع تونس	4	1.84	2	0.92	0	0

المصدر: من إعداد الباحث استنادًا إلى: الجمهورية التونسية، "قرار الهيئة العليا المستقلة للانتخابات، عدد 30، مؤرخ في 8 تشرين الثاني/ نوفمبر 2019، يتعلق بالتصريح بالنتائج النهائية للانتخابات التشريعية 2019"، **الرائد الرسمي للجمهورية التونسية**، العدد 91، 2019/11/12.

الجدول (4)

أثر العتبة الانتخابية في توزيع مقاعد مجلس نواب الشعب على القوائم الانتخابية بطريقتَي الحاصل الانتخابي وأكبر البقايا

المقاعد	طريقة الحاصل الانتخابي		طريقة أكبر البقايا	
	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية
المقاعد من دون عتبة انتخابية	52	23.96	165	76.04
المقاعد مع عتبة 3 في المئة	107	49.31	110	50.69
المقاعد مع عتبة 5 في المئة	140	64.52	77	35.48

المصدر: من إعداد الباحث استنادًا إلى: المرجع نفسه.

بدلًا من 38 مقعدًا، ما نسبته 21.66 في المئة، أي إنهما سيحصلان معًا على 117 مقعدًا، بدلًا من 90 مقعدًا، ما نسبته 53.92 في المئة؛ الأمر الذي كان من الممكن أن يسمح (على الأقل من الناحية العددية) بإمكانية تشكيل حكومة تقتصر على حزبين بدلًا من عدة أحزاب.

كان تقليل عدد القوائم الانتخابية في المجلس سيحصل أيضًا في حال اختيار عتبة انتخابية تساوي 5 في المئة. وحينئذ، يتراجع عدد القوائم الانتخابية الحاصلة على مقاعد في المجلس من 31 إلى 18 قائمة، مع ارتفاع عدد مقاعد حركة النهضة إلى 82 مقعدًا، بدلًا من 52 مقعدًا، ما نسبته 37.79 في المئة، وحصول حزب قلب تونس على 53 مقعدًا، بدلًا من 38 مقعدًا، ما نسبته 24.42 في المئة، أي إنهما سيحصلان معًا على 135 مقعدًا، بدلًا من 90 مقعدًا، ما نسبته 62.21 في المئة. وهذا الأمر يسمح، مرة أخرى، بإمكانية تشكيل حكومة ائتلافية مستقرة، على الأقل من الناحية العددية. وحتى إن رفض الحزب الفائز بالمرتبة الثانية المشاركة في الحكومة، فإن الحزب الفائز بالمرتبة الأولى يمكنه التحالف مع كتل نيابية أخرى أقل عددًا من أجل تشكيل الحكومة ونَيل الثقة، على عكس حالة غياب عتبة انتخابية؛ إذ يجد الحزب

الفائز بالمرتبة الأولى نفسه مضطرًا إلى التحالف مع عدد كبير من الكتل النيابية إن أراد تشكيل الحكومة ونَيل الثقة.

إن أحد العوامل التي تؤدي إلى تقليل عدد القوائم الانتخابية التي تنجح في الفوز بمقاعد برلمانية، عند اعتماد عتبة انتخابية، هو تأثير الأخيرة في نسبة المقاعد التي توزّع بين القوائم المترشحة من خلال طريقة الحاصل الانتخابي، في مقابل تلك التي يتم توزيعها من خلال طريقة أكبر البقايا، فالطريقة الأولى، هي الطريقة الأساسية لتوزيع المقاعد، بينما الطريقة الثانية، هي طريقة تكميلية، تستخدم في حال وجود مقاعد متبقية لم يتم توزيعها وفقًا للطريقة الأولى. فكما بيّن الجدول (4)؛ كلما ارتفعت العتبة الانتخابية من 0 في المئة (غياب العتبة) إلى 3 في المئة، فإلى 5 في المئة، ازداد عدد المقاعد التي توزع بين القوائم الانتخابية على أساس طريقة الحاصل الانتخابي، في مقابل تناقص تلك التي يتم توزيعها على أساس طريقة أكبر البقايا داخل كل دائرة انتخابية. عمليًا، هذا يعني أن توزيع المقاعد بين القوائم المترشحة، مع اعتماد عتبة انتخابية، يؤدي على نحو تلقائي إلى تقليل احتمال حصول القوائم الانتخابية التي لم يصل مجموع أصواتها المتحصل عليها داخل الدائرة الانتخابية إلى مستوى الحاصل الانتخابي.

يتضح مما سبق أن اعتماد عتبة انتخابية في الانتخابات التشريعية التونسية في عام 2019، كان سيؤدي فعليًا إلى الحد، ولو نسبيًا، من مستوى تشتت المشهد في مجلس نواب الشعب الذي عرفه المجلس منذ عام 2011. وقد بلغ التشتت في المجلس المنبثق من انتخابات عام 2019 مستويات غير مسبوقة في تاريخ الديمقراطية التونسية الفتيّة؛ ما جعل تونس تنغمس في أزمة حكومية جديدة لم تعرفها من قبل، على اعتبار أنها على خلاف سابقاتها التي أعقبت انتخابات المجلس الوطني التأسيسي في عام 2011، ومجلس نواب الشعب في عام 2014، لم تعرف طريقها إلى التوافقات (التي كانت تبقى دائمًا مؤقتة، وفي أحيان كثيرة مجرد تأجيل للأزمة)؛ ذلك أنّ الفرقاء السياسيين كانوا يتمكّنون من التوصل إليها، وإن بعد مساومات ومشاحنات حادة. وهذا الأمر قد أدّى في نهاية المطاف إلى منعطف 25 تموز/ يوليو 2021، وقد حلّ بعده الرئيس التونسي قيس سعيّد مجلس نواب الشعب، واحتكر سلطاته الدستورية؛ مثلما يتبيّن ذلك على نحو مفصّل في مراجعة كتاب "الانتخابات التشريعية والرئاسية في تونس عام 2019"[55].

55 أسماء نويرة [وآخرون]، **الانتخابات التشريعية والرئاسية في تونس عام 2019: الحقل السياسي والسلوك الانتخابي وحراك النخب** (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2022).

خاتمة

وقفنا في محاور هذه الدراسة عند تأثير نتائج الانتخابات التشريعية في العملية السياسية في تونس بين عامَي 2011 (تاريخ سقوط نظام الرئيس زين العابدين بن علي) و2021 (تاريخ حلّ الرئيس قيس سعيّد مجلس نواب الشعب المنبثق من انتخابات عام 2019)، وقد حاججنا بأنه كان لها تأثير سلبي في العملية السياسية برمّتها. إن تلك النتائج لا يمكن فصلها عن طبيعة النظام الانتخابي الذي اعتمدته تونس طوال أكثر من 10 سنوات، المتمثل في النظام الانتخابي النسبي الذي تُوزّع فيه المقاعد البرلمانية بين القوائم الانتخابية المترشحة داخل كل دائرة انتخابية على أساس طريقة الحاصل الانتخابي بداية، ثم بطريقة أكبر البقايا، فضلًا عن غياب أي عتبة انتخابية. وقد ترتّب على هذا الأمر عدم استقرار حكومي يمكن وصفه بـ "الهيكلي"، وغياب الفاعلية عن الدور التشريعي والانتخابي لمجلس نواب الشعب.

فقد شهدت تونس خلال الفترة المدروسة تعاقب سبع حكومات منذ انتخاب المجلس الوطني التأسيسي في عام 2011، غاب عنها كلها الاستقرار؛ إذ لم تتم أي واحدة منها دورة نيابية كاملة. فبعد أول دورة انتخابية تشريعية في عام 2011، عرفت البلاد ثلاث حكومات، هي: حكومتان ائتلافيتان، وحكومة مستقلة. وبعد ثاني دورة انتخابية في عام 2014، شهدت البلاد حكومتين ائتلافيتين. أما بعد ثالث دورة انتخابية في عام 2019، فقد شهدت البلاد ثلاث حكومات في عام واحد؛ منها واحدة منها لم تنل ثقة البرلمان، وحكومتان حصلتا على ثقة البرلمان، إحداهما كانت ائتلافية، والثانية من المستقلين. كما شهد مجلس نواب الشعب تعطّلًا ملحوظًا لدوره التشريعي والانتخابي، وخاصةً فيما يتعلق بإصدار قوانين الهيئات الدستورية المستقلة، وفيما يتعلق باختيار أعضاء تلك الهيئات، الأمر الذي أوجد فراغًا مؤسساتيًا لمؤسسات جاء على ذكرها الدستور التونسي، وحدد الآجال اللازمة لإنشائها. بيّنا في هذه الدراسة، كذلك، أنه لو جرى اعتماد عتبة انتخابية (3 أو 5 في المئة) في الانتخابات التشريعية في عام 2019، لكان ترتّب على ذلك مشهد نيابي أقل تشتتًا.

أخيرًا، يبقى السؤال: هل كان هذا الأمر كافيًا ليمنع وقوع تونس في تلك الأزمة الحكومية والسياسية التي أدت في الحصيلة إلى تعطيل المنظومة النيابية الناتجة من ثورة الياسمين برمتها؟ يصعب الجزم بذلك، لأن المضيّ في مثل هذا، ادّعاء لا يمكن أن يتم من دون أن يقع الباحث في نوع من "الخيال السياسي" Political Fiction، على اعتبار أنه يدخل في إطار الفرضيات التي لا يمكن إثباتها ولا دحضها علميًا. يضاف إلى ذلك أن التفسير السببي بمتغير واحد قلّما يكون رصينًا؛ بالنظر إلى أنه لا يمكن تجاهل التراكم في الممارسة - أو حتى الثقافة

السياسية للنخب - الذي خلّفته تقريبًا 10 سنوات من المناكفات والمشاحنات، بل حتى الصراعات الحامية في المشهد السياسي التونسي داخل مجلس نواب الشعب وخارجه. وحتى إن كان لا يمكن فصل الصراعات عن التشتت في مجلس نواب الشعب الذي أنتجه النظام الانتخابي، فليس هناك ضمانة من أن مجرد تغيير النظام الانتخابي الذي كان له دور حاسم في خلق ذلك التشتت سيؤدي على نحو تلقائي إلى اختفائه، على الأقل في المدى القصير.

المراجع

التائب، عائشة. "الترويكا الحاكمة في تونس: حصاد العام بين صعوبات الممارسة وجسامة التحديات". **سياسات عربية**. مج 1، العدد 1 (آذار/ مارس 2013).

الجمعاوي، أنور. "الحكومة الائتلافية في تونس: قراءة في الملامح والتداعيات والتحديات". **سياسات عربية**. مج 3، العدد 13 (آذار/ مارس 2015).

________. "المشهد السياسي في تونس: الدرب الطويل نحو التوافق". **سياسات عربية**. مج 2، العدد 6 (كانون الثاني/ يناير 2014).

________. "تونس: العبور إلى الديمقراطية". **سياسات عربية**. مج 2، العدد 7 (آذار/ مارس 2014).

الجمهورية التونسية. **دستور الجمهورية التونسية.** شباط/ فبراير 2014.

رينولدز، أندرو [وآخرون]. **أشكال النُظم الانتخابية**. ترجمة أيمن أيوب. ط 2. السويد: المؤسسة الدولية للديمقراطية والانتخابات، 2010.

العلي، زيد. "دستور تونس الجديد: تحليل سياقي". **سياسات عربية**. مج 4، العدد 18 (كانون الثاني/ يناير 2016).

نويرة، أسماء [وآخرون]. **الانتخابات التشريعية والرئاسية في تونس عام 2019: الحقل السياسي والسلوك الانتخابي وحراك النخب**. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2022.

التسلم Received
2023-8-1

التعديل Revised
2024-2-22

القبول Accepted
2024-5-10

المعرف الرقمي DOI
https://doi.org/10.31430/IKRD7344

علي بن موسى | Ali Bin Musa*

انتخابات المؤتمر الوطني العام في ليبيا عام 2012: قراءة في ديناميات الانتخابات وتداعياتها

The 2012 General National Congress Elections in Libya: An Analysis of Electoral Dynamics and Implications

تتناول هذه الدراسة انتخابات المؤتمر الوطني العام الليبي لعام 2012، وتحلل تداعياتها والتأويلات التي اعتبرتها انتصارًا للتيار الليبرالي (تحالف القوى الوطنية) على التيار الإسلامي (حزب العدالة والبناء وحلفاؤه). تكشف الدراسة أن هذا التأويل يعوزه الدقة، حيث توضح أن عددًا كبيرًا من المستقلين الفائزين كانوا مرتبطين بالتيارات الإسلامية. كما تجادل بأن التيار الإسلامي نجح لاحقًا في فرض سيطرته داخل المؤتمر، مستفيدًا من تحالفاته لتمرير قوانين أقصت خصومه السياسيين. وتعد هذه الانتخابات نقطة تحول في ليبيا بعد إطاحة القذافي، حيث مثلت أول تجربة ديمقراطية لبناء نظام سياسي جديد رغم التحديات الموروثة عن الحقبة السابقة. تُبنى الدراسة على أربعة مباحث تناقش النظام الانتخابي، والقوى المتنافسة، ونتائج الانتخابات، وديناميات الصراع داخل المؤتمر، لتنتهي إلى أن الهيمنة السياسية للإسلاميين بعد 2012 تضعف فرضية انتصار الليبراليين.

كلمات مفتاحية: ليبيا، انتخابات المؤتمر الوطني 2012، تحالف القوى الوطنية، حزب العدالة والبناء.

This paper examines the 2012 General National Congress (GNC) elections in Libya, analyzing their implications and the interpretations that framed them as a victory for the liberal bloc (the National Forces Alliance) over the Islamist faction (the Justice and Construction Party and its allies). The paper reveals that this interpretation lacks accuracy, highlighting that a significant number of winning independent candidates were affiliated with Islamist movements. It also argues that Islamists later succeeded in consolidating their control within the GNC, leveraging their alliances to pass laws that excluded their political opponents. These elections marked a turning point in Libya after the overthrow of Gaddafi, representing the country's first democratic experiment in building a new political system despite the challenges inherited from the previous era. The paper examines the electoral system, key competitors, election results, and internal conflicts within the GNC, concluding that Islamist dominance after 2012 challenges the idea of a liberal victory.

Keywords: Libya, The 2012 General National Congress Election, The National Forces Alliance, The Justice and Construction Party.

* زائر مبتدئ، مجلس الشرق الأوسط للشؤون الدولية، قطر.
Junior Visiting Fellow, Middle East Council on Global Affairs, Qatar.
Email: Abenmusa@mecouncil.org

مقدمة

عقب سقوط نظام معمّر القذافي (1969-2011)، نتيجة انتفاضة شعبية اندلعت في شباط/ فبراير 2011، وتحوّلت سريعًا إلى تمرد مسلّح مدعوم بغارات جوية لحلف شمال الأطلسي "الناتو"، أدّت إلى انهيار أركانه كليًّا، في تشرين الأول/ أكتوبر 2011؛ بدت ليبيا كأنها تدخل في مرحلة الانتقال نحو نظام ديمقراطي، برز أول ملامحه مع الإعلان الدستوري الصادر عن المجلس الوطني الانتقالي في آب/ أغسطس 2011 الذي أعقب تأسيس المجلس الوطني الانتقالي في شباط/ فبراير 2011 بناء على التوافق بين المجالس البلدية في المناطق "المحررة" من حكم القذافي، برئاسة وزير العدل السابق مصطفى عبد الجليل[1]. حددت المادة 30 من الإعلان الدستوري ما يمكن اعتباره خريطة الطريق السياسية التي من المفترض أن تصل بالبلاد إلى عقد انتخابات عامة، وصياغة دستور جديد، حيث نصّت هذه المادة على: أنه "بعد إعلان التحرير، ينتقل المجلس الوطني الانتقالي المؤقت إلى مركزه الرئيسي بطرابلس، ويشكل حكومة انتقالية خلال مدة أقصاها ثلاثون يومًا، وخلال مدة لا تتجاوز تسعين يومًا من إعلان التحرير، يقوم المجلس بالآتي: أولًا، إصدار قانون خاص بانتخاب المؤتمر الوطني العام. ثانيًا، تعيين المفوضية الوطنية العليا للانتخابات. ثالثًا، الدعوة إلى انتخاب المؤتمر الوطني العام"[2].

عانى المجلس الانتقالي الضعف والتخبّط الإداري لطبيعة الظروف التي نشأ فيها، والضغوط المتواصلة التي تمارسها عليه التشكيلات الثورية المسلّحة والقوى الاجتماعية المحلية المختلفة[3]؛ ما دفعه إلى تعديل الإعلان الدستوري مرات عدة. من أبرز تلك التعديلات: أولًا، تعديل 13 آذار/ مارس 2012[4]، الذي تم بموجبه إنشاء لجنة مستقلة، تتألف من ستين عضوًا، لصياغة الدستور، بدلًا من تعيينها بوساطة المجلس التأسيسي الذي كان سيشكله المؤتمر الوطني العام بعد انتخابه. ثانيًا، قيام المجلس الانتقالي، تحت ضغوط بعض القوى السياسية والاجتماعية في شرق البلاد المؤيدة لقيام نظام فدرالي - هذه القوى التي هدّدت بالاستقلال أو الإعلان عن حكم ذاتي - بتعديل دستوري آخر في 5 تموز/ يوليو 2012[5]، قُسّمت فيه المقاعد المخصّصة للجنة صياغة الدستور بالتساوي بين الأقاليم الليبية التاريخية الثلاثة (طرابلس، وبرقة، وفزّان)[6]. كما اشترط التعديل الجديد انتخاب اللجنة بالاقتراع المباشر، بدلًا من أن ينصّبها المؤتمر الوطني العام، كما كان مُقررًا.

على الرغم من كل هذه الصعوبات، فإن السلطات الانتقالية نجحت في تهيئة الأجواء اللازمة لتنظيم ليبيا، أول مرة في تاريخها الحديث، انتخابات وُصفت بالحرة والنزيهة[7]، لاختيار أعضاء المؤتمر الوطني العام، وذلك في 7 تموز/ يوليو 2012، بعد انقطاع دام نصف قرن تقريبًا[8]، حتى وإن تخلّلت مرحلة ما قبل الانتخابات بعض المشكلات الأمنية والمناكفات السياسية. أسفرت نتائج انتخابات المؤتمر الوطني العام عن جسم سياسي مُشكّل من عدد من الأطراف السياسية المختلفة، ضمّت كلًّا من تحالف القوى الوطنية بقيادة محمود جبريل[9]، الفائز بغالبية المقاعد المتاحة للكيانات السياسية (39 مقعدًا من أصل 80)، يليه حزب العدالة والبناء (الذراع السياسية لجماعة الإخوان المسلمين الليبية بـ 17 مقعدًا)، فمجموعة من

1 Ali Abdullatif Ahmida, "The Libyan National Transitional Council: Social Bases, Membership and Political Trends," *Reports*, Al Jazeera Center for Studies, 30/10/2011, pp. 4-5, accessed on 23/6/2023, at: https://tinyurl.com/yrpha5z9

2 المجلس الوطني الانتقالي المؤقت، "الإعلان الدستوري"، **الجريدة الرسمية**، 2011/8/3، شوهد في 2023/10/20، في: https://rb.gy/o25cmw

3 Melissa Salyk-Virk, "Airstrikes, Proxy Warfare, and Civilian Casualties in Libya," *New America* (2020), p. 18.

4 المجلس الوطني الانتقالي المؤقت، "التعديل الدستوري رقم (1) لسنة 2012 بشأن تعديل بعض فقرات المادة (30) من الإعلان الدستوري"، 2012/3/13، شوهد في 2023/10/21، في: https://bit.ly/3MapubO

5 المجلس الوطني الانتقالي المؤقت، "التعديل الدستوري رقم (3) لسنة 2012م"، 2012/7/5، شوهد في 2023/10/21، في: https://bit.ly/402uNzT

6 تتألف ليبيا من ثلاث مناطق تاريخية - طرابلس في الشمال الغربي، وبرقة في الشرق، وفزّان في الجنوب الغربي. اعترفت السلطات العثمانية بها مقاطعات منفصلة. جرى توحيدها تحت الحكم الإيطالي، لتشكل مستعمرة واحدة؛ ما أفسح المجال لتشكيل ليبيا المستقلة دولةً موحدة بعد انتصار قوات الحلفاء وطرد إيطاليا.

7 ينظر:

European Union Election Assessment Team in Libya, *Final Report: General National Congress Election – 2012* (7/7/2012), accessed on 22/10/2023, at: https://shorturl.at/aowZ6

8 للمزيد حول تاريخ الانتخابات في ليبيا، ينظر: عابدين الدردير الشريف وراضية محمد المعداني، **تاريخ الانتخابات في ليبيا 1877-2014م** (طرابلس، ليبيا: الهيئة العامة للثقافة، 2019). تجدر الإشارة هنا إلى أن آخر انتخابات رسمية أُجريت في ليبيا، كانت الانتخابات العامة المبكرة في 8 أيار/ مايو 1965، بعد أن حَل الملك إدريس الأول البرلمان السابق المنتخب في عام 1964. وعُرف عن العملية الانتخابية في فترة المملكة السنوسية (1951-1969) افتقارها إلى النزاهة والشفافية. ينظر أيضًا:

Dieter Nohlen, Michael Krennerich & Bernhard Thibaut, *Elections in Africa: A Data Handbook* (Oxford: Oxford University Press, 1999), pp. 523-531.

9 محمود جبريل (1952-2020)، سياسي ليبي معارض، كان عضوًا في المجلس الوطني الانتقالي لإسقاط نظام القذافي منذ 5 آذار/ مارس 2011، شغل منصب أمين مجلس التخطيط الوطني ومدير مجلس التطوير الاقتصادي في عهد القذافي. بعد أحداث عام 2011 أنشأ تنظيمًا سياسيًا عُرف بتحالف القوى الوطنية. وشغل منصب رئيس وزراء ليبيا (5 آذار/ مارس 2011 – 23 تشرين الأول/ أكتوبر 2011).

الأحزاب الصغيرة، بتوجهات متعدّدة (24 مقعدًا)، في حين فاز 120 عضوًا بالمقاعد المخصّصة للمستقلين[10].

تحوّل المؤتمر الوطني العام، الوليد، بسرعة إلى ساحة للاستقطاب السياسي الحاد الذي وصل إلى ذروتـه، بعد صدور قانون العزل السياسي، في أيار/ مايو 2013، الذي كان يهدف إلى حظر النشاط السياسي للأشخاص الذين شغلوا مناصب مدنية أو عسكرية بارزة في النظام السابق[11]. اعتُبر هذا القانون نقطة سلبية في مسار عملية الانتقال الديمقراطي في ليبيا، وعودة إلى الدكتاتورية باسم الثورة، علاوة على أن تطبيقه يعني عمليًا إفراغ البلاد من عدد معتبر من خبراتها وكفاءاتها. وبحلول عام 2014، أخذ المشهد السياسي الليبي ينهار شيئًا فشيئًا، خاصة بعد إعلان المؤتمر الوطني تمديد ولايته المنتهية في شباط/ فبراير 2014، ورفضه الاعتراف بشرعية مجلس النواب المُنتخب في 25 حزيران/ يونيو من العام نفسه، بعدما جاءت نتيجة انتخاباته "ظاهريًا" في غير مصلحة التيار الإسلامي وحلفائه الذين باتوا يسيطرون بصفة شبه كلية على المؤتمر الوطني العام[12]. فكيف تحوّل المؤتمر الوطني العام، الذي قيل عنه إن الليبراليين فازوا في انتخاباته، إلى سيطرة التيار الإسلامي؟ وهل حقًا التيار الليبرالي هو الذي فاز أصلًا في انتخابات المؤتمر الوطني في عام 2012؟

من هذا المنطلق، تعود هذه الدراسة إلى التأويلات التي تبنّاها بعض المراقبين والمحللين السياسيين لنتائج انتخابات المؤتمر الوطني العام الليبي في عام 2012، باعتبارها انتصارًا واضحًا للتيار الذي وصف بالليبرالي (ممثلًا في تحالف القوى الوطنية) على التيار الإسلامي (بقيادة حزب العدالة والبناء وحلفائه من السلفيين) لتجادل في صحتها، حيث نحاج في هذا البحث بأن تأويل نتائج انتخابات المؤتمر الوطني، باعتبارها انتصارًا لليبراليين على الإسلاميين، أمر تعوزه الدقة لأسباب عدة، أبرزها: أولًا، إن عدم فوز التيارات الإسلامية بغالبية المقاعد في القوائم الحزبية لا يعني أن تيارات ليبرالية أو علمانية، بالمعنى الأيديولوجي - السياسي هي التي فازت بها؛ إذ تجوهلت حقيقة أن العدد الأكبر من المرشحين "المستقلين"، الفائزين (120 من أصل 212) في المقاعد الفردية، قد ارتبط بالتيارات الإسلامية في فترة ما قبل الانتخابات، أو تمت استمالته لاحقًا في الكتل البرلمانية التابعة للإسلاميين. وهو ما جعل من إجمالي المقاعد التي حصلت عليها التيارات الإسلامية وحلفاؤها مساويةً لعدد المقاعد التي فاز بها تحالف القوى الوطنية والمستقلون المرتبطون به، إن لم تزد عليها. ثانيًا، إذا كان الليبراليون هم حقًا من فازوا في الانتخابات، فكيف يمكن تفسير تمكّن الإسلاميين من تمرير القوانين التي صبّت على نحوٍ صريح في مصلحة إقصاء قيادات تحالف القوى الوطنية من العملية السياسية (كالقرار رقم 7 وقانون العزل السياسي)، وتقويض أهداف التحالف داخل المؤتمر.

لتحقيق هذا الهدف، ستُهيكل هذه الدراسة في أربعة مباحث. يبحث الأول في الفترة التمهيدية لانتخابات المؤتمر الوطني العام التي أُجريت في تموز/ يوليو 2012، بالوقوف على طبيعة النظام الانتخابي الذي أُجريت وفقه والحيثيات التي أحاطت باعتماد الحكومة الانتقالية نظامًا انتخابيًا مزدوجًا. في حين يُعرّف المبحث الثاني بالأطراف الأساسية للتنافس الانتخابي التي ستتمكن من الفوز بمقاعد داخل المؤتمر الوطني العام، خصوصًا من حيث تركيبتها وخلفيتها الاجتماعية والأيديولوجية وطبيعة علاقتها بالنظام السابق. أما المبحث الثالث، فسيعرض نتائج الانتخابات، ويجادل في صحة التأويلات التي دفعت بفوز من وُصفوا بـ "الليبراليين"، بالوقوف على فئة المستقلين التي أحرزت غالبية مقاعد المؤتمر الوطني؛ هذه الفئة التي سنُبيّن أن نسبة كبيرة منها محسوبة على التيارات الإسلامية. وسيُفصّل المبحث الرابع القول في ديناميات الصراع داخل المؤتمر الوطني، وكيفية تمكُّن التيار الإسلامي وحلفائه من الهيمنة على المؤتمر الوطني العام بحلول عام 2014؛ مما يسائل أطروحة فوز التيار الليبرالي في الانتخابات الليبية في عام 2012.

أولًا: التمهيد لانتخابات المؤتمر الوطني العام

جاءت انتخابات المؤتمر الوطني العام، في 7 تموز/ يوليو 2012، جزءًا من الإعلان الدستوري الذي أعلنه المجلس الوطني الانتقالي في آب/ أغسطس 2011، الذي أُضيفت إليه لاحقًا ثلاثة تعديلات دستورية، يتعلّق معظمها بانتخابات المؤتمر الوطني العام، حيث نقل التعديل الأول، الصادر في 3 آذار/ مارس 2012، صلاحية التصديق على نتائج الانتخابات من المؤتمر الوطني إلى المفوضية الوطنية العليا

---

10 على الرغم من غياب محتوى أيديولوجي واضح لدى تحالف القوى الوطنية الموصوف بالليبرالي تارةً، وبالقومي تارةً أخرى، فإن الخلفية الأيديولوجية تبدو أكثر وضوحًا بالنسبة إلى التيار الإسلامي الذي يقوده حزب العدالة والبناء وحلفاؤه من السلفيين، والشخصيات الدينية الأخرى. ينظر:
Karim Mezran, Fadel Lamen & Eric Knecht, "Post-revolutionary Politics in Libya: Inside the General National Congress," Atlantic Council, 21/5/2013, p. 1.

11 وُسِّعَ الحظر لاحقًا ليشمل أي فرد حصل على عضوية منظّمة أو عمِل ضمن المؤسسات الرسمية في عهد القذّافي.

12 نتج من هذا الوضع أزمة شرعية، تحوّلت إلى حرب أهلية شاملة وانقسام سياسي وإداري على مستوى الدولة الليبية ككل، حيث ظهر برلمانان وحكومتان متوازيتان، إحداهما في طبرق، شرق ليبيا، والأخرى في العاصمة طرابلس، لكل منهما أذرعها العسكرية وحلفاؤها الخارجيون.

للانتخابات[13]. في حين حدّد التعديل الثاني، الصادر في 10 حزيران/ يونيو 2012، موعد الانتخابات، لتُعقد بعد 270 يومًا من إعلان "التحرير"، بعد أن كان من المفترض أن تُعقد بعد 240 يومًا. ثمّ قام المجلس الانتقالي بالتعديل الثالث، في 5 تموز/ يوليو 2012، الذي قام على إلغاء قراره (المجلس) المرتبط بمنح المؤتمر الوطني الحق في تعيين أعضاء الهيئة التأسيسية لصياغة الدستور واستبدله باختيار أعضاء هذه الهيئة عن طريق الاقتراع المباشر من المواطنين، حيث أصبح دور المؤتمر مقتصرًا على تحديد معايير انتخابات الهيئة وضوابطها[14].

تأثرت أجواء ما قبل الانتخابات بنوع التغيير الذي شهدته ليبيا بعد سقوط نظام القذافي؛ إذ أُعيد تشكيل الخريطة السياسية بطريقة راديكالية صبّت في مصلحة العديد من القوى المحلّية اللامركزية (المجالس المحلّية المناطقية والميليشيات المسلّحة بانتماءاتها المختلفة، بما فيها الجماعات الجهادية، والتيارات الفدرالية) التي شُكّلت خلال الحرب ضد القذافي، ثم تحوّلت، بالتدرّج، إلى قوى تُطالب علنًا بحصة من الريع، وتسعى لاختبار قدرتها على إرباك المشهد السياسي، بما يضمن مصالحها المادية، في ظل وجود سلطة مركزية انتقالية ضعيفة ومتّبعة سياسة التهدئة مع مختلف الأطراف؛ ما عرقل مسار العملية السياسية وأعاق إعادة بناء مؤسسات الدولة[15].

تجلّت سياسة التهدئة التي اتّبعها المجلس الوطني الانتقالي، نتيجة الضغط الممارس عليه، في تعديلاته المتكرّرة للنظام الانتخابي المُقترح لانتخاب المؤتمر الوطني العام. فعلى سبيل المثال، قرّر المجلس بعد انتقاد بعض التيارات الإسلامية للكوتا النسائية، إلغاء مقترحه المتعلّق بتخصيص 10 في المئة من المقاعد للنساء في المؤتمر الوطني، على أن تضم القوائم الحزبية مرشّحين من النساء والرجال بالتناوب[16]. كذلك، أصبحت مسألة المقاعد المخصصة للمستقلين والقوائم الحزبية موضعَ إرباكٍ بالنسبة إلى المجلس الانتقالي؛ حيث يفيد جيسون باك وهيلي كوك أن جماعة الإخوان المسلمين الليبية فضّلت زيادة عدد المقاعد المخصّصة للأحزاب، اعتقادًا منها أنها قادرة على تعظيم فرصها بالفوز بأكبر عدد ممكن من المقاعد عن طريق القوائم الحزبية، في حين اعتبرت الأطراف المناوئة للإسلاميين أن تخصيص العدد الأكبر من المقاعد للأحزاب يعني فوز الإسلاميين في الانتخابات المقبلة[17]. في هذا الصدد، حذّر أعضاء اثني عشر حزبًا من ذوي الميول الإسلامية، اجتمعوا في ما عُرف بمنتدى الأحزاب الوطنية، من أنه في حال خُصّصت نسبة قليلة من المقاعد للأحزاب، فإن غالبية المقاعد ستذهب إلى مرشّحين من خلفيات قبلية. ومن ثمّ، سيُهيمن مرشحو القبائل الأكبر على كل المقاعد في المؤتمر الوطني العام. وأصدر أعضاء هذه الأحزاب (من ذوي الميول الإسلامية) بيانًا ختاميًا، أعلنوا فيه أن "النظام الانتخابي المقترح لا يؤدّي إلى تمثيل حقيقي لقطاعات المجتمع كافة، بل سينتج منه تمثيل تطغى عليه الاعتبارات القبلية وتأثير أصحاب المال"[18].

يمكن فهم تأييد غالبية تيارات الإسلام السياسي الليبية لزيادة عدد المقاعد المخصّصة للأحـزاب، ومعارضتها سنّ سياسات انتخابية تعتبرها داعمة للقوى القبلية أو الجهوية أو الإثنية، لسببين: أولًا، أيديولوجي - هوياتي، متعلّق بالتأكيد على وحدة "الأمـة" التي ينبغي لها أن تكون عابرة للانتماءات القبلية والجهوية والإثنية[19]؛ ثانيًا، وظيفي، اعتقدت من خلاله التيارات الإسلامية أنها، بقدراتها التنظيمية وخطابها، ستتمكّن من تعبئة الشارع الليبي وحشده ليصوّت لها في الانتخابات؛ نظرًا إلى المكانة التي يحظى بها الإسلام بين الليبيين. في المقابل، اعتبرت الأطراف المتخوّفة من فوز حركات الإسلام السياسي، التي لم تكن قد شكّلت كيانات حزبية أو هيئات سياسية منظّمة بعد، أن من شأن تخصيص غالبية المقاعد للقوائم الحزبية أن يؤدي إلى سيطرة إسلامية محتملة على أجهزة النظام السياسي الجديد في ليبيا[20].

من هنا، ظل هذا التنافس المحتدم بين الإسلاميين وخصومهم قائمًا، ووصلت سياسة التهدئة التي اتّبعها المجلس الوطني الانتقالي، استجابة لضغوط القوى المحلّية اللامركزية وبعض التشكيلات الثورية المسلّحة التي باتت تتهم علانية قيادات المجلس بالتآمر على "الثورة" وتهميش "الثوار" ومدنهم، إلى حد إصدار المجلس، في نيسان/ أبريل

13 ينظر: المجلس الوطني الانتقالي المؤقت، "التعديل الدستوري رقم (1) لسنة 2012 بشأن تعديل بعض فقرات المادة (30) من الإعلان الدستوري"، 2012/3/13، شوهد في 2024/8/18، في: https://bit.ly/3xGfKSy

14 لمزيد من التفاصيل حول الأطر القانونية لانتخاب المؤتمر الوطني العام، ينظر: خيري عمر، "النظام الانتخابي وأزمات المرحلة الانتقالية في ليبيا"، في: **ليبيا: تحديات الانتقال الديمقراطي وأزمة بناء الدولة**، أحمد قاسم حسين (محرر) (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2022)، ص 87-90.

15 Jason Pack, Karim Mezran & Mohamed Eljarh, "Libya's Faustian Bargains: Breaking the Appeasement Cycle," Atlantic Council (May 2014), pp. 18-19.

16 "Libya's NTC Adopts Election Law, Drops Women Quota," *Alarabiya News*, 28/1/2012, accessed on 21/10/2023, at: https://bit.ly/3tJ3K0B

17 Jason Pack & Haley Cook, "The July 2012 Libyan Election and the Origin of Post-Qadhafi Appeasement," *Middle East Journal*, vol. 69, no. 2 (Spring 2015), p. 183.

18 Taha Zargoun & Oliver Holmes, "Libyan Parties Reject Draft Election Law," *Reuters*, 15/1/2022, accessed on 21/10/2023, at: https://reut.rs/45Ipc35

19 Pack & Cook, p. 183.

20 Youssef Mohammed Sawani, "Dynamics of Continuity and Change," in: Jason Pack (ed.), *The 2011 Libyan Uprisings and the Struggle for the Post Qadhafi Future* (New York: Palgrave Macmillan, 2013), p. 65.

2012، قانونًا شكّل بموجبه ما يُعرف بهيئة النزاهة. والغرض منه هو منع مسؤولي النظام السابق من الترشّح للانتخابات[21]، أُضيف إليهم أعضاء المجلس الانتقالي نفسه، وأعضاء مكتبه التنفيذي ورؤساء المجالس المحلية، وأعضاء المفوضية الوطنية العليا للانتخابات وموظفوها في الدوائر الانتخابية المختلفة.

بعد فترة وجيزة، بدأت هيئة النزاهة بممارسة سلطتها، وطُرد وكيل وزارة الصحة السابق عادل أبو شوفة وسفير ليبيا في روما سابقًا، عبد الحفيظ قدّور، من منصبيهما. وأُقيلَ المهدي صالح الجربي (عضو البعثة الليبية في الأمم المتحدة). ولم يمض الكثير من الوقت، حتى وجّهت الهيئة أنظارها صوب المجلس الانتقالي نفسه، وأقالت عددًا من أعضائه (عبد القادر المنساز ممثل مدينة الخمس، وإبراهيم الحضيري العضو عن مدينة سبها، ومحمد رمضان سيدي ممثل غات، وعلي توفيق الشتوي عن طرابلس الكبرى)[22]. ويقدّر عدد الذين استبعدتهم الهيئة من الترشّح لانتخابات المؤتمر الوطني العام بنحو 300 شخص[23].

في ظل استمرار سياسة التهدئة (أو المهادنة) المتّبعة من المجلس الانتقالي، أُعلن في 6 تموز/ يوليو 2012، عن تعديل دستوري جديد للمادة 30[24]، بسبب مخاوف من إفشال العملية الانتخابية برمّتها، بعد أن حاولت بعض الأطراف المحسوبة على القوى الفدرالية، في شرق البلاد[25]، وقف العملية الانتخابية بتخريبها عددًا من المكاتب الانتخابية في مدينتَي طبرق وبنغازي[26]، كما أُحرقت مستودعات تضم بعض المواد اللوجستية والتجهيزات الخاصة بصناديق الاقتراع في مدينة إجدابيا[27]، إضافة إلى إغلاق مسلّحين تابعين لمجلس إقليم برقة خمسة صمّامات نفطية[28]. وعلى الرغم من تجاهل المجلس الانتقالي في السابق مطالب القوى الفدرالية، في خصوص توزيع مقاعد المؤتمر الوطني العام بالتساوي بين أقاليم ليبيا الثلاثة في البداية، فإن حرصه على إنجاح العملية الانتخابية دفعه، في النهاية، إلى تعديل الإعلان الدستوري[29] والحفاظ على سلامة العملية الانتخابية التي لم تتجاوز نسبة الخروق فيها داخل مراكز الاقتراع الـ 6 في المئة، من أصل 1500 مركز انتخابي[30].

قُسّمت المقاعد الانتخابية: أولًا، استنادًا إلى التعداد السكاني لليبيا في عام 2006، حيث بلغ عددهم 5.3 ملايين نسمة، بحيث يكون لكل 27000 مواطن مقعدٌ واحدٌ؛ ثانيًا، بحسب التوزيع الجغرافي وفقًا لأربع مناطق، حصلت بموجبها المنطقة الغربية على 100 مقعد، والشرقية 60، والجنوبية 31، والوسطى 9[31]، ثم قُسّمت الدوائر الانتخابية في تلك المناطق ليصل مجمل عددها إلى 13 دائرة

21 تضمّنت القائمة: أعضاء أو قادة الحرس الثوري وأعضاء اللجان الثورية ورؤساء الاتحادات الطلابية بعد عام 1976، وأولئك الذين اشتهروا بتمجيد نظام القذافي أو أفكار **الكتاب الأخضر**، سواء عبر وسائل الإعلام المختلفة أم في الخطب العامة، والذين اتخذوا موقفًا معاديًا لثورة 17 فبراير 2011، إما عن طريق التحريض أو المساعدة أو التواطؤ، والذين دينوا أيضًا بالفساد أو نهب المال العام، والذين شاركوا بأي صفة في سجن الليبيين وتعذيبهم، وارتكبوا أو شاركوا في أعمال عدائية ضد الليبيين المعارضين، سواء في خارج ليبيا أم في داخلها، واستولوا على الممتلكات الخاصة للمواطنين أو شاركوا في الاستيلاء عليها، والذين تراكمت ثرواتهم في ليبيا أو في الخارج بطرائق غير مشروعة، كذلك من كان لديهم تعاملات تجارية مع أبناء القذافي أو المقرّبين منه، وتقلّدوا سابقًا مناصب قيادية مرتبطة مباشرة بأبناء القذافي ومؤسساتهم، والذين تلقوا جوائز أو أموالًا من النظام السابق بطرائق غير مشروعة، وأخيرًا من حصل على درجة أكاديمية في مواضيع مرتبطة بـ**الكتاب الأخضر**، إضافة إلى أعضاء مجلس قيادة الثورة والضباط الوحدويين الأحرار. ينظر: المجلس الوطني الانتقالي، "قانون رقم (26) لسنة 2012م بشأن الهيئة العليا لتطبيق معايير النزاهة والوطنية"، 2012/4/4، شوهد في 2023/10/21، في: https://bit.ly/490s0LI

22 أليسون بارغيتر، "الأصلاء والدخلاء في ليبيا الجديدة"، **سياسات عربية**، مج 2، العدد 11 (تشرين الثاني/ نوفمبر 2014)، ص 30.

23 Wolfram Lacher, *Libya's Fragmentation Structure and Process in Violent Conflict* (London: I. B. Tauris, 2020), p. 28.

24 تم في هذا التعديل كما ذكرنا سابقًا، تقسيم عدد المقاعد بالتساوي بين الأقاليم الليبية المعروفة تاريخيًا (طرابلس، وبرقة، وفزّان) داخل الهيئة التأسيسية لصياغة الدستور، حيث خُصّص 20 مقعدًا لكل إقليم، كذلك تضمّن التعديل أن تكون الهيئة منتخبة مباشرة من الشعب، بدلًا من تعيينها من المؤتمر الوطني المزمع انتخابه.

25 عانت منطقة شرق ليبيا المعروفة تاريخيًا بإقليم برقة، على الرغم من أنها تحتوي على أهم موانئ تصدير النفط في البلاد، التهميش والإهمال في ظل نظام القذافي (شأنها شأن العديد من المدن والمناطق الليبية الأخرى)، لكنها تميّزت بكونها المنطقة التي مثّلت شرارة الانتفاضة عليه في عام 2011. في 6 آذار/ مارس 2012، أعلنت مجموعة من القوى الاجتماعية (غالبيتهم من كبار السن، من أعيان القبائل الريفية وبعض التشكيلات المسلحة في المنطقة) الحكم الذاتي للإقليم، مع الإعلان عن تأسيس مجلس برقة الإقليمي الانتقالي، باعتبارها مقاطعة تمتّعت بالحكم الذاتي إلى حد بعيد في الفترة 1951-1963، عندما كانت ليبيا تُحكم كملكية فدرالية. ينظر:
Issam Fetouri, "Libyan Leader Says Autonomy Call a Foreign Plot," *Reuters*, 6/3/2012, accessed on 22/10/2023, at: https://reut.rs/408kWbL

26 George Grant, "Pro-Federalist Protesters Storm Election Offices in Tobruk and Benghazi," *Libya Herald*, 1/7/2012, accessed on 22/10/2023, at: https://bit.ly/3Scxkpc

27 "Libya Election Materials Destroyed in Ajdabiya Fire," *BBC News*, 5/7/2012, accessed on 22/10/2023, at: https://bbc.in/3MbIYNe

28 Jay Deshmukh, "Gunmen Close Five Libya Oil Terminals ahead of Vote," *Modern Ghana*, 5/7/2012, accessed on 22/10/2023, at: https://bit.ly/3S9TN6v

29 تم في هذا التعديل تقسيم عدد المقاعد بالتساوي بين الأقاليم الليبية التاريخية (طرابس، وبرقة، وفزّان) لانتخاب الهيئة التأسيسية لصياغة الدستور، حيث خصّص 20 مقعدًا لكل إقليم، بغض النظر عن تعداد السكان غير المتوازن بين الأقاليم الثلاثة، وذلك على عكس توزيع مقاعد المؤتمر الوطني العام الذي أعطى المنطقة الغربية أكبر عدد من المقاعد بسبب احتوائها على النسبة الأكبر من السكان، كذلك تضمّن التعديل أن تكون الهيئة منتخبة مباشرة من الشعب، بدلًا من تعيينها من المؤتمر الوطني المزمع انتخابه.

30 مصطفى عمر التير، **الثورة الليبية: مساهمة في تحليل جذور الصراع وتداعياته** (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2020)، ص 386.

31 "انتخابات المؤتمر الوطني في ليبيا: بين تجاذبات النّخب والديناميّة المجتمعيّة"، **تقدير موقف**، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات (حزيران/ يونيو 2012)، ص 5-6، شوهد في 2024/8/18، في: https://bit.ly/46SpSUA

انتخابية[32]. وفي حين بدا أن المنطقة الغربية قد استحوذت على أكثر من نصف مقاعد المؤتمر الوطني، فإن قيمة ذلك قلّت عمليًا بالتعديل الدستوري الصادر عن المجلس الانتقالي في 13 آذار/ مارس 2012، الذي جعل من قرارات المؤتمر لا تُقرّ إلّا بموافقة ثلثي أعضائه[33].

أما في ما يتعلّق بالنظام الانتخابي، فقد اعتُمد النظام الانتخابي المختلط Mixed Electoral System الذي يتضمن نظامَي الغالبية والتمثيل النسبي لانتخاب 200 عضو في المؤتمر الوطني. فبالنسبة إلى المقاعد المخصصة للأفراد المستقلين، اعتُمد نظام الغالبية، على أن يكون النظام المتّبع هو نظام الفائز الأول للدوائر الفردية (أي سيكون الفائز في المقعد هو المرشّح الذي يحصل على أكبر عدد من الأصوات) وفي حالة وجود دوائر انتخابية تحتوي على أكثر من مقعد واحد، يتم اعتماد نظام الصوت الواحد غير القابل للنقل Singlenon Transferable Vote، وفي حالة تساوي عدد أصوات مرشحين أو أكثر، تُجرى عملية قرعة بينهم. في حين انتُخب المرشحون للكيانات السياسية على أساس نظام التمثيل النسبي في قوائم انتخابية مغلقة، تُقدّمها الكيانات السياسية في الدوائر الانتخابية المخصصة لذلك[34]. وقد بلغ إجمالي عدد المرشّحين لانتخابات المؤتمر الوطني 3708 مرشّحين: 1207 للكيانات، و2501 للأفراد[35].

انعكس نظام الغالبية المُخصّص للترشيحات الفردية في أمرين مهمين: أولًا، التفاوت الشاسع بين المرشحين الفائزين في عدد الأصوات الحاصلين عليها، ففي الوقت الذي حصل أقل مرشّح فائز على 276 صوتًا في دائرة تازربو[36]، احتاج مرشح فائز آخر إلى 40207 أصوات في دائرة بنغازي للفوز بمقعده. ثانيًا، حصول غالبية المرشحين الفائزين على نسب أقل من 20 في المئة من إجمالي عدد الأصوات المُعبّر عنها[37]. عزّز النظام الانتخابي المعتمد أيضًا هيمنة الطابع المحلّي والشخصي على العملية السياسية، بالنسبة إلى المرشحين المستقلين الفائزين بالعدد الأكبر من مقاعد المؤتمر الوطني العام (120 مقعدًا)، وحتى بالنسبة إلى الكيانات السياسية الصغيرة، خصوصًا الأحزاب التي فازت بمقعد واحد (ينظر الجدول 2)، حيث فازت غالبيتها بذلك المقعد في المناطق الريفية المهمشة لخدمة برامج محلّية تتعلّق بوعود تحقيق التنمية وتحسين الخدمات؛ ما نتج منه أنه باستثناء الأعضاء المستقلين المتحالفين، أو المرتبطين بأحد الكيانات السياسية الكبرى قبل الانتخابات، أصبح الأعضاء الباقون عرضة للتنازع بين الأطراف السياسية المتصارعة على السلطة داخل المؤتمر الوطني العام، منذ الإعلان عن نتائج انتخابه في 7 تموز/ يوليو 2012.

ثانيًا: أطراف الصراع داخل المؤتمر الوطني العام

يهدف هذ المبحث إلى تسليط الضوء على أهم الكيانات السياسية التي تنافست على دخول المؤتمر الوطني العام في انتخابات تموز/ يوليو 2012، ومن أبرزها تحالف القوى الوطنية والتيارات الإسلامية على اختلافها (حزب العدالة والبناء - الذراع السياسية للإخوان المسلمين في ليبيا، والسلفيون على اختلاف مجموعاتهم، إضافة إلى عدد من القيادات السياسية الثورية والدينية الأخرى).

1. تحالف القوى الوطنية

نشأ تحالف القوى الوطنية بصفته تحالفًا انتخابيًا، ولم يُبنَ على أي حركة سياسية سابقة. وتشبه بنيتُه الائتلافَ الموسّع أكثر مما تشبه الحزب السياسي؛ إذ ضم في صفوفه قرابة الـ 44 تنظيمًا سياسيًا، ونحو

32 هنالك تضارب بين النتائج التي أعلنتها المفوضية الوطنية العليا للانتخابات، والعدد الفعلي لأعضاء المؤتمر الوطني العام، حيث تشير النتائج، كما أعلنتها المفوضية، إلى فوز 212 مترشّحًا، على الرغم من كون عدد أعضاء المؤتمر الوطني يجب ألّا يتجاوز الـ 200، بحسب قانون انتخابات المؤتمر الوطني العام الذي أقرّه المجلس الوطني الانتقالي. وبحسب النتائج المعلنة، فإن توزيع الدوائر الانتخابية هو كالتالي: بالنسبة إلى الكيانات السياسية: المنطقة الغربية (37)، الشرقية (24)، الوسطى (4)، الجنوبية(17)؛ أما بالنسبة إلى الأفراد: المنطقة الغربية (67)، الشرقية (38)، الوسطى (5)، الجنوبية (20). ينظر: المفوضية الوطنية العليا للانتخابات، الإدارة المركزية للانتخابات، "نتائج الكيانات السياسية لانتخابات المؤتمر الوطني العام 2012"، شوهد في 2023/10/23، في: https://bit.ly/3FtC8io؛ المفوضية الوطنية العليا للانتخابات، الإدارة المركزية للانتخابات، "نتائج المرشحين الأفراد لانتخابات المؤتمر الوطني العام 2012" (2012)، شوهد في 2023/10/23، في: https://bit.ly/3Mb4VMx؛ للمزيد حول تفاصيل الدوائر الانتخابية، بما فيها عدد الناخبين وعدد المقاعد المخصصة لكل دائرة، ينظر: عمر، ص 105-106.

33 "انتخابات المؤتمر الوطني في ليبيا: بين تجاذبات النّخب والديناميّة المجتمعيّة"، ص 6.

34 المجلس الوطني الانتقالي، "قانون رقم (4) لسنة 2012 ميلادي بشأن انتخاب المؤتمر الوطني العام"، 2012/1/28، شوهد في 2023/10/23، في: https://bit.ly/492zuxH
أما بالنسبة إلى توزيع المقاعد، فيتم بحسب الخطوات التالية: أولًا، يحدد المتوسط الانتخابي لكل دائرة انتخابية بتقسيم العدد الكلي للأصوات الصحيحة للدائرة الانتخابية على المجموع الكلي للمقاعد المخصصة لتلك الدائرة. ثانيًا، يقسم المجموع الكلي لأصوات الكيان السياسي في تلك الدائرة على المتوسط الانتخابي. ويجب توزيع عدد المقاعد على الكيانات السياسية وفقًا للأعداد الصحيحة لناتج القسمة. ثالثًا، في حالة بقيت مقاعد في الدائرة الانتخابية، يتم توزيعها على أساس أكبر البواقي. رابعًا، في القوائم الفائزة، يتم تخصيص المقاعد بحسب الترتيب التنازلي. خامسًا، بعد تخصيص المقاعد، تعتبر هذه المقاعد للكيانات السياسية وليست للمرشحين.

35 المفوضية الوطنية العليا للانتخابات، الإدارة المركزية للانتخابات، "نتائج الكيانات السياسية لانتخابات المؤتمر الوطني العام 2012"؛ المفوضية الوطنية العليا للانتخابات، الإدارة المركزية للانتخابات، "نتائج المرشحين الأفراد لانتخابات المؤتمر الوطني العام 2012".

36 مدينة صغيرة تقع في إحدى واحات جنوب شرق ليبيا.

37 عمر، ص 114؛ بعد التحقّق من بيانات المفوضية الوطنية العليا للانتخابات، الإدارة المركزية للانتخابات، "نتائج الكيانات السياسية لانتخابات المؤتمر الوطني العام 2012"؛ المفوضية الوطنية العليا للانتخابات، الإدارة المركزية للانتخابات، "نتائج المرشحين الأفراد لانتخابات المؤتمر الوطني العام 2012".

236 منظّمة مجتمع مدني ذات توجهات متعدّدة[38]. عمِلَ زعيمه السابق، محمود جبريل (1952-2020)، رئيسًا لمجلسي التخطيط الوطني والتنمية الوطنية الاقتصادية في فترة الانفتاح التي شهدتها ليبيا، مع تعاظم دور ابن القذافي سيف الإسلام في الحياة السياسية الليبية، ضمن مشروع ما يعرف بـ "ليبيا الغد" (2006-2010)[39]. على الرغم من صلات جبريل الجيّدة بالنظام السابق في عقده الأخير، فإنه انشق عنه مع اندلاع الانتفاضة، وبرز قائدًا سياسيًا في المجلس الوطني الانتقالي، حتى أصبح رئيسًا لمكتبه التنفيذي في الفترة آذار/ مارس-تشرين الأول/ أكتوبر 2011[40].

ضم التحالف قيادات من خلفيات متعددة، وكان أبرزها رجال الأعمال والتكنوقراط الليبيين الذين حاولوا القيام بأدوار إصلاحية في العقد الأخير لنظام القذافي. يُعد عبد المجيد مليقطة أحد أبرز هؤلاء القادة، وهو رجل أعمال من مدينة الزنتان (136 كلم جنوب غرب طرابلس)، كان على صلة جيّدة بالنظام السابق، لكنه شكّل لواء ثوريًا في مدينته خلال الانتفاضة، وأدّى دورًا فاعلًا في السيطرة على مدينة طرابلس في آب/ أغسطس 2011. ضم التحالف كذلك، شخصيات شابة وبعض الأعيان المعروفين، كما مثّلت الطبقة الوسطى المتعلّمة، وخلفيات بعض العائلات الاجتماعية والاقتصادية البارزة، القاسم المشترك بين أعضائه، خاصة في المدن الكبرى، مثل طرابلس وبنغازي[41].

جعلت الصلاتُ السابقة لجبريل وبعض قادة ائتلافه بنظام القذافي، تحالفَ القوى الوطنية، هدفًا سهلًا لنقد التيارات الإسلامية والثورية المتشدّدة، بعدما أكّد العديد من قادتها عدم رغبتهم في التعاون مع جبريل وأعضاء تحالفه، باعتبارهم "أزلامًا" للنظام السابق[42]. ولمواجهة هذه الحملة وضمان الفوز في الانتخابات، اعتمد جبريل نهجًا انتخابيًا بشقّين: أولًا، لم يُعر اهتمامًا للاتهامات الموجهة إليه في هذا الخصوص (علاقته بالنظام السابق)، وركّز في المقابل على تقديم نفسه بصفته تكنوقراطيًا وخبيرًا في التنمية الاقتصادية، مستفيدًا من تجربته العملية في مجال الأعمال التجارية والمؤسسات الدولية؛ ثانيًا، حاول الاستفادة من حقيقة كونه أولَ رئيس وزراء ليبي بعد الانتفاضة، وسلّط الضوء على دوره في حصول المجلس الانتقالي على الاعترافات الدولية عن طريق علاقاته بالدول العربية والغربية[43].

ضمن استراتيجيته لإنجاح حملته الانتخابية؛ عمل تحالف القوى الوطنية في المدن التي حظِيَ فيها جبريل بشعبية قوية على تقديم مرشّحيه الأقل حظًا بالفوز، في حين تم التركيز على شخصية جبريل ومشروعه التنموي بصفة أكبر في الأرياف والمناطق النائية، حيث لم يكن لاسمه وزنٌ كبيرٌ هناك. وذلك، من أجل إقناع الشخصيات المحلّية التي تحظى بالنفوذ في تلك المناطق، بالترشّح ضمن قائمة التحالف[44]، وبأنه لم يكن في تحالف القوى الوطنية حضور يُذكر لرموز معارضة المنفى سابقًا[45]. فقد عمل التحالف على استقطاب مجموعة من الشخصيات البارزة اجتماعيًا، وإن لم يكن لها أيُّ ماضٍ سياسي، كلاعب كرة القدم المشهور أحمد بن صويد في مدينة بنغازي، والشيخ الصوفي عبد اللطيف المهلهل في طرابلس[46]. وساهم كذلك موقف تحالف القوى الوطنية المعتدل من القوى الاجتماعية المحسوبة على نظام القذافي، خاصة في مدن سرت وبني وليد والعزيزية وترهونة، ومناطق شاسعة من فزّان في جنوب ليبيا، في توسيع قاعدته الشعبية[47].

2. تحالف الإسلاميين

على الرغم من أن الإسلاميين لا يمكن اعتبارهم المفجّر الحقيقي لانتفاضة 17 فبراير 2011، فإنهم كانوا جزءًا رئيسًا منها. برز دورهم أكثر خلال القتال ضد قوات القذافي، خصوصًا في أعقاب سقوط العاصمة طرابلس، حيث بدا مقاتلو بعض الفصائل المحسوبة قياداتها على الجماعة الليبية المقاتلة[48] كأنهم يسيطرون على العاصمة بعد طرد قوات القذافي منها. ما يهمنا هنا هو تسليط الضوء على التيارات الإسلامية التي قبلت بالعمل السياسي، والتي أصبحت جزءًا رئيسًا من المؤتمر الوطني العام بعد فوزها بمقاعد في انتخابات تموز/ يوليو 2012.

38 Michel Cousins, "Mahmoud Jibril, Elected Head of Alliance of National Forces," *Libya Herald*, 15/3/2012, accessed on 10/3/2023, at: https://rb.gy/5wmnmn

39 للمزيد حول مشروع ليبيا الغد، ينظر: يوسف محمد جمعة الصواني، **ليبيا: الثورة وتحديات بناء الدولة** (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2013)، ص 63-106.

40 Mezran, Lamen & Knecht, p. 3.

41 Wolfram Lacher, "Fault Lines of the Revolution Political Actors, Camps and Conflicts in the New Libya," *Research Paper*, SWP (2013), p. 10.

42 "صوان: الذين اختاروا جبريل هم أنصار القذافي"، **سكاي نيوز عربية**، 2012/7/12، شوهد في 2024/6/25، في: https://acr.ps/1L9zOyE؛ محمد أعماري، "الصلابي: على محمود جبريل أن يرحل"، **الجزيرة نت**، 2011/9/13، شوهد في 2024/6/25، في: https://tinyurl.com/48zmybnt

43 Mezran, Lamen & Knecht, p. 3.

44 Ibid.

45 ربما باستثناء معارض المنفى السابق، علي الترهوني (رئيس التيار الوطني الوسطي) المتحالف مع تحالف القوى الوطنية والفائز بمقعدين في انتخابات المؤتمر الوطني العام.

46 Lacher, "Fault Lines," p. 11.

47 Ibid., pp. 12-13.

48 الجماعة الليبية المقاتلة هي عبارة عن تنظيم مسلح، يحمل فكر السلفية الجهادية. أنشأته مجموعة من الشباب الليبيين الذين عادوا إلى ليبيا بعد أن شاركوا في الحرب الأفغانية - السوفياتية. قام بعمليات مسلحة في مواقع مدنية وأمنية في ليبيا، في تسعينيات القرن العشرين، بهدف إسقاط نظام القذافي. إلّا أن القوات المسلحة الليبية وأجهزة الأمن قضت عليه، واعتقلت مجموعة كبيرة من أعضائه، وفي عام 2009 قام زعماء الجماعة بمراجعة أفكارهم وقدّموا اعتذارًا للدولة، الأمر الذي أدّى إلى إطلاق سراحهم.

أ. الإخوان المسلمون

أُعلن عن تأسيس حزب العدالة والبناء، في 3 آذار/ مارس 2012، حزبًا سياسيًا ذا مرجعية إسلامية[49]. وذلك، في إطار استراتيجية جماعة الإخوان المسلمين الليبية لكسب تأييد قطاعات أكبر من المجتمع الليبي، ولحرصها على طمأنة المشكّكين في أجنداتها بسبب قبول بعض قادتها، مع غيرها من الجماعات الإسلامية الأخرى، بمشروع للمصالحة مع النظام السابق في عقده الأخير، ضمن ما يُعرف ببرنامج المراجعات الفكرية الذي أطلقته الدولة الليبية، بقيادة سيف الإسلام، للحوار مع المعارضة الإسلامية[50]. أكّد الحزب أيضًا أنه مفتوح لجميع الليبيين بمختلف أطيافهم، وليس لأعضاء جماعة الإخوان فحسب، في الوقت الذي تعامل الحزب مع الاتهامات الموجّهة إليه في خصوص علاقاته بالتنظيم الدولي في الخارج، من خلال تأكيد استقلاله عن جماعات الإخوان المسلمين في أماكن أخرى في المنطقة (خاصة مصر)[51].

كانت جماعة الإخوان، قبل الانتفاضة، محظورة شأنها شأن بقية الأحزاب والتيارات السياسية الإسلامية، أو اليسارية الأخرى. في أثناء الانتفاضة ضد القذافي، أسّس الإخوان المسلمون مجموعة من المؤسسات الإغاثية والإعلامية، أشهرها منظمة نداء الخير الخيرية التي استخدمتها الجماعة لإقامة روابط مالية بينها وبين المنظمات الحكومية وغير الحكومية الليبية، وبين بعض الدول الخليجية التي قدّمت مساعدات للمعارضة الليبية في أثناء الانتفاضة[52]. وبالتدرج، أصبحت هذه المنظمة وغيرها أداة من الأدوات التي تستخدمها الجماعة لإعادة تقديم نفسها للمجتمع. في الوقت الذي أنشأت كذلك عددًا من المنصّات الإعلامية، مثل منصة شباب ليبيا وسبيل الرشاد ومطبوعة **المنارة** لإيصال رسائلها إلى المجتمع الليبي[53].

تمتّعت جماعة الإخوان بنفوذ سياسي قوي داخل المجلس الانتقالي، حيث يُعتقد أنها حظيت بوجود 12-15 ممثلًا لها من بين 40 عضوًا[54]، على الرغم من عدم إعلان أي عضو منهم عن انتمائه إلى الإخوان المسلمين رسميًا[55]. تولّى بعض أعضائها أيضًا مناصب وزارية في حكومة جبريل الأولى، مثل عبد الله شامية (وزير الاقتصاد) وسالم الشيخي (وزير الأوقاف والشؤون الدينية). وتمكّن الإخوان من الحفاظ على نفوذهم حتى في الحكومات اللاحقة، بعدما عُيّن الأمين بلحاج رئيسًا للجنة المُكلّفة بإعداد قوانين انتخابات المؤتمر الوطني العام، وناصر المانع ناطقًا رسميًا باسم حكومة عبد الرحيم الكيب الانتقالية[56].

لم تُعلن جماعة الإخوان رسميًا عن وجود أذرع عسكرية لها خلال الانتفاضة، لكن بعض أعضائها شكّلوا كتائب عسكرية مقاتلة على الأرض في الفترة آذار/ مارس (اندلاع الثورة)-تشرين الأول/ أكتوبر 2011 (مقتل القذافي)؛ أهمهم، فوزي بوكتف (مهندس النفط وأحد أعضاء الجماعة الذي عُيّن لفترة قصيرة نائبًا لوزير الدفاع بعد ازدياد نفوذه حتى أصبح قائدًا لاثنتين من أكبر الميليشيات العسكرية في شرق ليبيا: لواء 17 فبراير[57]، وميليشيا راف الله السحاتي)[58].

ب. السلفيون

لم يشكّل السلفيون كيانات سياسية كبيرة لافتقارهم إلى قيادة موحّدة وعدائهم الأيديولوجي للديمقراطية الحزبية[59] نظامَ حكمٍ؛ إذ يرونه مخالفًا للشريعة الإسلامية. إلّا أن بعضهم قبِل بالعملية الانتخابية وانضم إليها براغماتيًا، إما عبر القوائم الحزبية، وإما عن طريق المستقلين. وهناك من يُقدّر عددهم بـ 25-27 عضوًا في المؤتمر الوطني[60].

49 "Muslim Brotherhood Forms Party in Libya," *Aljazeera*, 4/3/2012, accessed on 25/10/2023, at: https://bit.ly/3tXWKwS

50 لمزيد من التفاصيل حول برنامج المصالحة الذي يقوده سيف الإسلام مع الإسلاميين الليبيين، ينظر:
Noman Benotman, Jason Pack & James Brandon, "Islamists," in: Pack (ed.), pp. 202-206;
ينظر أيضًا: التقرير المطوّل الذي أعدّه وأشرف عليه أبرز قياديي الجماعة الإسلامية الليبية المقاتلة: عبد الحكيم الخويلدي بالحاج [وآخرون]، **دراسات تصحيحية في مفاهيم الجهاد والحسبة والحكم على الناس** ([د. م.]: [د. ن.]، 2009).

51 Ronald Bruce St John, "Libyan Election Breaks Arab Spring Pattern," *The International Spectator*, vol. 47, no. 3 (2012), p. 15.

52 Florence Gaub, *The Gulf Moment: Arab Relations Since 2011* (Pennsylvania :US Army War College Press, 2015), pp. 15-20, 24, 28-29; "Libya and the Gulf: Revolution and Counter-Revolution," *Hurst*, 26/12/2011, accessed on 26/6/2024, at: https://tinyurl.com/2c4awbuv

53 Susan Tarkowski Tempelhoff & Manal Omar, "Stakeholders of Libya's February 17 Revolution," United States Institute of Peace (January 2012), p. 7.

54 يقدّر علي عبد اللطيف أحميدة أعضاء المجلس الوطني الانتقالي بأربعين عضوًا، ينظر: Ahmida, pp. 4-5.

55 Benotman, Pack & Brandon, p. 218.

56 Ibid.

57 تعتبر كتيبة 17 فبراير إحدى أكبر الميليشيات المسلحة في شرق ليبيا وأقواها، حيث تضم ما بين 1500 و3500 عضو، كانت تموّلها وزارة الدفاع، انتشرت في الكفرة وشرق ليبيا جزءًا من قوة درع ليبيا، كما كانت تحرس سابقًا البعثة الدبلوماسية الأميركية في بنغازي، عشية هجوم 11 أيلول/ سبتمبر 2012. للمزيد، ينظر:
David Kirkpatrick, Suliman Ali Zway & Kareem Fahim, "Attack by Fringe Group Highlights the Problem of Militias," *The New York Times*, 15/9/2012, accessed on 25/10/2023, at: https://rb.gy/ivqomb

58 Pack, Mezran & Eljarh, p. 31.

59 أطلقت معظم التيارات السلفية التي انضمت إلى اللعبة السياسية، على كياناتها، اسم التجمع، بدلًا من الحزب.

60 Mary Fitzgerald, "Introducing the Libyan Muslim Brotherhood," *Foreign Policy*, 2/11/2012, accessed on 25/10/2023, at: https://rb.gy/fpugo5

تجدر الإشارة إلى أن السلفيين لم يكونوا كتلة متجانسة داخل المؤتمر الوطني، بل نُظّموا داخل كتل برلمانية مختلفة. تُعدّ الكتلة التي شكّلها 10 أعضاء مستقلين، ومرتبطين بتجمع الأصالة الذي حَظِيَ بعلاقات وثيقة مع مفتي ليبيا الشيخ الصادق الغرياني، من أكثر الكتل السلفية قوةً، حيث فاز أعضاؤها في طرابلس بـ 8 مقاعد من أصل 14 للمستقلين[61]. أما الكتلة الثانية، فقد ارتبطت بالجماعة الليبية المقاتلة، وضمّت السلفيين المعروفين بنشاطهم المسلّح خلال الانتفاضة، من أبرزهم، عبد الوهاب القايد[62]، الفائز مرشّحًا مستقلًا عن مدينة مرزق في الجنوب، على الرغم من كونه عضوًا في تجمّع الأمة الوسط، إضافة إلى 5 أعضاء مستقلين مرتبطين بحزب الوطن[63]، بزعامة عبد الحكيم بلحاج (قائد مجلس طرابلس العسكري[64] والقيادي السابق في الجماعة الإسلامية الليبية المقاتلة). هناك آخرون لم تكن انتماءاتهم واضحة؛ على الرغم من الاشتباه بكونهم سلفيين، وبعضهم قادة لميليشيات عسكرية[65] (النائبان محمد الكيلاني[66] ومصطفى التريكي، من مدينة الزاوية).

منذ سقوط نظام القذافي، بات الإسلاميون بطيفهم الواسع (إخوان، وسلفيون، وشخصيات دينية) مع عدد من قياديي المعارضة في المنفى سابقًا، وممثّلي بعض المدن والمناطق التي اعتبرت معاقل "للثورة" والكفاح المسلح ضد القذافي[67]، يشكّلون معسكرًا موحدًا، تتخذ غالبيته موقفًا سياسيًا راديكاليًا ضد كل ما اعتُبر جزءًا من النظام السابق، في مقابل الموقف المعتدل الذي سلكه تحالف القوى الوطنية تجاه القوى المحسوبة على نظام القذافي، الذي أتى في الأساس جزءًا من خطته الانتخابية لتوسيع قاعدته الشعبية، لكن ما لبث هذا الصراع يتمظهر داخل أعمال المؤتمر الوطني العام.

61 Lacher, "Fault Lines," p. 12.

62 عبد الوهاب القايد، عضو سابق رفيع المستوى في الجماعة الإسلامية المقاتلة. وكان شقيقه الأصغر عضوًا بارزًا أيضًا في تنظيم القاعدة، وهو معروف باسم أبو يحيى الليبي، قُتل في عام 2012 في باكستان.

63 فشل حزب الوطن الذي أسسه بلحاج في الفوز بأي مقعد ضمن القوائم الحزبية، على الرغم من محاولة ظهوره بمظهر مدني؛ حيث كانت إحدى مرشحاته امرأة غير محجّبة.

64 يتألف المجلس العسكري في طرابلس من أعضاء سابقين في الجماعة الإسلامية الليبية المقاتلة، ينظر: Pack, Mezran & Eljarh, pp. 29-30.

65 Lacher, "Fault Lines," pp. 11-12.

66 قُتل في اشتباكات عسكرية في منطقة ورشفانة في عام 2014: "مقتل نائب إسلامي ليبي سابق في معارك غرب طرابلس"، **العربية**، 2014/9/17، شوهد في 2023/10/25، في: https://bit.ly/49mBu4b

67 مثل مصراتة والزاوية ومدن جبل نفوسة وأحياء كبرى داخل مدينة طرابلس، مثل تاجوراء وسوق الجمعة.

> "عكست نتائج انتخابات المؤتمر الوطني العام في 7 تموز/ يوليو 2012 طبيعة النظام الانتخابي الذي تبناه المجلس الوطني الانتقالي، والذي هو في جوهره نتاج حرص المجلس الانتقالي في مرحلة التمهيد للانتخابات على طمأنة مختلف القوى الاجتماعية والسياسية والعسكرية بصعوبة هيمنة جهة واحدة على المؤتمر الوطني المنتخب، باعتباره السلطة السياسية الأعلى في البلاد"

ثالثًا: قراءة في نتائج انتخابات المؤتمر الوطني العام

عكست نتائج انتخابات المؤتمر الوطني العام في 7 تموز/ يوليو 2012 طبيعة النظام الانتخابي الذي تبناه المجلس الوطني الانتقالي، والذي هو في جوهره نتاج حرص المجلس الانتقالي في مرحلة التمهيد للانتخابات على طمأنة مختلف القوى الاجتماعية والسياسية والعسكرية بصعوبة هيمنة جهة واحدة على المؤتمر الوطني المنتخب، باعتباره السلطة السياسية الأعلى في البلاد، التي كانت أهم تجلّياتها، كما سبقت الإشارة إليه في المبحث الأول، في تخصيصه العدد الأكبر من المقاعد للمستقلين، واشتراط موافقة ثلثي الأعضاء لإقرار القوانين الصادرة عن المؤتمر الوطني العام. كان الهدف من هذه الخطوات، على الأقل نظريًا، تسهيل تحقيق التوافق بين مختلف الأطراف السياسية في المؤتمر الوطني على بعض الأمور الحاسمة، مثل تشكيل حكومة وحدة وطنية وإقرار مشروع لصياغة دستور جديد، لكنها عمليًا فشلت في ذلك، كما سيتبيّن لاحقًا.

كما يُبيّن الجدول (1)، تمخّض عن انتخابات المؤتمر الوطني العام في 7 تموز/ يوليو فوز الكيانين السياسيين الأساسيين اللذين برزا في المرحلة التمهيدية (تحالف القوى الوطنية، وحزب العدالة والبناء) بالعدد الأكبر من المقاعد المخصصة للأحزاب السياسية في المدن الحضرية الساحلية الكبرى، مثل طرابلس وبنغازي ومصراتة والزاوية؛ فمن أصل 39 مقعدًا فاز بها تحالف القوى الوطنية، كان منها 9 مقاعد في طرابلس، و7 في بنغازي، و3 في مصراتة، و4 في الزاوية. في المقابل، من أصل 17 مقعدًا فاز بها حزب العدالة والبناء، كانت 4 منها في

طرابلس، و2 في بنغازي، و2 في مصراتة، و2 في الزاوية[68]. في المقابل، فازت معظم الكيانات الصغيرة التي خُصّص لها مقعد أو مقعدان في المناطق الأكثر تهميشًا على الصعيد الاقتصادي والخدمي في جنوب ليبيا ووسطها، لجاذبيتها المحلية ووعودها بتحسين الخدمات. حملت بعض تلك الكيانات قاعدتها الاجتماعية أحيانًا تحت اسم الكيان نفسه، الذي يشير إلى اسم المنطقة أو الجهة المترشّح عنها، كتجمع وادي الحياة للديمقراطية والتنمية، والتجمع الوطني بوادي الشاطئ. فوادي الحياة ووادي الشاطئ من أسماء المدن الصغيرة الواقعة في الجنوب الليبي، والتي تعاني تهميشًا كبيرًا على الصُعد كافة (ينظر الجدول 2).

الجدول (1)

نتائج الكيانات السياسية التي حصلت على أكثر من مقعد واحد في انتخابات المؤتمر الوطني في عام 2012

القوائم الحزبية	عدد المقاعد
تحالف القوى الوطنية	39
حزب العدالة والبناء (الإخوان المسلمون)	17
الجبهة الوطنية	3
الاتحاد من أجل الوطن	2
التيار الوطني الوسطي	2
تجمع وادي الحياة والديمقراطية والتنمية	2
المجموع	**65**

المصدر: من إعداد الباحث استنادًا إلى: المفوضية الوطنية العليا للانتخابات، الإدارة المركزية للانتخابات، "نتائج الكيانات السياسية لانتخابات المؤتمر الوطني العام 2012"، شوهد في 2023/10/23، في: https://bit.ly/3FtC8io

الجدول (2)

نتائج الكيانات السياسية التي حصلت على مقعد واحد فقط في انتخابات المؤتمر الوطني في عام 2012

اسم الحزب	المنطقة
الوطني الليبي	سبها والشاطئ
الركيزة	سبها والشاطئ
تجمع لبيك وطني	سبها والشاطئ
التجمع الوطني بوادي الشاطئ	سبها والشاطئ
الوطن والنماء	سبها والشاطئ
تجمع الأمة الوسط	أوباري ومرزق
القائمة الليبية للحرية والتنمية	أوباري ومرزق
كتلة الأحزاب الوطنية	أوباري ومرزق
الوطن للتنمية والرفاه	سرت والجفرة
تيار شباب الوسط	سرت والجفرة
تجمع الأصالة والتجديد	طرابلس
تجمع الأصالة والتقدم	طرابلس
الرسالة	بنغازي
ليبيا الأمل	الزاوية
الحكمة	إجدابيا
المجموع	**15**

المصدر: المرجع نفسه.

أما بالنسبة إلى الأعضاء المستقلين الفائزين، وإن كانوا من الناحية القانونية لم يترشحوا باسم تنظيمات سياسية، فإن نسبة مهمة منهم مرتبطة بالتيارات الإسلامية أو القوى الثورية المتحالفة معها، كما سيظهر معنا. فعلى الرغم من أنه كان، ولا يزال، من الصعب أن يُحدد بدقة الانتماء السياسي للمستقلين الذين تمكّنوا من الفوز بمقاعد في المؤتمر الوطني العام، فإن تقريرًا مهمًا للباحث الألماني المتخصص بالشؤون الليبية، ولفرام لاشر، بعنوان "خطوط صدع الثورة: الفاعلون السياسيون والمعسكرات والصراعات في ليبيا الجديدة"[69]، يرصد توزّعهم (بحسب ارتباطاتهم بالكيانات السياسية الكبرى قبل الانتخابات، كما هو مُبيّن في الجدول 3) بين أربع جهات: أولًا، المرتبطون بتحالف القوى الوطنية (25 عضوًا)؛ ثانيًا، المرتبطون بحزب العدالة والبناء (17)، في حين يصل عدد المرتبطين بالسلفيين والقوائم الوطنية الصغيرة إلى 33، بينما يبلغ عدد المستقلين غير المرتبطين بأي كيان سياسي 55 بحسب التقرير[70].

68 ينظر: المفوضية الوطنية العليا للانتخابات، الإدارة المركزية للانتخابات، "نتائج الكيانات السياسية لانتخابات المؤتمر الوطني العام 2012".

69 Lacher, "Fault Lines."

70 للاشر اتصالات وثيقة بدوائر سياسية وأمنية رفيعة في ليبيا ما بعد القذافي، كما تشير أبحاثه التي كتبها عن ليبيا من عام 2011 إلى الآن. فعلى سبيل المثال، ينظر عدد المقابلات التي أجراها مع مسؤولين سياسيين وعسكريين رفيعين، والمعلومات التي حصل عليه في كتابه: Lacher, *Libya's Fragmentation*.

الجدول (3)

توزيع الأعضاء المستقلين داخل المؤتمر الوطني العام

المقاعد الفردية	عدد المقاعد
المستقلون المرتبطون بتحالف القوى الوطنية	25
المستقلون المرتبطون بحزب العدالة والبناء (الإخوان المسلمون)	17
المستقلون المرتبطون بالسلفيين والقوائم الوطنية الصغيرة	33
المستقلون غير المرتبطين بأحزاب وقوائم	55
المجموع	**120**

المصدر:

Wolfram Lacher, "Fault Lines of the Revolution Political Actors, Camps and Conflicts in the New Libya," *Research Paper*, SWP (2013), p. 9.

ضلّلت نتائج انتخابات الكيانات السياسية في المؤتمر الوطني العام عددًا من وسائل الإعلام، ومجموعة من المراقبين السياسيين، حينما أوّلوا فوز تحالف القوى الوطنية (39 مقعدًا من أصل 80)، بفارق شاسع عن حزب العدالة والبناء التابع لجماعة الإخوان المسلمين (17 مقعدًا) ضمن القوائم الحزبية، بأنه انتصار فريد للتيار الليبرالي والعلماني في الانتخابات الليبية على التيار الإسلامي[71]، مثلما جاء في عناوين وكالات أنباء معروفة: "جبريل يحقق فوزًا ساحقًا في الانتخابات على الإسلاميين"[72]، ومنصّات إعلامية معروفة أيضًا: "الانتخابات الليبية: تصدّر الليبراليين وانتكاسة للإسلاميين"[73]. اكتسبت تلك السرديات أهمية أكبر حينما استُخدمت للقول إن ليبيا مثّلت حالة استثنائية بالنسبة إلى دول "الربيع العربي" التي شهدت نجاحًا انتخابيًا لافتًا للتيارات الإسلامية، سواء الإخوان المسلمون في مصر، أم حركة النهضة في تونس، كما حاولت أن تثبت ذلك دراسة لباحث مهتم بالشأن الليبي بعنوان "الانتخابات الليبية تكسر نمط الربيع العربي"[74].

مبدئيًا، تعتبر التأويلات السابقة غير دقيقة في نظرنا لثلاثة أسباب: أولًا، لأن الانتصار الحقيقي من ناحية الأكثرية العددية حقّقه المرشّحون الـ 120 المستقلّون[75] الذين هيمن على غالبيتهم الطابع المحلي للسياسة (العائلي[76]، والجهوي، والقبلي) أو الشخصي. وذلك، خاصة، أن معظمهم في البداية لم يُعلن عن انحيازه بوضوح إلى أحد الكيانات السياسية الكبرى بعينه، وإن ارتبط بعضهم به، على الأقل شكليًا قبل إعلان نتائج الانتخابات[77]. ثانيًا، نعتقد أن وصف "ليبرالي"، كما هو متعارف عليه في سياق نشأته الغربية، لا ينطبق في أحسن الأحوال إلّا على عدد قليل جدًا من أعضاء تحالف القوى الوطنية أو المستقلين المرتبطين به. فمثلًا، زعيم التحالف نفسه، محمود جبريل (الذي مُنِع من الترشّح للانتخابات بسبب قرار هيئة النزاهة)، صرّحَ بعد الانتخابات مباشرة بأن تحالف القوى الوطنية ليس كيانًا علمانيًا أو ليبراليًا[78]، إنما يحمل أجندة متعلّقة بإصلاح الاقتصاد والتنمية الوطنية. بل حتى على صعيد المناورة السياسية،

71 ينظر على سبيل المثال:
Mustafa Fetouri, "Why the Islamists Lost in Libya," *Al-Monitor*, 14/7/2012, accessed on 24/10/2023, at: https://rb.gy/pfgofg; Omar Ashour, "Libya's Defeated Islamists," Brookings, 17/7/2012, accessed on 24/10/2023, at: https://acr.ps/1L9zOpT; Hadeel Al Shalchi & Marie-Louise Gumuchian, "Libya's Jibril in Election Landslide over Islamists," *Reuters*, 12/7/2012, accessed on 24/10/2023, at: https://shorturl.at/lzDLZ; "Liberals Claim Lead in Libyan Election," *France 24*, 8/7/2012, accessed on 24/10/2023, at: https://bit.ly/4720Zph;
أمين محمد، "قراءة في نتائج انتخابات ليبيا"، **الجزيرة نت**، 2012/7/10، شوهد في 2023/10/24، في: https://bit.ly/405PICh؛ "الانتخابات الليبية: تصدّر الليبراليين وانتكاسة للإسلاميين"، **دويتشه فيله**، 2012/7/18، شوهد في 2023/10/24، في: https://bit.ly/3tD99pG؛ "الليبراليون يعلنون تقدمهم بانتخابات ليبيا"، **سكاي نيوز عربية**، 2012/7/8، شوهد في 2023/10/24، في: https://bit.ly/3tMMwPR

72 Al Shalchi & Gumuchian.

73 "الانتخابات الليبية: تصدر الليبراليين وانتكاسة للإسلاميين".

74 St John, pp. 13-19.

75 فاز معظم المستقلين، إما بسبب دعم عائلاتهم وقبائلهم، وإما لكونهم شخصيات بارزة اجتماعيًا في مناطقهم، وتُبيّن لنا نتائج الانتخابات أن المرشحين المستقلين حصلوا على قرابة 20 في المئة من مجمل الأصوات، بل إن أكثر من نصفهم لم يحصل على أكثر من 10 في المئة منها، ففي مدينة بنغازي وحدها، على سبيل المثال، انتُخب 6 أعضاء من بين 9 مستقلين، بأقل من 2 في المئة من الأصوات فقط. ينظر: المفوضية الوطنية العليا للانتخابات، الإدارة المركزية للانتخابات، "نتائج المرشحين الأفراد لانتخابات المؤتمر الوطني العام 2012".

76 فاز عدد من المستقلين، وحتى من المرشّحين عن القوائم الحزبية، مستفيدين في حملاتهم الانتخابية من الماضي السياسي لعائلاتهم ذات السمعة الأرستقراطية - البرجوازية، التي أدّت دورًا سياسيًا واقتصاديًا قبل استحواذ القذافي على السلطة في عام 1969. ومن أبرز هؤلاء: عبد الرحمن السويحلي (مصراتة)، وأحمد لنقي وصالح جعودة (بنغازي)، وعبد الجليل سيف النصر (سبها). لطالما اعتُبروا، بغض النظر عن كونهم مرشّحين انتخابيين، ممثلين أيضًا لشبكات تجارية واقتصادية يقودها أفراد من أقاربهم وعائلاتهم في مدنهم. ينظر:
Lacher, "Fault Lines," p. 10.

77 Mezran, Lamen & Knecht, p. 1.

78 "Don't Call Us Secular, Says Libyan Poll Favourite," *The Independent*, 10/7/2012, accessed on 25/10/2023, at: https://bit.ly/3S9aIWN
يُقدّم مقطع الفيديو التالي دليلًا واضحًا على عدم ادّعاء محمود جبريل، زعيم تحالف القوى الوطنية، للعلمانية أو الليبرالية، ينظر: "08 محمود جبريل رده عمن وصموه بالعلمانية"، يوتيوب، 2023/10/25، شوهد في 2023/10/25، في: https://bit.ly/3tM1ZQa

أكّد جبريل التزامه مبادئ الشريعة الإسلامية[79]. وهناك من اعتبر أن ما وصف "بفوز" تحالف القوى الوطنية في القوائم الحزبية يُعزى إلى جاذبية مشروعه التنموي الذي وعد من خلاله الليبيين بنظام أكثر انفتاحًا من الناحيتين السياسية والاقتصادية، وليس لكونه كيانًا سياسيًا محكومًا بعقيدة أيديولوجية ليبرالية علمانية، قد تتصادم مع القيم الاجتماعية والثقافية المحافظة لغالبية الليبيين في العموم. ثالثًا، يبدو أن عدد المقاعد التي حصل عليها التيار الإسلامي (إخوان، وسلفيون) مع حلفائهم من المستقلين، والقوائم الصغيرة، مساوٍ، إن لم يزد على عدد المقاعد التي حصل عليها تحالف القوى الوطنية والمستقلون المرتبطون به[80].

من بين العديد من أعضاء الكيانات الصغيرة والمستقلين من لم يرتبط مباشرة بأيٍّ من الكتل السياسية الكبيرة؛ إذ سادت تحالفات ذات طابع شخصي ومؤقت في كثير من الأحيان. من هذه الكيانات، حزب الجبهة الوطنية بزعامة محمد المقريف (أول رئيس للمؤتمر الوطني العام والفائز حزبه بثلاثة مقاعد). وعلى الرغم من أن عددًا من الفائزين من المستقلين كانوا من أعضاء حزب الجبهة، فإن الحزب لم يعمل بصفته كتلة برلمانية واضحة، وبدلًا من ذلك، دخل في تحالفات متغيّرة مع بقية الكيانات والمستقلين[81]. هنالك أيضًا مجموعة قليلة العدد، تُقدّر بـ 10 نواب، تحمل رؤى تسعى لتحقيق نظام فدرالي، معظمهم من شرق ليبيا، وبعضهم من الجنوب. ونظرًا إلى صغر حجم هذه الكتل، فإنها لم تستطع الحفاظ على استقلاليتها وانحازت في معظم الأحيان إلى إحدى المجموعات الأكبر، بحسب القضية المطروحة[82].

نجادل بأن إعادة قراءتنا لنتائج انتخابات المؤتمر الوطني العام تساهم في فهم كيف استطاع الإسلاميون وحلفاؤهم تمرير القوانين التي صبّت على نحوٍ صريح في مصلحة إقصاء قيادات تحالف القوى الوطنية عن العملية السياسية، وتقويض مكاسبه العددية داخل المؤتمر. ومثال على ذلك القرار رقم 7 وقانون العزل السياسي، عبر النظر في مآلات نتائج الانتخابات التي لم تحكمها نتائج التصويت فحسب، بل شملت عوامل أكثر تعقيدًا، مثل التوظيف السياسي للميليشيات العسكرية وقوى أخرى، من خارج المؤتمر الوطني، للتأثير في نتائج التصويت داخله، والتنافس حول الأعضاء المستقلين.

رابعًا: ديناميات الصراع في المؤتمر الوطني العام

ما إن بدأت أعمال المؤتمر الوطني العام، في أعقاب الإعلان عن نتائج الانتخابات، حتى أصبح البرلمان الليبي المنتخب، باعتباره أعلى سلطة سياسية في البلاد، مسرحًا لصراعات سياسية حامية، ساءلت صحة سردية فوز التيار الليبرالي للمشهد البرلماني الليبي، وذلك في ثلاث محطات: تشكيل الحكومة، وتمرير القرار رقم 7، وإقرار قانون العزل السياسي.

1. تشكيل الحكومة وتمرير القرار رقم 7

بدأت أولى بوادر الصراع بين المعسكرين بعد الانتخابات مع تشكيل أول حكومة منبثقة من المؤتمر الوطني العام، برئاسة معارض المنفى السابق المقرّب من الإسلاميين، مصطفى أبو شاقور، في أيلول/ سبتمبر 2012، بعدما حصل في الدورة الثانية لانتخاب رئيس الحكومة على 96 صوتًا، متفوّقًا على منافسه محمود جبريل بصوتين. وكان ذلك إشارة يمكن اعتبارها هي الأولى على عدم صحة أطروحة فوز الأطراف الموصوفة بالليبرالية أو العلمانية بانتخابات المؤتمر الوطني العام في عام 2011. لم يتمكن أبو شاقور من البقاء في منصبه، حيث عُزِلَ منه بعد أقل من شهر، حينما فشلت حكومته في نيل ثقة غالبية أعضاء المؤتمر[83]. فأفسحت إقالته الفرصة أمام تشكيل حكومة جديدة

79 "جبريل يدعو إلى ائتلاف واسع ويعلن التزامه بمبادئ الشريعة"، **رصد**، 2012/7/9، شوهد في 2023/10/25، في: https://rb.gy/txbqxe؛ في الواقع، لا يمكن فهم موقف جبريل هذا بمعزل عن الحملة الشرسة التي شنّها ضده خصومه من الإسلاميين، التي وصلت إلى حد أن مفتي الديار الليبية، الشيخ الصادق الغرياني، أصدر بنفسه فتوى تحرّم انتخاب تحالف القوى الوطنية، واتهم قياداته بمعاداة الشريعة الإسلامية. ينظر: "تسجيل صوتي الشيخ الصادق يفتي بحرمة التصويت لحزب محمود"، يوتيوب، 2012/7/7، شوهد في 2023/10/25، في: https://bit.ly/3skCQeX؛ "محاضرة يوم الجمعة، مسجد عقبة-32 الشيخ الصادق الغرياني"، يوتيوب، 2012/7/9، شوهد في 2023/10/25، في: https://bit.ly/47eDr0r

80 وصل عدد إجمالي المقاعد التي حصل عليها تحالف القوى الوطنية مع حلفائه المستقلين إلى 66 مقعدًا، فاز بـ 39 منها التحالف رسميًا في القوائم، فاز بـ 2 منها التيار الوطني الوسطي المعروف بتحالف قائده علي الترهوني مع جبريل، إضافة إلى 25 مستقلًا مرتبطين بالتحالف كما رصدهم لاشر (ينظر الجدولان 1 و3). أما بالنسبة إلى الإسلاميين وحلفائهم، فقد حصلوا على إجمالي 72 مقعدًا، توزعت كالتالي: 17 مقعدًا رسميًا لحزب العدالة والبناء في قوائم الكيانات السياسية، إضافة إلى حلفائه، مثل الجبهة الوطنية الفائز بـ3 مقاعد، ومقعدان لحزب الاتحاد من أجل الوطن، بزعامة السويحلي (العضو البارز في كتلة الوفاء لدماء الشهداء التي مهّدت الطريق أمام إقرار قانون العزل السياسي)، و17 مقعدًا للمستقلين المتحالفين مع حزب العدالة البناء، وأخيرًا 33 مقعدًا للسلفيين والكيانات الصغيرة التي سنثبت كيفية استمالة معظمها لمصلحة الكتل البرلمانية التابعة للإسلاميين في إقرار القرار رقم 7 وقانون العزل السياسي. قارن الجدولين (1) و(3).

81 Lacher, "Fault Lines," p. 12.

82 Mezran, Lamen & Knecht, pp. 4-5.

83 "إقالة أبو شاقور بعد رفض النواب لحكومته"، **الجزيرة نت**، 2012/10/7، شوهد في 2023/10/27، في: https://bit.ly/46OxfMV

برئاسة علي زيدان، المعارض السابق في المنفى[84] والمقرّب من تحالف القوى الوطنية[85].

قد يبدو أول وهلة أن تحالف القوى الوطنية أسقط حكومة أبو شاقور وعيّن زيدان بدلًا منه، لكن الحيثيات المحيطة بتشكيل حكومة زيدان لا تؤكد هذا الأمر. فقد تم تشكيل هذه الحكومة بعد نيلها ثقة 105 أعضاء من أصل 132 حضروا الجلسة[86]، في حين أن عدد أعضاء المؤتمر الوطني المنتخبين 212. تكوّنت الكتلة الداعمة لحكومة زيدان من مزيج معقّد من التحالف الوطني والإسلاميين وممثّلين لأطراف محلّية، وأتت في الأساس لتحقّق توازنًا سياسيًا ومناطقيًا. فاحتفظ التكنوقراط بالمناصب السيادية في الحكومة[87]، في حين شغل بقية الوزارات مرشحون عن التحالف والإسلاميين بالتناوب، كذلك كانت الحال في ما يخص وكلاء الوزارات[88]. اعتبر بعضهم أن اختيار زيدان أتى لافتقاره إلى قاعدة نفوذ شخصية خاصة به؛ ما جعله ظاهريًا لا يشكّل أي تهديد للقوى الإسلامية داخل المؤتمر، على الرغم من كونه مبدئيًا مقرّبًا من التحالف[89]. أضف إلى ذلك أن القوى الإسلامية والمتحالفين معها من الثوار السابقين ظهروا منذ أول وهلة أقوى بفعل الدور الذي قامت به هيئة النزاهة في إضعاف خصومهم؛ حيث لم تمنع الصيغة التوافقية، التي شُكّلت بها حكومة زيدان، هيئةَ النزاهة[90] من عرقلتها، بعد أن باتت تتدخّل حتى في عمل أعضاء المؤتمر الوطني المنتخبين ديمقراطيًا.

84 فاز حزب زيدان (حزب الوطن للتنمية والرفاه) بمقعد واحد في قائمة الكيانات السياسية، في حين أن زيدان نفسه انتخب عضوًا مستقلًا عن مسقط رأسه في منطقة الجفرة، جنوب ليبيا.

85 ظهرت بوادر علاقات زيدان بتحالف القوى الوطنية من خلال تحركاته المبكرة ضد الإسلاميين وحلفائهم، ففي كانون الأول/ ديسمبر 2012، جرد زيدان وزير الإسكان علي حسين الشريف، أحد رموز الإخوان المسلمين، من سلطاته وعين مكانه نائبه. علاوة على ذلك، فقد تجاوز زيدان مرشحًا من جماعة الإخوان المسلمين لمنصب وزير الشؤون الدينية، واختار بدلًا من ذلك عبد السلام أبو سعد، المحسوب على التحالف، وهو شخص يُنظر إليه على نطاق واسع على أنه قريب من النظام السابق. ينظر: Mezran, Lamen & Knecht, p. 4.

86 "ليبيا: حكومة زيدان تنال ثقة المؤتمر الوطني العام"، **دويتشه فيله**، 2012/10/31، شوهد في 2023/10/27، في: https://bit.ly/3Qbv4fn

87 لم يكن لدى وزراء الخارجية والداخلية والدفاع والعدل والمالية ظاهريًا انتماء واضح لأي من التيارين السياسيين المتنافسين داخل المؤتمر الوطني العام؛ حيث عُيِّنَ جميعهم من خارج المؤتمر.

88 على سبيل المثال مُثّلت الفصائل الثورية والإسلامية بشخصيات مثل القيادي السابق للجماعة الليبية المقاتلة خالد الشريف والتهامي بوزيان، وكلاءَ لوزارة الدفاع، والعضو السابق في الجماعة الإسلامية الليبية المقاتلة عبد الباسط بوحليقة وكيلًا لوزارة الداخلية.

89 Lacher, *Libya's Fragmentation*, p. 29.

90 للمزيد عن كيفية تشكّل الهيئة وآلية عملها، ينظر: المجلس الوطني الانتقالي، "قانون رقم (26) لسنة 2012م بشأن الهيئة العليا لتطبيق معايير النزاهة والوطنية".

في يوم أداء اليمين الدستورية، تغيّب 8 أعضاء من الحكومة بعد أن أوقفتهم الهيئة وحققت معهم[91]. أصبح عمل هيئة النزاهة أشبه بلجنة التطهير التي تضع المعايير اللازمة لمن يسمح له بأن يكون جزءًا من النظام السياسي الجديد في ليبيا، ومن لا يسمح له. فمن بين خمسة عشر عضوًا في المؤتمر الوطني العام الذين استبعدتهم الهيئة، تسعة منهم محسوبون على مدن أو مناطق اعتُبرت ضد "الثورة"، ثلاثة منهم كانوا أعضاء في التحالف، إضافة إلى مستقلين مرتبطين به. يضاف إلى ذلك أنه بسبب قرارات هيئة النزاهة، لم يكن للطوارق أي تمثيل في المؤتمر الوطني العام من أيلول/ سبتمبر 2012 إلى أيار/ مايو 2013، وهم الذين نظر إليهم بصفتهم أنصارًا لنظام القذافي، كما شُطبت عضوية ممثل بلدة بني وليد بحلول كانون الثاني/ يناير 2013. ومن ثمّ لم تتمكن هذه الأطراف داخل المؤتمر من ممارسة أي تأثير في التعيينات الوزارية أو النقاش حول العملية الدستورية[92]، علمًا أن مصالحهم تعارضت مع مصالح التيار الإسلامي وحلفائه الثوار، في ما سنصطلح عليه في ما يلي بـ "المعسكر الإسلامي – الثوري".

بدأ المعسكر الإسلامي - الثوري في المؤتمر الوطني بإظهار مواقفه المتصلبة إزاء القوى المحسوبة على نظام القذافي، في ما اعتبره دفاعًا عن "الثورة" من "أزلام النظام السابق". ففي تشرين الأول/ أكتوبر 2012، ضغط الإسلاميون وحلفاؤهم في اتجاه شنّ عملية عسكرية ضد مدينة بني وليد (180 كيلومترًا جنوب شرق طرابلس)، بدعوى احتضانها عددًا من فلول النظام السابق[93]. فقد تحدّت مجموعة من القوى فيها النظام السياسي الجديد منذ البداية[94]، وتفاقمت التوترات بعد احتجاز بعض المسلّحين في المدينة رهائن من مدينة مصراتة، من بينهم مقاتل سابق ممن ألقوا القبض على معمر القذافي في سرت، الذي توفّيَ متأثرًا بجراحه بعد اختطافه قريبًا من بني وليد[95]؛ ما دفع عددًا من أعضاء المؤتمر، بقيادة عبد الرحمن السويحلي، المنحدر من مدينة مصراتة، وزعيم حزب الاتحاد من

91 بارغيتر، ص 28.

92 Lacher, "Fault Lines," p. 13.

93 Lacher, *Libya's Fragmentation*, p. 30.

94 "موالون للقذافي يقتلون 4 من الثوار ويسيطرون على بعض مناطق بني وليد"، **بي بي سي عربي**، 2012/1/23، شوهد في 2023/10/27، في: https://rb.gy/vowehs؛ "مقتل 10 ثوار في بني وليد"، **الجزيرة نت**، 2012/1/24، شوهد في 2023/10/27، في: https://bit.ly/3QHSHha

95 "وفاة المقاتل الليبي الذي شارك في إلقاء القبض على العقيد معمر القذافي في باريس"، **فرانس 24**، 2012/9/27، شوهد في 2023/10/27، في: https://bit.ly/3SogWC0

أجل الوطن(96)، إضافة إلى نواب آخرين من زليتن(97) ومصراتة وسوق الجمعة وتاجوراء، للضغط على المؤتمر الوطني من أجل إصدار ما عُرف بالقرار رقم 7 الذي خوّل كتائب تابعة لميليشيات درع ليبيا(98) في مدينتَي مصراتة والزاوية، بالهجوم على مدينة بني وليد؛ فأدّى ذلك إلى تشريد آلاف المدنيين، إضافة إلى نهبٍ وتدمير للعديد من المباني والمؤسسات والمنازل داخل المدينة(99).

جرى التصويت على قرار رقم 7 في غياب أكثر من ثلث النواب، كما غادر العديد منهم قاعة المؤتمر ليتجنّبوا التصويت على القرار الذي أُقِرّ في النهاية بـ 65 صوتًا، في مقابل 7 أصوات ضده، في حين امتنع 55 عضوًا آخرين عن التصويت(100). على الرغم من التأييد الضعيف الذي حصل عليه القرار، مقارنةً بعدد نواب المؤتمر، فإنه ما كان ليرى النور من دون ضغط قوة عسكرية على الأرض تابعة سياسيًا للمعسكر الإسلامي - الثوري، في الوقت الذي زعم الناطق باسم المؤتمر الوطني العام، عمر حميدان(101)، أن الميليشيات عثرت على ابن القذافي خميس مقتولًا في بني وليد لشرعنة العملية العسكرية(102).

> أصبح تحالف القوى الوطنية لا يمتلك الغالبية العددية داخــل المؤتمر، وعاجزًا عن القيام بأي دور حقيقي داخله، أو التأثيــر في قراراته حتى لحمايــة مصالح فئات اجتماعية وسياســية قد تكون أقرب إليه من غيره

أوضحت هذه العملية أن تحالف القوى الوطنية، إضافة إلى عدم امتلاكه الغالبية العددية داخل المؤتمر، أصبح عاجزًا عن القيام بأي دور حقيقي داخله، أو التأثير في قراراته حتى لحماية مصالح فئات اجتماعية وسياسية قد تكون أقرب إليه من غيره. وذلك بعدما وجد نفسه أمام التوظيف العلني للميليشيات المسلّحة في الصراع السياسي داخل المؤتمر الوطني، وما رافق ذلك من تزايد في إجراءات "الشرعنة" للعديد من الميليشيات التي أصبحت تابعة شكليًا لوزارتي الدفاع والداخلية اللتين امتلكتا صلاحيات التوظيف والتجنيد، بناءً على معايير ذات طبيعة الزبونية - مسيّسة. وتدريجًا، أصبحت مشاهد اقتحام الميليشيات المسلّحة مقرّ المؤتمر الوطني أمرًا عاديًا(103). استمدت معظم الميليشيات المسلّحة شرعيتها من حملها السلاح وقتالها ضد نظام القذافي، لكن تواطؤ النخب السياسية مع قادتها، وضعف الحكومات المتعاقبة في التعامل معها، أدّيا دورًا كبيرًا في إضفاء شرعية مؤسسية على عملها، على الرغم من الوعود والمقترحات التي قُدّمت عبر الجهات الرسمية بشأن نزع سلاح الميليشيات وإعادة بناء الجيش.

2. التصويت على قانون العزل السياسي

بعد نجاح المعسكر الإسلامي - الثوري في إقرار القرار رقم 7، اتجه بعد ذلك مستغلًا ضعف خصمه إلى الضغط في اتجاه تمرير مشروع قانون العزل السياسي، الهادف إلى إقصاء كل من عمل ضمن النظام السابق، وذلك بطريقة أكثر شمولية من تلك التي حدّدتها هيئة النزاهة وعملت على تطبيقها. تعود الجذور الأولى لقانون العزل السياسي إلى الإعلان الدستوري الذي أصدره المجلس الانتقالي وشكّل بموجبه هيئة النزاهة. وعلى الرغم من أن الهيئة قد أقصت عددًا

96 طرح حزب الاتحاد من أجل الوطن نفسه حزبًا وطنيًا برؤى مناهضة للمركزية، لكنه يرفض النموذج الفدرالي كما تطرحه القوى الفدرالية في شرق البلاد. يقع مقر هذا الحزب في مصراتة، ويعارض بشدة أولئك الذين خدموا في نظام القذافي، بمن فيهم أولئك الذين أعلنوا انشقاقهم عن نظام القذافي وانضموا إلى المجلس الوطني الانتقالي. فاز الحزب بمقعدين ضمن القوائم الحزبية في المؤتمر الوطني العام وفقًا للأصوات التي حصل عليها في مدينة مصراتة فحسب، على الرغم من أنه حاول الظهور بمظهر وطني. ينظر:
Lacher, "Fault Lines," p. 9.

97 على الرغم من أن زليتن تحسب على المدن التي لم تلتحق بركاب "الثورة". وهو ما ينبّهنا إلى أهمية الدوافع والمصالح الشخصية المؤقتة في اتخاذ بعض النواب الممثلين لبعض المناطق والمدن قراراتهم، من أجل دعم أحد أطراف الصراع داخل المؤتمر الوطني.

98 كتيبة درع ليبيا أو (قوة درع ليبيا) هي تجمع لمجموعة كتائب مسلحة كانت ضمن كتائب الثوار الذين ساهموا في إطاحة نظام القذافي، لها حضور في العديد من مناطق ليبيا بعد انتفاضة 17 فبراير، واكتسبت سمعة بأنها تابعة للإسلاميين، وبتوجهات محسوبة على الإخوان المسلمين تحديدًا، مع أنها ظاهريًا تتبع وزارة الدفاع الليبية. للمزيد حول ميليشيات درع ليبيا وكيفية تشكّلها، ينظر:
Wolfram Lacher & Peter Cole, "Politics by Other Means Conflicting Interests in Libya's Security Sector," Small Arms Survey Graduate Institute of International and Development (May 2014), pp. 39-52.

99 أثارت تداعيات العملية استياء أوساط مختلفة داخل المجتمع الليبي؛ خاصة في مدينة بنغازي التي تعتبر شرارة الانتفاضة ضد نظام القذافي، ما يشير إلى تعقّد كبير في وجهات نظر القوى السياسية والشعبية تجاه التعامل مع المدن والمناطق المحسوبة على النظام السابق. ينظر: "اقتحام مجمع المؤتمر الوطني العام ومقر قناة خاصة ببنغازي على خلفية قصف بني وليد"، **فرانس 24**، 2022/10/22، شوهد في 2023/10/27، في: https://bit.ly/40pTRkr

100 Lacher, "Fault Lines," p. 13.

101 تجدر الإشارة هنا، إلى أن عمر حميدان، كان مرشّحًا عن تحالف القوى الوطنية الذي عارض الحملة العسكرية على مدينة بني وليد.

102 "عمر حميدان يؤكد مقتل خميس نجل الطاغية"، يوتيوب، 2012/10/20، شوهد في 2023/10/27، في: https://rb.gy/9rzfw9

103 "اقتحام مقر المؤتمر الوطني الليبي وتأجيل التصويت على حكومة زيدان"، **دويتشه فيله**، 2012/10/30، شوهد في 2023/10/27، في: https://bit.ly/40oiGNy

كبيرًا من الليبيين المحسوبين على نظام القذافي من المشاركة في الحياة السياسية، فإن عملها ظلّ يصطدم بالقضاء من حين إلى آخر في ما أصبح يشبه معركة قانونية بين من يرغب في رؤية جميع خصومه السياسيين خارج المشهد السياسي، ومن يحاول البقاء فيه.

سارع عدد من النواب المحسوبين على المعسكر الإسلامي – الثوري، في 24 كانون الأول/ ديسمبر 2012، إلى وضع مقترحات أولية متعلّقة بقانون العزل السياسي، بما يضمن امتداده إلى خارج المؤتمر ليشمل جميع العاملين سابقًا في المؤسسات والشركات وحتى القضاء[104]. لم يمض يومان حتى صوّت المؤتمر الوطني على مقترح في خصوص إقرار قانون العزل السياسي، وتعيين لجنة خاصة من الخبراء القانونيين وممثّلين عن المؤتمر لصياغة مسوّدة خاصة به. وعلى الرغم من التصويت على المقترح بغالبية 125 صوتًا داخل المؤتمر[105]، فإن تحالف القوى الوطنية أظهر معارضة قوية لمقترح القانون؛ ولم تتمحور اعتراضاته عليه في كونه سيفرغ البلاد من الخبرات والكفاءات التي تحتاج إليها فحسب، إنما بالتأكيد على أن القانون في حال إقراره سيقصي عددًا كبيرًا من أعضائه، وعلى رأسهم زعيمه محمود جبريل[106].

في هذا السياق، أسّس النائب الإسلامي عبد الوهاب القايد (في كانون الثاني/ يناير 2013) كتلة برلمانية سُمّيت كتلة "الوفاء لدماء الشهداء"، يقدّر عددها بنحو 60 عضوًا[107]، معظمهم تابعون للتيار الإسلامي (إخوان مسلمون، وسلفيون)، أما البقية فتابعة للمعسكر الثوري (نواب من بعض مدن جبل نفوسة، ومعارضو المنفى سابقًا)، فضلًا عن أعضاء لم تُعرف انتماءاتهم بصفة واضحة بعد[108]. في المقابل، شكّل تحالف القوى الوطنية في آذار/ مارس 2013 كتلة "يا بلادي"، بالتحالف مع بعض الأعضاء المستقلين من مناطق جنوب ليبيا ووسطها، ويقدّر عددها بنحو 20-40 عضوًا[109]. كشف ظهور الكتل البرلمانية المختلفة عن دخول الصراع بين النخب السياسية الليبية مرحلة جديدة من الاستقطاب، التي بدت فيها موازين القوى العددية داخل المؤتمر الوطني العام تصب بكل وضوح في مصلحة التيار الإسلامي والمتحالفين معه من القوى الثورية.

على هذا الأساس، تحركت القوى السياسية المؤيدة لقانون العزل السياسي لفرضه، بعدما شكّلت تحالفًا قويًا داخل المؤتمر الوطني، بقيادة عبد الرحمن السويحلي[110]، زعيم حزب الاتحاد من أجل الوطن، بالتعاون مع كتلتَي حزب العدالة والبناء، والوفاء لدماء الشهداء. تجدر الإشارة هنا إلى أن المعسكر الإسلامي - الثوري لم يكتف بحشد نوابه المناصرين لإصدار القانون داخل المؤتمر فحسب، بل حاول كذلك تعبئة الشارع، بإنشائه ما أُطلق عليها "تنسيقيات العزل السياسي" في أكثر من مدينة، للمطالبة بإقرار القانون[111]. حصل المعسكر الإسلامي - الثوري كذلك على دعم كبير من التيار الإسلامي المرتبط بمفتي الديار الليبية الشيخ الصادق الغرياني الذي أيد قانون العزل السياسي واعتبره أكثر من ممتاز، وأنه في حال تم تطبيقه، فستكون تلك هي البداية لتحقيق أهداف الثورة[112]. ليس هذا فحسب، بل ذهب إلى الحد الذي اعتبر في ما يشبه الفتوى أن التظاهر من أجل تأييد القانون يُعدّ فرض كفاية على الليبيين[113]. في الجهة الأخرى، حاول تحالف القوى الوطنية عرقلة صدور قانون العزل السياسي باتباعه تكتيكات مختلفة: أبرزها طلبه تعديل القانون ليقتصر تطبيقه على الذين ارتكبوا أعمالًا إجرامية فحسب، ومطالبته باستثناء من انشقّوا عن النظام وانحازوا إلى الانتفاضة في بدايتها، كما تغيّب بعض أعضائه عن جلسات المؤتمر للحيلولة دون اكتمال النصاب اللازم للتصويت على القانون. نتيجة لذلك، اتجه المعسكر الإسلامي - الثوري إلى الميليشيات المسلحة من أجل إقرار القانون[114].

في 6 آذار/ مارس 2013، اقتحم نحو 300-500 شخص، معظمهم من المسلّحين، اجتماعًا للمؤتمر الوطني كان يعقد في مقر بديل من مقرّه الأصلي في ضواحي طرابلس. وعلى الرغم من أن الاجتماع لم يحضره سوى 26 نائبًا، فإن المقتحمين احتجزوهم قرابة يوم كامل، ورفضوا السماح

104 "GNC Members Issue Statement on 'Isolation Law'," *Libya Herald*, 24/12/2012, accessed on 29/10/2023, at: https://rb.gy/ix5xai

105 "ليبيا تقر قانون 'العزل السياسي' لفلول القذافي"، **دنيا الوطن**، 2012/12/26، شوهد في 2023/10/30، في: https://bit.ly/3QDw5y0

106 بارغيتر، ص 32.

107 خيري عمر، "الأزمة الدستورية في ليبيا: أبعاد الصراع بين المكونات السياسية"، **سياسات عربية**، مج 3، العدد 13 (آذار/ مارس 2015)، ص 31-32.

108 Lacher, *Libya's Fragmentation*, p. 30.

109 "يا بلادي ... كتلة برلمانية جديدة في ليبيا"، **أخبار اليوم**، 2013/3/12، شوهد في 2023/10/29، في: https://rb.gy/rpuhqq

110 "المداخلة الكاملة لعبد الرحمن السويحلي بخصوص العزل"، يوتيوب، 2013/3/6، شوهد في 2023/10/29، في: https://rb.gy/k2kf9y

111 "تنسيقية العزل السياسي تعلن تمسّكها بإصدار قانون العزل السياسي"، **وكالة الأنباء الليبية**، 2013/3/7، شوهد في 2023/10/29، في: https://rb.gy/o2aipo؛ تولّى قيادة "تنسيقيات العزل السياسي" المنظّر السابق للجماعة الليبية الإسلامية المقاتلة، سامي الساعدي، بالتعاون مع المجلس الأعلى لثوار ليبيا. ينظر: "كلمة الشيخ سامي الساعدي، اعتصام العزل السياسي 2013/3/5"، مركز صبراتة الإعلامي، يوتيوب، 2013/3/6، شوهد في 2023/10/29، في: https://rb.gy/izufgs

112 "مفتي ليبيا: قانون العزل السياسي المطروح أكثر من ممتاز"، **ليبيا المستقبل**، 2013/2/20، شوهد في 2023/10/29، في: https://rb.gy/lj6doi

113 "مهم جدًا الشيخ الصادق الغرياني بتاريخ 2013/4/6 الخروج لمظاهرة العزل السياسي واجب على الليبيين"، يوتيوب، 2013/4/7، شوهد في 2023/10/29، في: https://rb.gy/jjh6vs

114 بارغيتر، ص 34.



بدخول الطعام والشراب إليهم، بل تفاقم الأمر ليصل إلى حد الاعتداء جسديًا على بعض النواب، بمن فيهم رئيس المؤتمر الوطني نفسه محمد المقريف الذي تعرّضت سيارته لوابل من الرصاص[115]. وفي 29 و30 نيسان/ أبريل 2013 على التوالي، حاصرت الميليشيات العسكرية القادمة من مصراتة، بالمشاركة مع ميليشيات من طرابلس والزاوية وبعض المدن في غرب البلاد، وزارتَي العدل والخارجية من أجل الضغط على المؤتمر الوطني والحكومة، لإصدار قانون العزل السياسي[116].

الجدول (4)

المصوّتون بنعم على قانون العزل السياسي وعدد الأصوات

جهة التصويت	عدد الأصوات بنعم
النواب المستقلون	100
تحالف القوى الوطنية	27
حزب العدالة والبناء (الإخوان المسلمون)	17
التيار الوطني الوسطي	2
الاتحاد من أجل الوطن	2
الجبهة الوطنية	2
الحزب الوطني الليبي	1
ليبيا الأمل	1
تجمع لبيك وطني	1
التجمع الوطني بوادي الشاطئ	1
تجمع الأصالة والتقدم	1
تجمع الأصالة والتجديد	1
الوطن والنماء	1
تجمع وادي الحياة للديمقراطية والتنمية	1
تجمع الأمة الوسط	1
الوطن للتنمية والرفاه	1
كتلة الأحزاب الوطنية	1
الرسالة	1
النائبة نعيمة رمضان دلف (لم يُعثر على بيانات الجهة المترشّحة عنها، لكنها صوتت بنعم على إقرار القانون)	1
المجموع	**163**

المصدر: من إعداد الباحث اعتمادًا على البيانات المتوفّرة في بث جلسة العزل على الهواء مباشرة في **قناة ليبيا الوطنية**: "التصويت بالاسم لأعضاء المؤتمر الوطني حول قانون العزل السياسي (للذكرى)"، يوتيوب، 2013/5/5، شوهد في 2023/10/30، في: https://bit.ly/3s8UcLR

صوّت المؤتمر الوطني على القانون أخيرًا في 5 أيار/ مايو 2013، في جلسة حضرها 168 نائبًا، اختار 163 منهم التصويت لمصلحة إقرار القانون، في مقابل 5 صوتوا ضده، بينما تغيّب نحو 20 عضوًا عن الجلسة. أما بالنسبة إلى الاثني عشر عضوًا المتبقين من إجمالي عدد نواب المؤتمر الوطني الـ 200، فلم يتسنّ لنا العثور على بياناتهم، أو أماكنهم خلال عقد الجلسة، ونرجّح أن عددًا منهم كان قد استقال أو عُزِلَ من هيئة النزاهة. جاءت المادة الأولى[117] في قانون العزل السياسي بصيغة متطرفة للغاية، إلى الحد الذي يستحيل تطبيقها عمليًا؛ على اعتبار أن الصيغة النهائية لم تفرّق بين المنصب وسلوك صاحبه، خاصة إن علمنا أن الدولة، في عهد نظام القذافي الذي استمر مدة 42 عامًا، كانت مصدر الدخل الوحيد لدى الغالبية العظمى من السكّان المعتمدين على الرواتب الحكومية. فهذه الصيغة تعني ضمنيًا إمكانية طرد معظم النواب من مناصبهم (لأن معظمهم عملوا موظفين في دولة القذافي)، إلّا أنهم لأسباب انتهازية شخصية، أو بسبب الخوف، صوّتوا عمليًا ضد أنفسهم. ومن بين هؤلاء النواب المقريف، رئيس المؤتمر الوطني الذي شغل منصب سفير، قبل أن ينشق عن القذافي في بداية الثمانينيات، ويشكّل جبهة الإنقاذ الوطني المعارضة في المنفى، وجمعة اعتيقة نائب رئيس المؤتمر الوطني، والرئيس السابق لمنظمة القذافي لحقوق الإنسان[118].

115 "مسلحون وسط حشد من المحتجين يطلقون النار على سيارة رئيس المؤتمر الليبي"، **رويترز**، 2013/3/6، شوهد في 2023/10/29، في: https://reut.rs/3QG2ior؛ كذلك للمزيد من التفاصيل، ينظر شهادة رئيس المؤتمر الوطني السابق في برنامج "شاهد على العصر" في قناة **الجزيرة**، ينظر: "شاهد على العصر| محمد المقريف (17) قانون العزل السياسي ومحاولة اغتيال المقريف"، قناة الجزيرة، يوتيوب، 2020/3/22، شوهد في 2023/10/29، في: https://bit.ly/3Mqqf0t

116 "العزل السياسي في ليبيا: مسلحون يحاصرون وزارة العدل للمطالبة بإقصاء رموز القذافي"، **بي بي سي عربي**، 2013/4/30، شوهد في 2023/10/29، في: https://rb.gy/yuyoti؛ "مسلحون يحاصرون مقر وزارة الخارجية في ليبيا"، **بي بي سي عربي**، 2013/4/28، شوهد في 2023/10/29، في: https://bbc.in/3QoKFYW

117 تحظر المادة الأولى في قانون العزل السياسي كل من عمل في النظام السابق (1969-2011)، ممن تولّى المناصب والوظائف العامة، إضافة إلى كل من يشتبه بإفساده الحياة السياسية والاقتصادية في البلاد خلال عهد القذافي. للمزيد من التفاصيل، ينظر: المؤتمر الوطني العام-ليبيا، "قانون رقم (13) لسنة 2013م في شأن العزل السياسي والإداري"، 2013/5/8، شوهد في 2023/10/30، في: https://bit.ly/49mDrxx

118 صرّح محمد المقريف (الرئيس السابق للمؤتمر الوطني) في لقاء معه ضمن برنامج "شاهد على العصر" في عام 2020، بأن قانون العزل السياسي كان من أكثر القوانين ظلمًا في مرحلة ما بعد القذافي، لأنه لم يفرّق بين من عمل موظفًا عاديًا في الدولة، ومن أجرم في حق الشعب الليبي. ينظر: "شاهد على العصر| محمد المقريف (17)".

عمومًا، أثبتت نتائج التصويت اتساق موقف المعسكر الإسلامي - الثوري، بعدما تمكّن من تحقيق غالبية تصويتية عبر كتلتَي الوفاء لدماء الشهداء، وحزب العدالة والبناء الذي صوت أعضاؤه الـ 17 لمصلحة القرار، إضافة إلى المستقلين وبعض الكيانات الصغيرة[119] (معظمها من مناطق ضعيفة التمثيل عسكريًا واقتصاديًا في النظام الجديد، وتقع ضمن وسط ليبيا وجنوبها تحديدًا). يضاف إلى ذلك الدور الحاسم للميليشيات العسكرية التي اعتُمدت وسيلةَ ضغط، وظّفها المعسكر الإسلامي - الثوري ببراعة. تكشف نتائج التصويت، كذلك عن تناقض كبير في موقف تحالف القوى الوطنية؛ حيث صوّت 27 عضوًا من أعضائه لمصلحة إقرار القانون، على الرغم من أنه صُمّمَ خصّيصًا لإقصاء قياداته وعلى رأسهم زعيمه محمود جبريل، في مقابل تغيّب 7 منهم عن الجلسة، وتصويت 3 منهم فقط ضد القرار.

> أدّى الضغط الذي شكلته الميليشيات المسلحة إلى تسريع إقرار قانون العزل السياسي الذي أثبت أيضًا أن الإسلاميين، على الرغم من عدم تحصيلهم غالبية مقاعد القوائم الحزبية في انتخابات تموز/ يوليو 2012، يتمتعون في المؤتمر الوطني العام بكتلة متماسكة وقوية، لا تقتصر على الأعضاء المنتخبين باسم حزب العدالة والبناء، الذين أظهروا ولاءً أقوى كثيرًا من أولئك المرتبطين بالتحالف الوطني

في الحصيلة، أدّى الضغط الذي شكلته الميليشيات المسلحة إلى تسريع إقرار قانون العزل السياسي الذي أثبت أيضًا أن الإسلاميين، على الرغم من عدم تحصيلهم غالبية مقاعد القوائم الحزبية في انتخابات تموز/ يوليو 2012، من جهة، يتمتعون في المؤتمر الوطني العام بكتلة متماسكة وقوية، لا تقتصر على الأعضاء المنتخبين باسم حزب العدالة والبناء، الذين أظهروا ولاءً أقوى كثيرًا من أولئك المرتبطين بالتحالف الوطني. ومن جهة أخرى، أثبتوا قدرتهم على الاستفادة من علاقتهم بالحكومات المتعاقبة لبناء قدرات تنظيمية، استُخدمت لزيادة نفوذهم السياسي، وتوظيف الميليشيات المرتبطة بهم مباشرة أو المتحالفة معهم من القوى الثورية المسلحة في حالة لجأ خصومهم في المؤتمر الوطني العام إلى تعطيل عمله، مثلًا من خلال عدم توفير النصاب القانوني اللازم للتصويت على القوانين التي تتطلب غالبية معينة.

تمكّن أيضًا الظروف المحيطة بفرض قانون العزل السياسي من فهم أفضل لطبيعة تحالف القوى الوطنية، الذي هو أشبه بتحالف انتخابي أكثر من كونه حزبًا سياسيًا محكومًا بأيديولوجيا واضحة. ففي الوقت الذي نجحت فيه استراتيجياته الانتخابية في زيادة قاعدته التصويتية، فإن هيكله الواسع والمصمّم أساسًا للفوز بانتخابات المؤتمر الوطني العام انعكس سلبيًا على أدائه داخل المؤتمر. فقد ظهر بأداءٍ ضعيف، وفاقد لأي نوع من التماسك، والولاء الطويل الأمد لبرامجه وأجنداته. وهو ما مكّن خصومه من الإسلاميين وحلفائهم من تقويض شرعيته السياسية - الانتخابية بسهولة، بما يتوافق مع مصالحهم، مستفيدين من تماسكهم الأيديولوجي.

بعد إقرار القانون، استقال كل من رئيس المؤتمر محمد المقريف[120] ونائبه جمعة اعتيقة[121]. ونُصّب نوري أبو سهمين، النائب الأمازيغي والعضو في كتلة الوفاء لدماء الشهداء، رئيسًا للمؤتمر الوطني العام[122]. لم ينتظر أبو سهمين كثيرًا لبدء العمل على استكمال سياسات المعسكر الإسلامي - الثوري، من أجل ضمان الحفاظ على المكاسب التي أُحرزت بعد إقرار قانون العزل السياسي، ولإزاحة المزيد من المنافسين حتى المعتدلين والتوافقيين منهم. فانتحل صفة "القائد الأعلى للقوات المسلّحة" باعتباره رئيسًا لأعلى سلطة سياسية في البلاد، واستخدم أيضًا صلاحياته في زيادة الميزانيات المخصّصة للميليشيات العسكرية المتحالفة مع المعسكر الذي ينتمي إليه، إضافة إلى تأسيسه ميليشيات جديدة، عرفت باسم "غرفة عمليات ثوار ليبيا"[123].

---

119 على سبيل المثال: حزب (لبيك وطني في مدينة سبها)، وحزب (الحكمة في إجدابيا)، حزب (تجمع وادي الحياة للديمقراطية والتنمية في أوباري).

120 "استقالة رئيس المؤتمر العام الليبي محمد المقريف بعد إقرار قانون 'العزل السياسي'"، **بي بي سي عربي**، 2013/10/30، شوهد في 2023/3/14، في: https://bbc.in/3FKxDAh

121 "استقالة النائب الأول لرئيس البرلمان الليبي"، **وكالة الأنباء السعودية**، 2013/7/16، شوهد في 2023/10/31، في: https://rb.gy/6kybpa

122 "انتخاب نوري أبو سهمين رئيسًا للبرلمان الليبي"، **بي بي سي عربي**، 2013/6/25، شوهد في 2023/10/31، في: https://bbc.in/3QJtaEl

123 في حزيران/ يونيو 2013، جمع رئيس المؤتمر الوطني العام أبو سهمين بعض الميليشيات السابقة التابعة لوزارة الدفاع، تحت اسم "غرفة عمليات الثوار الليبيين"، وكلّفها بتوفير الأمن لطرابلس في تموز/ يوليو 2013. ومنح أبو سهمين نفسَه صلاحيات القائد العام للجيش الوطني الليبي ورئيس غرفة عمليات الثوار في البداية. ينظر:
Pack, Mezran & Eljarh, pp. 47-48.

في وقت ظل المؤتمر الوطني العام يسير في طريق مسدودة، بدأت الأطراف التي شعرت بأنها أُقصيت من العملية السياسية (تحالف القوى الوطنية وميليشيات الزنتان، وبعض القوى المحسوبة على النظام السابق والقوى الفدرالية، وبقايا ضباط الجيش النظامي المهمّشين بقيادة خليفة حفتر) في إلقاء اللوم أكثر فأكثر على المؤتمر الذي اعتُبر مختطفًا من الإسلاميين. وأصبح ينظر إلى العمل العسكري على أنه التكتيك الأنجح بعد فرض المعسكر الإسلامي - الثوري القرار رقم 7 وقانون العزل السياسي، وباتت جميع الأطراف الأخرى تراهن على العنف في تحقيق أهدافها.

دخلت ليبيا مرحلة الحرب الأهلية الشاملة، بدءًا بإعلان حفتر عملية "الكرامة"، في 16 أيار/ مايو 2014[124]؛ وهي حملة عسكرية استهدفت في الأساس مجموعة من الميليشيات المسلّحة التابعة لفصائل ثورية وأخرى إسلامية، بعضها جهادي (كتنظيم أنصار الشريعة)، والمتحالفة سياسيًا مع القوى المسيطرة على المؤتمر الوطني. سارعت الأطراف السياسية المتصارعة مع المعسكر الإسلامي - الثوري إلى تأييد عملية الكرامة، فقد أصدر تحالف القوى الوطنية بيانًا دعا فيه إلى تأييد العملية، بوصفها عملية وطنية يقوم بها الجيش الليبي لتخليص البلد من التطرّف والإرهاب، مشددًا على ضرورة "أن تلتزم قيادات الجيش الوطني المُشارِكة في العملية بالوعد الذي قطعته أمام نفسها والشعب بعدم التدخل في شؤون الحياة السياسية بأي شكل وحماية المسار الديمقراطي الذي اختاره الليبيون في الثورة"[125].

بعد يومين من بيان حفتر، شنت ميليشيتا القعقاع والصواعق هجومًا على المؤتمر الوطني العام، خلال جلسته المخصّصة للتصويت على حكومة أحمد معيتيق، وذلك في خطوة اعتبرها خصومهم بداية لانقلاب عسكري وشيك، خطّط له حفتر، بالتنسيق مع ميليشيات مدينة الزنتان المُستهدفة معظم قياداتها بالعزل السياسي، خاصة أن المتحدّث السابق باسم عملية الكرامة الرائد محمد الحجازي كان قد صرّح أن وحدات تابعة للجيش الليبي قد أخذت في النزول إلى شوارع العاصمة الليبية لتخليصها من الجماعات المتطرّفة والمتحالفين معها، بعد تعليق عمل مؤسسات الدولة كافة[126]. أدّت العملية العسكرية التي كان يقودها حفتر في شرق البلاد، تزامنًا مع التحرّكات العسكرية لميليشيات الزنتان في غربها، إلى ظهور عملية فجر ليبيا[127] في عملية استباقية لمنع "نقل" عملية الكرامة إلى غرب البلاد. وقبل أن يؤدي مجلس النواب اليمين الدستورية، شنّت ميليشيات فجر ليبيا هجومًا في 13 تموز/ يوليو 2014 على طرابلس، وتمكّنت من فرض سيطرتها عليها في نهاية آب/ أغسطس 2014[128].

خاتمة

بعد مرور قرابة أكثر من عقد على انتخاب المؤتمر الوطني العام، في تموز/ يوليو 2012، تعود هذه الدراسة لتراجع التأويلات التي رافقت الإعلان عن نتائج انتخاباته، حيث بيّنا فيها أن الأطروحة القائلة إن المسار الانتخابي الليبي أسفر عن فوز التيار الليبرالي على حساب التيار الإسلامي غير دقيقة، إن لم تكن "مُضلّلة"؛ على اعتبار إغفال طبيعة النظام الانتخابي الذي جعل فئة المستقلين التي أريد لها أن تكون نظريًا مستقلة عن التكتلات السياسية، لكنها، في الحقيقة، لم تكن غالبية أفرادها، عمليًا، كذلك. وذلك لأن نسبة من هؤلاء النواب كانت قريبة من التيار الإسلامي أو المجموعات الثورية لأسباب أيديولوجية أو مناطقية حتى قبل انتخابهم، أو لأن المعسكر الإسلامي - الثوري تمكّن من ضمان إصفافهم إلى جانبه في المؤتمر الوطني العام، لأسباب مصلحية، أو بالإكراه عن طريق توظيف القوة الضاغطة للميليشيات، حيث محاصرة المؤتمر، أو حتى السيطرة على مقرّه ودخول جلساته إن لزم الأمر.

مما سبق، نخلص إلى أن الانتخابات التشريعية الليبية في عام 2012، وما تلاها من صراعات داخل أعمال المؤتمر الوطني العام، لم تكن في جوهرها أيديولوجية، أو على الأقل لم تكن الأيديولوجيا قلبها أو المحدد الأساس للعملية السياسية، بل تمحورت في مجملها حول دور أو موقع عناصر النظام السابق في منظومة السلط الجديدة التي كانت قيد التشكّل. وكان ذلك بين طرف سعى لاحتكار جميع مكتسبات انتفاضة 17 فبراير (المعسكر الإسلامي - الثوري)، وآخر اعتبر نفسه خاسرًا فعليًا أو محتملًا في النظام الناشئ، مع توالي عمليات عزل أطرافه وإقصائهم من السلطة في النظام الجديد. وظهر هذا الأمر

124 Aimen Majeed & Moutaz Ahmed, "Hafter Launches Benghazi Attack on Islamists," *Libya Herald*, 16/5/2014, accessed on 21/3/2023, at: https://bit.ly/49mGBBs

125 "تحالف القوى الوطنية يعلن تأييده 'كرامة ليبيا'"، **بوابة الوسط**، 2014/5/21، شوهد في 2023/11/1، في: https://rb.gy/buufi9

126 "مواجهات في طرابلس واقتحام مقر المؤتمر الوطني الليبي"، **دويتشه فيله**، 2014/5/18، شوهد في 2023/11/1، في: https://bit.ly/46WgJdZ

127 فجر ليبيا هو تحالف مجموعة ميليشيات إسلامية - ثورية في ليبيا من أبرزها: درع ليبيا الوسطى، غرفة ثوار ليبيا في طرابلس، وميليشيات تنحدر أساسًا من مناطق مصراتة، إضافة إلى ميليشيات من مدن غريان والزاوية وصبراتة، علاوة على ميليشيات تُسمّى "الحرس الوطني" بقيادة وكيل وزارة الدفاع وعضو الجماعة المقاتلة الليبية السابق خالد الشريف، كذلك اعتبر تحالف ما يسمى مجلس ثوار بنغازي المستهدف من عملية حفتر امتدادًا عسكريًا لعملية فجر ليبيا في شرق البلاد. ينظر: "عملية 'فجر ليبيا'"، **الجزيرة نت**، 2014/8/23، شوهد في 2023/11/2، في: https://bit.ly/47gTgUE

128 "ميليشيات 'فجر ليبيا' الإسلامية تعلن سيطرتها على مطار طرابلس الدولي"، **فرانس 24**، 2014/8/23، شوهد في 2023/11/2، في: https://bit.ly/3Qo5ofr

جليًا في الطريقة التي فُرض بها القرار رقم 7 والعزل السياسي، والتي كما رأيناها، تمت بمساعدة أطراف من خارج المؤتمر الوطني العام وتحت تهديد بعض الميليشيات المسلّحة المتقاطعة مصالحها مع التيار الإسلامي - الثوري المتشدد في المؤتمر. وهو ما أدّى إلى تعميم الاقتناع بأن العنف المسلّح هو السبيل الوحيد، إما لفرض الهيمنة على السلطة بالنسبة إلى الطرف الأول، وإما لضمان عدم الإقصاء من الحياة السياسية بالنسبة إلى الطرف الثاني. فكانت حصيلة مماثلة لما كان سائدًا في عهد القذافي؛ أي مزيدًا من تركيز السلطة خارج المؤسسات الرسمية للدولة.

المراجع

العربية

"انتخابات المؤتمر الوطني في ليبيا: بين تجاذبات النّخب والديناميّة المجتمعيّة". **تقدير موقف**. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات (حزيران/ يونيو 2012). في: https://bit.ly/46SpSUA

بارغيتر، أليسون. "الأصلاء والدخلاء في ليبيا الجديدة". **سياسات عربية**. مج 2، العدد 11 (تشرين الثاني/ نوفمبر 2014).

التير، مصطفى عمر. **الثورة الليبية: مساهمة في تحليل جذور الصراع وتداعياته**. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2020.

الشريف، عابدين الدردير وراضية محمد المعداني. **تاريخ الانتخابات في ليبيا 1877-2014م**. طرابلس، ليبيا: الهيئة العامة للثقافة، 2019.

الصواني، يوسف محمد جمعة. **ليبيا الثورة وتحديات بناء الدولة**. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2013.

عمر، خيري. "الأزمة الدستورية في ليبيا: أبعاد الصراع بين المكونات السياسية". **سياسات عربية**. مج 3، العدد 13 (آذار/ مارس 2015).

ليبيا: تحديات الانتقال الديمقراطي وأزمة بناء الدولة. أحمد قاسم حسين (محرر). الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2022.

المفوضية الوطنية العليا للانتخابات، الإدارة المركزية للانتخابات. "نتائج الكيانات السياسية لانتخابات المؤتمر الوطني العام 2012". في: https://bit.ly/3FtC8io

________. "نتائج المرشحين الأفراد لانتخابات المؤتمر الوطني العام 2012". في: https://bit.ly/3Mb4VMx

بالحاج، عبد الحكيم الخويلد [وآخرون]. دراسات تصحيحية في مفاهيم الجهاد والحسبة والحكم على الناس. [د. م.]: [د. ن.]، 2009.

الأجنبية

Ahmida, Ali Abdullatif. "The Libyan National Transitional Council: Social Bases, Membership and Political

Pack, Jason, Karim Mezran & Mohamed Eljarh. "Libya's Faustian Bargains: Breaking the Appeasement Cycle." Atlantic Council (May 2014).

St John, Ronald Bruce. "Libyan Election Breaks Arab Spring Pattern." *The International Spectator*. vol. 47, no. 3 (2012).

Tempelhoff, Susan Tarkowski & Manal Omar. "Stakeholders of Libya's February 17 Revolution." United States Institute of Peace (January 2012).

Trends." Al Jazeera Center for Studies. 30/10/2011. at: https://tinyurl.com/yrpha5z9

Ashour, Omar. "Libya's Defeated Islamists." Brookings. 17/7/2012. at: Https://Shorturl.At/Qux38

European Union Election Assessment Team in Libya. "Final Report-General National Congress Election – 2012." 7/7/2012. at: https://shorturl.at/aowZ6

Fitzgerald, Mary. "Introducing the Libyan Muslim Brotherhood." *Foreign Policy*. 2/11/2012. at: https://rb.gy/fpugo5

Gaub, Florence. *The Gulf Moment: Arab Relations Since 2011*. Pennsylvania: US Army War College Press, 2015.

Lacher, Wolfram. "Fault Lines of the Revolution Political Actors, Camps and Conflicts in the New Libya." *Research Paper*. SWP (2013).

________. *Libya's Fragmentation Structure and Process in Violent Conflict*. London: I. B. Tauris, 2020.

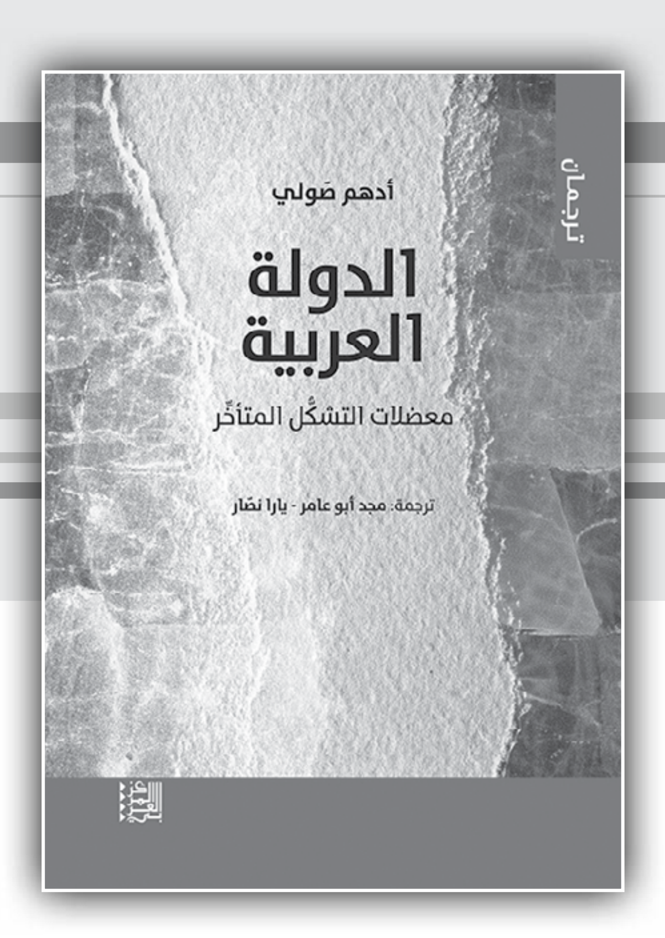
Lacher, Wolfram & Peter Cole. "Politics by Other Means Conflicting Interests in Libya's Security Sector." Small Arms Survey Graduate Institute of International and Development (May 2014).

Mezran, Karim, Fadel Lamen & Eric Knecht. "Post-revolutionary Politics in Libya: Inside the General National Congress." Atlantic Council. 21/5/2013.

Nohlen, Dieter, Michael Krennerich & Bernhard Thibaut. *Elections in Africa: A Data Handbook*. Oxford: Oxford University Press, 1999.

Pack, Jason (ed.). *The 2011 Libyan Uprisings and the Struggle for the Post Qadhafi Future*. New York: Palgrave Macmillan, 2013.

Pack, Jason & Haley Cook. "The July 2012 Libyan Election and the Origin of Post-Qadhafi Appeasement." *Middle East Journal*. vol. 69, no. 2 (Spring 2015).



صـدر حديـثًا

تـأليف: أدهم صولي
تـرجمة: مجد أبو عامر ويارا نصّار

الدولة العربية: معضلات التشكُّل المتأخِّر

صدر عن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ضمن سلسلة "ترجمان"، كتاب **الدولة العربية: معضلات التشكُّل المتأخِّر** *The Arab State: Dilemmas of Late Formation*، من تأليف أدهم صولي، وترجمة مجد أبو عامر ويارا نصّار.



دراسة مترجمة

Translation





المعرّف الرقمي DOI
https://doi.org/10.31430/IPSJ9465

جينيفر غاندي وإلين لوتر-أوكار | Jennifer Gandhi*, and Ellen Lust-Okar**

ترجمة حسن احجيج | Translated by Hassane Hjij***

الانتخابات في ظل الاستبداد****

Elections Under Authoritarianism

ركّزت الدراسات الحالية للانتخابات في الأنظمة الاستبدادية[I] على استكشاف العلاقة بين الانتخابات والدمقرطة، واستخدمت عمومًا، للقيام بذلك، أطرًا ومناهج تحليلية مستعارة من دراسة الانتخابات في السياقات[II] الديمقراطية الحقيقية. منعت هذه التوجهاتُ العلماءَ من طرح مجموعة واسعة من الأسئلة عن الديناميات الجزئية للانتخابات في الأنظمة الاستبدادية والاختلافات البنيوية بينها. تسعى هذه المراجعة، مع مراعاة هذه القضايا، لفحص الأدبيات التي تدرس هدف الانتخابات في الدكتاتوريات، والسلوك الانتخابي للناخبين والمرشّحين والسلطات القائمة فيها، والعلاقة بين الانتخابات والدمقرطة. وتنتهي المراجعة بالدعوة إلى إعادة توجيه دراسة الانتخابات الاستبدادية نحو كشف الاختلافات المهمة القائمة بينها وتفسيرها.

كلمات مفتاحية: الدكتاتورية، السلوك الانتخابي، المؤسسات.

Current scholarship on elections in authoritarian regimes has focused on exploring the relationship between elections and democratization, and it has generally used analytical frameworks and methods imported from the study of genuinely democratic elections to do so. These tendencies have kept scholars from asking a wide range of questions about the micro-level dynamics of authoritarian elections and the systematic differences among them. With these issues in mind, this review examines literature that investigates the purpose of elections in dictatorships; the electoral behavior of voters, candidates, and incumbents in these elections; and the link between elections and democratization. The review ends with a call to redirect the study of authoritarian elections toward uncovering and explaining the important differences among them.



Keywords: Dictatorship, Electoral Behavior, Institutions.

* أستاذة العلوم السياسية، جامعة إيموري، أتلانتا، جورجيا، الولايات المتحدة.
Professor of Political Science, Emory University, Atlanta, Georgia, USA.

** أستاذة العلوم السياسية، جامعة ييل، نيو هيفن، كونيكتيكوت، الولايات المتحدة.
Professor of Political Science, Yale University, New Haven, Connecticut, USA.

*** سوسيولوجي ومترجم مغربي.
Moroccan Sociologist and Translator. Email: hassane.hjij@gmail.com

**** هذا النص ترجمة لـ:
Jennifer Gandhi and Ellen Lust-Okar, "Elections Under Authoritarianism," *Annual Review of Political Science*, vol. 12 (2009), pp. 403-422.

(I) التي تشير إليها المؤلفتان لاحقًا في النص بـ "الانتخابات الاستبدادية". (المحرر)

(II) كل ما هو بين معقوفين [ ]، إضافات محرر العدد لتسهيل الفهم أو تقريب المعنى.

مقدمة

تُفهم الانتخابات الاستبدادية غالبًا بأنها ظاهرة متجانسة ونادرة الحدوث، ولا تتوافق إلى حدٍ ما مع الدكتاتورية المستقرة، لكن فحصًا سريعًا لممارسة هذه الانتخابات في جميع أنحاء العالم يكشف عن صورة مختلفة تمامًا. فقد أجرت السلطات القائمة في أوروبا الغربية وأميركا اللاتينية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر انتخابات قبل ظهور الديمقراطية بوقت طويل[1]، وتدعو السلطات الحاكمة في الغالبية العظمى من الأنظمة اليوم الناخبين إلى صناديق الاقتراع[2]؛ ويعني ذلك أن الانتخابات الاستبدادية ليست نادرة، ولا تؤدي حتمًا إلى إضعاف المستبدين، كما ذهب إلى ذلك [عدد من الباحثين] من قبل[3].

علاوة على ذلك، إن الانتخابات الاستبدادية - التي نعني بها، ببساطة، الانتخابات التي تُجرى في الأنظمة غير الديمقراطية - شديدة التنوّع. تجري هذه الانتخابات على مستويات مختلفة (الرئاسية، والبرلمانية، والمحلية) ولانتخاب هيئات ذات صلاحيات متفاوتة إلى حدٍ بعيد (من مجرد هيئات [شكلية يقتصر دورها على التأشير أو] الختم التلقائي [على القوانين أو قرارات الحكام الفعليين] إلى المجالس التشريعية التي تتمتع بسلطة حقيقية في وضع السياسات والميزانية). وتختلف في الدرجة التي تسمح بها السلطات القائمة للمرشحين والأحزاب بالتنظيم الذاتي المستقل. وتختلف أيضًا من حيث القواعد التي تحكم الانتخابات (قواعد تجميع [الأصوات ونتائج الانتخابات]، وعمليات تقسيم الدوائر[4]، ومعايير أهلية المرشحين) باختلاف البلدان والأزمنة. وكذلك الشأن بالنسبة إلى الحريات التي تتمتع بها وسائل الإعلام والجمعيات المدنية والأحزاب السياسية. ونتيجة لهذه الاختلافات، تراوح الانتخابات الاستبدادية بين الانتخابات الحرة والنزيهة نسبيًّا والانتخابات التي تكون فيها خيارات المرشحين والمواطنين مقيّدة بشدة.

1 T. Zeldin, *The Political System of Napoleon III* (London: Macmillan, 1958); E. Posada-Carbo, *Elections before Democracy: The History of Elections in Europe and Latin America* (New York: St. Martin's, 1996).

2 S. Hyde, "Observing Norms: Explaining the Causes and Consequences of Internationally Monitored Elections," PhD. Thesis, Department of Political Science, University of California, San Diego, 2006; P. Roessler & M. M. Howard, "Electoral Dominance in Authoritarian Regimes," Paper Presented in the Annual Meeting of American Political Science Association, Boston, MA, 2008.

3 G, Hyden & C. Ley, "Elections and Politics in Single-Party Systems: the Case of Kenya and Tanzania," *British Journal of Political Science*, vol. 2, no. 4 (1972); G. Hermet, R. Rose & A. Rouquie, *Elections without Choice* (New York: Wiley, 1978).

4 المقصود الاختلافات في طبيعة الأنظمة الانتخابية التي تجري وفقها الانتخابات، مثلًا: نظام نسبي أو نظام الغالبية. (المحرر)

أدرك الباحثون ذلك، وأنشؤوا نماذج تميز بين الأنظمة الاستبدادية "الهجينة"، والأنظمة "الاستبدادية التنافسية"، والأنظمة "الاستبدادية الانتخابية"، وغيرها[5]. لكن هذه التمييزات العامة تخفي وراءها اختلافات مهمة في بنية الانتخابات الاستبدادية. والأهم أن الباحثين ركزوا على استكشاف العلاقات بين الانتخابات والدمقرطة، واستخدموا في ذلك عمومًا أطرًا ومناهج تحليلية مستعارة من دراسة الانتخابات [في السياقات] الديمقراطية الحقيقية. إننا نحاجّ بأن هذه التوجهات منعت علماء السياسة من طرح مجموعة واسعة من الأسئلة عن الديناميات الجزئية للانتخابات الاستبدادية، وكيف يختلف بنيويًّا بعضها عن بعض. سنظل إلى حين الخوض في هذه الأسئلة غير قادرين على فهم سياسات الاستبداد فهمًا كاملًا، ومن المفارق أننا سنبقى غير قادرين أيضًا على تحديد العلاقة بين الانتخابات الاستبدادية والدمقرطة.

تعرض هذه الدراسة الأبحاث العلمية التي درست الانتخابات الاستبدادية، مع أخذ هذه القضايا في الحسبان. نبدأ بفحص الأعمال التي تستكشف أهداف الانتخابات في الأنظمة الدكتاتورية. ثم ننتقل إلى الدراسات التي تأخذ في الحسبان السلوك الانتخابي للناخبين والمرشحين والسلطات القائمة في هذه الانتخابات. وسنبحث أخيرًا في العلاقة بين الانتخابات والدمقرطة. وتنتهي المراجعة بالدعوة إلى إعادة توجيه دراسة الانتخابات الاستبدادية نحو كشف الاختلافات المهمة القائمة بينها وتفسيرها.

أولًا: دور الانتخابات الاستبدادية في الأنظمة الاستبدادية

يستغرب الباحثون من التناقض الظاهري بين الأنظمة الاستبدادية والانتخابات [من جهة]، ومن الواقع الإمبيريقي [من جهة أخرى]، المتمثل في أن الأنظمة الاستبدادية التي تعتمد الانتخابات تدوم أكثر من نظيرتها التي لا تعتمدها[6]، ويدفعهم ذلك بصفة متزايدة إلى دراسة دور الانتخابات في هذه الأنظمة. ينظر هؤلاء الباحثون اليوم عمومًا إلى إجراء الانتخابات وسيلةً تمكّن الدكتاتوريين من

5 L. Diamond, "Thinking about Hybrid Regimes," *Journal of Democracy*, vol. 13, no. 2 (2002); S. Levitsky & L. A. Way, "The Rise of Competitive Authoritarianism," *Journal of Democracy*, vol. 13, no. 2 (2002); A. Schedler (ed.), *Electoral Authoritarianism: The Dynamics of Unfree Competition* (Boulder, CO: Lynne Rienner, 2006).

6 B. Geddes, "Authoritarian Breakdown: Empirical Test of A Game Theoretic Argument," Paper Presented in the Annual Meeting of American Political Science Association, Atlanta, GA, 1999.

الاحتفاظ بالسلطة. إن ما يختلفون فيه هو تركيزهم [في سياق دراستهم لدور الانتخابات في تلك الأنظمة] على أنواع مختلفة من التهديدات التي تواجه سلطة الدكتاتوريين: نخب النظام، وجماعات المعارضة، والمواطنين. كما أنهم يختلفون في ما بينهم بأقل وضوحًا في أنواع الانتخابات التي يدرسونها (المحلية أو الوطنية، التشريعية أو التنفيذية)، والتي تخضع لقواعد مختلفة تمامًا، وتعمل [على نحوٍ مختلف] في الأنواع المختلفة من الأنظمة [غير الديمقراطية]. نادرًا ما يُعتَرَفُ بهذه التباينات، لكن يمكن أن تكون مصدر خلاف بشأن طبيعة الانتخابات الاستبدادية.

1. تفسيرات

يَعُدُّ العديد من الباحثين الانتخابات الاستبدادية أداةً مؤسساتيةً، يمكن أن يستخدمها الدكتاتوريون لاستمالة النخب[7]، أو أعضاء الأحزاب [المعارضة][8]، أو مجموعات أكبر داخل المجتمع[9]. ويمكن أن تكون الانتخابات بالنسبة إلى الدكتاتوريين أنسب طريقة لتوزيع غنائم المناصب على نطاق واسع بين أعضاء النخبة. ويمكن أن تَعُدَّ النخبُ الانتخاباتِ (في تعارض مع التعيين) طريقةً "عادلة" أو "فعّالة" للتوزيع: فالحصول على منصب سياسي، والغنائم المصاحبة له، يتوقف على محاولات كل عضو شراء الناخبين وإقناعهم[10]. يستطيع الدكتاتور بهذه الطريقة التأكد من أن النخب الأكثر "شعبية" مرتبطة بالنظام، وأنها ليست مكتفية بخدمة أهداف النظام فحسب، [بل إن هناك أيضًا قواعدَ شعبيةً داعمةً لتلك النخب التي يعتمد عليها، أو المشكلة له]. وأخيرًا، تساعد الانتخابات السلطات القائمة في الحفاظ على علاقاتها بالنخب، بردع الانشقاق بين أعضاء الائتلاف الحاكم. يستطيع النظام استمالة الناخبين وشراءهم وترهيبهم، لحملهم على الإدلاء بأصواتهم لمصلحته. ومن ثمة، فإن انتصاراته الساحقة في الانتخابات تمثل إشارة إلى أعضاء نخبة النظام بأن المعارضة لا فائدة منها[11]. بل يمكن الانتخابات أن "تجعل اتفاقَ تقاسمِ السلطة خيارًا فعّالًا بإلزام الحاكم بترقية القواعد إلى مناصب السلطة بانتظام معيّن"[12].

تُستخدَمُ الانتخابات أيضًا لاستمالة co-opt المعارضة. فعندما يسمح الدكتاتوريون للمرشحين والأحزاب غير المدعومة من النظام بالتنافس في الانتخابات المحلية والتشريعية، فإنهم يوفّرون لهم وسائل تخوّلهم الترشح إلى المناصب السياسية التي يمكن أن تفتح لهم باب الوصول إلى الغنائم، وقدرة محدودة على اتخاذ القرار. إنهم بذلك يستخدمون الانتخابات لتقسيم قوى المعارضة. توفر الانتخابات حوافز مختلطة لأحزاب المعارضة التي يمكن أن تعارض الدكتاتورية الحالية، لكنها تريد أيضًا الاستفادة من غنائم الحكم. يعمد الدكتاتوريون، بتنظيم الانتخابات، ووضع القواعد المتعلقة بالأهلية القانونية للمرشحين والأحـزاب، إلى خلق "بنى تنازع منقسمة" Divided Structures of Contestation، تتألف ممن هم خارج البنية [المؤسساتية التي يحدّدها النظام] الذين لا يُسمح لهم بالمنافسة، ومن هم داخل البنية الذين يصبحون أكثر مساهمة في النظام[13]. بل يمكن أن توجد بين المرشحين والأحزاب المسموح لهم بخوض الانتخابات الاستبدادية انقسامات بشأن وجوب المشاركة في الانتخابات[14]، وإن كان ينبغي تشكيل تحالفات انتخابية[15]، وإن كان يجب قبول النتائج. يمكن أن تكون هذه الانقسامات راجعة إلى

7 C. Boix & M. Svolik, "The Foundation of Limited Authoritarian Government: Institutions and Power-Sharing in Dictatorships," Paper Presented at the Conference of Dictatorships: Their Governance and Social Consequences Conference, Princeton University, Princeton, New Jersey, 2008.

8 B. Magaloni, *Voting for Autocracy: Hegemonic Party Survival and its Demise in Mexico* (New York: Cambridge University Press, 2006).

9 J. Gandhi & A. Przeworski, "Cooperation, Cooptation, and Rebellion Under Dictatorship," *Economics & Politics*, vol. 18, no. 1 (2006); J. Gandhi, *Political Institutions Under Dictatorship* (New York: Cambridge University Press, 2008); J. Wright, "Do Authoritarian Institutions Constrain? How Legislatures Affect Economic Growth and Investment," *American Journal of Political Science*, vol. 52, no. 2 (2008).

10 E. Lust-Okar, "Elections under Authoritarianism: Preliminary Lessons from Jordan," *Democratization*, vol. 13, no. 3 (2006).

11 B. Geddes, "Why Parties and Elections in Authoritarian Regimes?" Paper Presented at Annual Meeting of American Political Science Association, Washington, DC, 2005; Alberto Simpser, "Making Votes not Count: Strategic Incentives for Electoral Corruption," PhD. Dissertation, Department of Political Science, Stanford University, 2005; Magaloni; E. Malesky & P. Schuler, "Why do Single-Party Regimes Hold Elections? An Analysis of Candidate-Level Data in Vietnam's 2007 National Assembly Contest," Paper Presented at the Annual Meeting of American Political Science Association, Boston, MA, 2008.

12 B. Magaloni, "Credible Power-Sharing and the Longevity of Authoritarian Rule," *Comparative Political Studies*, no. 41 (2008), p. 724.

13 E. Lust-Okar, *Structuring Conflict in the Arab World: Incumbents, Opponents, and Institutions* (New York: Cambridge University Press, 2005).

14 E. Beaulieu, "Protesting the Contest: Election Boycotts Around the World 1990-2002," PhD. Thesis, Department of Political Science, University of California San Diego, California, 2006.

15 J. Gandhi & O. J. Reuter, "Opposition Coordination in Legislative Elections Under Authoritarianism," Paper Presented at the Annual Meeting of American Political Science Association, Boston, MA, 2008.

اختلافات المواقف الأيديولوجية وأحجام الأحزاب، لكن يمكن أن تنتج أيضًا من القواعد الانتخابية التي تُنظم وفقها هذه المنافسات[16].

يمكن أن تؤدي الانتخابات دورًا إعلاميًّا Informational أيضًا. تساعد نتائج الانتخابات التعددية السلطة القائمة على تحديد القواعد الداعمة لها ومعاقل المعارضة[17]؛ إذ يمكنها، وهي مسلحة بهذه المعلومات، أن تستهدف المعارضين، إما بمعاقبتهم بأن تكون الحكومة أقل سخاءً معهم بعد الانتخابات، وإما بشراء دعمهم، أو ترهيبهم لحملهم على تغيير ولاءاتهم قبل الانتخابات المقبلة، وإما بالتزام بيوتهم يوم إجراء الانتخابات. إضافة إلى ذلك، تزوّد الانتخابات الحكام على المستوى الوطني بمعلومات عن ولاء أطر حزبهم وكفاءتهم[18]. فالانتخابات المحلية في الصين مثلًا، تخفف من حدّة المشكلات القائمة بين المسؤولين الوطنيين والمحليين، حيث إن انخفاض الدعم في الانتخابات للسلطات المحلية القائمة يُعَدُّ بالنسبة إلى القادة على المستوى الوطني علامةً على أن وكلاءهم غير أكفاء و/ أو لا يحظون بشعبية بين المواطنين.

يمكن أن يكون الدافع إلى توظيف الانتخابات في إدارة تحالفات النخب [المرتبطة بالنظام] والمعارضة هو رغبة المستبدين في تقليل خطر خلعهم من مناصبهم بالعنف. يدّعي دارون أسيموغلو وجيمس روبنسون أن النخب تسمح بإجراء انتخابات، يصل بفضلها الفقراء إلى السلطة، لتجنّب خطر الثورة[19]. واستدلالهم هذا يفسر سماح النخب الاستبدادية بإجراء انتخابات ديمقراطية حقيقية في أوروبا وأميركا اللاتينية في القرن التاسع عشر، وأوائل القرن العشرين في سياق توسع حق الانتخاب. وعلى نحو متّصل، يرى غاري كوكس أن الانتخابات غير الديمقراطية وسيلة يمكن أن يتجنب المستبدون من خلالها الإطاحة العنيفة بهم، إما بالتقليل من عدم التوازن في المعلومات [التي تتوافر عليها مختلف الأطراف] الذي قد يؤدي إلى الصراع، وإما بتوفير طريق بديلة لوصول أولئك الذين [في غياب الانتخابات] يمكنهم القيام بانقلابات إلى السلطة[20].

إذا كانت الانتخابات تساعد السلطة القائمة المستبدة، فهل هي بهذا تؤذي المواطنين بالضرورة؟ يبدو أن الانتخابات الاستبدادية في بعض السياقات تعزز بعضًا من المزايا نفسها المسندة إلى الانتخابات الديمقراطية: التلاقي بين السياسات [المرغوب فيها من جانب المواطنين و[تلك التي يضعها] الموظفون العموميون، وكذا فعالية الناخبين. قدّمت الدراسات المسحيَّة Surveys التي أجريت لمناسبة الانتخابات المحلية الصينية الكثير من الأدلّة على هذه النقطة. فعلى سبيل المثال، ترى ميلاني مانيون أن الانتخابات القروية التنافسية في الصين ترتبط بمزيد من التلاقي بين الناخبين والموظفين العموميين بشأن السياسات المتعلقة بمشاركة الدولة في الاقتصاد؛ إذ تُعزّز العملية الانتخابية الحوار بين المواطنين والمسؤولين المحليين[21]. يؤدي التناوب على المناصب، والإيمان بالمساءلة الذي تولّده الانتخابات المحلية، دورًا مهمًّا في زيادة تأثير الناخبين واحتمال استمرار المواطنين في المشاركة في هذه الأحـداث[22]. لذلك في حين يمكن أن تساهم الانتخابات في استمرار السلطات القائمة، يمكن أن تساهم أيضًا في رفاهية المواطنين. لكن البنية والسياق الانتخابيين، اللذين يمكن أن يتحقق فيهما ذلك، يعوزهما الوضوح؛ فالتحقق من هذا الادّعاء لم يتم إلى اليوم، إلّا في سياق إمبريقي ضيّق. ويتعيّن، فضلًا عن ذلك، التساؤل إن كانت الفوائد التي تعود على المواطنين من الانتخابات فوائد قصيرة الأجل، في مقابل تكاليف طويلة الأجل، تتمثل في سلطات قائمة [غير ديمقراطية] أقوى.

تختلف الانتخابات غير الديمقراطية عن الانتخابات الديمقراطية في كون الأولى يمكن أن تُستخدَم لتعبئة الناخبين قسرًا. إن درجة المنافسة هي معيار الحكم على إذا ما كان هدف الانتخابات هو الإكراه أو الاستمالة. توجد من جهة الاستفتاءات العامة على مرشح واحد التي تُظهِرُ، بوضوح السلطة القمعية للنظام، قدرته على إرغام الناس على المشاركة في طقوس يعرف الجميع أنها "زائفة". يبدو أن

16 A. Diaz-Cayeros & B. Magaloni, "Party Dominance and the Logic of Electoral Design in Mexico's Transition To Democracy," *Journal of Theoretical Politics*, vol. 13, no. 3 (2001).

17 B. Ames, "Bases of Support for Mexico's Dominant Party," *American of Political Science Review*, vol. 64, no.1 (1970); Magaloni, *Voting for Autocracy*; J. Brownlee, *Authoritarianism in an Age of Democratization* (New York: Cambridge University Press, 2007).

18 M. Birney, "Can Local Elections Contribute to Democratic Progress in Authoritarian Regimes? Exploring the Political Ramifications of China's Village Elections," PhD. Thesis, Department of Political Science, Yale University, CT, 2007.

19 D. Acemoglu & J. Robinson, *Economic Origins of Dictatorship and Democracy* (New York: Cambridge University Press, 2005).

20 G. Cox, "Authoritarian Elections and Leadership Succession, 1975-2000," Department of Political Science, University of California San Diego, California, 2008.

21 M. Manion, "The Electoral Connection in the Chinese Countryside," *American Political Science Review*, vol. 90, no. 4 (1996).

22 T. Shi, "Voting and Nonvoting in China: Voting Behavior in Plebiscitary and Limited-Choice Elections," *The Journal of Politics*, vol. 61, no. 4 (1999).
للاطلاع على وجهة نظر مخالفة، يراجع:
L. Tsai, *Accountability without Democracy: Solidary Groups and Public Goods Provision in Rural China* (New York: Cambridge University Press, 2007).

هذا هو على الأقل انطباع الناخبين الشيوعيين في أوروبا الشرقية، التي كان فيها الامتناع عن التصويت أو إفساد بطاقات الاقتراع يُعَدّ نشاطًا معارِضًا. لذلك ركزت الكثير من دراسات الانتخابات الشيوعية في أوروبا الشرقية على مسألة نسبة المشاركة[23]. إن التباين في الامتثال لقانون عام 1987 في الصين، الذي يقضي بأن يتجاوز عدد المرشحين عدد المقاعد في الانتخابات القروية، مكّن الباحثين من استكشاف إذا ما كانت المنافسة تُحفّز الناخبين على المشاركة في الانتخابات لأسباب أخرى، غير تجنّب عقوبة عدم المشاركة[24]. يبدو إذًا أن بنية الانتخابات الاستبدادية تؤدي دورًا مهمًا في تحديد الغرض منها.

أخيرًا، هناك من يرى أن الانتخابات تساعد الحكام المستبدين في ترسيخ مشروعيتهم في الداخل أو الخارج. يمكن أن يتم التلاعب بالانتخابات، وأن يكون لها تأثيرٌ سياسيٌ محدودٌ، لكن يمكنها مع ذلك أن تعطي الجماهير المحلية والدولية الانطباع بأن النظام قائم على الإرادة الشعبية، أو في طور التحوّل إلى نظام قائم عليها[25]. يسلط أندرياس شيدلر الضوء على هذه الآلية في "الأنظمة الاستبدادية الانتخابية"، ملاحِظًا أن "الأنظمة الاستبدادية الانتخابية تُرسّخ أولوية المشروعية الديمقراطية بفتحها قِمَمَ سلطةِ الدولة أمام انتخابات تعددية [...] فالأنظمة [الانتخابية الاستبدادية]، ترسّخ مبدأ الموافقة الشعبية، حتى وإن كانت تقوّضه في الممارسة العملية"[26].

2. محدوديات [نتائج الدراسات السابقة]

يمكن أن يكون لجميع هذه الادّعاءات قدرٌ من الصحة. لكن إحدى الصعوبات الرئيسة في الأدبيات المتعلقة بالانتخابات الاستبدادية، هي ميل الباحثين إلى تقديم ادّعاءات عامة، بناءً على عدد محدود من الحالات. إن الأبحاث التي درست المكسيك والصين ومصر، وبدرجة أقل الأردن وتايوان وفيتنام، تسمح لنا بفهم سياسات الانتخابات الاستبدادية. لكن هذه الحالات متفردة إلى حدٍ ما. فقد أُجريت الانتخابات التنفيذية في المكسيك في عهد الحزب الثوري المؤسساتي PRI كل ست سنوات، لأن الرؤساء التزموا بالمدة القانونية للولاية. كما أن الصين هي أيضًا حالة فريدة إلى حدٍ ما، لأن الانتخابات فيها تجري على المستوى المحلي، وليس على المستوى الوطني. ويتطلّب منا الاهـتمام بعدد محدود من الأمثلة أن نكون حذرين بشأن التعميم، ويتعيّن علينا أن نتساءل إن كنا نفتقد [المعرفة] ببعض مصادر التباين المهمة داخل هذه المؤسسات.

يمكن أن توجد مصادر مهمة للتباين في أنواع الانتخابات، والقواعد التي تحكمها، والظروف الاجتماعية والسياسية المحيطة بها. فعلى سبيل المثال، يمكن الفكرة، التي مفادها أن الانتخابات تهدف إلى توزيع الغنائم على النخب الحزبية، أن تكون وجيهة في الأساس لفهم الانتخابات التشريعية في أنظمة الحزب المهيمن. ويمكن أن تستفيد السلطات القائمة على التناوب على المناصب من الانتخابات التشريعية؛ لتسمح للنخب التي لا تشغل مناصب، في الوقت الحالي، بأن تعتقد أن لديها فرصةً للفوز بجزء من الغنائم في المستقبل. وفي المقابل، إن الفكرة التي مفادها أن الانتخابات تهدف إلى إظهار قوة السلطات القائمة يمكن أن تكون أكثر وجاهة في الانتخابات على [الأجهزة] التنفيذية الوطنية التي تستطيع فيها سلطة قائمة أن تردع المعارضين بإظهار قدرتها على تعبئة الناخبين. يمكن أن يوفر اهتمام أكبر بالتباينات، في الانتخابات الاستبدادية وبنيتها، دعامةً لتفكيك [الغموض المتعلق أو فهم أفضل] للادّعاءات بشأن دور الانتخابات [في الأنظمة غير الديمقراطية].

يمكن أن يكون الزمن سببًا آخر للتباين في الانتخابات. إن العوامل التي تحدد انبثاق الانتخابات [الاستبدادية] لا تفسر بالضرورة استمرارها، بل يمكن أن يتباين الدور الذي تقوم به الانتخابات عبر الزمن. ورث العديد من الأنظمة الاستبدادية الحالية الانتخابات والبرلمانات في بداية استقلالها؛ لأن القوى الاستعمارية أنشأت انتخابات تشريعية ومجالس لاستمالة أفراد رعاياها وإدارتهم. ونظّمت نخب الدولة في حالات أخرى الانتخابات من أجل اكتساب المشروعية الدولية والانضمام إلى مجموعة الدول "التي تدمقرطت" في حقبة ما بعد الحرب الباردة.

مع ذلك، يمكن أن تجري الانتخابات بالطريقة [غير الديمقراطية] نفسها، بغض النظر عن سبب إقرارها في الأصل، نظرًا إلى القيود التي يفرضها الحكم الاستبدادي. وبالفعل، مع اضمحلال عَدِّ الانتخابات دليلًا على الدمقرطة، فإن السلطات القائمة التي أسستها، استجابةً لضغوط المطالبة بإرساء الديمقراطية، لا تعمد عمومًا إلى إجهاضها كليًا، ولا تسمح لها بأن تؤدي إلى تغيير النظام. أصبحت الانتخابات بدلًا من ذلك منفصلة على نحوٍ متزايد عن الدمقرطة (وهي حقيقة يميل المواطنون والنخب على حد سواء إلى الاعتراف

---

23 R. Karklins, "Soviet Elections Revisited: Voter Abstention in Noncompetitive Voting," *American Political Science Review*, vol. 80, no. 2 (1986); للمقارنة بأشكال أخرى من المشاركة، ينظر:
D. Bahry & B. Silver, "Soviet Citizen Participation on the Eve of Democratization," *American Political Science Review*, vol. 84, no. 3 (1990).

24 Shi; J. Chen & Y. Zhong, "Why do People Vote in Semi-Competitive Elections in China?" *The Journal of Politics*, vol. 64, no. 1 (2002).

25 J. Waterbury, "Fortuitous Byproducts," in: L. Anderson (ed.), *Transitions to Democracy* (New York: Columbia University Press, 1999).

26 Schedler (ed.).

بها) وتحرّكها محاولات السلطات القائمة الاستمرار في السلطة[27]. باختصار، يمكن أن تتطور الانتخابات إلى قيود مؤسساتية مشابهة للغاية؛ الشيء الذي يولّد ديناميات سياسية مماثلة، على الرغم من اختلاف الدوافع الأولية. لذلك، فإن البحث عن تفسير واحد وشامل، لإجراء الانتخابات الاستبدادية، قد لا يكون غير واقعي فحسب، بل الأسوأ من ذلك، يمكن أن يكون قريبًا من الوظيفية[28]. يمكن أن تكون "القراءة الارتجاعية" للأدوار التي يبدو أن الانتخابات تؤديها مُغريةً لفهم أسباب وجودها، لكنها ستكون قراءة خاطئة.

ثانيًا: السلوك الانتخابي في الأنظمة الاستبدادية

يدرك الباحثون (والمواطنون) في الأنظمة الاستبدادية أن الاستقرار الأساسي للنظام لا يكون على المحك في غالبية الفترات الانتخابية. عمومًا، عندما تنظّم السلطات القائمة انتخابات معينة، فإنها تستفيد من امتيازات كثيرة جدًّا بفضل احتكارها موارد الدولة ووسائل الإكراه. علاوة على ذلك، يكون لمعظم المجالس الوطنية والمحلية سلطة ضئيلة في صنع السياسات، وإن كانت هناك تباينات مهمة بين البلدان. في الحقيقة، يُتوقَّعُ من المسؤولين المنتخبين أن يعملوا وسطاءَ بين الدولة والمواطن في الأنظمة التي تتميز عادة بانخفاض الشفافية، وضعف سيادة القانون، والبرلمانات غير الفعالة.

إن الصورة التي ترتسم في معظم الحالات هي أن الانتخابات ليست مجرد ممارسات غير تنافسية تؤدي ببساطة إلى إعادة مرشحين مختارين مسبقًا [من طرف النظام إلى مناصبهم]، إنما هي بالأحرى ممارسات لـ "الزبونية التنافسية" التي يتنافس فيها المرشحون على امتياز العمل وسطاءَ في علاقات الراعي والزبون Patron-client[29]، وتتلاعب السلطة القائمة بهذا النسق لإطالة أمد حكمها. لهذه النظرة إلى الانتخابات انعكاسات مهمة على نظرتنا إلى الناخبين والمرشحين والسلطة القائمة في الانتخابات الاستبدادية. نعرض هنا الأدبيات المتأخرة التي ركّزت على هذه المجموعات الثلاث من الفاعلين التي تؤدي دورًا أساسيًا في فهم الانتخابات. إننا نشدد على وجهة النظر التي ترى أن الانتخابات الاستبدادية تشبه من الناحية المفاهيمية الانتخابات الديمقراطية، وتؤكد الاختلافات المهمة التي لا يزال يتعيّن استكشافها، حيث توجد تشابهات مهمة تسمح باستخدام مجموعة الأدوات المفاهيمية نفسها في دراسة الانتخابات الديمقراطية وغير الديمقراطية، لكن سلوك الناخبين والمرشحين والسلطة القائمة، في الانتخابات غير الديمقراطية، يثير بعضَ الأسئلة الفريدة التي تستحق الاستكشاف. فمثلًا، يمكن التساؤل عمّا يجعل أحزاب المعارضة تخوض انتخابات من غير المرجّح أن تفوز فيها، أو عمّا يدفع الناخبين إلى الذهاب إلى صناديق الاقتراع إذا لم تكن سياسات الانتخابات والمناصب الحكومية تمثل رهانات حيوية. زد على ذلك أن هناك سببًا للاعتقاد أن السلوك في الانتخابات يمكن أن يتباين تبعًا لطبيعة النظام (على سبيل المثال، نظام الحزب المهيمن، أو نظام الحزب الوحيد، أو النظام الملكي)، وتبعًا للمستوى الذي تُجرى فيه الانتخابات (على سبيل المثال، التشريعية أو البلدية أو الرئاسية)، بناء على أن تشكل السياسات رهانًا [تُحدّد وفق نتيجة الانتخابات].

1. الناخبون

يرى معظم الباحثين أن توزيع المحسوبية والسيطرة على الموارد عاملٌ مهمٌ في توجيه سلوك الناخبين في الأنظمة الاستبدادية[30]. ومن الواضح أن اللعبة تميل إلى مصلحة السلطة القائمة (بما أنها تحتكر موارد المحسوبية واستخدام القوة)، إلى درجة أن المواطنين غالبًا ما يصوّتون لمصلحة السلطات القائمة، على الرغم من تفضيلاتهم [التي قد لا تكون في الأصل متمثلة في السلطات القائمة]. وينتج من ذلك ما سمّته ماغالوني "التألق المأساوي" للنظام Tragic Brilliance of the Regime: "إن خيارات المواطنين حرة، لكنها مقيّدة بسلسلة من المعضلات الاستراتيجية التي تُجبرهم على البقاء موالين للنظام"[31].

ينبغي لنا أن نسجل أن مشاركة المواطنين تبدو مختلفة تمامًا في الانتخابات المحلية الصينية، التي لا يكون فيها الوصول إلى الهيئات

---

27 Lust-Okar, "Elections under Authoritarianism."; E. Lust-Okar, "Legislative Elections in Hegemonic Authoritarian Regimes: Competitive Clientelism and Resistance to Democratization," in: S. Lindberg (ed.), *Democratization by Election: A New Mode of Transition* (Baltimore, MD: Johns Hopkins University Press, 2009).

28 نشكر طارق مسعود على مناقشاته الثاقبة لهذه النقطة.

29 Lust-Okar, "Elections under Authoritarianism."

30 L. Blaydes, "Who Votes in Authoritarian Elections and Why? Vote Buying, Turnout, and Spoiled Ballots in Contemporary Egypt," Paper Presented at the Annual Meeting of American Political Science Association, Philadelphia, PA, 2006; Lust-Okar, "Elections Under Authoritarianism ..."; E. Lust-Okar, "Elections in Authoritarian Regimes: Catalysts for, or Obstacles to, Reform?," in: A. Langlois & K. Soltan (eds.), *Democracy and Globalization* (London: Routledge, 2008); K. Greene, *Why Dominant Parties Lose: Mexico's Democratization in Comparative Perspective* (New York: Cambridge University Press, 2007); T. Pepinsky, "Autocracy, Elections, and Fiscal Policy: Evidence from Malaysia," *Studies in Comparative International Development*, vol. 42, no. 1-2 (2007); T. Masoud, "Why Islam Wins: Electoral Ecologies and Economics of Political Islam in Contemporary Egypt," PhD. Thesis, Department of Political Science, Yale University, CT, 2008.

31 Lust-Okar, "Elections under Authoritarianism."

المركزية لصنع السياسات، هو الرهان حتى على المستوى الرسمي. يُنظر إلى الانتخابات في هذه الحالة، باعتبارها فرصةً للمواطنين لمراقبة المسؤولين المحليين؛ إذ يبدو أن ما يُحفّز الناخبين ليست المحسوبية وحدها، بل أيضًا الرغبة في الحصول على المزايا التعبيرية للتصويت. يتميّز الأشخاص الذين يصوّتون بروابطهم القوية مع القرية واهتمامهم بها، وبمستوى تعليمهم؛ الشيء الذي ربما يُحفّز اختيارهم المشاركة في الانتخابات[32].

تؤدي المحسوبية دورًا مهمًّا في الانتخابات، لكن ليس من الواضح إلى أي حدٍّ تخلق المحسوبية امتيازًا فرديًا للمترشح الذي هو في المنصب [عند إجراء الانتخابات]. وكما لاحظ كينيث، فإن "امتيازاتٍ هائلةً في ما يتعلق بالموارد تسمح للسلطة القائمة [الحزب] بإنفاق مبالغ أكثر على الحملات، ونشر جحافل من جامعي الأصوات، والأهم من ذلك أنها تضيف إلى النداءات السياسية سلعَ المحسوبية التي تدفع الناخبين إلى التحيّز لمصلحته"[33]. بيد أنه، على الرغم من أن العلاقات مع النخبة الحاكمة يمكن أن تُتَرجَمَ إلى امتياز للمرشحين المؤيدين للنظام، فإن الناخبين لا يترجمونها بالضرورة إلى دعم [للمترشحين] الشاغلين للمنصب [عند إجراء الانتخابات]؛ إذ يبدو بالفعل أن الناخبين على استعداد للإدلاء بأصواتهم لمصلحة مرشحين آخرين غير هؤلاء المسؤولين، ما دام أن أولئك المرشحين يُعدُّون قريبين من النخب الحاكمة[34]، وما دام أن النخب الحاكمة يمكن أن تفضل درجة عالية من التناوب على المناصب في البرلمان، كما سنناقش أدناه.

يوجد كذلك خلاف بشأن طبيعة العلاقة القائمة بين المرشحين والناخبين. في ما يخص الباحثين الذين يركّزون على أنظمة الحزب المهيمن (ولا سيما المكسيك)، تؤدي الأحزاب السياسية دورًا حاسمًا. ويمكن أن تكون المنظمات الحزبية القوية ضروريةً لإدارة "نظام العقوبات" الذي يخوّل أنصار السلطة القائمة الحصول على مكافآت، بينما لا يخوّل ذلك خصومَها. مثلًا، تَعُدُّ بياتريز ماغالوني الحزبَ عنصرًا أساسيًّا، لأنه "يستطيع أن يقيم مع الناخبين روابط ضرورية لتحديد المؤيدين ومراقبة سلوكهم؛ إذ لن يستطيع الحاكم المستبد خلق سوق للولاء السياسي وردع الانشقاقات من دون استهداف فعال لغنائم الحكم"[35]. وتتوقف أهمية الأحزاب أيضًا على مدى وعي المواطنين بتفضيلاتهم الخاصة في ظل نظام يتّسم بالمنافسة بين الأحزاب، وعلى درجة ربطهم تلك التفضيلات بالانتماء الحزبي الذي يوافقها. فعلى سبيل المثال، وضع الناخبون المكسيكيون في عهد الحزب الثوري المؤسساتي الأحزابَ على طيف واضح يسار/ يمين في ما يتعلق بالسياسات الاقتصادية.

لكن يرى آخرون، من جهة أخرى، أن دور الحزب أقل وضوحًا إلى حدّ بعيد. قد يتقدم المرشحون في الصين إلى الانتخابات، إما بوصفهم أعضاء في الحزب الشيوعي، وإما بوصفهم مستقلين، ولا يبدو أن تسميات الحزب تُحدث فرقًا كبيرًا في اختيارات المرشحين[36]. ويميل الناخبون في الانتخابات الأردنية والمصرية أيضًا إلى الإدلاء بأصواتهم للأفراد على أساس روابطهم المتصورة مع نخب النظام، وليس على أساس انتماءاتهم الحزبية. ويمكن على نحو أعم أن تصبح التسميات الحزبية علامات أقل أهمية كثيرًا من الروابط والسمعة الشخصية في الأنظمة الملكية، أو حتى في البلدان ذات الأحزاب المهيمنة التي يضعف فيها الانضباط الحزبي (كما هي الحال حاليًا في مصر). فالناخبون الذين يسعون في المقام الأول لجني فوائد المحسوبية، يدعمون المرشحين الذين يَعُدُّونهم قريبين بدرجة كافية من النظام للحصول على الموارد، والذين يعتقدون أنهم سيقدمون لهم امتيازات، لأنهم ينتمون إلى العائلة أو العشيرة أو القبيلة أو الحي أو القرية نفسها[37].

لا تقوى أحـزاب المعارضة عادة على منافسة النظام في تقديم إغراءات مادية أو التهديد بتبعات عنيفة. لماذا إذًا يدعم الناخبون المعارضة أحيانًا؟ يمكن أن يتبنّى الناخبون هذا الاختيار، ليس على أساس الاختلافات السياسية فحسب، بل على أساس "بعد النظام" Regime Dimension أيضًا الذي يعكس التفضيلات حول الطبيعة الأساسية للنظام السياسي. يبدو أن الناخبين الذين يدلون بأصواتهم لمصلحة المعارضة، خاصة في الدول ذات الأحزاب المهيمنة، أكثر تشبّعًا بالأيديولوجيا إلى حدٍ بعيد. إن "المواطنين الوحيدين المستعدين لدفع تكاليف عالية وجني فوائد غير مؤكدة هم أولئك الذين يختلفون بشدة مع سياسات الوضع القائم التي تقترحها السلطة القائمة"[38].

يبدو أن العوامل الديموغرافية تؤثر في أساس التصويت والمشاركة. فالمواطنون في المناطق الريفية أكثر ميلًا من المواطنين في المناطق الحضرية إلى المشاركة والتصويت لفائدة المرشحين المؤيدين للنظام.

---

32 S. Wang, "The Role of Local Elections in Authoritarian Regimes: The Case of China's Village Elections," PhD. Thesis, Department of Political Science, Yale University, CT, 2008.

33 Greene, p. 5.

34 Lust-Okar, "Elections under Authoritarianism."; Lust-Okar, "Elections in Authoritarian Regimes."

35 Magaloni, *Voting for Autocracy*, p. 20.

36 Birney; Shi; Wang.

37 Lust-Okar, "Elections under Authoritarianism."; Masoud; S. Shehata, "Inside an Egyptian Parliamentary Campaign," in: E. Lust-Okar & S. Zerhouni (eds.), *Political Participation in the Middle East and North Africa* (Boulder, CO: Lynne Rienner, 2008).

38 Greene, p. 5.

كما يمكن أن يعني الحجم الأصغر للدوائر الانتخابية أن نخب السلطة تتوافر على معلومات أكثر، ويمكنها استخدامها لضمان امتثال الناخبين[39]. ثمّ إن روابط القرابة تكون أقوى في المناطق الريفية؛ الشيء الذي يجعل الناخبين واثقين من أن مرشحيهم سيمنحونهم فوائد على أسس انتقائية إذا تم انتخابهم[40]. إضافة إلى ذلك، من المرجّح أن يتّجه الفقراء إلى الإدلاء بأصواتهم وموالاة النظام، ما دام من الممكن شراء أصواتهم بسهولة أكبر، وما دام اعتمادهم على محسوبية الدولة أكبر[41]. وعلى العكس من ذلك، إن الناخبين المنتمين إلى الطبقة المتوسطة في المناطق الحضرية، الذين يُظهِرون طلبًا أقل على المحسوبية، هم أقل احتمالًا للذهاب إلى صناديق الاقتراع، ومن المرجّح أن يصوتوا لفائدة معارضي النظام إذا ما أدلوا بأصواتهم[42]. ووجدت دراسة مسحية أيضًا، في إحدى قرى الصين، أن الأفراد الذين لديهم حِسٌّ أعلى بقدرتهم على التأثير، والأكثر دعمًا للديمقراطية، كانوا أقل ميلًا إلى التصويت[43].

وتؤثر كذلك توقعات المواطنين بشأن سلوك الآخرين في التصويت في الاختيار والمشاركة في الانتخابات. شبه نيكولاس فان دي وال التصويت لمصلحة المعارضة بـ "لعبة الإمالة" Tipping Game، مجادلًا بأن المواطنين سيصوّتون إذا اعتقدوا أن الآخرين سيصوّتون[44]. ويمكن أن تؤثر عوامل عديدة في احتمال وقوع مثل هذه الأحداث: انشقاق مؤيدين أساسيين للنظام، والآليات المؤسساتية التي تزيد من احتمال مكاسب المعارضة (على سبيل المثال، نظام الغالبية الانتخابي على دورتين والأنظمة البرلمانية)، والخبرة الديمقراطية السابقة، ومستوى أقل من التنوع العرقي، والتنمية الاجتماعية والاقتصادية، والضغوط الدولية من أجل دمقرطة البلاد. ويمكن أن يكون الناخبون أكثر ميلًا إلى دعم مرشحي المعارضة، عندما يعتقدون أن حزبًا واحدًا يمكنه إحداث عملية انتقالية. إن الحزب المعارض الأقوى بصفة واضحة من الأحزاب الأخرى يمكن أن يُمثّل نقطة محورية للمواطنين الذين يريدون سقوط النظام القائم. وكما لاحظ ألبيرتو سيمبسر: "يمكن حاكمًا 'فقيرًا ماديًا' أن يفوز في الانتخابات"، في غياب هذا التنسيق[45].

39 Magaloni, *Voting for Autocracy*.

40 Lust-Okar, "Elections under Authoritarianism."

41 Blaydes; G. M. Tezcur, "Intra-Elite Struggles in Iranian Elections," in: Lust-Okar & Zerhouni (eds.).

42 Magaloni, *Voting for Autocracy*; Masoud; Malesky & Schuler.

43 Chen & Zhong.

44 N. van de Walle, "Tipping Games? When do Opposition Parties Coalesce?" in: Schedler (ed.).

45 Simpser.

2. المرشحون

تُطرح مجموعتان من الأسئلة المتعلقة بالمرشحين في الانتخابات الاستبدادية. تركز المجموعة الأولى على طبيعة المرشحين: من الذي يختار الترشح؟ ولماذا يترشح؟ وكيف يدير حملته الانتخابية؟ وتركز المجموعة الثانية على مرشحي المعارضة: لماذا يختار الأفراد الترشح باسم المعارضة، علمًا أن من المرجّح أن يخسروا في الانتخابات؟

يبدو أن معظم المرشحين يدخلون غمار الانتخابات للتنافس على جزء من الغنائم، بما أن سيطرتهم على مخرجات السياسات محدودة[46]. لا تركز دراسات الانتخابات المحلية في الصين على هذه الحوافز الانتقائية، لأن قدرة المسؤولين المحليين على الوصول إلى محسوبية الدولة محدودة. لكن عمومًا يوجد المسؤولون المنتخبون في موقع جيد، يسمح لهم بمساعدة الدولة في توزيع مواردها والاستفادة هم أنفسهم من هذه الموارد. إن للمسؤولين المنتخبين وصولًا مباشرًا إلى الوزارات الحكومية والبيروقراطيين، ومن ثمة فمن المرجّح أن يحصلوا على التصاريح والتراخيص بسرعة، وأن ينجحوا في الظفر بصفقات عمومية، وأن يتحايلوا على القيود الحكومية. باختصار، يمكنهم الاستفادة مباشرةً من أنواع تدخّل الدولة التي تطالب بها دوائرهم الانتخابية. ثمّ إنهم يحصلون على هدايا ومكانة اجتماعية، في مقابل تقديم خدمات لناخبيهم. وأخيرًا، إنهم يتمتعون في الكثير من الحالات بالحصانة البرلمانية التي تسمح لهم بـ "المشاركة في جميع أنواع الممارسات والمشاريع التجارية الإضافية وغير القانونية في بعض الأحيان، ومن ثمة جني مبالغ كبيرة من المال في هذه العملية"[47]. إضافة إلى هذه الامتيازات والمزايا، تتاح لهم فرص أكثر لشغل مناصب حكومية أعلى. ونظرًا إلى أن امتيازات المنصب تكون مهمة جدًّا، فإن الانتخابات تجتذب المرشحين الذين غالبًا ما يخصصون أموالًا شخصية كبيرة للحملات الانتخابية. ففي مصر مثلًا، يستثمر المرشحون غالبًا ملايين الجنيهات في الحملات الانتخابية، وهو ما يتجاوز بكثير الحد القانوني للحملة المحدد بـ 70 ألف جنيه مصري (نحو 12300 دولار أميركي)، في بلد يبلغ فيه متوسط الناتج القومي الإجمالي للفرد أقل من 9000 جنيه مصري سنويًا (نحو 1500 دولار أميركي).

46 Lust-Okar, "Elections under Authoritarianism."; B. Magaloni, A. Diaz-Cayaros & F. Esteves, "Clientelism and Portfolio Diversification: A Model of Electoral Investment with Applications to Mexico," in: H. Kitschelt & S. Wilkenson (eds.), *Patrons, Clients and Policies; Patterns of Democratic Accountability and Political Competition* (Cambridge, UK: Cambridge University Press, 2007); Blaydes; Masoud; Shehata.

47 Shehata, pp. 100-101.

علاوة على ذلك، يتم تشجيع المرشحين على التقدم إلى الانتخابات من لدن الأصدقاء والأقارب والمعارف الذين سيستفيدون من وجود مسؤول منتخب في دائرتهم. بالفعل، وجدت دراسة مسحية للمرشحين الأردنيين أن الغالبية العظمى قررت الترشح بناءً على دعم العائلة والأصدقاء، وليس بدعم الأحزاب السياسية أو المسؤولين الحكوميين(48). يتوقف ذلك في جزء منه على اختلافات مهمة في [مدى وشكل] تحكم [النظام] في اختيار المترشحين. يمكن المرشحين المستقلين دخول غمار الانتخابات بسهولة تامة في بعض البلدان التي تكون فيها عملية الترشيح مفتوحة نسبيًا، مثل الأردن ومصر (الواقع أن أعضاء الحزب الحاكم في مصر أنفسهم يترشحون غالبًا بصفة مستقلين بعد أن يفشلوا في الحصول على تزكية حزبهم). وفي المقابل، بقي الانضباط الحزبي أقوى، والترشيحات المحصورة في المؤيدين، فحسب، بصفة شخصية [للنظام] أكثر ندرة في بلدان أخرى، مثل سورية والمكسيك.

يمكن التناوب المرتفع على المناصب، على المستويين الوطني والمحلي، أن يشجع أيضًا المرشحين على خوض الانتخابات. ففي الانتخابات التشريعية التعددية الستة التي أُجريت في مصر منذ منتصف الثمانينيات، احتفظ ما بين 19 و40 في المئة فقط من جميع البرلمانيين بمقاعدهم(49). وعاد أقل من 20 في المئة من النواب إلى البرلمان الأردني في التسعينيات(50). وفي انتخابات اللجان القروية في الصين في منتصف التسعينيات، راوح معدل التناوب في سبع مقاطعات بين 2 و31 في المئة(51). وفي بعض الحالات، وربما أبرزها حالة الحزب الثوري المؤسساتي في المكسيك، تُعزّز الخصائص المؤسساتية مستوى تناوب مرتفعًا. إن تحديد عدد الولايات يُقوّي تبعية أعضاء البرلمان للحزب الحاكم [لضمانه] وظيفته الموالية؛ الشيء الذي يُعزّز العلاقات بين المرشحين والحزب على حساب الناخبين، ويحافظ على هيمنة الحزب، ويُبقي السياسيين الطموحين تحت السيطرة في أثناء انتظار دورهم في السلطة(52). وفي بعض الحالات التي تكون فيها الأحزاب الحاكمة ضعيفة، أو غير موجودة، كما في الأنظمة الملكية، يمكن أن يؤدي ضعف البرلمان إلى معدّلات تناوب أعلى. عندما تفشل الهيئات المنتخبة في التأثير في السياسات تأثيرًا مهمًا، لا يولي الناخبون سوى القليل من الاهتمام للعلامات الحزبية للمرشحين. فينتج ذلك أحزابًا ضعيفة، وقليلًا من الانضباط الحزبي، وعددًا كبيرًا من المرشحين لكل مقعد انتخابي. وهذا سبب النسب العالية من الأصوات المهدورة والفروق الصغيرة من حيث الأصوات بين الفائز الأخير والخاسر الأول(53). وغالبًا ما يعتقد المرشحون المحتملون في الانتخابات اللاحقة أن لديهم فرصةً واقعيةً للفوز بمقعد؛ وهو ما يجعلهم مستعدين للاستثمار في مناسبة الانتخابات. وسواء كان التناوب المرتفع ناجمًا عن بنى مؤسساتية أم عن منطق انتخاباتٍ لبرلمانات ضعيفة، فإنه يُعزّز قبضة الحكام المستبدين على السلطة.

يوجد لغز مهم يتمثل في أسباب اختيار النخب دخول الانتخابات باسم المعارضة، وأسباب تشكل هذه الأحزاب حتى عندما تبدو فرصتها في الفوز ضئيلة للغاية. يمكن المرشحين الذين كانوا سينحازون إلى الحزب الحاكم أن يصبحوا مستعدين لخوض الانتخابات بصفتهم نخبًا معارضة عندما تقل الفوائد النسبية للبقاء ضمن ائتلاف النظام. ويمكن أن تتأثر تحليلات التكلفة/ العائد بالصدمات الخارجية، مثل الأداء الاقتصادي الضعيف(54) أو عجز الدولة عن معاقبة المنشقين أو عدم رغبتها في ذلك(55). وتختار النخب التي كانت متحالفة في السابق مع الحزب الحاكم، عندما يضعف، الانضمام إلى المعارضة؛ الشيء الذي يزيد من إضعاف الحزب الحاكم ويحفّز المزيد من الانشقاقات. يشير تحليل جوي لانغستون للحزب الثوري المؤسساتي في المكسيك، والحزب القومي (الكومينتانغ) في تايوان، إلى أن هذه الدينامية مسؤولة في الآن ذاته عن تفكك حزب النظام وتزايد المعارضة الانتخابية(56).

يمكن أن يكون مرشحو المعارضة وأحزابها معارضين ملتزمين للغاية مع النظام، وليسوا منشقين استراتيجيين. يرى كينيث غرين أن النخب التي "تُقدّر السياسة والتعبير الحزبي بوصفهما وسيلةً لتحويل قلوب الناخبين وعقولهم"، والتي "توجد في خلاف شديد مع سياسات الوضع القائم التي تقدمها السلطة القائمة"، مستعدةٌ لدفع تكاليف باهظة، في مقابل تكوين حزب معارض والترشح باسمه(57). ويعتمد هذا الرأي على وجهة

48 E. Lust-Okar, "Competitive Clientelism in Jordanian Elections," in: Lust-Okar & Zerhouni (eds.).

49 Blaydes.

50 H. Hourani, H. Abu Rumman & N. A. Kamel, *Who's Who in the Jordanian Parliament: 2003-2007?* (Amman, Jordan: Sindbad, 2004).

51 R. Pastor & Q. Tan, "The Meaning of China's Village Elections," *The China Quarterly*, no. 162 (2000).

52 Magaloni, *Voting for Autocracy*.

53 Lust-Okar, "Elections in Authoritarian Regimes."

54 J. Gandhi & O. J. Reuter, "Economic Performance and the Unraveling of Hegemonic Parties," Paper Presented at the Constitutions and Markets Conference, European University Institute, San Domenico di Fiesole, Italy, 2007.

55 C. Lawson, *Building the Fourth Estate: Democratization and the Rise of a Free Press in Mexico* (Berkeley: University California Press, 2002); Magaloni, *Voting for Autocracy*.

56 J. Langston, "Elite Ruptures: When do Ruling Parties Split?" in: Schedler (ed.).

57 Greene, p. 5.

نظر ماغالوني القائلة إن الناخبين من الطبقة المتوسطة والعليا، الذين يمتلكون موارد مستقلة، أقدر على القيام "باستثمارات أيديولوجية" والانشقاق إلى أحزاب المعارضة. وهو ما يؤدي في هذه الحالات إلى ظهور أحزاب قطاعية Niche Parties تجذب الأقليات الانتخابية[58].

مع ذلك، فإن النتائج الجماعية لدراسات الحالة في الشرق الأوسط، التي ليست فيها أهم قوى المعارضة أحزابًا ضيقة ومتخصصة، تُظهِرُ أنه قد يكون لديناميات أخرى تأثيرٌ أيضًا. يمكن أن تُفسّر اعتبارات استراتيجية، تتجاوز حدود الساحة الانتخابية، تقدمَ مرشحي المعارضة وأحزابها للانتخابات الاستبدادية. بالفعل، إن حزب العدالة والتنمية في المغرب، وحزب[59] الإخوان المسلمين في مصر، وجبهة العمل الإسلامي المرتبطة بالإخوان المسلمين في الأردن، كلها أحزاب سياسية انبثقت من حركات ذات قاعدة عريضة. يفسر مسعود ذلك بقرار استخدام الأحزاب السياسية أداةً لحشد الدعم لهذه الحركات[60]. ونظرًا إلى مستوى القمع الذي ينطوي عليه النظام القائم، يعمد زعماء المعارضة إلى إجراء موازنة بين تكاليف تكوين أحزاب سياسية ودخول غمار الانتخابات وخيارات احتجاج أخرى. وعندما تكون الحركات الاجتماعية غير قادرة على تحدي السلطة القائمة بوسائل أخرى، فإن الانتخابات المزوّرة والبرلمانات غير الفعالة نفسها، تصبح سُبلًا جذّابة للمشاركة السياسية.

مما لا شك فيه أن خوض الانتخابات يمكن أن يكون سلاحًا ذا حدّين. قد يشارك مرشحو المعارضة في الانتخابات بغرض مزيد من البروز والتعبير عن مواقف سياسية وحشد المؤيدين، لكن مشاركتهم يمكن أن تؤدي إلى إضفاء الشرعية على النظام الاستبدادي. ويلخص أندرياس شيدلر هذه الفكرة بقوله: "بقدر ما تعمل الانتخابات على إضفاء الشرعية على النظام وإظهار قوة الحزب الحاكم وشعبيته، وكذلك ضعف خصومه، فإنها تميل إلى إضعاف الروح المعنوية لقوى المعارضة وخفض قدرتها على الاستقطاب. وبقدر ما تمكّن الانتخابات قوى المعارضة من تقوية نفسها أكثر وإظهار أن الإمبراطور عارٍ، وأن قبضته على السلطة مبنية على التلاعب، وليس على الموافقة الشعبية، فإنها تميل إلى إعادة تنشيط أحزاب المعارضة"[61].

من ثمة، يتعيّن على أحزاب المعارضة أن تقرر كيف تستخدم الانتخابات الاستبدادية لمصلحتها؛ وهو ما قد يعني اتخاذ قرار بشأن المشاركة أم لا.

إن قرار مقاطعة الانتخابات قرار استراتيجي، يحفّزه جزئيًّا مدى "عدم تكافؤ" اللعبة الذي خلقته السلطة القائمة. وجد الباحثون أن أحزاب المعارضة أميَل إلى الانسحاب من الانتخابات التي يعدّونها غير حرة ونزيهة، والتي يشوبها العنف، والتي تفوز فيها السلطة القائمة بعدد غير متناسب من المقاعد، كما في الأنظمة الانتخابية الغالبية[62]. من الصعب معرفة إن كان قرار المقاطعة الذي تتخذه الأحزاب يؤدي إلى تصور الانتخابات باعتبارها "رديئة الجودة"، أو إن كانت الأحزاب أميَل إلى مقاطعة الانتخابات متدنية الجودة. لكن من المهم أن نُدرك أن خوف أحزاب المعارضة من أن يمنح المراقبون الدوليون هذه الانتخابات بعضَ المشروعية قد يدفع المعارضة إلى المقاطعة[63]. زد على ذلك أن قرار نخب المعارضة دخول الانتخابات يمكن أن يتأثر أيضًا بالصراعات الحزبية الداخلية، وإن كانت هذه الحجة تحتاج إلى مزيد من الدراسة. يُتخَذُ قرار المشاركة من عدمها في سياق لعبة من مستويين: أحدهما بين السلطة القائمة ومعارضيها، والآخر داخل حزب المعارضة نفسه. أمام تناقص قوّته والصراع بين الأيديولوجيين والبراغماتيين داخل الحزب (وكلاهما مرتبط بالظروف نفسها المذكورة أعلاه، أي الانتخابات غير العادلة والعنف والأنظمة الانتخابية الغالبية)، يمكن أن تتخلّى نخب حزب المعارضة أيضًا عن الترشيح، بهدف تجنّب التحديات الداخلية.

بالفعل، تُعدُّ مشكلة التنسيق داخل أحزاب المعارضة أو في ما بينها واحـدةً من أهم التحديات. يُصاب مرشحو المعارضة وأحزابهم بالضعف بسبب عجزهم عن تشكيل تحالفات مستقرة والتغلب على مشكلات الفعل الجماعي. تنجم انقساماتهم عن اختلافات حقيقية في تفضيلاتهم السياسية، والفوائد المتوقعة من تغيير النظام[64]، والقواعد المؤسساتية التي تمنع التنسيق[65]، أو تُكافئ بعض النخب المعارضة، وتعاقب أخرى[66]. ثمّ إنهم منقسمون بشأن استعدادهم للانخراط في أعمال العنف، أو قبول أن تكون أنشطة المعارضة مصدرًا للعنف. يمكن أن تؤدي المواقف المختلفة من العنف، إضافة إلى نقص المعلومات، إلى الحد من قدرة مرشحي المعارضة على ادّعاء أن الانتخابات مزوّرة[67].

58 Magaloni, *Voting for Autocracy*, p. 22.

59 الأدق الحديث عن "جماعة" أو "تنظيم" الإخوان المسلمين، لكون خلال الفترة التي تغطيها الدراسة لم يكن للإخوان المسلمين حزب سياسي مرخص له، بل كان جل المترشحين المنتمين إليها يتقدمون بصفة مستقلين في الانتخابات التي سمحت لهم بذلك فيها السلطات المصرية إبان حكم الرئيس محمد حسني مبارك (1981-2011). (المحرر)

60 Masoud.

61 Schedler (ed.).

62 S. Lindberg, "The Surprising Significance of African Elections," *The Journal of Democracy*, vol. 17, no. 1 (2006).

63 E. Beaulieu & S. Hyde, "In the Shadow of Democracy Promotion: Strategic Manipulation, International Observers, and Election Boycotts," *Comparative Political Studies*, vol. 42, no. 3 (2008).

64 Greene; Gandhi & Reuter, "Economic Performance and the Unraveling of Hegemonic Parties."

65 Diaz-Cayeros & Magaloni.

66 Lust-Okar, *Structuring Conflict*.

67 Magaloni, "Credible Power-sharing."

3. شاغلو المناصب

يمتلك المستبدون مجموعة متنوعة من الأدوات "لإدارة" الانتخابات وتحقيق النتائج المرجوّة. من الشائع القول إن المستبدين يستخدمون العنف والقمع على نطاق واسع، ويحشدون المصوّتين إلى صناديق الاقتراع، وغير ذلك من التدابير غير القانونية للبقاء في السلطة. إنهم يفعلون ذلك بالتأكيد، إلى درجة أن ذلك يجذب اهتمامًا دوليًّا أحيانًا، لكنها ليست الطرائق الوحيدة، أو حتى الأساسية، التي تستخدمها السلطة القائمة للاحتفاظ بالسلطة.

تستغل النخب الحاكمة سيطرتها على موارد الدولة للبقاء في السلطة. وعلى وجه الخصوص، عندما تكون الدولة مسيطرةً على قطاع عام واسع واقتصاد خاص، يعتمد على الدولة، يظل المواطنون من جميع الطبقات الاقتصادية معتمدين على الدولة. ولمّا كانت الانتخابات تتعلق عمومًا بالوصول إلى موارد الدولة، وليس بالتنافس على قواعد اللعبة، فإن الناخبين يميلون إلى دعم المرشحين الذين لديهم علاقات وثيقة بنخب السلطة القائمة، وإن غالبية النخب التي تختار الترشح في الانتخابات (والفوز بها) تكون قريبةً نسبيًّا من النظام. يخلق منطق الانتخابات الاستبدادية نظامًا يساعد السلطة القائمة عمومًا (باستثناء الصدمات الخارجية) على البقاء في السلطة. إضافة إلى ذلك، يمكن النخب الحاكمة أيضًا أن تبقي جزءًا من المواطنين (الناخبين الريفيين عمومًا) معتمدين على سخاء النظام في معيشتهم. تجادل ماغالوني مثلًا بأن نظام الحزب الثوري المؤسساتي في المكسيك "وضع في الوقت نفسه سلسلة من السياسات والمؤسسات التي منعت الفلاحين من الخروج من الفقر، وجعلتهم يعتمدون بصفة منتظمة على محسوبية الدولة لضمان بقائهم على قيد الحياة"[68]. وأخيرًا، تقوم السلطة القائمة أيضًا بتوزيع موارد الدولة في وقت الانتخابات؛ ما يوفّر فوائد أكثر انتشارًا، ويُحفّز دورات أعمال سياسية[69] مماثلة لتلك الموجودة في الأنظمة الديمقراطية[70].

ويمكن أن تتلاعب النخب الحاكمة بالقواعد التي تشكل سلوك الناخبين والمرشحين في الانتخابات. وتخبرنا دراسة الديمقراطيات أن القواعد الانتخابية مهمة، ومن ثمة من مصلحة النخب الحاكمة التلاعب بها. توجد أدبيات كثيرة تدرس تأثير القواعد الانتخابية في سلوك المرشحين والناخبين، بدءًا من موريس دوفرجيه[71]، وأدبيات أقل تدرس اختيار القواعد الانتخابية[72]. وينطبق الشيء نفسه على القواعد الانتخابية في الدكتاتوريات. يؤثر نوع النظام الانتخابي (التمثيل النسبي، في مقابل فوز المحتل للمركز الأول[73]، والانتخابات المتزامنة، في مقابل الانتخابات المتعاقبة) في قدرة المعارضة على التنسيق، ويؤثر أيضًا في عدد المرشحين والأحزاب عمومًا[74]. لهذا السبب، تمارس النخب الحاكمة التلاعب والغش قصد تحويل المقاعد البرلمانية إلى المؤيدين وإضعاف أحزاب المعارضة[75]. إن حالات المستبدين الذين يسيئون تقدير اختيارهم للقواعد الانتخابية مثيرة للاهتمام بصفة خاصة[76]، لكنها تبدو نادرة نسبيًّا.

---

68 Magaloni, *Voting for Autocracy*, p. 72.

69 يستخدم مصطلح "دورة الأعمال السياسية" أساسًا لوصف تقديم الحكومة فوائد أو امتيازات اقتصادية للناخبين، أو لجزء منهم قبل الانتخابات مباشرة من أجل تحسين احتمال إعادة انتخابها (المترجم).

70 L. Blaydes, "Electoral Budget Cycles under Authoritarianism: Economic Opportunism in Mubarak's Egypt," Paper Presented at the Annual Meeting of Midwest Political Science Association, Chicago, IL, 2006; Magaloni, *Voting for Autocracy*; Pepinsky.

71 M. Duverger, *Political Parties: Their Organization and Activity in the Modern State* (New York: Wiley, 1951).

72 K. Bawn, "The Logic of Institutional Preferences: German Electoral Law as a Social Choice Outcome," *American Journal of Political Science*, vol. 37, no. 4 (1993); T. Remington & S. Smith, "Political Goals, Institutional Context, and the Choice of an Electoral System: the Russian Parliamentary Election Law," *American Journal of Political Science*, vol. 40, no. 4 (1996); C. Boix, "Setting the Rules of the Game: the Choice of Electoral Systems in Advanced Democracies," *American Journal of Political Science*, vol. 93, no. 3 (1999); K. Benoit, "Models of Electoral System Change," *Electoral Studies*, no. 23 (2004); K. Benoit, "Electoral Laws as Political Consequences: Explaining the Origins and Change of Electoral Institutions," *Annual Review of Political Science*, vol. 10, no. 1 (2007).

73 أو ما يسمى "النظام الأغلبي". (المحرر)

74 E. Lust-Okar & A. Jamal, "Rulers and Rules: Reassessing the Influence of Regime Type on Electoral Law Formation," *Comparative Political Studies*, no. 35 (2002); M. Pripstein Posusney, "Multi-party Elections in the Arab world: Institutional Engineering and Oppositional Strategies," *Studies in Comparative International Development*, vol. 36, no. 4 (2002); Magaloni, *Voting for Autocracy*.

75 Lust-Okar, *Structuring Conflict in the Arab World*; Lust-Okar, "Elections under Authoritarianism."; D. Patel, "The Bridge on the River Jordan: Islam, Ethnicity, and Electoral Rule Manipulation," Paper Presented at the Middle East Studies of Political Science Association Annual Meetings, Boston, MA, 2006; E. Malesky, "Gerrymandering-Vietnamese Style: Escaping the Partial Reform Equilibrium in a Non-Democratic Regime," Paper Presented the Annual Meetings of Midwest Political Science Association, Chicago, IL, 2005.

76 P. Siavelis & A.Valenzuela, "Electoral Engineering and Democratic Stability: the Legacy of Authoritarian Rule in China," in: A. Lijphart & C. Waisman (eds.), *Institutional Design in New Democracies: Eastern Europe and Latin America* (Boulder, CO: Westview, 1996); M. Kaminski, "How Communism Could Have Been Saved: Formal Analysis of Electoral Bargaining in Poland in 1989," *Public Choice*, no. 98 (1999); P. Navia, "You Select The Rules of The Game and Lose: Advantages and Constraints When Choosing Electoral Rules: The Case of Chile," PhD. Thesis, Department of Politics, NY University, 2003.

إن التلاعب بالقواعد في الأنظمة الاستبدادية يتجاوز القواعد القياسية التي تحكم تحويل الأصوات إلى مقاعد؛ إذ يمكن أن تتلاعب النخبة الحاكمة بالقواعد التي تقنن عمل وسائل الإعلام؛ الأمر الذي يمكّنها من الحد من تدفق المعلومات وتصعيب التنسيق بين نخب المعارضة[77]. ويمكن النخبة الحاكمة أيضًا التدخل المباشر قبل الانتخابات، لتقييد دخول مرشحي المعارضة ودعمهم، والتحقق من المرشحين والحدّ من قدرتهم على تنظيم حملاتهم الانتخابية. وتشكّل النخبةُ الحاكمة اللجانَ الانتخابية وتحدد درجة استقلالها، وهي لجان تؤدي دورًا مركزيًّا في إحصاء النتائج النهائية والتصديق عليها.

وتشارك النخب الحاكمة في عمليات تزوير الانتخابات والتلاعب بها. من الصعب اكتشاف التلاعب بالنظر إلى طبيعته [التي تقوم على حدوثه بصفة غير علنية مبدئيًا][78]، لكن العلماء طوروا طرائق ذكية لتحليل هذه الظاهرة[79]. ووجدت العديد من دراسات الحالة والتحليلات متعددة الدول في الوقت نفسه أن الفساد لا يكون دائمًا مستترًا، ولا ضروريًّا لضمان فوز الأحزاب الحاكمة[80]. وفقًا لخوان مولينار، ليس الفساد ضروريًّا لتحقيق فوز النخب الحاكمة، لكنه يُستخدم كثيرًا في المناطق الريفية التي تكون فيها المعارضة ضعيفة أصلًا، ويستخدم أحيانًا حتى في المناطق التي لا يتقدم فيها أي مرشح معارض إلى الانتخابات[81]. وعلى المستوى المحلي، يبدو أن الهدف من الفساد ليس الفوز بالانتخابات، بقدر ما هو الكشف للنخب الحاكمة عن كون المسؤولين المحليين قادرين على الحصول على الأصوات. وكما يقول سيمبسر، قد تستخدم النخب الحاكمة الفساد في بعض الحالات لخلق غالبيات ساحقة؛ ما يعطي المعارضين المحتملين إشارة بأن المنافسة ميؤوس منها[82]. قد تكون هذه الآليات مفيدة بصفة خاصة في أنظمة الحزب المهيمن التي تكون فيها قوة اسم الحزب أكثر أهمية، ويكون تشتت المجالس التشريعية غير مرغوب فيه إلى حدّ بعيد[83].

يحتاج هذا الموضوع إلى مزيد من الدراسة المنهجية، لكن يبدو أن هناك اختلافات مهمة في الطرائق التي تنظر بها النخب الحاكمة إلى انتخابات رئيس الدولة والبرلمانات الوطنية والمناصب المحلية، فضلًا عن الاختلافات في الطرائق التي ينظر بها الملوك والرؤساء إلى الانتخابات. وتشير أدلّة متناقلة وأنماط التصويت إلى أن النخب الحاكمة تبذل جهدًا أكبر في التعبئة من أجل الانتخابات والاستفتاءات لإعادة انتخاب رئيس الدولة، من تلك التي تبذلها في الانتخابات الوطنية البرلمانية أو البلدية. في ما يتعلق بالرؤساء، يمكن أن يؤدي ارتفاع نسبة المشاركة ورجحان الأصوات لمصلحة الحزب الحاكم إلى الحد من اهتمام أعضاء المعارضة المحتملين بالانشقاق عن الحزب[84]. يعطي الرؤساء أهمية أقل كثيرًا لنسبة مشاركة عالية في الانتخابات التشريعية التي يكون فيها ارتباط قدرة المستبدين على التعبئة بنسب إقبال الناخبين ارتباطًا فضفاضًا. ويُبدون أيضًا اهتمامًا أقل بعودة أعضاء البرلمان الحاليين إليه؛ بالفعل، تبقى ولايات الرؤساء أكثر استقرارًا؛ إذ لم يكن في مقدور البرلمانيين الأفراد استخدام البرلمان لتأمين قواعد سلطة مستقلة، وإذا كانت هناك نخبٌ متزايدةٌ تَعُدُّ نفسَها قادرة، بفضل التناوب البرلماني، على الاستفادة من تلك المواقع. وفي المقابل، في الأنظمة الملكية ارتباط ضئيل بين دعم الأحزاب السياسية ومشروعية الملك. ويبدو أن الملوك يُفضّلون ألّا يختفي الاهتمام بالبرلمانات المنتخبة، لكن ليس من الضروري أن يكون هذا الاهتمام كبيرًا للغاية. علاوة على ذلك، يضفي الملوك المشروعية على حكمهم بترسيخ الحاجة إلى مُحَكَّمٍ فوق شعب منقسم، بينما هم معرّضون لتهديد قوى منافسة. هكذا فإنهم يستفيدون من تقسيم الأصوات بين الأحزاب المتنافسة، بدلًا من تجميعها لدعم الحزب الحاكم[85]. باختصار، إننا نتوقع إذًا أن من المرجّح أن يستخدم الحكام في الدول ذات الأحزاب المهيمنة كل الوسائل الممكنة لتشجيع نسبة إقبال عالية، ولدعم الحزب الحاكم، في حين أن الملوك أقل تصميمًا على خلق نسبة إقبال عالية ويفضّلون تشرذم الأحزاب.

77 Simpser; Magaloni, *Voting for Autocracy*.

78 F. Lehoucq, "Electoral Fraud: Causes, Types, and Consequences," *Annual Review of Political Science*, no. 6 (2003).

79 G. Cox & M. Kousser, "Turnout and Rural Corruption: New York as a Test Case," *American Journal of Political Science*, vol. 25, no. 4 (1981); F. Lehoucq & I. Molina, *Stuffing the Ballot Box: Fraud, Electoral Reform, and Democratization in Costa Rica* (New York: Cambridge University Press, 2002); D. Donno & A. Roussias, "Cheating Pays: The Impact of Electoral Manipulation in Party Systems," Paper Presented at the Annual Meetings of American Political Science Association, Philadelphia, PA, 2006.

80 Simpser; H. Esfandiari, "Is Iran democratizing? Observations on Election Day," in: L. Diamond, M. F. Plattner & D. Brumberg (eds.), *Islam and Democracy in the Middle East* (Baltimore, MD: Johns Hopkins University Press, 2003).

81 J. Molinar Horcasitas, *El Tiempo de la Legitimidad. Elecciones, Autoritarismo y Democracia en Mexico* (Mexico: Cal y Arena, 1991).

82 A. Simpser, "The Manipulation of Mass Elections: Fraud, Expectations and Turnout." *Working Paper*, Department of Political Science, Stanford University, 2003.

83 Lust-Okar & Jamal.

84 B. Geddes, "Why Parties and Elections in Authoritarian Regimes?"; Simpser, "Making Votes not Count."; Magaloni, *Voting for Autocracy*.

85 Lust-Okar & Jamal.

4. استنتاجات أولية

أنتجت دراسات متأخرة بعض الأفكار الثاقبة الأولية عن السلوك الانتخابي في الأنظمة الاستبدادية. لكن من المهم أن نكون واعين بأنها مستمدة أساسًا من مجموعة صغيرة نسبيًّا من الحالات المتفردة التي كانت موضوع دراسات عديدة (إذ حظيت الانتخابات الأخيرة، خاصة التي جرت في المكسيك والصين ومصر، باهتمام أكبر كثيرًا من غيرها). فضلًا عن ذلك، ركزت الأبحاث على الجوانب المهمة للانتخابات في الديمقراطيات (نسبة المشاركة، واختيار الناخبين، وتدخّل النخبة)؛ وهو ما يوفر نقاط مقارنة مهمة بين الانتخابات الاستبدادية والانتخابات الديمقراطية.

إن ما يلفت في الأدبيات حتى الآن هو أن السلوك الانتخابي في الأنظمة الاستبدادية يشبه في كثير من النواحي السلوك الانتخابي في الأنظمة الديمقراطية. انطلق الباحثون من فرضية أن الأنظمة الدكتاتورية لا تستجيب للتفضيلات السياسية للمواطنين، وركّزوا لذلك على أدوار الزبونية والمحسوبية، والعلاقات بين هذه العوامل والمأسسة الحزبية واستقرار النظام. وتساءلوا، إضافة إلى ذلك، عما يمكن أن يدفع الناخبين إلى المشاركة في الانتخابات و/ أو دعم مرشّحي المعارضة في ظل هذه الظروف التي تتمتع فيها السلطة القائمة بهذا الامتياز. لكن هذه المواضيع معروفة جيدًا لدى دارسي الناخبين والأحزاب في الديمقراطيات، لذلك فإنهم يتبنّون الإطار النظري نفسه المستخدم لدراسة هذه الأنواع من السلوك الانتخابي في كلا النظامين. وتتلاعب السلطة القائمة بالقواعد الانتخابية في الديمقراطيات الجديدة والقديمة على حد سواء[86]، وتشتري الأصوات[87]، وتلجأ إلى الغش من أجل الفوز في الانتخابات[88].

ترتكز الأدبيات المتعلقة بالسلوك الانتخابي في الدول غير الديمقراطية على أرضية أكثر تميّزًا في مناقشتها سلوك المرشّحين والسلطة القائمة. إن الأسئلة المتعلقة بـ "متى" و"لماذا" يقبل الخاسرون في الانتخابات هزيمتهم لا تطرحها دراسات الانتخابات الديمقراطية، التي تتميز في الواقع باستعداد الخاسرين لقبول هذه الهزائم، على أمل اللعب مرة أخرى[89]. لكن هذه الأسئلة تبرز في البلدان غير الديمقراطية: متى تقبل المعارضة الخسارة في انتخابات تدّعي أنها مزوّرة؟ متى تقبل السلطة الاستبدادية القائمة الهزيمة الانتخابية وتتنحّى عن السلطة؟ وعلى نحوٍ مماثل، لا يُطرَحُ التساؤل عن سبب بروز مرشحي المعارضة في الديمقراطيات، لكنه يشكل عنصرَ اهتمامٍ أساسيًا في الانتخابات الاستبدادية. وأخيرًا، تثير الانتخابات الاستبدادية تساؤلات بشأن كيفية إدارة السلطة القائمة للانتخابات (وكيفية احتفاظها بالسلطة)، بينما لا تثيرها الانتخابات الديمقراطية. ليس للسلطة الديمقراطية القائمة حرية سجن زعماء المعارضة الأساسيين ومؤيديهم، وحظر أحزابهم، وتضييق الخناق على وسائل الإعلام، كما هي الحال في نظيراتها الاستبدادية. ومع ذلك، على الرغم من أن لدى القادة الاستبداديين هذا الخيار، فإنهم لا يطبّقونه دائمًا. ربما يرجع ذلك إلى أن التزوير لن ينجح في نهاية المطاف في خداع نخب المعارضة التي تعتقد أن في إمكانها تقويض السلطة القائمة[90]، أو لأن توزيع المحسوبية بالوسائل التنافسية يخدم غرضًا قيّمًا في ذاته[91]، أو لأن السلطة القائمة تعتقد أنها تخاطر بتوليد نتائج سلبية إذا أصبح الغضب من التزوير حافزًا لتعبئة المعارضة[92]. يثير التنوع الهائل للأدوات الموجودة في "قائمة التلاعب" لدى المستبد[93] أسئلة مثيرة للاهتمام بشأن الاستخدام الأمثل للتزوير الذي تمارسه السلطة القائمة، وبشأن كيفية تأثير ذلك في استخدام أدوات أخرى.

86 G. Cox & J. Katz, *Elbridge Gerry's Salamander: The Electoral Consequences of the Reapportionment Revolution* (New York: Cambridge University Press, 2002).

87 S. Stokes, "Perverse Accountability: A Formal Model of Machine Politics with Evidence from Argentina," *American Political Science Review*, no. 99 (2005).

88 Cox & Kousser.

89 A. Przeworski, *Democracy and the Market* (New York: Cambridge University Press, 1991); C. Anderson et al., *Losers' Consent: Elections and Democratic Legitimacy* (New York: Oxford University Press, 2007).

90 Magaloni, *Voting for Autocracy*.

91 Lust-Okar, "Elections in Authoritarian Regimes."

92 N. van de Walle, "Elections without Democracy: Africa's Range of Regimes," *The Journal of Democracy*, vol. 13, no. 2 (2002); Lindberg, "The Surprising Significance of African Elections."; M. Beissinger, "Structure and Example in Modular Political Phenomena: The Diffusion of Bulldozer/ Rose/ Orange/Tulip Revolutions," *Perspectives on Politics*, vol. 5, no. 2 (2007); D. Donno, "Partners in Defending Democracy: Regional Intergovernmental Organizations and Opposition Mobilization after Flawed Elections," Paper Presented at the Elections and Political Identities Conference, Yale University, New Haven, CT, 2007; J. Tucker, "Enough! Electoral Fraud, Collective Action Problems, and Post-Communist-Colored Revolutions," *Perspectives on Politics*, vol. 5, no. 3 (2007); V. Bunce & S. Wolchik, "Favorable Conditions and Electoral Revolutions," *Journal of Democracy*, vol. 17, no. 4 (2006).

93 A. Schedler, "The Nested Game of Democratization by Elections," *International Political Science Review*, vol. 23, no. 1 (2002).

ثالثًا: تداعيات الانتخابات: هل ترتبط بالدمقرطة؟

يدرس العديد من الباحثين الانتخابات الاستبدادية في المقام الأول لتحديد احتمال الدمقرطة. إنهم يسعون لإيجاد الظروف التي تفشل الانتخابات فيها في خدمة مصالح السلطة القائمة، وتمكّن المنافسين من إحداث التناوب على السلطة أو تغيير السياسات، كما أظهرت الثورات الملوّنة مؤخرًا بصورة دراماتيكية. وركّز بعض الباحثين على سياسات الانتخابات الاستبدادية في محاولة لفهم الظرف الذي تصبح فيه الانتخابات لحظات من التنافس الحقيقي على قواعد اللعبة[94]. ويشتغل آخرون في إطار منظور أندرياس شيدلر[95] الذي ينظرون بموجبه إلى الانتخابات الاستبدادية بوصفها منافسة ثابتة مزدوجة الطبيعة: المنافسة الأولى تتعلق بالمناصب المتنازع عليها، والمنافسة الثانية بقواعد اللعبة[96]. ويتمثل التحدي في إبراز الكيفية التي يمكن أن تساهم بها الانتخابات في إرساء الديمقراطية عبر سبيلين: أولًا بتشجيع انهيار النظام عمومًا، وثانيًا بزيادة احتمال انبثاق الديمقراطية مكانه.

توجد احتمالات متنوعة للعلاقة بين الانتخابات وانهيار النظام. يتعلق أحدهما بالسياسة الداخلية للنظام: أزمة الخلافة، وهي الحالة التي لا يترشح فيها الحاكم الحالي للانتخابات، فتتولد انقسامات داخل النخبة الحاكمة يمكن المعارضين استغلالها؛ الأمر الذي يؤدي إلى سقوط الأنظمة الاستبدادية[97]. ويمكن أن تؤدي الأزمات الاقتصادية وتحرير السوق الاقتصادية أيضًا إلى إضعاف النظام الاستبدادي، وتغيير السياسة الانتخابية، وإضعاف قبضة النخبة الحاكمة على السلطة، مع تقلّص القطاع العام وانهيار احتكار النظام للرفاهية الاقتصادية[98].

من الأصعب إثبات أن الانتخابات الاستبدادية لا تشجع انهيار النظام وانتقاله فحسب، إنما تعزّز الديمقراطية أيضًا. لكن توجد أدلّة تشير إلى أن الانتخابات يمكن أن تساهم في إرساء الديمقراطية من القاعدة إلى القمة. تُروّج الأدبيات المتعلقة بالانتخابات المحلية في الصين ادعاءً مفاده أن الانتخابات تعزز "الدمقرطة الزاحفة"[99]. يمكن الانتخابات على مستوى القرية أن تقوّي المواطنين، أو تعزّز مشاركتهم السياسية تبعًا لخصائص البلدات. وعلى وجه الخصوص، "تؤدي الانتخابات الجيدة إلى زيادة توجهات المشاركة Participatory Attitudes وحماية الحقوق، وهي قيم من المرجّح أن تكون إزاحتها مسألة صعبة"[100]. لذلك يمكن أن يكون للانتخابات تأثيرٌ في علاقة المواطنين بالدولة وتوقعاتهم بشأنها؛ ما يؤدي في النهاية إلى مستويات أعلى من المشاركة الديمقراطية.

علاوة على ذلك، يمكن أن تساهم الانتخابات في الدمقرطة، إذا أفرزت فوز المعارضة الديمقراطية. وتكون "لبرلة المخرجات الانتخابية" ممكنة، عندما تشكل أحزاب المعارضة تحالفات ما قبل الانتخابات[101]. ولا تؤدي هذه التحالفات إلى زيادة احتمال فوز المعارضة فحسب، بل توسّع أيضًا المجال السياسي قُبَيْلَ التناوب على السلطة. يمكن أن تكون الدمقرطة أكثر ترجيحًا في سياق انتخابات متكررة، ولا سيما عندما يُمنح مرشّحو المعارضة درجة معيّنة من الحرية[102]. حينما كانت أحزاب المعارضة في المكسيك تحقق تقدمًا على غالبية الحزب الثوري المؤسساتي في المجلس، سعى هذا الحزب لتشكيل تحالفات تشريعية مع حزب معارض واحد (حزب العمل الوطني PAN) في محاولة لتهميش حزب آخر (حزب الثورة الديمقراطية PRD). بيد أن الثمن كان المزيد من التنازلات في ما يتعلق باستقلال المؤسسات الانتخابية؛ ما أدّى في النهاية إلى انتخابات كان ممكنًا أن يفوز فيها حزب معارض، وهو ما حدث بالفعل[103].

أخيرًا، قد تزيد الانتخابات من احتمال انهيار النظام وإمكانية الدمقرطة بفضل أنشطة خارج الساحة الانتخابية، كأن تنجح أحزاب المعارضة في تعبئة الناخبين للاحتجاج على "سرقة الانتخابات"[104].

94 Magaloni, *Voting for Autocracy*; Greene; Lust-Okar, "Elections in Authoritarian Regimes."

95 A. Schedler, "The Nested Game."

96 S. Huntington, *The Third Wave* (Tulsa: University of Oklahoma Press, 1993); M. Bratton & N. van de Walle, *Democratic Experiments in Africa* (New York: Cambridge University Press, 1997); Schedler, "The Nested Game."; S. Lindberg, *Democracy and Elections in Africa* (Baltimore, MD: Johns Hopkins University Press, 2006); S. Lindberg, "The Power of Elections in Africa Revisited," in: Lindberg (ed.).

97 A. Baturo, "Presidential Succession and Democratic Transitions," *iiisd Working Paper* 209, The Institute of International Integration Studies Discussion (2007).

98 Magaloni, *Voting for Autocracy*; Greene.

99 M. Pei, "Creeping Democratization in China," *The Journal of Democracy*, vol. 6, no. 4 (1995).

100 Birney, p. 153; Shi; L. Li, "The Empowering Effect of Village Elections in China," *Asian Survey*, vol. 43, no. 4 (2003).

101 M. M. Howard & P. G. Roessler, "Liberalizing Electoral Outcomes in Competitive Authoritarian Regimes," *American Journal of Political Science*, vol. 50, no. 2 (2000).

102 Lindberg, "The Surprising Significance of African Elections"; P. G. Roessler & M. M. Howard, "Post-Cold War Political Regimes: When do Elections Matter?" in: Lindberg (ed.).

103 T. Eisenstadt, *Courting Democracy in Mexico: Party Strategies and Electoral Institutions* (New York: Cambridge University Press, 2004).

104 Bunce & Wolchik; Beissinger.

يمكن أن تؤدي الانتخابات المسروقة إلى مخرجات ثورية، حيث تعيش "'جماعة متخيلة' من الناخبين الذين سُرقت منهم الانتخابات" حالةً من الغضب الأخلاقيّ المشترك، يمكّنها من التغلب على مشكلة الفعل الجماعي[105]. وعلى نحوٍ مماثل، يرى جوشوا تاكر أن التزوير بعد الانتخابات يُغيّر الحسابات [المرتبطة] بالاحتجاج بالنسبة إلى الأفراد؛ ما يُقلل التكاليف المتصوّرة للتعبئة ضد النظام، ويزيد الفوائد المتصورة للناخبين الذين يعتقدون أن أفعالهم ستُحدّد إن كان سيتم السماح للنخبة الحاكمة بالبقاء في السلطة أم لا[106]. وتسلّط هذه التفسيرات للكيفية التي يتغلب بها الأفراد على مشكلة الفعل الجماعي للانخراط في التعبئة بعد الانتخابات ضد الأنظمة الاستبدادية (وعلى الأخص في الثورات الملونة[107])، الضوءَ على مسار آخر، قد تؤدي فيه الانتخابات إلى الانتقال الديمقراطي.

يمكن أن يؤدي الفاعلون الخارجيون أيضًا دورًا مهمًّا، كما تشير إلى ذلك دراسات إمبريقية عديدة لانتشار الديمقراطية[108]. ويمكن الدول والمنظمات الدولية ممارسة الضغط على أنظمة معيّنة، كأن تُشرِطَ المساعدات الخارجية بإجراء انتخابات تعددية[109]. ويمكنها أيضًا أن تكون هيئات محكّمة، حيث تكشف عن معلومات بشأن إن كان لادّعاءات المعارضة المتعلقة بالتزوير أو ادعاءات النظام المتعلقة بالعدالة أساس من الصحة[110]. لكن ينبغي أن تكون لبعثات المراقبة قدرات معتبرة على كشف المخالفات، وعلى الإدلاء ببيانات موثوقة في ما يتعلق بدرجة التزوير. يمكن أن يكون المراقبون الدوليون أكثر فاعلية في هذا الصدد، عندما يُنسّقون مع نظرائهم المحليين[111]. تؤثر المراقبة في سلوك المعارضة والسلطة القائمة: يصبح المعارضون أكثر ميلًا إلى المقاطعة في حالة وجود مراقبي الانتخابات[112]، ومن المرجّح أن تلجأ السلطة القائمة إلى طرائق أخرى للتلاعب بالنتائج (بما في ذلك تقويض سيادة القانون وحرية وسائل الإعلام وانتهاك الحريات المدنية) قبل الانتخابات من أجل الحصول على الأفضلية الانتخابية[113].

لكن يوجد من يشكك في ادّعاء أن الانتخابات الاستبدادية تُسهِّلُ الدمقرطة. حينما لم تجد جينيفر مكوي وجوناثان هارتلين سوى القليل من الأدلّة على ذلك في أميركا اللاتينية[114]، تساءلا إن كانت النتائج في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى[115] أكثر عمومية. وفي هذا السياق، يبدو أن نتائج أبحاث أكثر شمولية مثيرة للريبة أيضًا. فقد وجد أكسيل هادينيوس ويان تيوريل، مثلًا، أن الانتخابات التعددية تبدو "منطلقًا أساسيًّا" إلى الدمقرطة، لكنهما صنّفا الأنظمة التي اختارت تنظيم انتخابات، ربما في إطار عملية الدمقرطة، "أنظمة تعددية"[116]. يمكن أن تُميّز الانتخابات التعددية الدمقرطة من دون أن تسببها بالضرورة. لم يجد جايزن براونلي بالفعل، في تحليل واسع للأنظمة الاستبدادية، أيَّ دليلٍ على أن الانتخابات تؤثر في بقاء النظام[117]، على الرغم من أنه وجد أن إجراء الانتخابات في ظل نظام استبدادي يزيد احتمال أن يكون النظام اللاحق ديمقراطيًا[118]. علاوة على ذلك، ونظرًا إلى أن المستبدين ينجحون في استخدام الانتخابات لإدامة حكمهم، فإن الروابط النظرية بين الانتخابات الاستبدادية والدمقرطة تبدو واهيةً[119].

إن أصعب مشكلة يواجهها البحث للإجابة عن هذا السؤال هي مشكلة تحديد السببية واتّجاهها. لنضرب مثالًا لتوضيح هذه المشكلة:

105 M. Thompson & P. Kuntz, "Stolen Elections: The Case of the Serbian October," *The Journal of Democracy*, vol. 15, no. 4 (2004), p. 162.

106 Tucker.

107 الثورات الملونة هي التسمية التي اشتهر بها عدد من الاحتجاجات الشعبية التي عرفها عدد من دول أوروبا الشرقية في بداية القرن العشرين (خصوصًا أوكرانيا وبيلاروسيا) لإسقاط أنظمة هجينة برع الماسكون بالسلطة فيها في عمليات التلاعب الانتخابي للبقاء في الحكم. (المحرر)

108 D. Brinks & M. Coppedge, "Diffusion is no Illusion: Neighbor Emulation in the Third Wave of Democracy, " *Comparative Political Studies*, vol. 39, no. 4 (2006); K. Gleditsch & M. Ward, "Diffusion and the International Context of Democratization," *International Organization*, vol. 60, no. 4 (2006).

109 J. Wright, "Foreign aid and Authoritarian Regime Survival: How Aid Can Foster Democratization," *Working paper*, Department of Political Science (University of Notre Dame), 2008.

110 S. Hyde & N. Marinov, "Does Information Generate Self-enforcing Democracy? The Role of International Election Monitoring," Paper Presented at the Institute of Studies of Association Annual Convention, 49th, Bridging Multiple Divides, San Francisco, CA, 2008.

111 Hyde; E. Bjornlund, *Beyond Free and Fair: Monitoring Elections and Building Democracy* (Princeton, NJ: Woodrow Wilson Center Press, 2004).

112 Hyde.

113 A. Simpser, "Unintended Consequences of Election Monitoring," in: M. Alvarez, T. Hall & S. Hyde (eds.), *Election Fraud: Detecting and Preventing Electoral Manipulation* (Washington, DC: Brookings Institute, 2008); A. Simpser & D. Donno, "Unintended Consequences of Monitoring Regimes: The Case of International Election Monitoring," Paper Presented at the Annual Meetings of Midwest Political Science Association, Chicago, IL, 2008.

114 J. McCoy & J. Hartlyn, "Electoral Processes and Democratization in Latin America," Paper Presented at the Annual Meetings of American Political Science Association, Chicago, IL, 2007; J. McCoy & J. Hartlyn, "The Relative Powerlessness of Elections in Latin America," in: Lindberg (ed.).

115 Bratton & van de Walle; Lindberg, "The Surprising Significance of African Elections."; Lindberg, *Democracy and Elections in Africa.*

116 A. Hadenius & J. Teorell, "Pathways from Authoritarianism," *The Journal of Democracy*, vol. 18, no. 1 (2007).

117 Brownlee.

118 J. Brownlee, "Harbinger of Democracy: Competitive Elections Before the End of Authoritarianism," in: Lindberg (ed.).

119 Lust-Okar, "Elections under Authoritarianism."

الفكرة القائلة إن تحالفات المعارضة تؤدي إلى الدمقرطة[120]. ربما تؤدي التحالفات الانتخابية بين أحزاب المعارضة إلى فوزها والسيطرة على رئاسة الجهاز التنفيذي، لكن من المعقول أيضًا أن تسمح السلطة القائمة الضعيفة بالفعل بتشكيل ائتلافات معارضة وتكفّ عن استخدام التزوير والتلاعب في إطار مخطط ومحدد مسبقًا لـ "الانسحاب" من السلطة. فلا يكون للانتخابات في هذه الحالة سوى قوة سببية ضئيلة.

إضافة إلى ذلك، عند البحث عن تأثيرات الانتخابات في الدمقرطة، علينا أن نأخذ في الحسبان مدى أن يكون سلوك أحزاب المعارضة أو الناخبين الأفراد محدَّدًا باحتمال انتقال ديمقراطي. من الممكن ألّا تشكل أحزاب المعارضة تحالفات انتخابية، إلّا إذا تبيّن لها مثلًا أن تغيير النظام شيء ممكن[121]. وعلى نحوٍ مماثل، قد يختار القادة المستبدون إجراء انتخابات عندما يجدون أنفسهم يفقدون السلطة، ويُفضّلون إمكان الانتقال السلمي بوساطة الانتخابات على الإطاحة العنيفة بهم[122]. علينا، في كلتا الحالتين، معالجة مشكلة تأثير المتغيرات الداخلية كي نتمكّن من أن نعزل إمبريقيًّا تأثير الانتخابات في احتمال الانتقالات [نحو الديمقراطية]. وكذلك الأمر إذا اتّخذ المواطنون قرارات استراتيجية بشأن إن كانوا سيحتجّون على انتخابات مسروقة، فإن تحليلهم للتكلفة والعائد قد يتأثر بتصوّرهم لاحتمال تغيير النظام.

على الرغم من أن تحديد تأثير الانتخابات الاستبدادية في بقاء الاستبداد والانتقال الديمقراطي ربما يكون أحد الدوافع الأكثر إقناعًا لدراسة هذه المؤسسات، فإنه ليس بالضرورة الدافع الوحيد. عندما ندرس السلوك الانتخابي والمؤسسات في ظل الاستبداد نتساءل: أتحتاج الإجابة عن سؤال "وماذا بعد؟" دائمًا إلى ذكر موضوع بقاء النظام، أم أن لدينا ما يبرر دراسة السلوك الانتخابي ودخول المرشحين والاستراتيجيات الحزبية في الانتخابات الاستبدادية، بغض النظر عن تأثيرها في بقاء النظام؟

خاتمة

أماطت دراسات حديثة للانتخابات الاستبدادية اللثام عن معارف مهمة؛ إذ إن هناك فهمًا متزايدًا لكون الانتخابات في الأنظمة الاستبدادية ظاهرة مختلفة كثيرًا عن نظيراتها في الأنظمة الديمقراطية. إن الرهانات المطروحة، وحوافز المشاركة، والسلوك الانتخابي، الناتجة منها، مختلفة إلى حدٍ مثير. علاوة على ذلك، إننا نعي وجود قدر كبير من التباين في الانتخابات الاستبدادية. تختلف الانتخابات الوطنية عن الانتخابات المحلية؛ وتختلف انتخابات المناصب التنفيذية عن الانتخابات التشريعية؛ وإن الانتخابات التي تجرى مباشرة بعد استئناف السياسة الانتخابية تختلف عن تلك التي تجرى في السنوات اللاحقة. وسواء كانت هذه الاختلافات تتوقف على الاختلافات بين أنواع الأنظمة، أم على القيود المؤسساتية، أم الظروف الاجتماعية والاقتصادية، فإننا نعلم أيضًا أن هناك قدرًا كبيرًا من التباين في السلوك الانتخابي والمخرجات. وأخيرًا، على الرغم من أن الانتخابات قد تُعزّز الدمقرطة أحيانًا، فإنه لم يعد من السهل افتراض أن الانتخابات تؤدي بالضرورة إلى تقويض الأنظمة الاستبدادية، بل يبدو أن العكس هو ما يحدث عمومًا.

لا يزال يتعيّن القيام بعمل، قبل التوصّل إلى فهم السلوك داخل الانتخابات، وانعكاساتها في ظل الحكم الاستبدادي كليًّا. وكما رأينا، تتباين الانتخابات تباينًا ملحوظًا: من الانتخابات المحلية في الصين الشيوعية، إلى الانتخابات الوطنية التنافسية نسبيًّا في المكسيك التي يهيمن فيها الحزب الثوري المؤسساتي. ولا يزال مدى تأثير ظروف مختلفة في السلوك والمخرجات غير مستكشف بالقدر الكافي. والحال أن الدراسات الموجودة التي تعتمد في الأساس على عدد قليل من الحالات تثير أسئلة وافتراضات أكثر مما تقدم نتائج نهائية.

تركز المجموعة الأولى من الأسئلة على كيفية تأثير اختلاف بنية الانتخابات الاستبدادية في سلوك المشاركين. ويبدو على سبيل المثال أن درجة انخراط السلطة القائمة في دورات الأعمال السياسية تعتمد على كون الانتخابات أحادية الحزب أو متعددة الأحزاب[123]. نعرف أن القواعد الانتخابية تؤثر في الانتخابات[124]، لكن ما تأثير القواعد الأقل وضوحًا؟ فهل السماح للمرشحين بخوض الانتخابات مستقلين، مثلًا، يؤثر في دخول المرشحين وتشكيل التحالفات الانتخابية؟ هل الانتخابات التي تجري في مراحل متعاقبة تؤثر في سلوك الناخبين والسلطة القائمة؟ تجيب دراسات الانتخابات المكسيكية[125] والمصرية[126] بالإيجاب، لكن هذه النتائج تدعو إلى إجراء مزيد من الدراسة الممنهجة. يوجد عمومًا عدد قليل من

120 Howard & Roessler.

121 van de Walle, "Tipping Games?"; Gandhi & Reuter, "Opposition Coordination."

122 Cox.

123 S. Block, K. Feree & S. Singh, "Multiparty Competition, Founding Elections and Political Business Cycles in Africa," *Journal of African Economies*, vol. 12, no. 3 (2003).

124 Lust-Okar & Jamal; Posusney; Magaloni, *Voting for Autocracy*; Masoud.

125 Magaloni, *Voting for Autocracy.*

126 Masoud.

الدراسات المقارنة الواسعة التي تدرس كيف تؤثر الاختلافات بين الانتخابات، من حيث المستوى والبنية، في سلوك المواطنين والمرشحين والسلطة القائمة.

أما المجموعة الثانية من الأسئلة، فتتمحور حول تأثير الانتخابات في مخرجات السياسات التي لا ترقى إلى مستوى انتقال النظام. أظهرت دراسات حديثة، مثلًا، أن البرلمانات المتعددة الأحزاب في الأنظمة الاستبدادية يمكن أن تؤثر في السياستين الداخلية والخارجية[127]. لكننا لا نفهم فهمًا كاملًا بعد تأثير الانتخابات الاستبدادية في مخرجات مثل النمو الاقتصادي والحرب، وكيف يمكن أن تختلف هذه التأثيرات تبعًا لأنواع الأنظمة. إضافة إلى ذلك، يمكن أن توفر السياسة الانتخابية محفّزات لتغيير مؤسسات سياسية أخرى. فعلى سبيل المثال، يشير غو زينغلين وتوماس بيرينشتاين إلى أن الانتخابات في القرى الصينية أدّت إلى منافسة جديدة بين رؤساء اللجان القروية والأمناء المحليين للحزب؛ ما أدّى إلى تغيير بنية العلاقات بين الحزب ورؤساء اللجان القروية[128]. ويستكشف شونا وانغ ويانغ ياو كيف أثّرت انتخابات رؤساء اللجان القروية في العلاقات بين القرى والبلدات، وأكدا أن الانتخابات تقوّي المساءلة، لكنها تضعف أيضًا تقاسم الجبايات[129]. كيف يمكننا إذًا أن نفهم تَكيُّف المؤسسات مع إدخال الانتخابات، أو مع التغييرات في المؤسسات الانتخابية؟

أخيرًا، لا بد من استكشاف تأثير الانتخابات في البيئات الاجتماعية. ينبغي ألّا تكون الانتخابات محدَّدة بالتنظيم المجتمعي فحسب، بل يجب أيضًا أن تكون مؤثِّرة في الصراعات بين النخب والقوى الاجتماعية[130]. إنها تؤثر في استراتيجيات الحركات الاجتماعية[131] والتنظيمات القَبَلِيّة[132]، ومن المحتمل أن تؤثر في العلاقات والتمثلات الجندرية؛ الأمر الذي يمكن أن تكون له انعكاسات على التنظيم الاجتماعي أيضًا. لهذا يجب أن يركز البحث على تأثيرات الانتخابات في القوى الاجتماعية والسياسية الأخرى.

تتطلّب هذه الأسئلة قدرًا هائلًا من العمل: البناء الدقيق للنظريات والتفسيرات، ودراسة مجموعة أكثر تنوّعًا من الحالات، وجمع البيانات المنهجية لتحديد الأنماط الإمبريقية، وتقييم نطاق شروط النتائج الحالية، والتحقق مما إذا كانت لنظرياتنا قوةٌ تفسيريةٌ. تَعِدُ هذه الدراسات بنتائج مثمرة. على عكس الديمقراطيات التي تنطوي فيها الانتخابات بحكم تعريفها على شروط سياسية محددة (على سبيل المثال: منافسة حزبية، وصحافة حرة)، فإن تنوع الظروف المحيطة بالانتخابات، في ظل الحكم الاستبدادي، يسمح لنا بالتنظير والفحص الإمبريقي للكيفية التي ترتبط بها السمات الأساسية، لكن الخاصة، للانتخابات بمخرجات معيّنة. علاوة على ذلك، إن فهمًا أعمق للانتخابات سيلقي ضوءًا مفيدًا على سياسات الاستبداد، ويساعدنا في استكشاف أعمق للعلاقة بين الانتخابات الاستبدادية والدمقرطة. عندئذ، فحسب، يمكننا أن نتناول المسائل المثيرة للاهتمام نظريًّا، والمهمة موضوعيًّا التي تواجهنا اليوم.

---

127 Gandhi; J. Vreeland, "Political Institutions and Human Rights: why Dictatorships Enter into the United Nations Convention Against Torture," *International Organization*, vol. 62, no. 1 (2008).

128 G. Zhenglin & T. P. Bernstein, "The Impact of Elections on Village Structure of Power: The Relations Between the Village Committees and the Party Branches," *Journal of Contemporary China*, vol. 13, no. 29 (2004).

129 S. Wang & Y. Yao, "Grassroots Democracy and Local Governance: Evidence from Rural China," *World Development*, vol. 35, no. 10 (2007).

130 A. Keshavarzian, "Contestation without Democracy: Elite Fragmentation in Iran," in: M. Pripstein Posusney & M. Penner Angrist (eds.), *Authoritarianism in the Middle East: Regimes and Resistance* (Boulder, CO: Lynne Rienner, 2005); Tezcur.

131 Masoud.

132 E. Lust-Okar, "Reinforcing Informal Institutions through Authoritarian Elections," *Middle East Law Governance Journal*, vol. 1, no. 1 (2009).

المراجع

Acemoglu, D. & J. Robinson. *Economic Origins of Dictatorship and Democracy*. New York: Cambridge University Press, 2005.

Alvarez, M., T. Hall & S. Hyde (eds.). *Election Fraud: Detecting and Preventing Electoral Manipulation*. Washington, DC: Brookings Institute, 2008.

Ames, B. "Bases of support for Mexico's Dominant Party." *American of Political Science Review*. vol. 64, no.1 (1970).

Anderson, C. et al. *Losers' Consent: Elections and Democratic Legitimacy*. New York: Oxford University Press, 2007.

Anderson, L. (ed.) *Transitions to Democracy*. New York: Columbia University Press, 1999.

Bahry, D. & B. Silver. "Soviet Citizen Participation on the Eve of Democratization." *American Political Science Review*. vol. 84, no. 3 (1990).

Baturo, A. "Presidential Succession and Democratic Transitions." The Institute of International Integration Studies Discussion. *iiisd Working Paper* 209 (2007).

Bawn, K. "The Logic of Institutional Preferences: German Electoral Law as a Social Choice Outcome." *American Journal of Political Science*. vol. 37, no. 4 (1993).

Beaulieu, E. & S. Hyde. "In the Shadow of Democracy Promotion: Strategic Manipulation, International Observers, and Election Boycotts." *Comparative Political Studies*. vol. 42, no. 3 (2008).

Beaulieu, E. "Protesting the Contest: Election Boycotts Around the World 1990-2002." PhD. Thesis. Department of Political Science. University of California San Diego. California. 2006.

Beissinger, M. "Structure and Example in Modular Political Phenomena: The Diffusion of Bulldozer/ Rose/Orange/Tulip Revolutions." *Perspectives on Politics*. vol. 5, no. 2 (2007).

Benoit, K. "Electoral Laws as Political Consequences: Explaining the Origins and Change of Electoral Institutions." *Annual Review of Political Science*. vol. 10, no. 1 (2007).

_______. "Models of Electoral System Change." *Electoral Studies*. no. 23 (2004).

Birney, M. "Can Local Elections Contribute to Democratic Progress in Authoritarian Regimes? Exploring the Political Ramifications of China's Village Elections." PhD. Thesis. Department of Political Science. Yale University, CT. 2007.

Bjornlund, E. *Beyond Free and Fair: Monitoring Elections and Building Democracy*. Princeton, NJ: Woodrow Wilson Center Press, 2004.

Blaydes, L. "Electoral Budget Cycles Under Authoritarianism: Economic Opportunism in Mubarak's Egypt." Paper Presented at the Annual Meeting of Midwest Political Science Association. Chicago, IL. 2006.

_______. "Who Votes in Authoritarian Elections and Why? Vote Buying, Turnout, and Spoiled Ballots in Contemporary Egypt." Paper Presented at the Annual Meeting of American Political Science Association. Philadelphia, PA. 2006.

Block, S., K. Feree & S. Singh. "Multiparty Competition, Founding Elections and Political Business Cycles in Africa." *Journal of African Economies*. vol. 12, no. 3 (2003).

Boix, C. "Setting the Rules of the Game: the Choice of Electoral Systems in Advanced Democracies." *American Journal of Political Science*. vol. 93, no. 3 (1999).

Boix, C. & M. Svolik. "The Foundation of Limited Authoritarian Government: Institutions and Power-Sharing in Dictatorships." Paper Presented at the Conference of Dictatorships: Their

Donno, D. "Partners in Defending Democracy: Regional Intergovernmental Organizations and Opposition Mobilization after Flawed Elections." Paper Presented at the Elections and Political Identities Conference. Yale University. New Haven, CT. 2007.

Donno, D. & A. Roussias. "Cheating Pays: The Impact of Electoral Manipulation in Party Systems." Paper Presented at the Annual Meetings of American Political Science Association. Philadelphia, PA. 2006.

Duverger, M. *Political Parties: Their Organization and Activity in the Modern State*. New York: Wiley, 1951.

Eisenstadt, T. *Courting Democracy in Mexico: Party Strategies and Electoral Institutions*. New York: Cambridge University Press, 2004.

Gandhi, J. *Political Institutions Under Dictatorship*. New York: Cambridge University Press, 2008.

Gandhi, J. & A. Przeworski. "Cooperation, Cooptation, and Rebellion Under Dictatorship." *Economics & Politics*. vol. 18, no. 1 (2006).

Gandhi, J. & O. J. Reuter. "Economic Performance and the Unraveling of Hegemonic Parties." Paper Presented at the Constitutions and Markets Conference. European University Institute. San Domenico di Fiesole. Italy. 2007.

________. "Opposition Coordination in Legislative Elections Under Authoritarianism." Paper Presented at the Annual Meeting of American Political Science Association. Boston, MA. 2008.

Geddes, B. "Authoritarian Breakdown: Empirical Test of A Game Theoretic Argument." Paper Presented in the Annual Meeting of American Political Science Association. Atlanta. GA, 1999.

________. "Why Parties and Elections in Authoritarian Regimes?" Paper Presented at Annual Meeting of American Political Science Association. Washington, DC. 2005.

Governance and Social Consequences Conference. Princeton University. Princeton. New Jersey. 2008.

Bratton, M. & N. van de Walle. *Democratic Experiments in Africa*. New York: Cambridge University Press, 1997.

Brinks, D. & M. Coppedge. "Diffusion is no Illusion: Neighbor Emulation in the Third Wave of Democracy." *Comparative Political Studies*. vol. 39, no. 4 (2006).

Brownlee, J. *Authoritarianism in an Age of Democratization*. New York: Cambridge University Press, 2007.

Bunce, V. & S. Wolchik. "Favorable Conditions and Electoral Revolutions." *Journal of Democracy*. vol. 17, no. 4 (2006).

Chen, J. & Y. Zhong. "Why do People Vote in Semi-Competitive Elections in China?" *The Journal of Politics*. vol. 64, no. 1 (2002).

Cox, G. "Authoritarian Elections and Leadership Succession, 1975-2000." Department of Political Science. University of California San Diego. California, 2008.

Cox, G. & J. Katz. *Elbridge Gerry's Salamander: The Electoral Consequences of the Reapportionment Revolution*. New York: Cambridge University Press, 2002.

Cox, G. & M. Kousser. "Turnout and Rural Corruption: New York as a Test Case." *American Journal of Political Science*. vol. 25, no. 4 (1981).

Diamond, L. "Thinking about Hybrid Regimes." *Journal of Democracy*. vol. 13, no. 2 (2002).

Diamond, L., M. F. Plattner & D. Brumberg (eds.). *Islam and Democracy in the Middle East*. Baltimore, MD: Johns Hopkins University Press, 2003.

Diaz-Cayeros, A. & B. Magaloni. "Party Dominance and the Logic of Electoral Design in Mexico's Transition To Democracy." *Journal of Theoretical Politics*. vol. 13, no. 3 (2001).

Political Competition. Cambridge, UK: Cambridge University Press, 2007.

Langlois, A. & K. Soltan (eds.). *Democracy and Globalization*. London: Routledge, 2008.

Lawson, C. *Building the Fourth Estate: Democratization and the Rise of a Free Press in Mexico*. Berkeley: University California Press, 2002.

Lehoucq, F. "Electoral Fraud: Causes, Types, and Consequences." *Annual Review of Political Science*. no. 6 (2003).

Lehoucq, F. & I. Molina. *Stuffing the Ballot Box: Fraud, Electoral Reform, and Democratization in Costa Rica*. New York: Cambridge University Press, 2002.

Levitsky, S. & L. A. Way. "The Rise of Competitive Authoritarianism." *Journal of Democracy*. vol. 13, no. 2 (2002).

Li, L. "The Empowering Effect of Village Elections in China." *Asian Survey*. vol. 43, no. 4 (2003).

Lijphart, A. & C. Waisman (eds.). *Institutional Design in New Democracies: Eastern Europe and Latin America*. Boulder, CO: Westview, 1996.

Lindberg, S. "The Surprising Significance of African Elections." *The Journal of Democracy*. vol. 17, no. 1 (2006).

________. *Democracy and Elections in Africa*. Baltimore, MD: Johns Hopkins University Press, 2006.

Lindberg, S. (ed.). *Democratization by Election: A New Mode of Transition*. Baltimore, MD: Johns Hopkins University Press, 2009.

Lust-Okar, E. *Structuring Conflict in the Arab World: Incumbents, Opponents, and Institutions*. New York: Cambridge University Press, 2005.

________. "Elections under Authoritarianism: Preliminary Lessons from Jordan." *Democratization*. vol. 13, no. 3 (2006).

Gleditsch, K. & M. Ward. "Diffusion and the International Context of Democratization." *International Organization*. vol. 60, no. 4 (2006).

Greene, K. *Why Dominant Parties Lose: Mexico's Democratization in Comparative Perspective*. New York: Cambridge University Press, 2007.

Hadenius, A. & J. Teorell. "Pathways from Authoritarianism." *The Journal of Democracy*. vol. 18, no. 1 (2007).

Hermet, G., R. Rose & A. Rouquie *Elections without Choice*. New York: Wiley, 1978.

Hourani, H., H. Abu Rumman & N. A. Kamel. *Who's Who in the Jordanian Parliament: 2003-2007?* Amman, Jordan: Sindbad, 2004.

Howard, M. M. & P. G. Roessler. "Liberalizing Electoral Outcomes in Competitive Authoritarian Regimes." *American Journal of Political Science*. vol. 50, no. 2 (2000).

Huntington, S. *The Third Wave*. Tulsa: University of Oklahoma Press, 1993.

Hyde, S. "Observing Norms: Explaining the Causes and Consequences of Internationally Monitored Elections." PhD Thesis. Department of Political Science. University of California. San Diego. 2006.

Hyden, G. & C. Ley. "Elections and Politics in Single-Party Systems: the Case of Kenya and Tanzania." *British Journal of Political Science*. vol. 2, no. 4 (1972).

Kaminski, M. "How Communism Could Have Been Saved: Formal Analysis of Electoral Bargaining in Poland in 1989." *Public Choice*. no. 98 (1999).

Karklins, R. "Soviet Elections Revisited: Voter Abstention in Noncompetitive Voting." *American Political Science Review*. vol. 80, no. 2 (1986).

Kitschelt, H. & S. Wilkenson (eds.). *Patrons, Clients and Policies; Patterns of Democratic Accountability and*

Presented at the Annual Meetings of American Political Science Association. Chicago, IL. 2007.

Molinar Horcasitas, J. *El Tiempo de la Legitimidad. Elecciones, Autoritarismo y Democracia en Mexico*. Mexico: Cal y Arena, 1991.

Navia, P. "You Select The Rules of The Game and Lose: Advantages and Constraints When Choosing Electoral Rules: The Case of Chile." PhD Thesis. Department of Politics. NY University. 2003.

Pastor, R. & Q. Tan. "The Meaning of China's Village Elections." *The China Quarterly*. no. 162 (2000).

Patel, D. "The Bridge on the River Jordan: Islam, Ethnicity, and Electoral Rule Manipulation." Paper Presented at the Middle East Studies of Political Science Association Annual Meetings Boston, MA. 2006.

Pei, M. "Creeping Democratization in China." *The Journal of Democracy*. vol. 6, no. 4 (1995).

Pepinsky, T. "Autocracy, Elections, and Fiscal Policy: Evidence from Malaysia." *Studies in Comparative International Development*. vol. 42, no. 1-2 (2007).

Posada-Carbo, E. *Elections before Democracy: The History of Elections in Europe and Latin America*. New York: St. Martin's, 1996.

Posusney, M. Pripstein. "Multi-party Elections in the Arab world: Institutional Engineering and Oppositional Strategies." *Studies in Comparative International Development*. vol. 36, no. 4 (2002).

Posusney, M. Pripstein & M. Penner Angrist (eds.). *Authoritarianism in the Middle East: Regimes and Resistance*. Boulder, CO: Lynne Rienner, 2005.

Przeworski, A. *Democracy and the Market*. New York: Cambridge Univrsity Press, 1991.

Remington, T. & S. Smith. "Political Goals, Institutional Context, and the Choice of an Electoral System:

_______. "Reinforcing Informal Institutions through Authoritarian Elections." *Middle East Law Governance Journal*. vol. 1, no. 1 (2009).

Lust-Okar, E. & A. Jamal. "Rulers and Rules: Reassessing the Influence of Regime Type on Electoral Law Formation." *Comparative Political Studies*. no. 35 (2002).

Lust-Okar, E. & S. Zerhouni (eds.). *Political Participation in the Middle East and North Africa*. Boulder, CO: Lynne Rienner, 2008.

Magaloni, B. *Voting for Autocracy: Hegemonic Party Survival and its Demise in Mexico*. New York: Cambridge University Press, 2006.

_______. "Credible Power-Sharing and the Longevity of Authoritarian Rule." *Comparative Political Studies*. no. 41 (2008).

Malesky, E. & P. Schuler. "Why do Single-Party Regimes Hold Elections? An Analysis of Candidate-Level Data in Vietnam's 2007 National Assembly Contest." Paper Presented at the Annual Meeting of American Political Science Association. Boston, MA. 2008.

Malesky, E. "Gerrymandering-Vietnamese Style: Escaping the Partial Reform Equilibrium in a Non-Democratic Regime." Paper Presented the Annual Meetings of Midwest Political Science Association. Chicago, IL. 2005.

Manion, M. "The Electoral Connection in the Chinese Countryside." *American Political Science Review*. vol. 90, no. 4 (1996).

Masoud, T. "Why Islam Wins: Electoral Ecologies and Economics of Political Islam in Contemporary Egypt." PhD Thesis. Department of Political Science. Yale University, CT. 2008.

McCoy, J. & J. Hartlyn. "Electoral Processes and Democratization in Latin America." Paper

Tsai, L. *Accountability without Democracy: Solidary Groups and Public Goods Provision in Rural China*. New York: Cambridge University Press, 2007.

Tucker, J. "Enough! Electoral Fraud, Collective Action Problems, and Post-Communist-Colored Revolutions." *Perspectives on Politics*. vol. 5, no. 3 (2007).

van de Walle, N. "Elections without Democracy: Africa's Range of Regimes." *The Journal of Democracy*. vol. 13, no. 2 (2002).

Vreeland, J. "Political Institutions and Human Rights: why Dictatorships Enter into the United Nations Convention Against Torture." *International Organization*. vol. 62, no. 1 (2008).

Wang, S. "The Role of Local Elections in Authoritarian Regimes: The Case of China's Village Elections." PhD. Thesis, Department of Political Science. Yale University, CT. 2008.

Wang, S. & Y. Yao. "Grassroots Democracy and Local Governance: Evidence from Rural China." *World Development*. vol. 35, no. 10 (2007).

Wright, J. "Do Authoritarian Institutions Constrain? How Legislatures Affect Economic Growth and Investment." *American Journal of Political Science*. vol. 52, no. 2 (2008).

________. "Foreign Aid and Authoritarian Regime Survival: How Aid Can Foster Democratization." *Working paper*. Department of Political Science. University of Notre Dame. 2008.

Zeldin, T. *The Political System of Napoleon III*. London: Macmillan, 1958.

Zhenglin G. & T. P. Bernstein, "The Impact of Elections on Village Structure of Power: The Relations Between the Village Committees and the Party Branches." *Journal of Contemporary China*. vol. 13, no. 29 (2004).

the Russian Parliamentary Election Law." *American Journal of Political Science*. vol. 40, no. 4 (1996).

Roessler, P. & M. M. Howard. "Electoral Dominance in Authoritarian Regimes." Papr presented in the Annual Meeting of American Political Science Association. Boston, MA. 2008.

Schedler, A. (ed.). *Electoral Authoritarianism: The Dynamics of Unfree Competition*. Boulder, CO: Lynne Rienner, 2006.

Schedler, A. "The Nested Game of Democratization by Elections." *International Political Science Review*. vol. 23, no. 1 (2002).

Shi, T. "Voting and Nonvoting in China: Voting Behavior in Plebiscitary and Limited-Choice Elections." *The Journal of Politics*. vol. 61, no. 4 (1999).

Simpser, A. "The Manipulation of Mass Elections: Fraud, Expectations and Turnout." *Working Paper*. Department of Political Science. Stanford University. 2003.

Simpser, Alberto. "Making Votes not Count: Strategic Incentives for Electoral Corruption." PhD. Dissertation. Department of Political Science. Stanford University, 2005.

Simpser A. & D. Donno. "Unintended Consequences of Monitoring Regimes: the Case of International Election Monitoring." Paper Presented at the Annual Meetings of Midwest Political Science Association. Chicago, IL. 2008.

Stokes, S. "Perverse Accountability: A Formal Model of Machine Politics with Evidence from Argentina." *American Political Science Review*. no. 99 (2005).

Thompson, M. & P. Kuntz. "Stolen Elections: The Case of the Serbian October." *The Journal of Democracy*. vol. 15, no. 4 (2004).



التوثيق
Documentation



محطات التحول الديمقراطي في الوطن العربي

Milestones in Democratic Transition in the Arab World



يتضمّن هذا التقرير توثيقًا لأبرز محطات التحول الديمقراطي في الوطن العربي، في المدة 1 تموز/ يوليو – 31 آب/ أغسطس 2024.

كلمات مفتاحية: تونس، سورية، العراق.



Keywords: Tunisia, Syria, Iraq.

2024/7/16 كشفت "الشبكة السورية لحقوق الإنسان"، في تقرير لها في 14 صفحة، بعنوان "النظام السوري يستخدم الحجز الاحتياطي على الأموال كأداة عقاب جماعية"، أنّ ما لا يقل عن 817 مدنيًا، بينهم 273 امرأة، و12 طفلًا، أصدر ضدهم النظام السوري قرارات جماعية بالحجز الاحتياطي، في بلدة زاكية في محافظة ريف دمشق منذ مطلع عام 2024. وقالت "إنّ سياسة الحجز الاحتياطي على الأموال المنقولة وغير المنقولة من النظام السوري تُعد أحد أبرز الأساليب الفعّالة التي يستخدمها أداة لتحقيق موارد مالية إضافية لخزينته". وأشار التقرير إلى أنّ النظام يعاقب معظم من عارضوه وعائلاتهم "عبر تطبيق مزيد من التضييق والقيود القانونية والاجتماعية والاقتصادية ضدهم".

(الشبكة السورية لحقوق الإنسان، 2024/7/16)

2024/7/17 توصلت "هيئة تحرير الشام" (جبهة النصرة سابقًا)، إلى اتفاق مع وجهاء بلدة بنش في ريف إدلب، لإنهاء التوتر في البلدة وإيقاف التظاهرات التي اكتسبت زخمًا، بعد أن دهس أحد العناصر في الجهاز الأمني للهيئة إحدى المشاركات في الحراك.

(**بلدي نيوز**، 2024/7/17)

2024/7/19 أعلن الرئيس التونسي، قيس سعيّد، ترشحه للانتخابات الرئاسية، التي ستُجرى في 6 تشرين الأول/ أكتوبر 2024، لـ "مواصلة مسيرة النضال في معركة التحرير الوطنية".

(**فرانس 24**، 2024/7/19)

2024/7/22 دعا حزب التيار الديمقراطي في تونس، في بيان له كل القوى الحيّة من المجتمع السياسي والمدني والكفاءات، إلى عدم الخضوع لمناخ الترهيب والتهديد الذي تحاول السلطة، وهيئة الانتخابات المنصَّبة، بسطه ضد الصحافة والإعلام والسياسيين والنشطاء والمترشحين والمواطنين والمزكّين، والتمسّك بحق بلدهم في حياة ديمقراطية محترمة.

(صفحة فيسبوك، التيار الديمقراطي، 2024/7/22)

2024/8/4 أطلق النظام السوري، بتوجيه من بشار الأسد، تسوية أمنية (مصالحة) في محافظة القنيطرة، جنوب غرب سورية، تشمل المطلوبين لأجهزته الأمنية المتعددة أو المنشقين عن قواته، والتي تأتي في سياق محاولات فرض هذا الأسلوب بديلًا من تطبيق مضامين القرارات الدولية لحل القضية السورية.

(**المدن**، 2024/8/4)

2024/8/4 احتدمت الخلافات السياسية في العراق، بشأن قانونَي "العفو العامّ" و"تعديل الأحوال الشخصية"، بين بعض الكتل السياسية، حيث أنهى مجلس النواب في جلسته، برئاسة رئيسه بالنيابة محسن المندلاوي وحضور 177 نائبًا، قراءة أربعة قوانين منها تعديل القانونَين المذكورَين.

(**ميدل إيست أونلاين**، 2024/8/4)

2024/8/6 قرر القضاء العراقي حل ثلاثة أحزاب سياسية وإغلاق مقارّها، بعد ثبوت ارتباطها بحزب العمال الكردستاني المعارض لأنقرة والمحظور في العراق، وهو القرار الأول من نوعه تجاه الحراك السياسي الذي يمارسه الحزب في البلاد. وأصدرت القرارَ الهيئةُ القضائية للانتخابات في مجلس القضاء الأعلى (أعلى سلطة قضائية في العراق)، بطلب من دائرة الأحزاب والتنظيمات السياسية في المفوضية العليا المستقلة للانتخابات. وشمل الحل أحزاب الحرية والديمقراطية الإيزيدي، وجبهة النضال الإيزيدي، وحرية مجتمع كردستان.

(**العربي الجديد**، 2024/8/6)

2024/8/20 قالت هيومن رايتس ووتش، في بيان لها، إن السلطات التونسية حاكمت أو دانت أو سجنت على الأقل ثمانية مرشحين محتملين للانتخابات الرئاسية المقرر إجراؤها في 6 تشرين الأول/ أكتوبر 2024. ووافقت هيئة الانتخابات على ثلاثة مرشحين فقط، منهم الرئيس الحالي قيس سعيّد.

(هيومن رايتس ووتش، 2024/8/20)

2024/8/31 طالبت 26 منظمة تونسية ودولية وحوالى 200 شخصية في بيان مشترك، باحترام "التعددية" خلال الانتخابات الرئاسية المقررة في 6 تشرين الأول/ أكتوبر 2024، ودعت إلى تطبيق القرارات الإدارية لإعادة قبول المرشحين الذين رفضتهم السلطة الانتخابية في البدء.

(**الحرة**، 2024/8/31)

وثائق التحول الديمقراطي في الوطن العربي

Documents of Democratic Transition in the Arab World



يرصد هذا الباب أبرز الوثائق السياسية ذات الصلة بالتحول الديمقراطي في الوطن العربي. وننشر، في هذا العدد، وثيقة من تونس، في المدة 1 تموز/ يوليو – 31 آب/ أغسطس 2024.

كلمات مفتاحية: تونس.



Keywords: Tunisia.

الوثيقة

بيان لمنظمات حقوقية تونسية يدافع عن الحق في الديمقراطية ويرفض تدليس الانتخابات الرئاسية

دفاعًا عن الحق في الديمقراطية ورفضًا لتدليس الانتخابات الرئاسية

إن الممضين-ات، أسفله

وبعد اطلاعهم على قرارات الجلسة العامة للمحكمة الإدارية فيمَا تعلّق بمنازعات الترشح للانتخابات الرئاسية 06 أكتوبر 2024 وما انتهت له من انتصار للتنافسية وللحق في الترشح، ومتابعتهم تصريحات رئيس هيئة الانتخابات التي ورد فيها أن مجلس هيئته سيَنظر في تلك القرارات ويُقيِّم تعليلها ويستند لأحكام القضاء الجزائي ليقرّرَ تطبيقها من عدمه.

واستنادًا لما بلغهم العِلم به فيمَا تعلّق بتعاطي الهيئة مع جمعيات ملاحظة الانتخابات وما فيه من تضييق عليهم وإبطاء في منح الاعتماد أو رفض له

وملاحظتهم ما يتعرض له الإعلاميون من ضغوط وهرسلة وتدخّل في خطوطهم التحريرية واعتداء على استقلالية هياكلهم التعديلية في تغطية الاستحقاق الانتخابي

وإيمانًا منهم بقِيم دولة القانون ودفاعًا عن الحق في انتخابات رئاسية تعدديّة تضمن الحدّ الأدنى من شروط النزاهة والشفافية، فإنهم:

يثمّنون ما أظهرتَه الجلسة العامة للمحكمة الإدارية وقُضاتها من تمسك بالاستقلالية وانتصار لقيم القانون، ويَدعُون كل القضاة إلى اتخاذها قدوة ومثالًا عند نظرِهم في مختلف النزاعات - خصوصًا منها تلك التي تُسلَّط فيها عليهم ضغوط سياسية - حماية للحقوق والحريات ومنعًا لكل توظيف للقضاء في الصراعات السياسية

يُنبّهون لكون القانون الانتخابي أسندَ لقضاء النزاعات الانتخابية ممثلًا في الدوائر الاستئنافية للمحكمة الإدارية كمحاكم ابتدائية وللجلسة العامة القضائية للمحكمة الإدارية كمحاكم استئنافية وحدَهَا صلاحية النظر في نزاعات الترشح للانتخابات الرئاسية، ونَصَّ صراحة على كون الأحكام التي تُصدرها الجلسة العامة واجبة النفاذ ولا تقبل الطعن بأي وسيلة كانت وتُنفّذ على المسودة

يؤكّدون على كَون عدم تنفيذ قرارات الجلسة العامة للمحكمة الإدارية فيما تعلَّقَ بمن أمرت بإدراجهم في القائمة النهائية للمترشحين للانتخابات الرئاسية لا سند قانوني له ويُعدّ لما فيه من تغيير للوقائع من خارج القانون وما يؤدّي له من ضرَر من قبيل التدليس المؤاخذ عليه

يُحذّرون من خطورة الاعتداءات المتكررة على حرية الإعلام ويدعون السلطة العامة بمختلف مكوناتها، وبما فيها هيئة الانتخابات إلى احترام حرية الإعلام وحق المواطن في المعلومة وإلى الابتعاد عن إرهاب الصحفيين بالمحاكمات الجزائية وبمفاعيل المرسوم 54 سيئ الذكر

يدعون هيئة الانتخابات إلى التزام القانون والابتعاد عن كل الممارسات التي من شأنها المس من شفافية العملية الانتخابية ونزاهتها، ومنها منع ملاحظة الانتخابات والتضييق عليه خلافًا لكل الانتخابات الديمقراطية السابقة

يُطالبون الجميع باحترام حق الناخب التونسي في أن ينتخب من يحكمه بعيدًا عن أي تلاعب أو تدخل، وفي سياقات تضمن نزاهة الانتخابات وتعدديّتها وشفافيتها

يتمسّكون بالنضال السلمي والديمقراطي دفاعًا عن الحق في انتخابات تعددية، ورفضًا لاستعمال التخويف والترهيب والملاحقات الجزائية في خدمة مرشح أو في التضييق على آخرين.

جهة الإصدار: مجموعة من المنظمات التونسية.

المصدر: المفكرة التونسية، 2024/8/30، شوهد في 2024/8/30، في: https://tinyurl.com/34nfu4xe



الوقائع الفلسطينية

Palestine Over Two Months

يتضمن هذا التقرير توثيقًا لأهم الوقائع الفلسطينية والأحداث المرتبطة بالصراع العربي – الإسرائيلي، في المدة 1 تموز/ يوليو – 31 آب/ أغسطس 2024.

كلمات مفتاحية: فلسطين، إسرائيل، الصراع العربي – الإسرائيلي.



Keywords: Palestine, Israel, Arab-Israeli Conflict.

2024/7/1 هدمت آليات السلطات الإسرائيلية وجرافاتها مساكن أهالي قرية العراقيب في منطقة النقب للمرة الـ 227؛ وذلك بحماية قوات من الشرطة والوحدات التابعة لها.

(عرب 48، 2024/7/1)

2024/7/1 ارتفع عدد المعتقلين بالضفة الغربية المحتلة إلى 9 آلاف و465 منذ 7 تشرين الأول/ أكتوبر 2023.

(وكالة الأناضول، 2024/7/1)

2024/7/1 وصف رئيس الحكومة الإسرائيلية، بنيامين نتنياهو، الإفـراج عن مدير مجمع الشفاء الطبي في مدينة غزة، محمد أبو سلمية، بـ"الخطأ الفادح"، وأوعز بإجراء "فحص شامل" في ملابسات الإفراج عنه.

(عرب 48، 2024/7/1)

2024/7/1 صدّقت اللجنة الوزارية الإسرائيلية للتشريع على مشروع قانون يطرحه رئيس القانون والدستور في الكنيست، سيمحا روتمان، ويهدف إلى فرض الاعتقال الإداري على الفلسطينيين فقط، ويمنع فرضه على المستوطنين المشتبه بهم في ارتكاب جرائم إرهابية ضد الفلسطينيين.

(عرب 48، 2024/7/1)

2024/7/1 طلبت إسرائيل من دول عديدة إرسال طلبات إلى المحكمة الجنائية الدولية في لاهاي، تشمل "وجهة نظر قانونية" في محاولة لمنعها من إصدار مذكرات اعتقال دولية ضد رئيس حكومتها، بنيامين نتنياهو، ووزير الدفاع، يوآف غالانت، على خلفية جرائم حرب في غزة.

(عرب 48، 2024/7/1)

2024/7/1 هدد وزير المالية الإسرائيلي، بتسلئيل سموتريتش، بإقامة مستوطنة جديدة مقابل كل اعتراف جديد بالدولة الفلسطينية.

(التلفزيون العربي، 2024/7/1)

2024/7/2 أشار رئيس هيئة مقاومة الجدار والاستيطان الوزير، مؤيد شعبان، في تقرير، إلى أن قوات الاحتلال الإسرائيلي والمستعمرين نفذوا 7681 اعتداءً، في النصف الأول من عام 2024، وأوضح أن الاعتداءات تركزت في محافظة الخليل بـ 1307 اعتداءات، تليها محافظة القدس (1099)، ثم محافظة نابلس (1093).

(هيئة مقاومة الجدار والاستيطان، 2024/7/2)

2024/7/2 أشارت محافظة القدس، في بيان لها حول جرائم قوات الاحتلال الإسرائيلي في النصف الأول من عام 2024، إلى استشهاد 23 مواطنًا، واعتقال 708 مواطنين، واقتحام 25054 مستعمرًا للمسجد الأقصى.

(وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية "وفا"، 2024/7/2)

2024/7/2 استكملت إسرائيل إجراءاتها لمصادرة 24 ألف دونم في منطقة الأغوار في الضفة الغربية المحتلة، وشرعنتها من خلال تصنيفها على أنها "أراضي دولة"؛ لتدّعي إثر ذلك أن هذه "أراض عامة ليست بملكية أحد"، ثم يصبح في الإمكان إقامة مشاريع استيطانية فيها.

(عرب 48، 2024/7/2)

2024/7/2 أكد نائب الأمين العام لحزب الله، نعيم قاسم، أن "الطريق الوحيد المؤكد لوقف إطلاق النار على الحدود اللبنانية هو وقف إطلاق النار الكامل في غزة". وأشار إلى "أن مشاركة حزب الله في إسناد غزة كانت بمثابة جبهة دعم للشعب الفلسطيني الصامد ومقاومته الباسلة، وإذا توقفت الحرب فإن هذا الدعم العسكري لن يكون موجودًا".

(قناة المنار، 2024/7/2)

2024/7/2 قال رئيس المجلس الاستراتيجي للعلاقات الخارجية الإيرانية، كمال خرازي، إنه لا رغبة لطهران في حرب بالمنطقة. وأضاف أن هناك احتمالًا لاتساع الحرب لتشمل الجميع، مشيرًا إلى أن طهران في ظروف مماثلة لا تملك سوى دعم حزب الله والوقوف معه.

(الجزيرة، 2024/7/2)

2024/7/2 قالت كبيرة منسقي الأمم المتحدة للشؤون الإنسانية وإعـادة الإعمار في غزة، سيخريد كاخ، إن الحرب لم تخلق أزمة إنسانية فحسب، بل أطلقت العنان أيضًا لدوامة من البؤس الإنساني، حيث انهار نظام الصحة العامة، ودُمِرت المدارس، ويهدد تعطل نظام التعليم أجيالًا مقبلة.

(أخبار الأمم المتحدة، 2024/7/2)

2024/7/2 أعربت منظمة الصحة العالمية عن قلقها بشأن قلة المساعدات التي تصل إلى غزة، وسلّطت الضوء على تأثير شح الوقود في الرعاية الصحية في القطاع.

(أخبار الأمم المتحدة، 2024/7/2)

2024/7/3 أشارت وزارة الأوقاف والشؤون الدينية في فلسطين، في بيان، إلى أنها وثقت 18 اقتحامًا للمسجد الأقصى من جانب الاحتلال والمستعمرين خلال شهر حزيران/ يونيو 2024، في حين جرى منع رفع الأذان في الحرم الإبراهيمي 54 وقتًا.

(وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية "وفا"، 2024/7/3)

2024/7/3 أعلن رئيس الوزراء الفلسطيني، محمد مصطفى، أن وزارة المالية الإسرائيلية حوّلت إلى السلطة الفلسطينية مبلغًا من عائدات الضرائب التي تجبيها سلطات الاحتلال نيابة عن السلطة (أموال المقاصة) يقدر بـ 435 مليون شيكل. ويُعتبر هذا التحويل من أموال المقاصة المحتجزة الأول من نوعه منذ نيسان/ أبريل.

(عرب 48، 2024/7/3)

2024/7/3 هدد وزير الدفاع الإسرائيلي، يوآف غالانت، باجتياح بري للبنان، وألمح إلى أن اجتياحًا كهذا قد يصل إلى نهر الليطاني. وجاءت أقواله خلال لقائه مع قوات إسرائيلية في "غلاف غزة". واعتبر أن "الدبابة التي خرجت من المعركة في رفح يمكنها الوصول حتى الليطاني".

(عرب 48، 2024/7/3)

2024/7/3 قال المتحدث باسم البنتاغون، باتريك رايدر، إن الرصيف العائم الذي تم تفكيكه بغزة في 28 حزيران/ يونيو 2024 بسبب الظروف الجوية السيئة لا يزال في ميناء أسدود الإسرائيلي. وأضاف: "نحن نتابع الأحوال الجوية حاليًا وسنقوم بتحديث تاريخ التركيب الجديد قريبًا".

(وكالة الأناضول، 2024/7/3)

2024/7/3 قالت منظمة "السلام الآن" المناهضة للاستيطان، إن إسرائيل وافقت على أكبر عملية مصادرة للأراضي في الضفة الغربية المحتلة منذ أكثر من ثلاثة عقود. وأوضحت المنظمة أن السلطات الإسرائيلية وافقت أواخر الشهر الماضي على مصادرة 12.7 كيلومترًا مربعًا من الأراضي في غور الأردن. ويأتي القرار بعد مصادرة 8 كيلومترات مربعة من أراضي الضفة الغربية في آذار/ مارس و2.6 كيلومتر مربع في شباط/ فبراير. وقالت حركة "السلام الآن" إن هذا يجعل عام 2024 هو عام الذروة لمصادرة الأراضي الإسرائيلية في الضفة الغربية.

(قناة الحرة، 2024/7/3)

2024/7/4 قال رئيس دائرة العلاقات الوطنية في حركة المقاومة الإسلامية "حماس" بالخارج، علي بركة، إن الحركة ردّت إيجابيًا على المبادرة الأخيرة، بشأن التوصل إلى اتفاق يضمن وقف إطلاق النار بغزة. وأشار إلى أن الحركة أبلغت الوسطاء بأنها مع أي مبادرة تحقق مطالب الشعب الفلسطيني.

(المركز الفلسطيني للإعلام، 2024/7/4)

2024/7/4 وافقت الحكومة الإسرائيلية على خطط لبناء قرابة 5300 منزل جديد في مستوطنات الضفة الغربية المحتلة. وقالت منظمة "السلام الآن" الإسرائيلية إن مجلس التخطيط الأعلى الإسرائيلي وافق على توسيع المستوطنات في قلب الضفة الغربية، وإضفاء شرعية على 3 بؤر استيطانية، هي "محانيه غادي" و"غفعات حنان" و"كيديم عرافا".

(الجزيرة، 2024/7/4)

2024/7/5 حذرت مؤسسات حقوق الإنسان الفلسطينية (مركز الميزان لحقوق الإنسان، المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان، مؤسسة الحق)، في بيان صحافي، من تراكم أطنان النفايات، وتسرب مياه الصرف الصحي في الشوارع، ومراكز إيواء النازحين في قطاع غزة، وتداعيات ذلك على الصحة العامة للسكان.

(مركز الميزان لحقوق الإنسان، 2024/7/5)

2024/7/5 أعربت الأمم المتحدة عن القلق العميق إزاء زيادة كثافة تبادل إطلاق النار عبر الخط الأزرق أمس الخميس، مما يزيد خطر اندلاع حرب واسعة النطاق.

(أخبار الأمم المتحدة، 2024/7/5)

2024/7/8 أكدت حركة حماس أنه في الوقت الذي تقدم فيه الحركة المرونة والإيجابية لتسهيل التوصل إلى اتفاق لوقف العدوان الصهيوني، فإن نتنياهو يضع المزيد من العقبات أمام المفاوضات، ويصعّد عدوانه وجرائمه ضد الشعب الفلسطيني، ويمعن في محاولات تهجيره قسرًا لإفشال كل الجهود المبذولة للتوصل إلى اتفاق.

(المركز الفلسطيني للإعلام، 2024/7/8)

2024/7/8 أعلنت القوات المسلحة اليمنية عن تنفيذ عملية عسكرية مشتركة مع المقاومة الإسلامية العراقية، استهدفت هدفًا حيويًا في "أم الرشراش" جنوب فلسطين المحتلة. وأوضحت، في بيان صادر عنها، أن العملية التي نُفذت بعدد من الطائرات المسيّرة حققت أهدافها بنجاح.

(وكالة الأنباء اليمنية "سبأ"، 2024/7/8)

2024/7/9 واصلت قوات الاحتلال الإسرائيلي عدوانها على مدينة طولكرم ومخيمَي طولكرم ونور شمس، وألحقت دمارًا واسعًا بالبنية التحتية وممتلكات المواطنين.

(وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية "وفا"، 2024/7/9)

2024/7/12 نبّه رئيس الجمعية العامة للأمم المتحدة، دينيس فرانسيس، في مؤتمر إعلان التعهدات لوكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين "الأونروا"، إلى أنه "يجب أن يكون مقلقًا للغاية أن الأونروا تقف حاليًا على شفا الانهيار المالي، بالنظر إلى الخدمات الأساسية التي تقدمها الوكالة وموظفوها".

(أخبار الأمم المتحدة، 2024/7/12)

2024/7/16 قال القيادي بحركة حماس، حسام بدران، إن الحركة تلقّت دعوة من الصين للمشاركة في لقاء وطني شامل وموسّع بالعاصمة بيجين، يضم مختلف الفصائل الفلسطينية بما فيها حركة فتح. وأشار إلى أنّه من المقرر أن يكون اللقاء يومَي 21 و22 تموز/ يوليو الجاري.

(المركز الفلسطيني للإعلام، 2024/7/16)

2024/7/16 صادر الاحتلال الإسرائيلي، اليوم الثلاثاء، 441 دونمًا في منطقة رام الله، بهدف ضمّها إلى مستوطنات وتوسيعها.

(**عرب 48**، 2024/7/16)

2024/7/17 قال رئيس هيئة مقاومة الجدار والاستيطان، مؤيد شعبان، إن سلطات الاحتلال الإسرائيلي استولت، منذ مطلع العام الجاري، على نحو 40 ألف دونم من أراضي المواطنين.

(**وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية "وفا"**، 2024/7/17)

2024/7/17 قال الجيش الأميركي إن مهمته المتمثلة في تركيب رصيف بحري مؤقت عائم وتشغيله قبالة ساحل قطاع غزة اكتملت.

(**قناة الحرة**، 2024/7/17)

2024/7/20 اعتبرت منظمة العفو الدولية في بيان لها أن الفتوى الصادرة عن محكمة العدل الدولية بأن الاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية غير قانوني، هي انتصار تاريخي لحقوق الفلسطينيين.

(منظمة العفو الدولية، 2024/7/20)

2024/7/23 رحّب الأمين العام للأمم المتحدة، أنطونيو غوتيريش، بتوقيع الفصائل الفلسطينية "إعلان بيجين"، وشجعها على التغلب على خلافاتها عبر الحوار وحثّها على متابعة تطبيق الالتزامات التي أعلنتها في بيجين.

(**أخبار الأمم المتحدة**، 2024/7/23)

2024/7/23 أعلنت وزارة الصحة بغزة ارتفاع حصيلة الإبادة الجماعية الإسرائيلية على قطاع غزة إلى 39258 شهيدًا و90589 إصابة.

(المركز الفلسطيني للإعلام، 2024/7/27)

2024/7/30 أعلنت العلاقات الإعلامية في حزب الله، في بيان لها، عن استشهاد القائد الجهادي في الحزب، فؤاد شكر.

(**قناة المنار**، 2024/7/30)

2024/7/31 نعت حركة حماس، في بيان لها، رئيس مكتبها السياسي، إسماعيل هنية، الذي استشهد إثر اغتياله في مقر إقامته في طهران، بعد مشاركته في احتفال تنصيب الرئيس الإيراني الجديد.

(المركز الفلسطيني للإعلام، 2024/7/31)

2024/8/1 قال الأمين العام لحزب الله في لبنان، حسن نصر الله، في كلمته خلال مراسم تشييع القائد الجهادي الشهيد، فؤاد علي شكر، إن المواجهة مع العدو الإسرائيلي تجاوزت مرحلة الإسناد وتحوّلت إلى معركة كبرى وإن الرد على اغتيال هذا القائد العسكري آتٍ لا محالة، وسيكون جديًا وحقيقيًا ومدروسًا.

(العلاقات الإعلامية في حزب الله، 2024/8/1)

2024/8/4 أفاد نادي الأسير الفلسطيني أن عدد الأسرى والمعتقلين في سجون الاحتلال الإسرائيلي بلغ نحو 9900، وذلك حتى بداية آب/ أغسطس 2024، ولا يشمل هذا المعطى جميع المعتقلين من غزة، وتحديدًا من هم في المعسكرات التابعة لجيش الاحتلال.

(**وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية "وفا"**، 2024/8/4)

2024/8/5 جدد المتحدث باسم وزارة الخارجية الإيرانية، ناصر كنعاني، إدانته لجريمة اغتيال رئيس المكتب السياسي لحركة حماس، إسماعيل هنية، وقال: "نتمسك بحقنا في الدفاع عن أمننا القومي وسيادتنا وسلامة أراضينا، ولا يحق لأحد أن يتردد في معاقبة الكيان الصهيوني".

(**وكالة الجمهورية الإسلامية للأنباء "إرنا"**، 2024/8/5)

2024/8/10 أكدت ممثلية الجمهورية الإسلامية الإيرانية في الأمم المتحدة أن لطهران الحق في الدفاع المشروع، حيث "تم انتهاك أمنها وسيادتها في العمل الإرهابي الأخير الذي قام به الكيان الإسرائيلي"، مشددة على أن ذلك لا علاقة له بوقف إطلاق النار في غزة.

(**وكالة الجمهورية الإسلامية للأنباء "إرنا"**، 2024/8/10)

2024/8/12 استهدفت عشرات الصواريخ مدينة نهاريا الساحلية ومستوطنات إسرائيلية أخرى في الجليل. وقال الجيش الإسرائيلي إنه جرى رصد نحو 30 صاروخًا أُطلقت من لبنان في اتجاه منطقة الكابري قرب نهاريا شمال شرق مدينة عكا، مضيفًا أن عددًا من الصواريخ سقطت في مناطق مفتوحة وأنه هاجم مصادر إطلاقها.

(**الجزيرة**، 2024/8/12)

2024/8/15 قال مفوض الأمم المتحدة لحقوق الإنسان، فولكر تورك، إن وصول عدد القتلى الفلسطينيين في غزة إلى 40 ألفًا، وفق وزارة الصحة في القطاع، "يمثل علامة فارقة قاتمة للعالم".

(**أخبار الأمم المتحدة**، 2024/8/15)

2024/8/20 صرّح نائب القائد العام للحرس الثوري الإيراني العميد علي فدوي: "إننا سنعاقب الكيان الصهيوني في الزمان والمكان المناسبَين لاغتياله إسماعيل هنية على أراضي الجمهورية الإسلامية الإيرانية".

(**وكالة تسنيم الدولية للأنباء**، 2024/8/20)

2024/8/22 أقام مستعمرون بؤرة استعمارية جديدة قرب نبع العوجا، شمال مدينة أريحا. وأوضح المشرف العام لمنظمة "البيدر" للدفاع عن حقوق البدو حسن مليحات، أن مستعمرين أقاموا بؤرة استعمارية بمحاذاة عين العوجا على بعد 150 مترًا، شملت خيمة في المكان، وإحضار 20 رأسًا من الإبل، وخزان مياه. وأشار إلى أن هناك تزايدًا في عدد البؤر الاستعمارية الرعوية في منطقة الأغوار، إضافة إلى ارتفاع وتيرة الهجمات ضد السكان البدو المجاورين.

(**وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية "وفا"**، 2024/8/22)



2024/8/24 أشار مركز الميزان لحقوق الإنسان إلى أن سجن "النقب"، هو ساحة جديدة لوحشية المحتل في التعامل مع المعتقلين الفلسطينيين، وحمّل سلطات الاحتلال الإسرائيلي المسؤولية الكاملة عن حياتهم.

(مركز الميزان لحقوق الإنسان، 2024/8/24)

2024/8/25 بارك الناطق باسم كتائب الشهيد عز الدين القسام، الجناح العسكري لحركة حماس، أبو عبيدة، في بيان عسكري، عملية الرد الأوّلي لحزب الله على اغتيال القائد، فؤاد شكر، مؤكدًا أن كل الجبهات ستظل مشتعلة ومتصاعدة في وجه العدو ما دام العدوان على الشعب الفلسطيني مستمرًا.

(وكالة قدس برس للأنباء، 2024/8/25)

2024/8/25 أعلن حزب الله، في بيان له، أنه تم الانتهاء من المرحلة الأولى من عملية الرد الأوّلي على العدوان الصهيوني على الضاحية الجنوبية لبيروت، الذي أدّى إلى استشهاد القائد في الحزب، فؤاد شكر، بنجاح كامل، وهي مرحلة استهداف الثكنات والمواقع الإسرائيلية تسهيلًا لعبور المسيّرات الهجومية في اتجاه هدفها المنشود في عمق الكيان، وأشار إلى أنّها "عبرت كما هو مقرر".

(قناة المنار، 2024/8/25)

2024/8/27 أشارت مؤسسات الأسرى الفلسطينية (نادي الأسير الفلسطيني، وهيئة شؤون الأسرى والمحررين، ومؤسسة الضمير لحقوق الإنسان، والحملة الوطنية لاسترداد جثامين الشهداء)، في بيان مشترك بمناسبة اليوم الوطني لاسترداد الجثامين، إلى أن عدد الشهداء المحتجزة جثامينهم بلغ 552 شهيدًا في مقابر الأرقام والثلاجات، من بينهم 9 شهيدات، و32 شهيدًا من الحركة الأسيرة، و55 طفلًا تقل أعمارهم عن 18 عامًا، و5 شهداء من المناطق المحتلة عام 48، و6 شهداء من اللاجئين الفلسطينيين بلبنان.

(مؤسسة الضمير لرعاية الأسير وحقوق الإنسان، 2024/8/27)

2024/8/28 اعتمد مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة بالإجماع قرارًا يمدد التفويض الحالي لقوة الأمم المتحدة المؤقتة في لبنان (اليونيفيل) حتى 31 آب/ أغسطس 2025، ويطالب بالتنفيذ الكامل لقراره رقم 1701 بشأن وقف الأعمال القتالية من جانب إسرائيل وحزب الله.

(أخبار الأمم المتحدة، 2024/8/28)

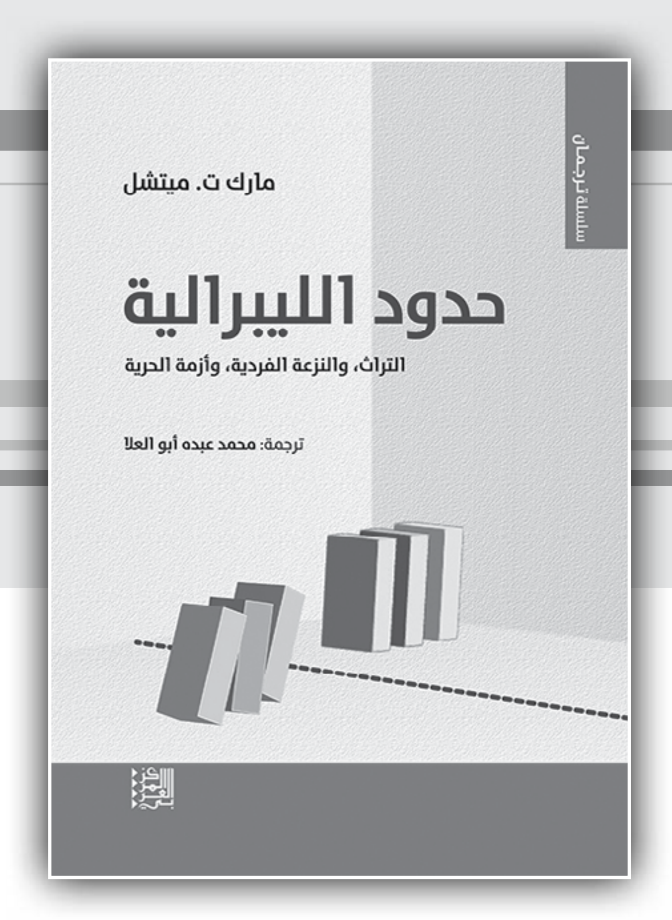
2024/8/29 أعلن المتحدث باسم الجيش الإسرائيلي عن اغتيال قائد كتيبة طولكرم في الذراع العسكرية لحركة الجهاد الإسلامي، محمد جابر الملقب "أبو شجاع"، وأربعة آخرين من أعضاء الكتيبة، في تبادل لإطلاق النار في مخيم نور شمس.

(عرب 48، 2024/8/29)

2024/8/31 واصلت قوات الاحتلال الصهيوني عدوانها على قطاع غزة لليوم 330 على التوالي، عبر شنّ عشرات الغارات الجوية والقصف المدفعي، مع ارتكاب مجازر ضد المدنيين، وسط وضع إنساني كارثي نتيجة الحصار ونزوح أكثر من 95 في المئة من السكان.

(المركز الفلسطيني للإعلام، 2024/8/31)

صدر حديثًا



تـأليف: مارك ميتشل
تـرجمة: محمد عبده أبو العلا

حدود الليبرالية: التراث، والنزعة الفردية، وأزمة الحرية

صدر عن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ضمن سلسلة "ترجمان" كتاب **حدود الليبرالية: التراث، والنزعة الفردية، وأزمة الحرية** *The Limits of Liberalism: Tradition, Individualism, and the Crisis of Freedom*، من تأليف مارك ميتشل، وترجمة محمد عبده أبو العلا.



مراجعات الكتب

Book Reviews




SIYASAT ARABIYA

المعرّف الرقمي DOI
https://doi.org/10.31430/UPDA3825

خديجة أوبدة | Khadija Oubedda*

"الانتخابات السلطوية وجماعات المعارضة في العالم العربي"

Authoritarian Elections and Opposition Groups in the Arab World

عنوان الكتاب في لغته: *Authoritarian Elections and Opposition Groups in the Arab World*.

عنوان الكتاب: الانتخابات السلطوية وجماعات المعارضة في العالم العربي.

المؤلف: جيل بوتورف Gail. J. Buttorf.

الناشر: Palgrave Macmillan.

سنة النشر: 2018.

عدد الصفحات: 194 صفحة.



* باحثة دكتوراه، جامعة مونتريال، كندا.

PhD Researcher, University of Montreal, Canada.

Email: khadija.oubedda@umontreal.ca

مقدمة

ارتبطت الانتخابات التعددية، تاريخيًا، بالأنظمة الديمقراطية، إلى درجة مثّل وجودها أو غيابها، طوال عقود، الفيصل بين الأنظمة الدكتاتورية والديمقراطية. وفي سياق ما بعد سقوط الاتحاد السوفياتي في أواخر القرن العشرين، أصبح الباحثون يواجهون ظاهرة سياسية جديدة، مثّلت لهم تحديًا مفاهيميًا ومعياريًا، وهي الانتخابات التعددية في سياق السلطوية، أو ما وصفه بعض الباحثين بـ "الأنظمة الهجينة"[1] أو "السلطويات الانتخابية"[2]. فإذا كانت الأنظمة السلطوية في الماضي تمنع النشاط السياسي التعددي وتلغي الانتخابات، أو حتى إذا سمحت بها، فإنها تحصرها في إطار نظام الحزب الواحد، فإن غالبية هذه الأنظمة اليوم، وعلى العكس من ذلك تمامًا، تنظّمها بل تفتح المجال للمشاركة فيها حتى للأحزاب المعارِضة لها أحيانًا. ومع هذا، بقيت هذه الأنظمة تفتقد العديد من عناصر الأنظمة الديمقراطية، من قبيل فصل حقيقي للسلطات والمحاسبة والاستقلال الفعلي للقضاء، إضافةً إلى أنّ النخب الحاكمة فيها، بقيت منخرطة في ممارسات غير ديمقراطية، مثل تقييد الحريات الفردية والجماعية، من قبيل حرية الصحافة وانتهاك الحقوق المدنية والسياسية للمواطنين والتحكم في نتائج الانتخابات، حتى وإن لم تشهد تزويرًا مفضوحًا لنتائجها[3].

تمظهرت ممارسات"السلطوية الانتخابية" في عدد من الدول العربية[4]، خصوصًا في تسعينيات القرن الماضي، والعشرية الأولى من القرن الحادي والعشرين من خلال جمع أنظمتها السياسية بين هيكلة مؤسساتية ديمقراطية ظاهريًا (تتجلّى في وجود انتخابات تعددية[5] وبرلمانات وطنية تحضر فيها المعارضة بمستويات مختلفة وضمان حد أدنى من حرية التعبير ... إلخ) وممارسات سلطوية في الحكم، اختلفت في حدّتها في المكان والزمان، متأرجحة في ذلك بين كفتَي اللبرلة والقمع السياسيّين، من دون أن تتحوّل إلى دول ديمقراطية. وعلى الرغم من أن الانتخابات التعددية في ظل الأنظمة الاستبدادية في العالم العربي، لم تكن مثالية، فإنها في المقابل فتحت لجماعات المعارضة آفاقًا وإمكانياتٍ للضغط على السلطة الحاكمة، لم تكن متاحة لها من قبل، على رأسها المقاطعة، تعاملت معها تلك الجماعات بأشكال مختلفة. ليُطرح سؤال: ما الذي يدفع أحزاب المعارضة إلى القبول بالمشاركة في انتخابات تبدو حظوظ فوزها فيها منعدمة، أو في المقابل رفضها ذلك وتبنّي خيار المقاطعة؟

تحاول بوتورف، في كتاب **الانتخابات السلطوية وجماعات المعارضة في العالم العربي**، تقديم جواب عن هذا التساؤل وغيره، من خلال وقوفها عند الاستراتيجيات التي تتّبعها المعارضة خلال الانتخابات في السياق السلطوي العربي، منطلقةً في ذلك من أطروحة رئيسة، مفادها أنّ ما يحدد القرارات التي تتبنّاها المعارضة خلال الانتخابات السلطوية وبعدها ليست العوامل الانتخابية المتمثلة في حرية المسار الانتخابي ونزاهته فحسب، بل أيضًا قناعات المعارضة حول مدى قوة النظام القائم واستقراره. من هذا المنطلق، تقدم بوتورف كتابها، في ستة فصول وخاتمة، إطارًا نظريًا ومفاهيميًا للانتخابات السلطوية ورصدًا للاستراتيجيات التي تعتمدها المعارضة فيها، موظّفةً في ذلك مقاربات نظرية من حقل دراسة السلوك الانتخابي ومفهوم مراكز القوة Centers of power (الذي استلهمته المؤلِّفة من عالم الاجتماع الأميركي آرثر ستينشكومب 1933-2018[6]) التي تعتبرها الكاتبة البارومتر الذي تقيس به المعارضة قوة النظام واستقراره، ومن ثمة تشكّل قناعاتها وتصوّراتها لمدى احتمال استجابة النظام لمطالبها، وكذا حصولها على تنازلات منه. فتقييمات جماعات المعارضة للنظام وتصوّرها لمدى قوّته واستقراره، وكذا احتمال قبوله بمطالب الإصلاح من عدمه، تؤدي دورًا محوريًا في تحديد قراراتها تجاه الانتخابات، سواء التي شاركت فيها أو التي قاطعتها. تُخضع بوتورف فرضيتها للاختبار من خلال دراسة حالة حزبين معارضين: جبهة العمل الإسلامي في الأردن، وجبهة القوى الاشتراكية في الجزائر.

أولًا: المشاركة أو المقاطعة: استراتيجيات المعارضة في الانتخابات السلطوية

حينما يقترب موعد إجراء الانتخابات، تبدأ جماعات المعارضة بمواجهة سؤال ملحّ: أنشارك أم نقاطع؟ علمًا أنه في سياق الأنظمة السلطوية، لا المشاركة ولا المقاطعة تُعتَبران خيارًا أفضل، فالمقاطعة قد تنجح،

1 Larry Diamond, "Elections without Democracy: Thinking about Hybrid Regimes," *Journal of democracy*, vol. 13, no. 2 (2002), pp. 21-35.

2 Andreas Schedler, "The Logic of Electoral Authoritarianism," *Electoral Authoritarianism: The Dynamics of Unfree Competition*, vol. 1, no. 6 (2006).

3 حول الوسائل "الحديثة" التي تستخدمها الأنظمة السلطوية للتحكم في نتائج الانتخابات، يمكن الرجوع إلى:
Andreas Schedler, "The Menu of Manipulation," *Journal of Democracy*, vol. 13, no. 2 (2002), pp. 36-50.(المحرر)

4 ربما أفضل الأمثلة على ذلك: مصر حسني مبارك، واليمن تحت حكم الرئيس علي عبد الله صالح، والجزائر في فترة الرئيس عبد العزيز بوتفليقة، والأردن والمغرب تحت حكم الملكَين عبد الله الثاني ومحمد السادس على التوالي. (المحرر)

5 بقيت استثناءات مهمة، مثل نظام القذافي والبعث في العراق، ودول الخليج التي رفضت في معظمها العمل الحزبي التعددي.

6 Arthur L. Stinchcombe, *Constructing Social Theories* (Chicago: University of Chicago Press, 1968).

فتؤدي إلى القيام بإصلاحات[7]، وقد تفشل، فتؤدي بالمعارضة إلى خسارة مزدوجة، تفقد فيها أيّ فرصة مهما كانت ضئيلة للتأثير في السياسات عبر البرلمان، الذي يُعتبر بمنزلة منصّة تمكّنها من انتقاد النظام السياسي من جهة، وكسب مؤيدين من جهة أخرى (ص 1). وتجدر الإشارة إلى أنّ اختيار جماعات المعارضة لقرارَي المشاركة أو المقاطعة، لا يتمّ عشوائيًا، أو ينطلق من عدم، كما أنه قد لا يتمّ الاتفاق بين جميع أطرافها، حتى داخل التنظيم الواحد على خيار واحد، بل تنشأ مناقشات حادة بين فصائل الجماعة/ الحزب المعارض، حيث من المحتمل أن يؤدي تبنّي أحد الخيارين إلى انقسامات داخلية، يتعذّر حلّها لاحقًا (ص 39-40).

تعتبر بوتورف أنّ أول عامل يؤثر في قرارات المعارضة أو اختياراتها، قُبَيل الانتخابات وبعدها، هو قلّة وعدم يقينية المعلومات التي تكون لديها حول النظام، ومآل الانتخابات التي سيتم إجراؤها. ففي الدول السلطوية التي تتحكم في نشر المعلومات وتوظّف أجهزة قمعية متمددة، يكون النظام مُلِمًّا بمعارضيه ويعرف عنهم، أكثر ممّا يعرفونه هم عنه، ومن ثمة، فغياب التوازن بين النظام والمعارضة بشأن المعلومات المحصلة لمصلحة الأول، يؤدي دورًا مهمًا في تشكيل الاستراتيجيات الانتخابية للمعارضة، بما فيها قرار المشاركة أو المقاطعة (ص 42). يتمثل العامل الثاني، في نظر بوتورف، في درجة الاستقطاب الأيديولوجي بين النظام والمعارضة والتفضيلات السياسية لدى كل واحد منهما، خاصة في ما يتعلق بالمواضيع المختلَف بشأنها، مثل الحريات والقواعد الانتخابية؛ فعلى هذا المستوى، لا يهمّ مدى تبنّي جماعات المعارضة الأيديولوجيا الديمقراطية، بقدر ما يهمّ وجود مسافة أيديولوجية واضحة بينها وبين النظام (ص 43-44).

عندما تقرّر المعارضة المشاركة في الانتخابات، فهذا لا يدل على رضاها عن العملية الانتخابية والسياق المؤثث لها، بقدر ما يعكس هذا القرار اعتبارها المشاركة هي الحل الأفضل، على الأقل مقارنة بالخيارات المتبقية، وذلك انطلاقًا من توقعاتها بشأن قوة النظام من جهة أولى، وتفضيلاتها السياسية من جهة ثانية، والتكلفة التي ستتكبّدها جراء تعبئتها احتجاجات ما بعد الانتخابات من جهة ثالثة؛ إذ إن تبنّيها خيار المشاركة خاضع بالضرورة لهذه العوامل الثلاثة. بمعنى أنه عندما ترى المعارضة النظام قويًا بما فيه الكفاية، وعندما تكون المسافة الأيديولوجية بينها وبين هذا الأخير ضئيلة، والتكاليف التي ستتحملها بعد تنظيمها احتجاجات ما بعد الانتخابات مرتفعة، فإن قرار المشاركة يبدو هو الأنسب؛ على اعتبار أن هذه المشاركة تمكّنها، على الأقل، من الحصول على مقاعد في البرلمان وموارد مادية تموّل بها حملاتها الانتخابية، خاصة عندما يكون ذلك التمويل مقرونًا بالمشاركة (ص 44-45).

في المقابل، تؤكد بوتورف أن خيار المقاطعة مرتبط أساسًا بقدرة المعارضة على تهديد النظام وزعزعة استقراره والقيام باحتجاجات ما بعد الانتخابات، لكن، تشير غالبية الدراسات عن المقاطعات الانتخابية إلى محدوديتها باعتبارها خيارًا، حيث إنّ مصيرها في المجمل هو الفشل، تاركةً المعارضة في حالة أسوأ مما كانت عليه من قبل: مطالب غير مستجاب إليها، وحرمان من مقاعد برلمانية، على قلّتها، كان يمكن الفوز بها. لكن لماذا تختار تلك الجماعة/ الحزب المعارِض، باعتبارها/ باعتباره فاعلًا عقلانيًا، قرار المقاطعة، على الرغم من أنه يجعلها/ يجعله في وضع أسوأ؟ يجيب بعض الباحثين بأنّ أحزاب المعارضة "غبية سياسيًا"، وتفتقد "الفطنة الاستراتيجية"، وترفض بوتورف هذا التفسير، مؤكدةً أنّ المعارضة قبل اتخاذها أيّ قرار، تقوم بحسابات تخضع للمعلومة المتوافرة لديها ونوعها، وهذه المعلومات هي التي تشكّل في نهاية المطاف أساس الاستراتيجية التي تتبناها قبيل الانتخابات. إنّ قرار المقاطعة الذي تتخذه أحزاب المعارضة ليس نتيجة اللاعقلانية أو الغباء السياسي، بل هو نتيجة لغياب المعرفة اليقينية Uncertainty التي تتميز بها معلوماتها بشأن قوة النظام الحقيقية. فضلًا عن أن المعارضة عندما تقاطع الانتخابات، فإنها تدفع النظام إلى القيام بردة فعل، متمثلة في استجابة أو تجاهل يزوّد المعارضة بمعلومة إضافية حول قوة ذلك النظام ومدى قدرته على تحمّل الأزمة التي تلي مرحلة الانتخابات وإدارتها (ص 45-46).

بعد مقاطعتها الانتخابات؛ يكون أمام النظام خياران: أن يقوم بالإصلاحات التي تطالبه بها المعارضة، أو أن يتجاهلها. وتبنّيه أحد هذين الخيارين لا يكون أيضًا عشوائيًا، بل يخضع لمجموعة من المحدّدات، منها قوّته وحجم الدعم الذي يمكنه الحصول عليه من مراكز القوة لديه، إضافةً إلى ما ستؤول إليه تلك الإصلاحات من سياسات جديدة قد تكون بعيدة أو قريبة من تفضيلاته السياسية، وأخيرًا التكلفة التي سيتكبّدها في حال قمع الاحتجاجات التي ستنظّمها المعارضة في الفترة التي تعقب الانتخابات إذا قرّرت هي ذلك؛ فإذا كانت تكاليف القمع أضخم من تكاليف التعبئة، فحتى الأنظمة المستقرة ستستجيب لمطالب الإصلاح "عوض أن تخاطر بثمن إخماد مظاهرات ما بعد الانتخابات" (ص 47)، هذا الإخماد الذي سيبدو غاليًا، بحسب تقديرها. في المقابل، عندما تكون تكاليف القمع هذه ضئيلةً مقارنة بتكاليف الإصلاح، تعتبر بوتورف أنّ النظام، حتى وإن كان ضعيفًا، سيتجاهل مطالب المعارضة وسيستمر في

7 على اعتبار أن للمقاطعة ثمنًا بالنسبة إلى النظام الذي يكون رهانه في الانتخابات ليس فوز مرشحيه في الانتخابات فحسب، بل أيضًا أن تتّسم تلك الانتخابات بالمظهر التعددي الديمقراطي، وما يترتب على ذلك من عائد إيجابي على مشروعيته داخليًا وخارجيًا. (المحرر)

مواجهتها عندما تقوم بالتعبئة للتظاهر بعد الانتخابات؛ لكن عندما تكون تكاليف القمع والإصلاح متقاربة، فإنّ استجابة النظام لمطالب المعارضة أو تجاهلها، تكون مرتبطة بمدى قوّته واستقراره فحسب، حيث يجنح النظام القوي والمستقر نسبيًا إلى تجاهل تلك المطالب، في حين يبدأ النظام الهش في تقديم تنازلات للمعارضة والاستجابة لمطالب الإصلاح (ص 47).

في الحالة التي يختار فيها النظام تجاهل الإصلاح الذي تطالبه به المعارضة، فإنّ هذه الأخيرة، يمكنها الاستمرار في دعوتها إلى الإصلاح، وذلك عن طريق تنظيم الاحتجاجات، أو يمكنها التراجع وتحمّل فشل المقاطعة. فإنْ هي اختارت التعبئة والتظاهر[8]، ستدفع ثمن اختيارها هذا، وسيدفع النظام ثمن الصمت أيضًا، أو قمع تلك المظاهرات. وإن هي اختارت التراجع، فإن النظام حتى وإن كان ضعيفًا، سيستمر في تجاهل مطالبها. في الحالات كلّها، يظهر أنّ المستفيد الوحيد من قرار التراجع الذي تتخذه المعارضة هو النظام، فمن جهة أولى يتفادى تكاليف الاحتجاجات التي لو نظمتها المعارضة لقمعها، ومن جهة ثانية يتخلّص من أصوات معارضة له داخل مؤسساته. أما المعارضة، فأسوأ خيار يمكن أن تتبنّاه بعد المقاطعة هو الرجوع إلى الخلف وتقبّل الفشل؛ وذلك لأسباب عدة، منها الخروج من اللعبة السياسية والحرمان من الوجود في البرلمان الذي يُعدّ بمنزلة منصّة تمكّنها من كسب مؤيّدين لها، ومجال يفسح لها التواصل ومخاطبة المواطنين على نحو مباشر عبر المؤسسات الرسمية (ص 48-50).

ثانيًا: "مراكز القوة" وعلاقتها بمتانة النظام السياسي وقناعات المعارضة

تؤدي مراكز القوة، باعتبارها مرتكزات لسلطة النظام، دورًا بالغ الأهمية في تشكيل تصوّرات المعارضة حول النظام ومدى قدرته على إدارة الأزمة التي تثيرها احتجاجات المعارضة في مرحلة ما بعد الانتخابات، حيث يكون بقاء النظام وصموده مرتبطًا بحجم الدعم الذي تقدّمه له مراكز القوة لديه. تستقي بوتورف مفهوم "مراكز القوة" من عالم الاجتماع الأميركي ستينشكومب الذي ربطه بمفهوم آخر وهو الشرعية، والذي يعرّف "مراكز القوة لنظام معيّن، [بأنها] تلك البنى المؤسساتية (الجيش مثلًا) والاجتماعية (جماعة إثنية معيّنة)، ضمن منظومة Ecosystem سياسية، إضافة إلى العوامل الخارجية (القوى الدولية مثلًا) التي يتوقف عليها استقرار النظام" (ص 8)، والتي يمكنه استدعاؤها عند الحاجة إلى جعل سلطته أكثر قوّة وفاعلية مع صبغها بالمشروعية. ففي العالم العربي، ترتكز الأنظمة السياسية على مجموعة من الدعائم، أبرزها الدين والنسب (خاصة الأنظمة الملكية)، إضافة إلى الإرث التاريخي المتعلق بالمقاومة لنيل الاستقلال والانقلابات الثورية، مع الأخذ في الحسبان الأيديولوجيات العربية المختلفة أيضًا، مثل الناصرية والبعثية ... إلخ. وباختلاف تلك الأسس والمرتكزات، تختلف مراكز القوّة من دولة إلى أخرى، ومن زمن إلى آخر، بل حتى المنطق الذي يتحكم في إرادة دعم النظام، يختلف من مركز قوة إلى آخر (ص 58-59).

تقسم مراكز القوة إلى ثلاثة أنواع رئيسة: مراكز قوة مجتمعية ومراكز قوّة مؤسساتية، ثم مراكز قوّة خارجية. فأول مصدر يمكن أن تنبثق منه مراكز القوة هو المجتمع وطبقاته المختلفة، المكوّنة من النخبة والتجار والعمال ورجال الدين؛ أما في حالة المجتمعات المنقسمة، فإن فئات مجتمعية بعينها، إثنية كانت أم دينية أم لغوية، هي التي تمثل آنذاك مركز قوة للنظام. أما بالنسبة إلى مراكز القوّة المؤسساتية، فتتمثّل في بعض المؤسسات، مثل الأحزاب السياسية والجمعيات/ النقابات المهنية، إضافة إلى بعض الأجهزة الحكومية، مثل الجهاز التشريعي والقضائي، وتُعدّ المؤسسات العسكرية أحد أهم مراكز القوّة التي تؤدي دورًا حاسمًا في دعم النظام، أو إطاحته (حالة مصر في ثورة عام 2011 نموذجًا). في حين تتجلّى مراكز القوة الخارجية في الفواعل الدوليين، مثل المجتمع الدولي والمؤسسات الدولية التي تكرّس مبدأ سيادة الدول وحقّها في الوجود، بحسب ما يقتضيه منطق المصالح الاستراتيجية لكل فاعل على حدة (ص 60-61).

تختلف أهمية كل عنصر من هذه العناصر الثلاثة بحسب مجموعة من العوامل، أبرزها القوانين وتوزيع الموارد وموازين القوى داخل الدولة. فلمعرفة إذا ما كانت فئة اجتماعية ما، تُعتَبر مركز قوة للنظام، يجب النظر أولًا إلى حجمها وحجم الموارد التي تمتلكها وتسيطر عليها، وكذا قدرتها على أن تشكّل تحالفًا غالبيًا (ص 64). في حين تحدّد السلطاتُ الرسمية الممنوحة لمؤسسة ما مراكزَ القوة المؤسساتية، إضافة إلى مدى استقلاليتها عن السلطة التنفيذية وقدرتها على مراقبة هذه الأخيرة وتقويضها، ولا يتعلق الأمر هنا بالسلطات الرسمية المقررة دستوريًا فحسب، بل غير الرسمية أيضًا (ص 62)؛ لأنها تمثل بنفسها مصدر تأثير آخر، يمكن النظام اللجوء إليه عند الحاجة. في هذا الصدد، وقبل الحسم في اعتبار الجيش مركزًا من مراكز القوة المؤسساتية، يجب الأخذ في الحسبان ثلاثة أمور أساسية: هيكلته وأهدافه ومدى توغّله في النظام.

8 هنا تبدو معتقدات المعارضة وتصوّراتها بشأن النظام واحتمالية قيامه بالإصلاح مهمة جدًا، لأنها حاسمة في حساباتها الاستراتيجية.

فالجهاز العسكري، إما أن يكون ذا طبيعة مؤسساتية، بهوية منفصلة عن هوية النظام، وتكون أهدافه ذات بعد وطني، متمثلة في الدفاع عن الوطن وحمايته، في حين تكون هوية هذا الجهاز ذي الطبيعة الباتريمونيالية ممزوجةً بهوية النظام، وتتّخذ أهدافُه بعدًا مصلحيًا ضيّقًا، يتمثل في الرغبة في التوسع والثراء الفردي، بناءً على منطق المحسوبية وشبكة العلاقات الشخصية (ص 64)؛ وفي هذه الحالة، لا يمكن أن يكون الجيش مركز قوة للنظام، لأنهما في الحقيقة يمثلان الشيء نفسه. أخيرًا، تقوم مراكز القوة الخارجية على مبدأ المصالح الاستراتيجية التي تكسبها عبر منحها الدعم والمساعدات المالية الدولية، والتي غالبًا ما يجري صرفها في تقوية المؤسسات الأمنية في الدولة المستفيدة، خاصة الجيش، وتقوية شبكات العلاقات القائمة على المحسوبية والولاء الشخصي أيضًا. وتؤكد بوتورف أن هذا يبدو واضحًا جدًا عند التأمل في حالة الدول العربية التي لا يزال فيها الدعم الخارجي يمثّل إحدى أهم دعائم النظام، في مقابل حفاظه على الاستقرار والتحالف الاستراتيجي الذي تمنحه تلك الأنظمة لمراكز دعمها الخارجية (ص 63-65).

ترى مؤلفة الكتاب أنّ دول العالم العربي توفر ثلاث إشارات تساعد في تحديد مراكز القوى المجتمعية في مستوياتها الثلاثة. فعلى المستوى المجتمعي، تقف بوتورف عند ثلاثة عناصر: أولها، عدد السكان المتزايد، وما ينتجه من تحديات اقتصادية واجتماعية تمسّ، في الدرجة الأولى، فئة الشباب المهيمنة على الهرم السكاني العربي. وثانيها، ارتفاع نسبة التَّمدّن الذي أدى إلى تفاقم المشكلات المتعلقة بالبنى التحتية وازدياد الضغط الحضري. أما ثالثها، فهو تنامي تدخّل الدولة ووجودها في قطاعات عدة مرتبطة بالإدارة والأمن والاقتصاد، لتصبح بذلك الفاعل الأول والأقوى في تدوير عجلة الاقتصاد العربي.

أما من الناحية المؤسساتية فيظهر أنّ الأحزاب السياسية في العالم العربي، لا يمكنها أن تمثل على نحو فردي مركز قوة للنظام، لأنها ضعيفة (باستثناء الأحزاب الحاكمة في الجمهوريات الرئاسية)، إلّا إذا تحالف بعضها مع بعض، ليشكل ائتلافًا مع مؤيديها، آنذاك من المحتمل تحوّلها إلى مركز قوّة مؤسساتية. هناك استثناء وحيد لهذه القاعدة، هي الجماعات الإسلامية التي تقوّت في سياق غضب المواطنين وسخطهم على الوضعية الاقتصادية والاجتماعية التي يعيشونها، موفِّرة لهم الخدمات الاجتماعية، من رعاية وتطبيب وتعليم، وفي الوقت نفسه، ظافرة بأكبر عدد ممكن من المؤيدين الذين تكسبهم عن طريق المواعظ والخطب في المساجد، وكذا عن طريق العمل الجمعوي وحملات التطوع، ثم الانخراط في العمل السياسي الذي مكّنها بعد ذلك من التحوّل إلى أحزاب سياسية قوية ومستقلة (ص 65-66).

على المستوى المؤسساتي أيضًا، يظهر أن الجهازين التشريعي والقضائي لا يمكن اعتبارهما مركز قوة مؤسساتية للنظام، لأن مساءلتهما للسلطة التنفيذية تبقى، ببساطة، محدودةً، وهذه المحدودية في محاسبة الجهاز التنفيذي، هي التي تنتج برلمانات وأجهزة قضاء ضعيفة وغير مستقلة، بل خاضعة لمراقبة السلطة التنفيذية، وبهذا يبقى الجيش هو المؤسسة الوحيدة المرشحة لتكون مركز قوة للنظام، مع مراعاة ما تمت الإشارة إليه سابقًا، بأنه كي يمثّل الجيش مركز قوة للنظام، يجب عليه ألّا يكون باتريمونياليًا، أي أن تكون له القدرة على التصرف باستقلالية عن النظام الحاكم باعتباره جيشًا ذا طبيعة مؤسساتية (ص 67-68).

أما في ما يخص مراكز القوى الخارجية في المنطقة العربية، نظرًا إلى ما يتمتع به موقعها من أهمية استراتيجية، وما يحظى به العديد من دولها من ثروات طبيعية، مثل النفط والغاز، فإنها، دائمًا، محطّ اهتمام المجتمع الدولي وفواعله، وازدادت تلك الأهمية بعد هجمات 11 سبتمبر 2001 التي جعلت دول هذه المنطقة شريكة للولايات المتحدة الأميركية في معركتها ضدّ الإرهاب، ليحلّ بذلك هاجس استتباب الأمن في المنطقة، في مكان الصدارة، أمام دمقرطتها بالنسبة إلى الحكومات الغربية. إنّ منح مراكز القوة الخارجية دعمها لدولة معيّنة، مرتبطٌ بالموقع الجيوسياسي الذي تحتله هذه الأخيرة وأهميتها الاستراتيجية في تحقيق أمن الحكومات الغربية ومصالحها الاقتصادية والسياسية معًا (ص 69-70).

تقدّم بوتورف، منطلقةً من هذا الإطار التحليلي الثلاثي الأبعاد، تحليلًا عن استراتيجيات المشاركة أو المقاطعة لجماعات المعارضة وأحزابها في الانتخابات في العالم العربي من خلال الحالتين الأردنية والجزائرية. فما الخلاصات التي توصّلت إليها؟

ثالثًا: المعارضة في الأردن بين المقاطعة والمشاركة: جبهة العمل الإسلامي نموذجًا

تقف بوتورف في دراستها للحالة الأردنية، موظّفةً الإطار التحليلي الذي قدّمته في الفصل الثالث من كتابها[9]، عند سلوك ثلاثة فاعلين رئيسين خلال الانتخابات وبعدها: النظام الملكي، وحزب المعارضة الرئيس المتمثل في جبهة العمل الإسلامي، ثم مراكز قوة النظام التي تحدّدها بمن تصفهم بـ "الشرق أردنيين" و"الفلسطينيين" على المستوى الاجتماعي، والولايات المتحدة الأميركية على المستوى الدولي، في حين ترى أن هناك غيابًا لأي مركز قوّة مؤسساتي.

9 يُعتبر الفصل الثالث من الكتاب "المشاركة، المقاطعة، والاحتجاج في الانتخابات السلطوية"، بمنزلة الإطار النظري للدراسة التي تقدّمها بوتورف. (المحرر)

على المستوى الاجتماعي، يتميز الأردن بتركيبة مزدوجة، تشكّلها قبائل شرق الأردن من جهة، والأردنيون من أصل فلسطيني من جهة أخرى. بحسب بوتورف، يظهر هذا التمييز الهوياتي واضحًا جدًا عند التأمل في توزيع الاقتصاد والموارد؛ فالقطاع العام المتمثل في المؤسسات الأمنية والإدارية، يهيمن عليه الشرق أردنيون، في حين يوجد الفلسطينيون بصفة أكبر في القطاع الخاص. أما في يتعلق بالحياة السياسية فتبدو الأحزاب السياسية في الأردن ضعيفة ومن دون تأثير، باستثناء جبهة العمل الإسلامي التابعة لجماعة الإخوان المسلمين، وهو الحزب الأكثر ظهورًا وتنظيمًا في الأردن، شارك ثلاث مرات في الانتخابات التشريعية الأردنية (1993 و2003 و2007)، في مقابل مقاطعته لانتخابات عامَي 1997 و2010 (ص 91).

أما مؤسساتيًا، فتتشكل القوات المسلحة الأردنية أساسًا من الشرق أردنيين، وذلك منذ تأسيس المملكة الهاشمية في عشرينيات القرن الماضي، التي قايضت بين ولاء القبائل للدولة ومنحهم امتيازات مالية وضريبية، إضافة إلى دمجهم في وظائف الجيش والدفاع، ليصبح بذلك الجيش مؤسسة قائمة على شبكة الولاء الشخصي والزبونية بين النظام والقبائل. لا يمكن أن يكون الجيش الأردني، إذًا، بسبب طبيعته الباتريمونيالية وعدم استقلاليته عن النظام، مركز قوة بحسب الإطار النظري المقدم. أخيرًا، يُعتبر الأردن دولة ريعية (جزئيًا) بسبب اعتمادها الكبير على المساعدات الخارجية وتحويلات العمالة المهاجرة في دول الخليج وغيرها. وعلى الرغم من حصوله على مساعدات مالية من فواعل دوليين، مثل الاتحاد الأوروبي ودول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، فإنّ أهم مركز قوة خارجي يحظى به الأردن هو الولايات المتحدة، التي لم تتوان في تقديمها حزمًا مالية كبيرة للنظام الأردني، الذي (بحسب ما تفيد به بوتورف) دعم سياساتها كلها في العراق، وسياسات إسرائيل في المنطقة (ص 70-75).

في الأردن، لطالما كان الخلاف على محتوى القانون الانتخابي نقطة خلاف متجددة بين النظام والمعارضة التي كانت دائمًا تنتقد التوزيع غير العادل للمقاعد الانتخابية لمصلحة العشائر البدوية على حساب المناطق الحضرية التي يعيش فيها الفلسطينيون بنسبة عالية. وعلى الرغم من أنّ الحكومة وضعت قانونًا انتخابيًا تتحكم من خلاله في مخرجات الانتخابات، فإنه ليس كافيًا لتفسير سلوك المعارضة في المشاركة أو المقاطعة. فتبَنّي هذه الأخيرة قرار المشاركة في انتخابات عام 1993 مثلًا، كان في الحقيقة منسجمًا مع تصوّراتها بشأن وضع النظام الملكي ومدى قوّته، إضافة إلى طبيعة الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي أثثت المشهدَين المحلي والدولي آنذاك.

بعد انتخابات عام 1989 التي عُرفت بشفافيتها ونزاهتها[10]، بدأت الأزمة الاقتصادية في الأردن تنفرج. وساعد هذا التحسّن الذي لاحظته جبهة العمل الإسلامي في الوضعية الاقتصادية، في تشكيل قناعة تجاه مراكز قوّة النظام المجتمعية (الشرق أردنيون والفلسطينيون)، قائمة على استعداد هذه الأخيرة لتقديم دعمها الكامل للنظام في حال أصبح استقراره مهدَّدًا. بحلول عام 1993، جرى استئناف العلاقات الثنائية بين الولايات المتحدة والأردن، إذ كانت المملكة الأردنية قد فقدت دعم حلفائها التقليديين، سواء داخل المنطقة العربية أم خارجها، جرّاء رفض الملك حسين انضمامه إلى التحالف الأميركي ضد العراق إبان حرب الخليج الأولى (1990)، أي إنه مع التأييد الشعبي الكبير الذي حظي به النظام الملكي من طرف الأردنيين والفلسطينيين في أعقاب انتخابات عام 1989، إضافة إلى الدعم الأميركي الذي كان محسومًا فيه مع اقتراب انتخابات عام 1993، اعتبرت المعارضة أن الوقت آنذاك ليس مناسبًا للسعي وراء المطالبة بالإصلاح من خلال المقاطعة، أو اتّباع استراتيجية في مرحلة ما بعد الانتخابات مثيرة للجدل، لتقرر بذلك المشاركة في انتخابات عام 1993 (ص 92-98).

على عكس ذلك، قرّرت جبهة العمل الإسلامي وغيرها من الأحزاب اليسارية الصغيرة مقاطعة انتخابات عام 1997، نتيجة لقراءة مغايرة للوضع. ففي نظر بوتورف، طرأت مجموعة من المستجدات التي اعتبرتها المعارضة، وعلى رأسها جبهة العمل الإسلامي، إشارات واضحة على تراجع قوّة النظام واستقراره، أوّلها، وربما أهمها كان توقيع معاهدة السلام مع إسرائيل عام 1994 التي أثارت غضب المجتمع الأردني بفئتيه، الأردنـيين والفلسطينيين. ثانيًا، بدأت سلسلة من التحديات الاقتصادية تظهر إلى الوجود، مخَلِّفة وراءها موجة عارمة من الإحباط الشعبي الذي يدل على أن مراكز قوة النظام المجتمعية لن تكون داعمة كما كانت عام 1993، حيث كان من نتائجها حدوث اضطرابات وأعمال شغب، امتدت إلى معاقل المَلَكية التقليدية، قابلها النظام باستدعاء الجيش وفرض حظر التجوّل.

في ظل هذه التطورات، اعتبرت جبهة العمل الإسلامي أنّ نسبة احتمال نجاح المقاطعة هي أكبر من السنوات الماضية. في المحصلة، لم تحقق المقاطعة أهدافها لأسباب، منها: سوء تقدير المعارضة لقوة النظام وحجم الدعم الشعبي الذي يحظى به في "المناطق البدوية" (أحد مراكز القوة المجتمعية)، وكذا تلقّيه دعمًا كبيرًا من مركز قوّته الخارجي، الولايات المتحدة، الذي تجلى على نحو أساسي في حجم المنح المالية والعسكرية التي تلقّاها بعد اتخاذ قرار المقاطعة، فضلًا عن أن

10 جاءت في أعقاب أحداث الكرك ومعان والطفيله (وهي من معاقل النظام)، التي حملت مطالب اجتماعية واقتصادية، والمعروفة في الأردن "بهبّة نيسان".

بعض الأعضاء في الجبهة، وتحديًا منهم لقرار المقاطعة، انشق وأعلن الترشح للانتخابات بصفته مرشّحًا مستقلًا، إضافة إلى أن المعارضة لم تقم بالترويج لحملة مقاطعتها، مخافة سخط الناس عليها، وحفاظًا على علاقتها بالملك (ص 100-106). في المحصّلة، أصبح وضع جبهة العمل الإسلامي المعارِضة، بعد مقاطعتها انتخابات عام 1997، أسوأ مما كان عليه من قبل، فقد تراجعت شعبيتها، وأصبحت من دون تمثيلية في البرلمان، ما يعني فقدانها التواصل مع مؤيديها والرأي العام عبر المؤسسات الرسمية (ص 106-112).

أدّت، إذًا، مخرجات مقاطعة انتخابات عام 1997، إلى جانب مجموعة من المستجدّات المحلية والإقليمية، إلى تغيّر في قناعات المعارضة بشأن مدى قوّة النظام الملكي وحجم تكلفة التعبئة للاحتجاجات، ما دفع جبهة العمل الإسلامي إلى العودة إلى المشاركة في انتخابات عامَي 2003 و2007 على التوالي. من أبرز هذه المستجدات تربّع الملك عبد الله على عرش المملكة الهاشمية بعد وفاة والده الملك حسين عام 1999، وما صاحب ذلك من تعليق آمال كبيرة على الحاكم الجديد، بما في ذلك المعارضة التي قررت أن تتجنب القطيعة معه. تحسّنت أيضًا الأوضاع الاقتصادية للبلد، مقارنة بما كانت عليه عام 1997، ووطّد الملك الجديد العلاقات مع الولايات المتحدة التي قدّمت له مساعدات مالية، في مقابل دعمه لها في حرب الخليج الثانية (ص 109). في تلك المرحلة، كانت جبهة العمل الإسلامي تواجه تحديات عدة، أولها النقاشات الداخلية المحمومة التي كانت بين المتشددين والمعتدلين، وما تلاها من انشقاقات في الحزب. وثانيها الضربة القاضية التي وجّهها النظام للحركة عبر إغلاق المركز الإسلامي، الذي كان بمنزلة بوابة تواصلية بين الحزب والشعب الأردني، حيث كانت الأنشطة والخدمات التي يقدمها للمواطنين وسيلة فعالة تمكّنه من توسيع شبكته الاجتماعية (ص 112).

منح التأملُ في المناخ السائد في المملكة وخارجها، المعارضةَ مجموعةً من المعطيات المتعلقة بها وبالنظام. أولًا، لن تتردد مراكز قوة النظام الملكي (المجتمعية والخارجية) في تقديم دعمها له عند الحاجة. ثانيًا، لا تستطيع المعارضة أن تضغط على النظام أو تهدده، على نحو حقيقي، باحتجاجات ما بعد الانتخابات. ثالثًا، الصراعات الداخلية في الحزب وما ترتب عليها من انقسامات. جعلت هذه المعطيات المعارضة تتوصل إلى أنّ النظام الذي تواجهه، ما زال قويًا، وأنّ تكاليف المقاطعة والتعبئة الشعبية وحشد المؤيدين لاحتجاجات ما بعد الانتخابات ضخمة جدًا. وبما أنّ النظام لن يستجيب لمطالباتها بالإصلاح، نظرًا إلى عدم قدرتها على الضغط عليه ضغطًا حقيقيًا، فإن الحل الأنسب في ظل هذه الظروف، هو المشاركة في الانتخابات (ص 106).

عادت جبهة العمل الإسلامي إلى تبنّي استراتيجية المقاطعة قبيل انتخابات عام 2010 البرلمانية في ظل الأوضاع التالية: (1) تدهور الأوضاع الاقتصادية والارتفاع الصارخ للأسعار، (2) اشتداد الأزمة الاجتماعية المتمثلة في الصراعات القبلية والتوتر الهوياتي بين الشرق أردنيين والأردنيين من أصل فلسطيني، (3) تراجع شعبية النظام الناتجة من انتشار الفساد المالي وتراجع الحريات. أضف إلى ذلك أنّ المعارضة رأت أنّ الولايات المتحدة تحت إدارة الرئيس الجديد آنذاك، باراك أوباما (2009-2017)، لن تدعم النظام الأردني ضد احتجاجات المطالبة بالإصلاح والانفتاح السياسي. وبما أنّ التزوير والاحتيال الصارخ اللذَين طالَا انتخابات عام 2007 المحلية والبرلمانية، انتقلا من معرفة المعارضة بهما إلى المواطنين، فإنّ الرأي العام مهيأٌ لمقاطعة الانتخابات (ص 113-118). كلها عوامل جعلت المعارضة تؤمن بأنّ وقت التغيير الذي تصبو إليه قد حان، وأنها قادرة على جعل النظام يغيّر القانون الانتخابي (ص 112).

بعد إعلان المقاطعة، لم تكن ردة فعل النظام مختلفة عن سابقتها خلال انتخابات عام 1997، فقد قرر تجاهل مطالب المعارضة بالإصلاح، وما تغيّر في الحقيقة هو سلوك المعارضة بعد مقاطعة الانتخابات، فعلى عكس تراجعها وتقبّلها فشل المقاطعة عام 1997، وإيمانًا منها بأن الفوائد التي ستُجنى أكثر من الخسائر التي يمكنها أن تتكبّدها، قررت عدم الاستسلام والقيام بمظاهرات في المرحلة التي أعقبت انتخابات عام 2010، وذلك من دون ترخيص لها من السلطات (ص 119).

رابعًا: المعارضة وسلسلة المقاطعات في الجزائر: حزب جبهة القوى الاشتراكية نموذجًا

خلال ثمانينيات القرن العشرين، مرّت غالبية دول العالم العربي بفترة عصيبة؛ فقد كان جلُّها يعاني أزمة اقتصادية وانفجارًا ديموغرافيًا واجتماعيًا، أجّجه الانسداد السياسي الناتج من تغلغل السلطوية. ولم تكن الجزائر استثناءً من ذلك؛ فقد عاشت مرحلة من الاضطرابات، اتّسمت بالركود الاقتصادي والتنافس على السلطة بين النظام والإسلاميين، إلى جانب ما سُمّي "الربيع الأمازيغي"، وما حفَّ به من أعمال شغب. فدفع هذا الغليان الشعبي الرئيس الجزائري آنذاك الشاذلي بن جديد (1979-1992) إلى البدء في عملية الانفتاح السياسي، التي كانت أولى خطواتها صوغ دستور جديد عام 1989، شرّع، بموجبه، للأحزاب السياسية في البلاد (ص 129). بعد سنتين من الاستفتاء على الدستور الجديد، وفي كانون الأول/ ديسمبر 1991،

شهدت الجزائر أوّل انتخابات تشريعية، وفازت فيها الجبهة الإسلامية بغالبية ساحقة. لم يتقبل الجيش هذا الفوز للحزب الإسلامي، أي الجبهة، فتدخّل لإلغاء الدورة الثانية من الانتخابات، وهكذا عاد مرة ثانية إلى الحكم بطريقة مباشرة عن طريق المجلس الأعلى للدولة[11]، وذلك طوال ثلاث سنوات، في الفترة 1992-1995. وأدّى هذا التصرف إلى نشوب ما يمكن وصفه بحرب أهلية (26 كانون الأول/ ديسمبر 1991–8 شباط/ فبراير 2002)، أو ما يعرف في الجزائر بـ "العشرية السوداء"، وهي مرحلة من الصراع الدموي بين الجيش وقوات الأمن وجماعات إسلامية مسلّحة، أودت بحياة الآلاف من الجزائرين.

على الرغم من ذلك، بقيت العملية السياسية مستمرة في البلاد، فجرى تنصيب الأمين زروال رئيسًا (1994-1999)، وفق ما أفرزته نتائج أول انتخابات رئاسية وُصفت بالنزاهة وبمشاركة شعبية واسعة، وجرى تنظيم انتخابات تشريعية، عام 1997، شاركت فيها الأحزاب كلها، بما فيها حزب جبهة القوى الاشتراكية المعارض الذي قاطع الانتخابات الرئاسية السابقة والاستفتاء الدستوري عام 1996. وتحطّمت تلك الآمال كلها التي وضعها الفاعلون السياسيون والشعب برُمَّته في الرئيس الجديد عقب عام 1997، فقد سيطر حزبه (التجمع الوطني الديمقراطي) على أكبر عدد من المقاعد، على الرغم من أن تأسيسه كان قبل بضعة شهور فقط من إجراء الانتخابات، وخلّفت المشكلات الاقتصادية والاجتماعية المتفاقمة في نفوس المواطنين شعورًا باليأس والغضب، من دون نسيان العنف الذي ما زال مستمرًا بين الجيش والجماعات الإسلامية (ص 130).

وفق الإطار التحليلي الذي وضعته بوتورف، فإنّ فهم الدوافع وراء قرارات المقاطعة أو المشاركة التي اتخذها حزب جبهة القوى الاشتراكية منذ عام 1995، يتطلّب تحديد مراكز قوى النظام الجزائري على المستويات الاجتماعية والمؤسساتية والخارجية. فالعلاقة بالبعد الاجتماعي ومركز القوة على المستوى المجتمعي في الجزائر، وعلى عكس مراكز القوة المجتمعية في الأردن التي يشكّلها الانقسام الإثني بين الشرق أردنيين والأردنيين الفلسطينيين، يشكّلها التفاوت الجيلي بين الشباب والأكبر سنًّا (ص 76). فبعد نيل الجزائر استقلالها عام 1962، تولّت جبهة التحرير الوطني الحكم، باعتبارها الحزب الأَوْلى به، نظرًا إلى المعركة الطويلة والشرسة التي خاضتها الجبهة مع الاحتلال الفرنسي، وستصبح هذه السردية بعد ذلك أداةً يبرّر بها النظام حكمه السلطوي. ولّدت هذه السردية التأسيسية، في العقود الموالية، انقسامًا مجتمعيًا بين فئة الشباب الذين يرفضونها، لأنهم لم يعيشوا في مرحلة الاستعمار وويلاته، وفئة الأكبر سنًا، الذين بحكم معايشتهم لتلك المرحلة صاروا أكثر تقبّلًا وتطبيعًا مع النظام وممارساته (ص 78).

أما على المستوى المؤسساتي، وعلى غرار الحالة الأردنية، فإن السلطتين التشريعية والقضائية، بعيدتان كل البعد عن أن تكونا مركز قوة، وذلك بسبب محدودية السلطات الممنوحة لكليهما، خاصة مراقبة الصلاحيات الممنوحة للرئيس. أما الأحزاب السياسية، فقد بقيت محظورة طوال الثلاثين عامًا التي أعقبت الاستقلال، لذلك فالمؤسسة الوحيدة التي تمثل مركز قوة للنظام الجزائري هي الجيش. فعلى عكس الهيكلة الباتريمونيالية التي تُهَندس الجيش الأردني القائم على التوازنات الشخصية بين النظام والبدو، فإنّ للجيش الجزائري بنيةً مؤسساتيةً قائمة على التّراتبية والاستقلالية، ليكون بذلك أحد أبرز مراكز القوة على المستوى المؤسساتي في الجزائر (ص 79).

وعند البحث في مراكز القوى الخارجية، نجد أن النظام، منذ تأسيس أول حكومة بعد الاستقلال، استهل بحثه عن حلفاء خارجيين يدعمونه، بين الرئيس هواري بومدين (1965-1978) الذي اتّجه نحو الشرق، وبالضبط نحو الصين والاتحاد السوفياتي آنذاك، وخَلَفه الرئيس بن جديد الذي فضَّل التحالف مع الغرب، وتعزّز هذا التحالف بالفعل بعد الانقلاب العسكري عام 1992[12]، حيث قدّمت فرنسا والولايات المتحدة دعمهما السياسي والاقتصادي الكامل للنظام الجزائري، وعيًا منهما بالأهمية الاستراتيجية التي تحظى بها الجزائر التي بقيت (على خطى الأردن نفسها) تستفيد من القروض والمساعدات المالية الكبيرة التي يقدمها لها الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة، ليصبحا بذلك مركز قوة للنظام الجزائري (ص 75-80).

أعلن الرئيس زروال استقالته، عام 1998، مصرِّحًا بإجراء انتخابات رئاسية في أوائل عام 1999، قاطعتها في حينها المعارضة. ولم يكن قرار المقاطعة هذا سوى نتيجة لقراءتها للوضع الداخلي للبلاد. فقد كانت الجزائر تعيش أوضاعًا اقتصادية صعبة، وقد شلّت الإضرابات الاجتماعية القطاعات كلها في البلاد، إضافة إلى تدهور الوضع الأمني، وانتهاك حقوق الإنسان المتمثل في التعذيب والاختطافات القسرية، وتهديد حرية الصحافة واستقلاليتها. وبعد فوز عبد العزيز بوتفليقة (1999-2019) في الانتخابات التي كان فيها المرشح الوحيد، قررت المعارضة تنظيم مسيرة وطنية تعبّر من خلالها عن رفضها لنتائج الانتخابات، وإبرازها أن الرئيس بوتفليقة ليس لديه أي شرعية، لكن لم يكن أمام النظام إلّا حظر هذه المسيرة ورفض السماح للمعارضة

11 المجلس الأعلى للدولة هو مجلس جماعي، مارس اختصاصات رئيس الجمهورية في الجزائر في الفترة التي أعقبت استقالة الرئيس الشاذلي بن جديد عام 1992، وحتى انتخاب الرئيس الأمين زروال عام 1994. (المحرر)

12 الذي أوقف المسار الانتخابي بعد فوز جبهة الإنقاذ الإسلامية بالجولة الأولى للانتخابات البرلمانية. (المحرر)

بتنظيم أي تظاهرة في مختلف المدن الجزائرية، بل منع السفر إلى العاصمة، ونشر رجال الشرطة والأمن. وهكذا، فشلت المعارضة في الضغط على النظام كي يستجيب للإصلاحات التي كانت تنادي بها.

يعود تجاهل النظام لتلك المطالب واستمراره في القمع إلى حصوله على دعم مراكز القوة لديه، سواء المحلية، وعلى رأسها الحزب التاريخي جبهة التحرير الوطني والمتحالفون معه، مثل التجمع الوطني الديمقراطي وحركة مجتمع السلم، وغيرها من المؤسسات التي تدور في فلكه، مثل الاتحاد العام للعمال الجزائريين ومجلس المجاهدين، وغيرهما. وعبَّر قسم كبير من الرأي العام الجزائري عن دعمه لبوتفليقة، واعتبره فرصة أفضل من أجل تحقيق الأمن والاستقرار. فعلى الرغم من استياء المواطنين من أداء النظام السياسي، فإن رغبتهم وتوقهم إلى الخروج من العنف، كانا كافيَين لمنح الدعم الشعبي لبوتفليقة. أما خارجيًا، فقد رحّبت فرنسا والدول الغربية الأخرى به رئيسًا جديدًا للبلاد، داعيةً إلى المصالحة واستئناف العلاقات بين الجزائر والمجتمع الدولي، إضافة إلى دعم الجيش باعتباره أحد مراكز قوة النظام (ص 131-134).

لم تتغير الأوضاع كثيرًا خلال الولاية الأولى لبوتفليقة، بل استمرت المآزق الاقتصادية والاجتماعية التي أججتها الاحتجاجات الشعبية في منطقة القبايل، المعقل التاريخي لحزب جبهة القوى الاشتراكية، الأمر الذي أدى بأحزاب المعارضة إلى أن ترجّح كفّة المقاطعة مرة أخرى، قبيل انتخابات عام 2002. وبما أن تكاليف القمع كانت منخفضة في الحالة الجزائرية، فإن النظام اتّجه إلى خيار التجاهل والصمت مجددًا (ص 142-151). ومع أن الظروف الاقتصادية والاجتماعية المحيطة بانتخابات عام 2004 الرئاسية، وانتخابات عام 2007 التشريعية كانت مشابهة للسياق السائد قبيل انتخابات عامَي 1999 و2002، باستثناء الوضعية الأمنية التي تحسّنت كثيرًا[13]، فإنّ اختيارات المعارضة كانت متباينة في انتخابات عامَي 2004 و2007 على التوالي. فبينما بقي حزب جبهة القوى الاشتراكية متمسكًا بخيار المقاطعة، قرّر حزب التجمع الوطني الديمقراطي المشاركة فيها.

يعود الاختلاف الملاحَظ في سلوك الحزبين المعارِضَين إلى المحددات الأربعة التي تشكّل استراتيجياتهما الانتخابية. أولًا، من ناحية القناعات بقوة النظام واستقراره، وتأملًا في الانقسامات الحاصلة في قاعدة دعم بوتفليقة التي أدّت إلى تراجع دعم الجيش وبعض أعضاء جبهة التحرير الوطنية له، توصّلت جبهة القوى الاشتراكية إلى أن النظام صار ضعيفًا ومهددًا، ومن ثمة فهو أكثر قابلية إلى الاستجابة لمطالب الإصلاح أكثر من أيّ وقت مضى. ثانيًا، ومن ناحية تكلفة التعبئة لاحتجاجات ما بعد الانتخابات، وبما أنّ النظام لم يعد قويًا بما يكفي، فإنّ قرار قمعه تلك الاحتجاجات سيكلّفه الكثير، مقارنة بما يمكن أن تخسره الجبهة، الذي يبدو ضئيلًا في نظرها. أخيرًا وفي ما يتعلق بالاستقطاب الأيديولوجي، فإن حزب جبهة القوى الاشتراكية كان دائمًا بعيدًا أيديولوجيًا عن النظام، رافضًا بذلك أيّ محاولة من هذا الأخير لاحتوائه، ومن ثمة مقاطعته على نحو دائم ومستمر. أضف إلى ذلك عوامل أخرى تتمثل في شخصية قائد الحزب الحسين آيت أحمد، المعروف بمعارضته للنظام منذ عام 1963، وما يتمتع به من تجربة سياسية طويلة، تميّزت بالتزامه هو وغيره من قيادات الحزب الأخرى، بالمبادئ والمثل السياسية، من دون نسيان الدعم الشعبي الكبير الذي تحظى به الجبهة في القبائل (ص 151-156).

في المقابل، قرّر حزب التجمع الوطني الديمقراطي المعارِض الانضمام إلى تحالف النظام، بدءًا بدعمه اتفاقية العفو، وانتهاء بقبوله بحقيبتين وزاريتين، الأمر الذي أدّى إلى تقلّص المسافة الأيديولوجية بينهما، خاصة أن زعيم الحزب، سعيد سعدي، يميل أكثر إلى تيار ما يوصف بـ "النقد البنّاء" للنظام، من دون رفض تام له. بعد ذلك التقارب الأيديولوجي، وبفعل التكاليف الباهظة التي سيتحمّلها جراء تعبئته للمظاهرات، لم يكن التجمع الوطني الديمقراطي قادرًا على تهديد النظام حقيقة، بل كان يؤمن إيمانًا حاسمًا بأن مقاطعة انتخابات عام 2004 الرئاسية، مثلًا، لن تقوّض النظام، بقدر ما ستعطي دفعة قوية لبوتفليقة. ومن هنا، فإنّ الخيار الأفضل بالنسبة إليه هو المشاركة في الانتخابات.

على الرغم من المشكلات المحلية وخسارة دعم الجيش وبعض أعضاء جبهة التحرير الوطنية، وبفعل نجاحه في القضاء على التمرد الإسلامي واستتباب الأمن في البلاد، فإن النظام الجزائري استطاع المحافظة على قدرته على جذب دعم مراكز قوة أخرى له، سواء المجتمعية كالجيل القديم من المجتمع الجزائري، أو الخارجية كالمجتمع الدولي، أضف إلى ذلك أنّ ظهور حزب التجمع الوطني الديمقراطي منافسًا لحزب الجبهة، كان أمرًا إيجابيًا بالنسبة إليه. وبهذا تكون جبهة القوى الاشتراكية التي كانت وما زالت معارضة حقيقية للنظام، قد أخطأت في حساباتها لمدى قوة النظام واستقراره (ص 157).

13 بفضل أمرين: أولهما، اتفاقية العفو التي عقدتها حكومة الرئيس بوتفليقة مع عدد من الجماعات الإسلامية المسلحة من أجل وضع السلاح، في مقابل العفو وعدم متابعتهم بما ينسب إليهم من أعمال غير قانونية؛ وثانيهما، الهجوم العسكري الذي شنَّه النظام ضد الجماعات الإسلامية المسلحة التي رفضت الخضوع للاتفاقية.

خامسًا: مناقشة: الانتخابات السلطوية بين أهداف النظام ودوافع المعارضة

إن مفهوم "الانتخابات السلطوية"، باعتباره الظاهرة السياسية التي يتمحور حولها كتاب بوتورف الذي عرضنا أطروحته الأساسية والعناصر الإمبريقية التي قدّمتها صاحبته، في محاولة منها الاستدلال على صحّتها من خلال تحليلها قرارات المقاطعة أو المشاركة التي اتخذتها جبهة العمل الإسلامي في الأردن، وجبهة القوى الاشتراكية في الجزائر منذ تسعينيات القرن الماضي، حظي بدراسة واسعة من جانب الباحثين المتخصصين، سواء في دراسة الأنظمة السلطوية أو حقل الدراسات الديمقراطية والدمقرطة. في هذا الصدد، حظيت مسألتان بقسط وافر من الدراسة. أولاهما، طبيعة الأهداف التي تسعى الأنظمة غير الديمقراطية لتحقيقها من وراء قبولها بالتعددية الحزبية ومشاركة معارضين لها في الانتخابات (وحتى القبول بفوزهم ببعض المقاعد). ثانيتهما، تحديد الأسباب التي تجعل المعارضة تقبل بالمشاركة في عملية انتخابية هي على يقين تامّ أن ليس لها أيّ فرصة للفوز فيها. كما أنّ مفهوم مراكز القوى ليس غائبًا تمامًا عمّا سبق من الدراسات.

في علاقة بالنقطة الأولى، يشدد أندرياس شيدلر، الباحث الذي ارتبط اسمه بمفهوم "السلطوية الانتخابية"، على أنّ الدافع الرئيس للتلاعب بالانتخابات في هذه الأنظمة هو ضمان هيمنة الحزب الحاكم، من دون أن يكون ذلك بالضرورة مرادفًا لرغبةٍ في تغيير ديمقراطي حقيقي[14]. في الاتجاه نفسه، تشير ميشيل كامينغز إلى أن الأحزاب السياسية في النظام غير الديمقراطي قد تكون وسيلة يستخدمها النظام لتوسيع قاعدته الشعبية وإضفاء الشرعية على سلطته[15]، مع الاحتفاظ بالسيطرة على العملية السياسية[16]. خلافًا لذلك، يجادل بعض الباحثين في أن الانتخابات حتى في السياق السلطوي، يمكن أن تكون لها تأثيرات إيجابية في مسار الحرية والديمقراطية. وتتبنّى إيلين لوست أوكر هذا الاتجاه، حيث تناقش في دراستها عن المعارضة والتلاعب السياسي، أن الانتخابات حتى تحت الحكم السلطوي،

14 Schedler, "The Menu of Manipulation," pp. 36-50.

15 Emily Beaulieu, *Electoral Protest and Democracy in the Developing World* (Cambridge: Cambridge University Press, 2014).

16 Michael A. Cummings, *The Politics of Hegemony: Authoritarian Regimes in Africa* (New York: Cornell University Press, 2009).

يمكنها أن تفتح مساحات للتنافس السياسي والمشاركة العامة، ما قد يتيح المجال مع مرور الوقت للتحولات الديمقراطية[17].

في هذا الصدد، وفي علاقة بالسياقات التي تشهد انتقالاتٍ سياسيةً، تشير الدراسات إلى أن التفاعل بين السلطة والمعارضة يكون حاسمًا في تحديد مسار التغيير. مثلًا، يرى غييرمو أودونيل أن الأنظمة السلطوية قد تضطر إلى تقديم تنازلات للمعارضة في مراحل معيّنة لضمان بقائها، وهو ما يتماشى مع نظرية الكاتب حول استراتيجيات المشاركة أو المقاطعة[18]. ومع ذلك، يجادل باحثون آخرون في أن هذه التنازلات قد تكون سطحية، ولا تؤدي إلى تغيير حقيقي. فمايكل بروبست يذهب إلى القول إن العديد من الأنظمة السلطوية قد تقدم تنازلات تكتيكية، فحسب، لتهدئة المعارضة، بينما تواصل هي الاحتفاظ بالسيطرة الكاملة على اللعبة السياسية[19].

أما بالنسبة إلى النقطة الثانية المتعلقة بدوافع قبول المعارضة المشاركة في الانتخابات (ما يمثّل الإشكالية المركزية للكتاب)، فتعتبر بياتريس ماجلوني أنّ جماعات المعارضة تشارك في الانتخابات السلطوية لتُظهر وجودها، أو لتحصل على تنازلات من النظام، كما أنها تشارك في الانتخابات غالبًا للحفاظ على هيكلها التنظيمي، وتجنّب الانقسامات وتجنيد مناصريها، والبقاء مرئية في أعين النظام، بل أحيانًا تأمين تنازلات سياسية[20]، إلى درجة أن بعض الدراسات الحديثة ذهب إلى اعتبار أن أحزاب المعارضة التي تنخرط في الانتخابات التي تسهر عليها الأنظمة السلطوية، قد تمثّل تهديدًا للنظام إذا استمرت في تطوير قواعد جماهيرية واسعة، حيث يعتبر لاري دايموند أن وجود أحزاب سياسية فعالة في الأنظمة السلطوية قد يؤدّي تدريجًا إلى زيادة الضغوط من أجل الديمقراطية، حتى لو كان النظام يحاول جاهدًا التحكم فيها[21].

على النقيض من هذا الموقف المتفائل، فإن آخرين مثل ستيفن ليفيتسكي ولوكاس واي اعتبرا أن المشاركة في الانتخابات السلطوية

17 Ellen Lust-Okar, "The Management of Opposition: Formal Structures of Contestation and Informal Political Manipulation in Jordan," *Comparative Politics*, vol. 36, no. 3 (2004), pp. 249-269.

18 Guillermo O'Donnell, *Transitions from Authoritarian Rule: Reflections on Latin America and Europe* (Notre Dame: University of Notre Dame Press, 1991).

19 Michael Probst, *Modern Authoritarianism: How Regimes Maintain Control in a Changing World* (New Haven: Yale University Press, 2007).

20 Beatriz Magaloni, *Voting for Autocracy: Hegemonic Party Survival and its Demise in Mexico* (Cambridge: Cambridge University Press, 2006).

21 Larry Diamond, *Developing Democracy: Toward Democratization Worldwide* (USA: Johns Hopkins University Press, 1999).

غالبًا ما تؤدي إلى استيعاب جماعات المعارضة، وإضعاف قدرتها على التعبئة بفاعلية ضد النظام؛ ومن ثمّة، خطر استيعاب جماعات المعارضة في النظام السلطوي، بدلًا من تحدّيه[22]. وهذا أقرب إلى ما تراه بوتورف التي اعتبرت أن المقاطعة هي التي تراها أحزاب المعارضة أداةً للضغط على النظام، من خلال حرمان الانتخابات التي ينظّمها من صبغة المشروعية، في حين أن المشاركة هي نتيجة لاعتبار المعارضة نفسها أضعف من الضغط على النظام للقبول بمطالبها بالإصلاح، وبناءً عليه، تجنّب الدخول في مواجهة معه[23].

أما أطروحة "مراكز القوة" التي تمثّل الإطار النظري الذي يقوم عليه تفسير بوتورف باختيارات المعارضة أو المشاركة في الانتخابات في العالم العربي، ودورها في تحديد قوة النظام، فتجد دعمًا لها، على الأقل في بعدها المؤسساتي، في أعمال صامويل هنتنغتون الذي يناقش أهمية الهيكلة المؤسساتية في الحفاظ على استقرار النظام[24]. ومع ذلك يجادل بعض الباحثين بأن التركيز على المراكز المؤسسية للسلطة يقلل من أهمية الشبكات غير الرسمية وأنظمة الولاء والمحسوبية في استقرار الأنظمة السلطوية. فمثلًا، تشير كتابات بريان تايلور، على سبيل المثال، إلى أن الشبكات الشخصية داخل الجيش يمكن أن تكون أشد أهمية لاستقرار النظام أكثر من كونه مؤسسة رسمية ومهيكلة[25]، أي إنه على عكس ما تذهب إليه بوتورف، حتى ما تصفه بالجيوش الباتريمونيالية، يمكن أن يمثّل مركز قوى.

وأما على مستوى العنصر الخارجي، فيرى ليفيتسكي وواي أن الفاعلين الخارجيين يمكنهم أن يدعموا الأنظمة السلطوية أو يقوّضوها بناءً على المصالح الجيوسياسية التي يقتضيها تدخّلهم[26]، ومن هنا، يمكن المعارضة أن تتخذ قراراتها بالمشاركة أو المقاطعة متأثّرةً بهذا العنصر الخارجي، كما يذهب إلى ذلك الكتاب، وكما هو موضح في "تأثير الارتداد" الذي ناقشته مارغريت كيك وكاثرين سيكينك؛ حيث يؤدي الضغط الدولي إلى زيادة المعارضة المحلية والمقاومة الداخلية ضد الأنظمة السلطوية[27]، من دون أن يعني ذلك أنّ وجود ضغط خارجي على النظام سيخدم بالضرورة المعارضة، حيث يمكن النظام أن يفتت الدعم الشعبي للمعارضة من خلال تصويرها بـ "العميلة" أو المدعومة من الخارج.

أخيرًا، يُعتبر اختيار المقاطعة أو المشاركة في الانتخابات أمرًا حاسمًا للجماعات المعارضة. وتُظهر الأبحاث الحديثة أن المقاطعات يمكن أن تؤدي إلى احتجاجات بعد الانتخابات، خاصة عندما ترى المعارضة أن العملية الانتخابية شابتها عيوب كثيرة[28]. في المقابل، يشكك بعض الباحثين في فاعلية المقاطعات؛ بحجة أنها غالبًا ما تفشل في تحقيق النتائج المرجوّة، ويمكن أن تترك الجماعات المعارضة في موقفٍ أضعف غير قادرة على التأثير في السياسات من الداخل. يشير هذا النقد إلى أنّ المقاطعات، على الرغم من أنها ضرورية أحيانًا، فإنه يمكن أن تكون سلاحًا ذا حدّين[29]. وكما أبرزت بوتورف من خلال حالة مقاطعة جبهة العمل الإسلامي للانتخابات الأردنية عام 1993، فإن ذلك لا يؤدي في المحصلة إلى فشل المقاطعة فحسب، بل إلى إضعاف المعارضة وتقليص قاعدتها الشعبية.

خاتمة

تقدّم جيل بوتورف، في كتابها موضوع المراجعة، أطروحة تفسيرية لفهم سلوك التنظيمات الحزبية المعارضة في المنطقة العربية، إزاء مسألة المشاركة في الانتخابات من عدمها، على الرغم من عدم توافر الشروط كلها المتعارف عليها لانتخابات تنافسية ديمقراطية حقيقية. وتسعى لتحقيق هذا الهدف من خلال توظيفها إطارًا تحليليًا يقف عند الظروف السياقية المؤثّثة للانتخابات، مجتمعيًا ومؤسساتيًا ودوليًا، التي تعتبرها المحدد للاستراتيجيات التي ستتبناها الأحزاب المعارضة. في الحقيقة، يفتح هذا الكتاب آفاقًا واسعة للبحث والتأمل النظري والإمبريقي حول الظاهرة المدروسة، ويوفر أرضية خصبة يمكن الارتكاز عليها لمزيد من الدراسات المستقبلية لاختبار مدى صلاحية مفهوم مراكز القوى إطارًا نظريًا يوفّر تفسيرًا لقرارات المعارضة بالمشاركة أو المقاطعة في دول أخرى غير الأردن والجزائر.

22 Steven Levitsky & Lucan Way, *Competitive Authoritarianism: Hybrid Regimes after the Cold War* (Cambridge: Cambridge University Press, 2010).

23 تشير إيفا ويغنر إلى أن من الدوافع التي يمكن أن تكمن وراء انخراط جماعات المعارضة في الانتخابات هو رغبتها في تقليص التكلفة الباهضة التي قد تدفعها جراء معارضتها للسلطة من خارج الإطار المؤسساتي الذي يحدده النظام القائم. (المحرر)، ينظر:
Eva Wegner, *Islamist Opposition in Authoritarian Regimes: The Party of Justice and Development in Morocco* (USA: Syracuse University Press, 2011), p. xxix.

24 Samuel P. Huntington, *Political Order in Changing Societies* (New Haven: Yale University Press, 1968).

25 Brian Taylor, *Politics and the Russian Army: Civil-Military Relations, 1689-2000* (Cambridge: Cambridge University Press, 2003).

26 Levitsky & Way.

27 Margaret E. Keck & Kathryn Sikkink, *Activists beyond Borders: Advocacy Networks in International Politics* (New York: Cornell University Press, 1998).

28 Tarek Masoud, "Explaining Election Boycotts in the Arab World," *Journal of Democracy*, vol. 32, no. 1 (2021), pp. 134-148.

29 Matthew Frankel, "Threaten but Participate: Why Election Boycotts are a Bad Idea," Brookings Institution, no. 19 (2010), pp. 6-8.

في هذا الصدد، نعتبر أنّ من بين القضايا والإشكاليات التي يمكن أن تكون موضوعًا لتلك الدراسات، والتي من أهمها في نظرنا ثلاث مسائل: أولًا، التعمّق في فكرة اعتبار الحكومات الغربية مركز قوة خارجيًا للسلطويات الانتخابية العربية ودورها البارز الذي تقوم به في تشكيل معتقدات المعارضة، حول مدى قوة النظام وإرادته وقدرته على القيام بالإصلاحات، خصوصًا، كما أشرنا إلى ذلك في المناقشة، فإنّ الدراسات السابقة حول الموضوع توصلت إلى نتائج متضاربة. ثانيًا، ضرورة الأخذ في الحسبان الربيع العربي وما أفضى إليه من مخرجات، وتأثير استراتيجيات المعارضة في الدول العربية، وما قدّمته لأحزاب المعارضة من معلومات حول قوّة السلطويات الانتخابية العربية في الدول التي بقيت فيها قائمة، والتي ظهرت في بدايات المرحلة أنها قبلت بالإصلاحات، وما لبثت أن تبين أنها لم تكن سوى تنازلات مرحلية. ثالثًا، مؤسسة الجيش وأهميتها في السياق العربي، بوصفها أحد مراكز القوة المحتملة، وعلى وجه الخصوص تصنيف الجيوش الباتريمونيالية يحتاج إلى تعمق أكبر. فهذه الجيوش في المنطقة قد تختلف من حيث قدرتها وقوّتها واحترافيتها، وحتى مستوى تركيبتها الإثنية. فإلى أيّ حد يمكن أن تؤثّر الاختلافات في طبيعة الجيوش حتى داخل الصنف الواحد (باتريمونيالي في مقابل مؤسسي)، في قراءة المعارضة لقوة النظام واستراتيجياتها الانتخابية؟

المراجع

Beaulieu, Emily. *Electoral Protest and Democracy in the Developing World*. Cambridge: Cambridge University Press, 2014.

Cummings, Michael A. *The Politics of Hegemony: Authoritarian Regimes in Africa*. New York: Cornell University Press, 2009.

Diamond, Larry. *Developing Democracy: Toward Democratization Worldwide*. USA: Johns Hopkins University Press, 1999.

________. "Elections without Democracy: Thinking about Hybrid Regimes." *Journal of democracy*. vol. 13, no. 2 (2002).

Frankel, Matthew. "Threaten but Participate: Why Election Boycotts are a Bad Idea." *Brookings Institution*. no. 19 (2010).

Huntington, Samuel P. *Political Order in Changing Societies*. New Haven: Yale University Press, 1968.

Keck, Margaret E. & Kathryn Sikkink. *Activists beyond Borders: Advocacy Networks in International Politics*. New York: Cornell University Press, 1998.

Levitsky, Steven & Lucan Way. *Competitive Authoritarianism: Hybrid Regimes after the Cold War*. Cambridge: Cambridge University Press, 2010.

Lust-Okar, Ellen. "The Management of Opposition: Formal Structures of Contestation and Informal Political Manipulation in Jordan." *Comparative Politics*. vol. 36, no. 3 (2004).

Magaloni, Beatriz. *Voting for Autocracy: Hegemonic Party Survival and its Demise in Mexico*. Cambridge: Cambridge University Press, 2006.

Masoud, Tarek. "Explaining Election Boycotts in the Arab World." *Journal of Democracy*. vol. 32, no. 1 (2021).

O'Donnell, Guillermo. *Transitions from Authoritarian Rule: Reflections on Latin America and Europe*. Notre Dame: University of Notre Dame Press, 1991.

Probst, Michael. *Modern Authoritarianism: How Regimes Maintain Control in a Changing World*. New Haven: Yale University Press, 2007.

Schedler, Andreas. "The Menu of Manipulation." *Journal of Democracy*. vol. 13, no. 2 (2002).

_______. "The Logic of Electoral Authoritarianism." *Electoral Authoritarianism: The Dynamics of Unfree Competition*. vol. 1, no. 6 (2006).

Stinchcombe, Arthur L. *Constructing Social Theories*. Chicago: University of Chicago Press, 1968.

Taylor, Brian. *Politics and the Russian Army: Civil-Military Relations, 1689-2000*. Cambridge: Cambridge University Press, 2003.

Wegner, Eva *Islamist Opposition in Authoritarian Regimes: The Party of Justice and Development in Morocco*. USA: Syracuse University Press, 2011.

المعرف الرقمي DOI
https://doi.org/10.31430/TMQY5437

إبراهيم شليم | Brahim Chlaih*

"الانتخابات التشريعية والرئاسية في تونس عام 2019: الحقل السياسي والسلوك الانتخابي وحراك النخب"

Legislative and Presidential Elections in Tunisia 2019: Politics, Electoral Behaviors and Elite Activism

عنوان الكتاب في لغته: الانتخابات التشريعية والرئاسية في تونس عام 2019: الحقل السياسي والسلوك الانتخابي وحراك النخب.

المؤلف: مجموعة مؤلفين.

المحرر: مهدي مبروك.

الناشر: الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

سنة النشر: 2022.

عدد الصفحات: 624 صفحة.

* أستاذ القانون العام والعلوم السياسية، جامعة محمد الخامس، الرباط، المغرب.
Professor of Public Law and Political Science, Mohammed V University, Rabat, Morocco.
Email: chlaih.brahim@gmail.com

مقدمة

شهدت معظم الأقطار العربية، منذ حصولها على الاستقلال، أشكالًا متباينة من الانتخابات ظلّت في أغلبها مجرد وسيلة لإضفاء شرعية شكلية على النظم الحاكمة[1]، أو لتحسين صورتها أمام المجتمع الدولي، حتى بات الوضع مرادفًا لكثير من الانتخابات وقليل من الديمقراطية، خصوصًا في أعقاب سقوط الاتحاد السوفياتي، حيث أصبحت الانتخابات التعددية بمنزلة المعيار "الأخلاقي" الذي يجب أن يلتزم به أيّ نظام حكم ليُقبَل به دوليًا في زمن القطبية الأحادية الأميركية؛ فتكاثر في هذا السياق ما سمّي الأنظمة الهجينة[2] التي تلبس لباس الديمقراطية الشكلي المتمثل في التعددية الحزبية والانتخابات من دون أن تتبنى روحها، وهو الأمر الذي انخرطت فيه العديد من الدول العربية، وخاصة في تسعينيات القرن الماضي، إلى درجة أصبح بعضها، كمصر والمغرب، يقدِّم أمثلةً على الأنظمة الهجينة في العالم. وبغضّ النظر عن هذا الأمر، يمكن تصنيف الدولة العربية، سواء أكانت ملكية أم جمهورية، من حيث واقعها الانتخابي إلى ثلاثة نماذج أساسية عند الوقوف على دور العمليات الانتخابية في رسم معالم سياستَيها الداخلية والخارجية[3].

أولًا، الدول التي لم تكن تعترف أصلًا بمشروعية الانتخابات، أو ظلت فيها الانتخابات حدثًا استثنائيًا سياقيًا، والتي رفضت فيها الأنظمة الحاكمة تاريخيًا الأحزاب السياسية والتعددية السياسية، وبقي فيها نظام الولاء والبيعة عوضًا عن الاقتراع، والرعية بدلًا من المواطنة، ووليّ الأمر مقابل العقد الاجتماعي، المحدد المركزي للديناميات السياسية. ثانيًا، الدول التي أُجريت فيها انتخابات دورية غير حرة مطلقًا، أو ما زالت تجري فيها، ويقتصر دورها على إنتاج مجالس محلية وتشريعية شكلية، كالتي دأبت على إجرائها جمهوريات الحزب الواحد أو التعددية الصورية البعثية في سورية مثلًا. هذه الانتخابات والمجالس المنبثقة منها لا تقرر سياسات عامة فضلًا عن أن تصنعها، وليس لها أثر في تجديد الطبقة السياسية الحاكمة وإعادة إنتاجها. ثالثًا، الدول التي اضطلعت فيها الانتخابات بدور نسبي أو محوري في تحديد السياسات العامة وفي إنتاج تداول على السلطة أو تقاسمها (وإن في نطاق زمني محدود من تاريخها السياسي المعاصر)، أو على الأقل المشاركة فيها، حيث تتشكل المجالس والحكومات بناء على توافقات وتفاهمات القوى الفائزة عن طريق صناديق الاقتراع[4]. وقد بقي هذا النوع الأخير من الانتخابات محصورًا أساسًا في تونس في أعقاب "الربيع العربي" الذي انطلقت شرارته منها في أواخر عام 2010.

تبيّن في السنوات التي تلت أحداث الربيع العربي في تونس أن الانتخابات في المنطقة بقدر ما هي عملية سياسية ودستورية يمكنها أن تُفضي إلى الانتقال إلى الديمقراطية، على الرغم من عسر المسار، فإنها يمكن أن تثير المزيد من الصراعات السياسية والاجتماعية[5]، وقد تكون وسيلة لوصول سياسيين بأجندة غير ديمقراطية إلى الحكم، كما بدا عليه الحال في تونس عقب انتخاب الرئيس التونسي قيس سعيّد عام 2019. ومن شأن ذلك أن يطرح تساؤلات من قبيل: ما وظيفة الانتخابات وغايتها في سياق الانتقال الديمقراطي؟ وهل الانتخابات الحرة والنزيهة عامل مؤسّس للعملية الديمقراطية، أم أنها عامل مساعد على تدعيم الديمقراطية وترسيخها؟ وإذا كان الأمر كذلك، لماذا يمكن أن تتحول الانتخابات الديمقراطية شكلًا ومضمونًا إلى مدخل للتراجع الديمقراطي، أو حتى للرجعة السلطوية Authoritarian Backsliding؟ وكيف؟

تجد هذه التساؤلات وغيرها إجاباتها في كتاب **الانتخابات التشريعية والرئاسية في تونس عام 2019: الحقل السياسي والسلوك الانتخابي وحراك النخب**، موضوع هذه المراجعة، الصادر عن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات عام 2022، ضمن سلسلة دراسات التحول الديمقراطي، وهو من تأليف مجموعة مؤلفين، وتحرير مهدي مبروك. يتمحور حول الانتخابات التشريعية (تشرين الأول/ أكتوبر 2019) والرئاسية (أيلول/ سبتمبر 2019) التي شهدتها تونس[6] في تلك الفترة، وما حمله سياقها ونتائجها من تأثير عميق في المشهد السياسي التونسي، وكذا ما أعقبها من توجهات وُصفت بالسلطوية لرئيس الجمهورية قيس سعيّد. نقدّم هنا، إذًا، مراجعة لهذا المؤلَّف القيّم المكون من عشرة فصول ومقدمة، وما يعرضه من أفكار وأطروحات أساسية بغية إثارة انتباه القارئ لأهمية فهم السياق الذي أحاط بتلك الانتخابات وظروفها وتحليل نتائجها والعوامل الكامنة وراءها، ثم نقف على آثارها في المسار الديمقراطي التونسي.

---

1 عن الدور الذي تؤديه الانتخابات في الأنظمة الديمقراطية، ينظر المقالة المترجمة في هذا العدد بعنوان "الانتخابات في ظل الاستبداد" لجينيفر غاندي وإلين لوتر-أوكار، ترجمة حسن أحجيج.

2 Larry Diamond, "Elections without Democracy: Thinking about Hybrid Regimes," *Journal of Democracy*, vol. 13, no. 2 (2002), pp. 21-35.

3 كرم خميس، "مقدمة المحرر"، في: طالب عوض [وآخرون]، **الديمقراطية والانتخابات في العالم العربي**، أعمال المؤتمر الدولي حول الديمقراطية والانتخابات في العالم العربي، كرم خميس (محرر)، تقديم علاء شلبي (القاهرة: المنظمة العربية لحقوق الإنسان، 2014)، ص 9.

4 عريب الرنتاوي، "الانتخابات والتحول الديمقراطي في العالم العربي: خطوة للأمام.. خطوتان إلى الوراء"، **الحرة**، 2020/9/27، شوهد في 2024/3/21، في: https://bit.ly/4fVyKxL

5 **الديمقراطية والانتخابات في العالم العربي**، ص 7.

6 عرفت تونس منذ استقلالها حتى عام 2023، ست عشرة عملية انتخابية لمجالس تشريعية أو تأسيسية. وعلى الرغم من أن هذه المحطات الانتخابية جرت في سياقات تاريخية مختلفة وتوجهات متغيرة للنخب، ولم تكن في أغلبها انتخابات تحترم المعايير الديمقراطية، فإنها أسهمت في خلق تراكم كمّي ونوعي للتجربة الانتخابية في تونس، مؤسساتيًا ومجتمعيًا، على امتداد أزيد من ستة عقود من الحياة السياسية للدولة التونسية.

أولًا: الانتخابات التونسية لعام 2019: طبيعتها وسياقها ونتائجها

تتحقق الأهداف الموضوعية للانتخابات الديمقراطية عن طريق مجموعة من الشروط والمعايير المؤسساتية والمعيارية. وقد ميّز علماء السياسة بين وظيفة العملية الانتخابية في الأنظمة الديمقراطية، أو التي هي في مرحلة البناء الديمقراطي، حيث يجعل أنتوني غيدنز مثلًا من العملية الانتخابية أحد أهم روافد الديمقراطية، شرط توافر المنافسة السياسية بين الأحزاب على مراكز السلطة، وانتظامها ونزاهتها[7]. ويذهب صمويل هنتنغتون في الاتجاه نفسه بالقول إن النظام السياسي الديمقراطي يقوم على انتخابات شفافة ونزيهة تضمن التداول السلمي للسلطة، وهي جوهر صناعة القرار السياسي[8]. وفي هذا الصدد، وقفت فصول عديدة في هذا الكتاب على معالم الإطار المؤسساتي والقانوني، وكذا السياق السياسي والمجتمعي، التي أُجريت وفقه وفي ظله الانتخابات التشريعية والرئاسية التونسية عام 2019، وهو ما يسمح بالحكم على مدى استيفائها للشروط الموضوعية التي تتطلبها انتخابات ديمقراطية، وتقديم تفسيرات لنتائجها والآثار المترتبة عليها[9].

تطرقت الفصول الثلاثة الأولى والفصلان السادس والعاشر من الكتاب إلى الهندسة الانتخابية التونسية وانعكاساتها على المجال السياسي، قبل الاستحقاقات الانتخابية المذكورة وبعدها. ينطلق محمد شفيق صرصار في الفصل الأول، بعنوان "الإطار القانوني للانتخابات: الخصائص والتداعيات" (ص 33-82)، من القول إن القانون الانتخابي يجب أن يعكس من الناحية المبدئية خيارات سياسية تتعلق بحق الاقتراع، وطبيعة التمثيل النيابي، والعدالة الانتخابية، والبحث عن الاستقرار السياسي (ص 36)، ويقف على التداعيات السياسية لإصلاح المنظومة الانتخابية على المشهدين المؤسساتي والحزبي، تماشيًا مع المبادئ الدستورية والمعايير الدولية. ومن هذا المنطلق، يكشف عن بعض الخصائص العامة للإطار القانوني للانتخابات في تونس، والمتمثلة في غياب مجلة جامعة للنصوص القانونية (ص 39)، ويستقرئ الولاية العامة للهيئة العليا المستقلة للانتخابات في الإدارة الانتخابية، من خلال أدوارها المهمة انطلاقًا من الاقتراع إلى إعلان النتائج، مرورًا بدورها في ضمانة العدالة الانتخابية (ص 43-45).

إن الإطار القانوني الانتخابي التونسي لعام 2014، والمعدل عامي 2017 و2019، على التوالي، والذي جرت وفقه الانتخابات التشريعية والرئاسية عام 2019، يوفر إجمالًا أساسًا مناسبًا لإجراء انتخابات ديمقراطية وفقًا للمعايير الدولية والممارسات الدولية الفضلى. وعلى الرغم من ذلك، فإنه لم يخلُ من مواطن ضعف عديدة في صياغته، من بينها مثلًا عدم دقة مفهومَي الإشهار السياسي والدعاية الانتخابية، وغياب إطار قانوني لاستطلاعات الرأي، ومحدودية تأطير تطبيق سلطة إلغاء النتائج من جانب الهيئة العليا المستقلة للانتخابات. وإذا كانت الهيئة وهياكلها الفرعية المتمثلة في الهيئات الفرعية المستقلة قامت بواجباتها في إدارة العملية الانتخابية بأكملها بنجاعة وفاعلية، وأشرفت على الجوانب العملية للانتخابات بطريقة مهنية، على الرغم من الفترة الزمنية القصيرة التي مُنحت لها لإجراء الانتخابات[10]، فإن ذلك لم يمنع من تسجيل قصورها، بل فشلها في إبلاغ عامة المواطنين والأطراف المعنية في الانتخابات بتفاصيل القرارات التي اتخذتها والتعليل الذي اعتمدته، ولم تنشر محاضر مداولاتها الداخلية في الوقت المناسب، وأدلت للعموم في بعض الأحيان بتصريحات متضاربة، الأمر الذي قلّص من ثقة الشعب بالعملية الانتخابية. وقد كان من الممكن العمل على تحسين بعض جوانب الإطار القانوني، من خلال وضع أطر زمنية مناسبة لمختلف مراحل العملية الانتخابية، ومراجعة النصوص القانونية المتعلقة بالحملة الانتخابية، إضافة إلى توضيح أحكام القانون الانتخابي التي تمنح الهيئة العليا المستقلة للانتخابات سلطة تغيير النتائج الأولية بناءً على الانتهاكات المبلّغ عنها، ومراجعة تقسيم الدوائر الانتخابية، واعتماد تزكيات الناخبين في عملية تسجيل المرشحين للانتخابات الرئاسية[11].

يناقش محمد الإمام في الفصل الثاني، بعنوان "المناخات الانتخابية: المظاهر والخفايا والديناميات" (ص 83-130)، المناخات والظروف المحيطة بالانتخابات التونسية لعام 2019، والديناميات المصاحبة

7 Anthony Giddens, *Runaway World: How Globalization is Reshaping our Lives* (London: Routledge, 2002), p. 45.

8 Samuel Huntington, *The Third Wave: Democratization in the Late Twentieth Century* (Norman: University of Oklahoma Press, 1991), p. 7.

9 لتحقيق هذا الهدف، جرى توظيف أدوات منهجية مختلفة، منها: تحليل النصوص القانونية المؤطرة للانتخابات، وأدوات التحليل الكمي الوصفي Descriptive Statistics، وأدوات منهجية كيفية من العلوم الاجتماعية، إضافة إلى التحليل الخرائطي المعتمد في الجغرافيا الانتخابية.

10 نذكر هنا أن الهيئة العليا المستقلة للانتخابات قامت بحملة موسعة (يمكن وصفها بالناجحة) لتسجيل الناخبين في الفترة التي سبقت انتخابات عام 2019، وكانت حصيلتها تسجيل 1455898 ناخبًا جديدًا، ليصل العدد الإجمالي للناخبين المسجلين إلى 7081307 ناخبين؛ 51.1 في المئة من الرجال، و48.9 من النساء. ينظر الموقع الإلكتروني للهيئة، في: "2019 Presidential and Parliamentary Elections in Tunisia," The Carter Center, 2019, accessed on 27/3/2024, at: https://tinyurl.com/2zyprzx4

11 فشلت الهيئة العليا المستقلة للانتخابات في إعلام العموم بأسباب إقصاء بعض المرشحين من التسجيل للانتخابات الرئاسية، الأمر الذي أثّر سلبيًا في شفافية العملية الانتخابية. فقد تقدّم 97 مرشحًا، قُبل 26 منهم، ورُفض الـ 71 الآخرون، ولم تقدّم الهيئة تبريرات مفصلة تفسر أسباب رفضهم، ما أدى إلى اعتبار البعض أن قرارات الرفض كنت لاعتبارات غير التطبيق الصارم للقانون وفتح الباب لمساءلة الطريقة التي أجريت بها الانتخابات.

للمواعيد الانتخابية واستراتيجيات الفاعلين وفق مقتضيات السياقات الوطنية والدولية المتغيرة (2011-2019)، فيستهلها بالحديث عن أهمية الاستحقاقات الانتخابية الدورية الشفافة والنزيهة في تعزيز تماسك الديمقراطية واستقرارها، وفي اعتبار أن مفاوضات الفاعلين السياسيين، في صراعهم من أجل السلطة، تبقى جوهر العمل السياسي في السياق الديمقراطي. وانطلاقًا من هذا، يحلل المشهد السياسي التونسي منذ عام 2011، من خلال وقوفه على ما سماه "النخبة السياسية الناشطة" (ص 87-98)، والدور الذي أدته سياسة التوافق في تواصل المرحلة الانتقالية على الرغم من تشظي القوى السياسية، لافتًا الانتباه إلى المستجد المتمثل في الحضور القوي في الانتخابات للعرض السياسي الشعبوي الذي يقدّم نفسه على أنه المتحدث باسم الشعب وهمومه، والذي يقوم أساسًا على التجريح في النخب السياسية "التقليدية" المتوافقة التي هيمنت على المشهد السياسي التونسي منذ عام 2011. ومن هذا التشخيص، يخلص إمام إلى أن الحالة التونسية، على الرغم من أنها تواجه وضعًا مضطربًا لا محالة، تبقى حالة عادية في سياق تحول ديمقراطي.

في مقابل ذلك، يعكس تحليل نسب المشاركة في الانتخابات ونتائجها حدوث تغيرات، سواء على مستوى التيارات السياسية المتصدرة للمشهد أو على صعيد محددات التصويت والسلوك الانتخابي لدى التونسيين، تتحكم فيها عوامل عدة وظروف خاصة وعامة، ذاتية وموضوعية، نفسية واجتماعية وتاريخية. ويبيّن ناجي العرقوبي في الفصل الثالث، بعنوان "قراءة في نتائج الانتخابات التشريعية التونسية في عام 2019: إعادة تشكّل المجال السياسي" (ص 131-184)، أن الانتخابات التشريعية عام 2019 سجلت نسبة مشاركة لا تتعدى 42.8 في المئة؛ أي انخفضت بـ 26 نقطة مئوية مقارنة بالانتخابات التشريعية لعام 2014. وانخفضت نسبة المشاركة في الدور الأول من الانتخابات الرئاسية بـ 7 نقاط مئوية عن تلك المسجلة في الانتخابات الرئاسية التي سبقتها، مع تسجيل ارتفاع في نسبة إقبال الناخبين في دورة الإعادة لتبلغ 56.3 في المئة والتي جرى فيها الاختيار بين المرشحَين قيس سعيّد ونبيل القروي.

يمكن اعتبار اختيار الناخبين التونسيين لسعيّد لمنصب رئيس الجمهورية في دورة الإعادة، تعبيرًا عن عدم رضاهم عن النخب السياسية وفشلها في تحقيق أهداف الثورة وتطلعات المواطنين منذ انتخابات عام 2014، حيث حقق فوزًا ساحقًا على منافسه القروي بنسبة تصويت قياسية بلغت 72.71 في المئة مقابل 27.29 في المئة للقروي. فوفق النتائج الرسمية التي أعلنتها الهيئة العليا المستقلة للانتخابات، بلغ عدد المصوتين لسعيّد مليونين و777 ألفًا من أصل سبعة ملايين ونصف مليون ناخب مسجل، وهو رقم تجاوز عدد المصوتين للرئيس الراحل الباجي قايد السبسي في عام 2014، والذي بلغ مليونين و700 ألف صوت[12].

أما نتائج الانتخابات التشريعية فأفرزت برلمانًا مشتتًا، حيث تشكّل مجلس نواب الشعب الذي تولّى مهماته في 13 تشرين الثاني/ نوفمبر 2019، من ممثلين عن ستة عشر حزبًا سياسيًا من بينها سبعة أحزاب جديدة، وأربعة ائتلافات، وإحدى عشرة قائمة مستقلة. ولم يفُز أيٌّ منها بعدد كافٍ من المقاعد لتشكيل حكومة بمفرده. فالتشكيلة الجديدة للمجلس أظهرت كيف أن العديد من الأحزاب السياسية التي تفوقت في انتخابات عام 2014 فقدت أغلبية مقاعدها وفشل البعض الآخر في الفوز بأيّ مقاعد. فمثلًا، اختفى تقريبًا من المشهد السياسي حزب نداء تونس للرئيس الراحل قايد السبسي. وقد وصف هذا الوضع منير الكشو في الفصل الخامس، بعنوان "الأحزاب السياسية وتحولات الخريطة السياسية خلال انتخابات عام 2019" (ص 235-288)، بالمشهد البرلماني المركّب والمعقّد، والذي احتلت فيه أحزاب حديثة النشأة موقعًا مهمًا، مقابل تراجع تمثيلية أحزاب اليسار البعثي، عازيًا هذا إلى دور القانون الانتخابي القائم على التمثيل النسبي والاحتفاظ بأكبر البقايا، مع انعدام العتبة الانتخابية، والتشظي الحزبي، والتعددية المفرطة، وهي أمور تسببت في تضليل الناخب التونسي والتأثير في اختياراته.

ووفقًا لمحمد الإمام، كما بيّن في الفصل الثاني، يبدو أن محددات التصويت في الانتخابات التونسية تتسم بعدم استقرارها، على اعتبار أنها تكاد تكون مختلفة تمامًا في كل استحقاق من الاستحقاقات الانتخابية الثلاثة التي عرفتها تونس في الفترة 2011-2019. ويفسّر هذا التحول بتغيّر أولويات التونسيين من البحث عن النخب التي تساعد أولًا في إرساء النظام الديمقراطي والقطيعة مع الاستبداد ومحاسبة النظام السابق والعدل والمساواة، إلى البحث عن النخب ذات الصدقية والنزاهة والجدّية والقدرة على إدارة الدولة وتحسين الأوضاع الاقتصادية والتنموية وضمان الأمن والاستقرار في البلاد (ص 83-130). وهنا يبرز الدور الذي أدته وسائل الإعلام في التأثير في التفضيلات الانتخابية للتونسيين، والولاءات القبلية والجغرافية، ودور المال السياسي في تحديد سلوك الناخب.

حظي فهم نتائج انتخابات 2019 باهتمام أمين بن مسعود في الفصل السادس، بعنوان "ما بين مقتضيات الوظيفة وانحرافات التوظيف: أيّ أعلمة للانتخابات التشريعية والرئاسية؟" (ص 289-374)، فركّز على تحليل الخطاب الإعلامي ودراسته وتأثير وسائل الإعلام المطبوع

---

12 ينظر الصفحة الرسمية للهيئة على فيسبوك، شوهد في 2024/3/21، في: https://bit.ly/3AN5k4K

والإلكتروني والسمعي والمرئي في مسار الانتخابات. فمما لا شك فيه، بحسب بن مسعود، أن وسائل الإعلام التونسية اضطلعت بدور مهم في الحملة الانتخابية. ففي سابقة هي الأولى من نوعها، اشتملت الحملة الانتخابية الرئاسية التونسية على مناظرات تلفزيونية بُثت مباشرة على الهواء، فجرى تنظيم ثلاثٍ على مدى ثلاثة أيام متتالية. فمثلًا، نظمت شبكة **التلفزة الوطنية التونسية** (المملوكة للدولة) مناظرة بين سعيّد والقروي في 11 تشرين الأول/ أكتوبر 2019، تناولت أربعة محاور للنقاش تهمّ الأمن والدفاع، والسياسة الخارجية، والشأن العام، وصلاحيات رئيس الجمهورية في علاقته بالبرلمان ورئيس الحكومة. وتجدر الإشارة هنا إلى أن الإعلام الحر والتعددي وضمان ولوج جميع المرشحين المتكافئ للإعلام السمعي البصري العمومي، هما من ضمن العناصر الأساسية في الأنظمة الديمقراطية؛ فالإعلام إجمالًا إما داعم للمسار الديمقراطي وإما معوق له[13].

في مقابل ذلك، يعتبر بن مسعود أن غياب المساءلة بشأن تمويل الحملات على وسائل التواصل الاجتماعي قد عكّر صفو العملية الانتخابية، وأن عدم وضوح النص القانوني فيما يتعلق باستخدام وسائل التواصل باعتبارها إحدى آليات الحملة، وغياب تعريف للقواعد القانونية التي تضمن تكافؤ الفرص لجميع المرشحين، أثّرا سلبيًا في الحملة الانتخابية. فالدعاية التي اعتمدت الفضاء السيبراني، وتحديدًا صفحات فيسبوك التي تضمنت عددًا من الشعارات ومقاطع الفيديو التي يسعى بعضها لعكس صورة سلبية عن المرشحين، بهدف التقليل من إقبال الناخبين على التصويت في الاستحقاق الانتخابي التشريعي، جعلت الهيئة العليا المستقلة للانتخابات تُصدر بلاغًا في 5 كانون الأول/ ديسمبر 2022 توضح فيه للناخبين ولوسائل الإعلام أن أغلب مقاطع الفيديو والصور التي جرى تداولها على مواقع التواصل الاجتماعي والمواقع الالكترونية لا تتعلق بمرشحين لانتخابات أعضاء مجلس الشعب وتأتي في سياق حملة ممنهجة لتشويه العملية الانتخابية.

وعكست نتائج الانتخابات أيضًا مستوى الرهانات التي ما زال يواجهها حضور المرأة التونسية ومشاركتها السياسية، وفق مبدأ المناصفة في التمثيلية الانتخابية. ومن هنا تنطلق أسماء نويرة في الفصل الرابع، بعنوان "المرأة والانتخابات: الانتخابات التونسية عام 2019 من منظور النوع الاجتماعي" (ص 185-234)، موظِّفةً منظور النوع الاجتماعي، من مسلّمتين؛ الأولى ضعف السلطة السياسية الحقيقية للنساء، مقابل التمثيلية العالية التي تتيحها لهن الأنظمة الديمقراطية، والثانية انخفاض مستوى تمثيل المرأة في بدايات تجارب الانتقال الديمقراطي. وتلقي نويرة الضوء على المشاركة السياسية للمرأة، باعتبارها مقياسًا لترسيخ الديمقراطية نظريًا، وما يمثّله غياب تمثيلها المتساوي مع الرجل في عملية صناعة القرارات السياسية والعامة من تهديد لشرعية الديمقراطيات، وانتهاك للحق الأساسي في المساواة بينهما، على الرغم من التنصيص الدستوري على أن الدولة تسعى لتحقيق التناصف بين المرأة والرجل في المجالس المنتخبة. وتخلص إلى أن التجربة الانتخابية التونسية لم تنصف المرأة، وأن متغير الجندر لم يكن حاسمًا في الانتخابات منذ عام 2011، على الرغم من الشرعية السياسية الكاملة للنساء بحكم مشاركتهن في الثورة، وترسيخ مسار الانتقال الديمقراطي. فمثلًا، لم يكن هنالك سوى سيدتين من أصل ستة وعشرين مرشحًا في القائمة النهائية للمرشحين للانتخابات الرئاسية عام 2019.

ولا شك في أن إجراء انتخابات حرة ونزيهة يتأثر بعدد من العوامل، منها النظام السياسي السائد، والبنى الاجتماعية، ومدى التمتع بالحقوق الأساسية، وتجذّر الحريات العامة وممارستها في البلد، فضلًا عن مدى سيادة القانون، والفصل بين السلطات، ووجود رأي عام ومؤسسة قضائية مستقلة وإعلام حر ومجتمع مدني رقابي في مجال الانتخابات يساهم في مراقبة سلامة العملية الانتخابية، ويقيم شروط التنافس النزيه بين المرشحين، وينشر ثقافة المواطنة ويوعّي بها، وغيرها من مقومات النظام الديمقراطي التي تناولها عبد السلام الككلي في الفصل التاسع، بعنوان "المنظمات الوطنية والمجتمع المدني والاتحاد العام التونسي للشغل والانتخابات (ص 519-574). وعلى هذا المستوى، عكست الانتخابات الرئاسية والتشريعية عام 2019 (على الأقل حينها) تأكيدًا لديمقراطية النظام في تونس، وكونها حقًّا استثناءً عربيًا، وذلك من خلال ثاني انتقال سلمي وسلس للسلطة من رئيس منتخب ديمقراطيًا إلى الذي يليه (بعد الذي عرفته البلاد عام 2014 عقب فوز قايد السبسي في الانتخابات الرئاسية على الرئيس السابق له المنصف المرزوقي)، ومن برلمان هو أيضًا منتخب ديمقراطيًا إلى البرلمان الذي عقبه في إطار التحول الديمقراطي الذي عرفته تونس منذ عام 2011.

13 حميدة البور، "الإعلام والانتخابات: قراءة في الدور والأداء"، في: حافظ عبد الرحيم [وآخرون]، **التعبئة الانتخابية في تونس: دراسة حالة الانتخابات التشريعية 2014**، تقديم مهدي مبروك وعبد الوهاب بن حفيظ (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2016)، ص 333.

ثانيًا: الانتخابات التونسية لعام 2019: أيّ آثار في المسار الديمقراطي؟

على الرغم من الهزات والتحديات الذي واجهها التحول الديمقراطي التونسي منذ عام 2011، الذي لم يكن بتاتًا مسارًا خطيًّا مضمون المخرجات في كثير من محطاته التي عرفت مناكفات سياسية حادة، ولكن بقيت غالبيتها تجد طريقها إلى الحل، ولو مؤقتًا، عبر الوصول إلى توافقات سياسية، إضافة إلى تعثّر عدد من الإصلاحات الأساسية على المستويين الاقتصادي والاجتماعي، والتي ظلت البلاد في انتظارها منذ انتخابات عام 2014، ومستوى الإحباط الذي خلّفه هذا الوضع لدى نسبة كبيرة من المواطنين التونسيين، فإنه بدا أول وهلة أن التونسيين برهنوا في انتخابات عام 2019 على التزامهم بإنجاح تجربتهم الديمقراطية من خلال التوجه إلى مراكز الاقتراع في ثلاث عمليات انتخابية (الدور الأول من الانتخابات الرئاسية في 15 أيلول/ سبتمبر، والانتخابات التشريعية في 6 تشرين الأول/ أكتوبر، ثم الدور الثاني من الانتخابات الرئاسية في 13 تشرين الأول/ أكتوبر) على امتداد فترة تقلّ عن شهر، ولو بنسب أقل مما سبق، وتمخّض عنها انتقال جديد سلمي للسلطة. لكن هل كان للسياق المشحون السابق على الانتخابات والذي عززته الفترة الانتخابية ونتائجها المتسمة بالتشتت ليمرّ من دون آثار أعمق تتجاوز إعادة تشكيل المشهد السياسي، لتمسّ المسار الديمقراطي برمّته؟

بدأت بوادر أزمة سياسية تلوح مع تشكيل الحكومة الجديدة فور صدور نتائج الانتخابات التشريعية لعام 2019، والتي تحولت بسرعة إلى عملية مضنية تتخللها مسارات ملتوية بتعبير طارق الكحلاوي في الفصل العاشر، بعنوان "انتخابات عام 2019 وتشكيل الحكومة: تعقيدات المسار وغموض المآلات" (ص 575-608)، الذي تتبّع فيه مسار التفاوض الذي خاضته الأطراف السياسية وآلياته، واستراتيجيات التموقع الحزبي، وكيفية تشكّل التحالفات وفشلها خلال كامل المسار الذي مرّ به تكوين الحكومة، ويبيّن كيف تحوّل الرئيس سعيّد، في هذا السياق، إلى الزعيم الفعلي للنخبة السياسية التي فرض نفسه عليها، وهو القادم من خارج النخب والأحزاب السياسية التقليدية التونسية التي هيمنت على المشهد منذ عام 2011. ففي فترة قصيرة من تولّيه رئاسة البلاد، استطاع تطوير خطاب شعبوي ذي نزعات تسلطية تجلّى في احتكار تأويل الدستور، ورفض المبادرة التشريعية من طرف البرلمان لحل أزمة انتخاب أعضاء المحكمة الدستورية المعطّل عملها، وحرصه المستمر على افتكاك صلاحيات رئيس الحكومة.

ونتج من هذا الأمر هوية سياسية غير واضحة المعالم أو غير دقيقة للحكومة[14]، خصوصًا عندما يتعلق الأمر بالحسم في السياسات الاقتصادية والاجتماعية التي يتعين تنفيذها، وذلك نتيجة التركيز على التموقع والتوازنات في الحقائب الوزارية عوضًا عن البرامج الحكومية الواضحة؛ ما زاد من مستويات السخط الشعبي وانعدام الثقة بالفاعلين السياسيين، نتيجة انتشار الإحساس بأن الحكومات تتجاهل إشكاليات الفقر والبطالة وغلاء المعيشة ونقص الأدوية وتفشّي ظاهرة الهجرة غير النظامية وغيرها من المشاكل الاقتصادية والاجتماعية التي استفحلت في المجتمع التونسي منذ بدء مرحلة التحول الديمقراطي عام 2011. وقد هيّأت هذه الظروف لرئيس منتخب ديمقراطيًا وبالأغلبية لتجميع كل السلطات بين يديه من خلال مجموعة من القرارات التي بدأ الإعلان عنها يوم 25 تموز/ يوليو 2021[15]، والتدابير الاستثنائية التي اتخذها يوم 13 كانون الأول/ ديسمبر 2021[16]، وهي الإجراءات التي اعتبرها كثيرون انقلابًا دستوريًا على المسار الديمقراطي التونسي أو عودة إلى السلطوية.

وفي سياق تثبيت سلطته، سعى إلى التحكم في مخرجات العملية الانتخابية وتحديد الأطراف السياسية المسموح لها بالمشاركة فيها من خلال تعديل القانون الانتخابي. فأصدر في 15 أيلول/ سبتمبر 2022 مرسومًا بقانون[17]، وأقرّه قبل شهرين من الانتخابات التشريعية دورتي 17 كانون الأول/ ديسمبر 2022 و29 كانون الثاني/ يناير 2023، قُدّم على أنه يدخل في إطار تنفيذ مسار 25 جويلية (تموز/ يوليو) 2021 "الإصلاحي"، أجريت من خلاله تغييرات جذرية على تقسيم الدوائر الانتخابية وطريقة الاقتراع، وخفض عدد أعضاء مجلس

---

14 يقصد هنا حكومة مرشح حزب النهضة، الحبيب الجملي.

15 "بلاغ حول قرارات رئيس الجمهورية عملًا بالفصل 80 من الدستور"، رئاسة الجمهورية التونسية، 2021/7/25، شوهد في 2024/3/21، في: https://bit.ly/3yToLZc؛ ينظر أيضًا: "بلاغ: رئيس الجمهورية يصدر أمرًا رئاسيًا يقرر من خلاله إعفاء رئيس الحكومة ووزير الدفاع الوطني ووزيرة العدل بالنيابة"، رئاسة الجمهورية التونسية، 2021/7/26، شوهد في 2024/3/21، في: https://bit.ly/3X46ccX؛ ينظر: "رئيس الجمهورية يترأس اجتماعًا طارئًا للقيادات العسكرية والأمنية"، رئاسة الجمهورية التونسية، 2021/7/25، شوهد في 2024/3/21، في: https://bit.ly/47i9Ftf

16 رئاسة الجمهورية التونسية، "أمر رئاسي عدد 117 لسنة 2021 مؤرخ في 22 سبتمبر 2021 يتعلق بتدابير استثنائية"، **الرائد الرسمي للجمهورية التونسية**، العدد 86، 2021/9/22، ص 2282-2284، شوهد في 2024/3/21، في: https://bit.ly/4cGnfaN

17 رئاسة الجمهورية التونسية، "مرسوم عدد 55 لسنة 2022 مؤرخ في 15 سبتمبر 2022 يتعلق بتنقيح القانون الأساسي عدد 16 لسنة 2014 المؤرخ في 26 ماي 2014 المتعلق بالانتخابات والاستفتاء وإتمامه"، **الرائد الرسمي للجمهورية التونسية**، العدد 102، 2022/9/15، ص 2930، شوهد في 2024/3/21، في: https://bit.ly/4fWRDk3

النواب، والحدّ من تأثير الأحزاب السياسية[18]. ونص على ضرورة ألّا يكشف المرشحون عن انتماءاتهم السياسية، الأمر الذي أدى إلى غياب كامل لمشاركة الأحزاب ومقاطعتها لهذه الاستحقاقات، احتجاجًا على نظام الاقتراع على الأفراد. وألغى أيضًا أحكام التناصف الجندري الذي كان معمولًا به في القوانين الانتخابية السابقة، والذي عُدّ من أهم المكاسب التي تحصلت عليها المرأة التونسية بعد الثورة؛ ما صعّب على النساء الترشح لهذه الانتخابات[19]. وقلّص من خلال التنصيص على وجوب حصول المرشحين على 400 تزكية من الناخبين من الدائرة الانتخابية التابعين لها، عمليًا حظوظ النساء، إذ إنّ معظمهن لا يملكن شبكة علاقات تمكّنهن من تأمين العدد الكبير من التزكيات.

لقد أظهرت التجربة الانتخابية التشريعية والمحلية التي عرفتها تونس في الفترة 2022-2023، والتي سجلت مستويات مشاركة ضعيفة غير مسبوقة منذ عام 2011، أن النقاشات العامة وتدخّل مختلف الفاعلين السياسيين والاجتماعيين، ضرورةٌ حيوية لتجاوز إشكاليات السياق التونسي المتأزم. فالانتخابات التشريعية عام 2022[20]، أكدت التراجع الكبير في مؤشر الثقة الشعبية بإحدى أهم آليات منظومة الحكم الديمقراطي، ونعني هنا التمثيل الانتخابي. وشكّلت قدرة السلطة الجديدة في تونس على تمرير الانتخابات، على الرغم من المشاركة الهزيلة، المرآة العاكسة لحدّة التحديات التي تتعرض لها التجربة الديمقراطية التونسية في وجه زحف السلطوية، حيث لم تتمكن الأحزاب المعارضة من استقطاب الشارع، وأضحت تواجه قرارات الرئيس وحيدة من دون دعم شعبي واسع النطاق تعتمد عليه[21].

قد يكون تراجع ثقة الشعب التونسي بأطراف المعادلة السياسية "التقليديين" أحد العوامل المفسرة لخفوت صوت الممانعة الشعبية إزاء التوجه اللاديمقراطي الذي أخذه حكم الرئيس سعيّد منذ عام 2021، وكذا ضعف تأثير المجتمع المدني في الحياة الوطنية، على خلاف الفترة التي تلت عام 2011. فعلى الرغم من أن القرارات الاستثنائية للرئيس أفضت إلى نتائج سلبية على العملية الديمقراطية، فإن معارضيه لم يتمكنوا من تحريك "الشارع" التونسي، ولا أدّل على ذلك من أن عدد المشاركين في المظاهرات التي نظمتها تنسيقية "مواطنون ضد الانقلاب" لم يتجاوز بضعة آلاف، وإن كانت قيادات التنسيقية اتهمت السلطات بالتضييق على المواطنين للحد من أعداد المتظاهرين في العاصمة[22]. فمما لا شك فيه أن حماية الديمقراطية تقوم على وجود مؤسسات مجتمعية قوية متبنّية للمشروع الديمقراطي، وعلى رأسها الأحزاب السياسية، فمن دونها يصعب إنجاز أيّ تقدّم ديمقراطي، إضافة إلى عملية انتخابية حرة ونزيهة. هذان العنصران أقل ما يمكن القول عنهما إنهما أصبحا في تونس في وضع غير مثالي في أعقاب 25 تموز/ يوليو 2021. ولكن من المسؤول عمّا آلت إليه التجربة الديمقراطية التونسية التي كان يُضرب بها المثل حتى إعلان نتائج الانتخابات الرئاسية التونسية لعام 2019؟

يعتبر حافظ عبد الرحيم في الفصل السابع، بعنوان "التوافق والتحالف في الانتخابات: مشكلات المشهد السياسي خلال مسار الانتقال الديمقراطي" (ص 375-440)، أنه يمكن الحديث عن أربع جهات أساسية أجهزت على التجربة الديمقراطية التونسية، هي: وجود قوى معرقلة أو رافضة للانتقال الديمقراطي، كالاتحاد العام التونسي للشغل، ووسائل الإعلام المملوكة لرجال أعمال معارضين لهذا الانتقال، ومراكز قوى داخل البيروقراطية التونسية، إضافة إلى الدور الذي قام به العامل الخارجي. وأشار أيضًا إلى أربعة عوامل إضافية أسهمت في تعثّر التجربة الديمقراطية، هي: فشل مسار العدالة الانتقالية والمصالحة، والفشل في إرساء المحكمة الدستورية وأغلب الهيئات الدستورية، وفشل المجتمع المدني في القيام بدور إيجابي في الانتقال الديمقراطي، وأخيرًا صعود الخطاب الشعبوي، ليستنتج أنه من الصعب أن نحمّل الوضع الاقتصادي مسؤولية تعثّر التجربة الديمقراطية، من دون أن ننظر في الدور الذي قام به الصراع الداخلي.

---

18 جرت تعديلات عديدة على القانون الانتخابي التونسي رقم 16 لعام 2014، غيّرت من سير العملية الانتخابية لما أضافته من مستجدات إلى القانون، أبرزها:

أ. تقليص عدد نواب البرلمان من 217 إلى 161 نائبًا؛ 151 مقعدًا مخصصة للدوائر الانتخابية داخل تونس، و10 مقاعد مخصصة للدوائر الانتخابية في الخارج.

ب. التصويت على الأفراد وليس على القوائم، وإمكانية إجرائها في دورتين عند الاقتضاء، أي في حالة عجز أيّ من المرشحين عن الحصول على الأغلبية المطلقة تُعاد دورة ثانية تهمّ المرشحَين اللذين حصلا على أكثر الأصوات.

ج. اعتماد التمويل الذاتي والخاص للمرشحين في تمويل حملاتهم الانتخابية.

د. شرط إقامة المرشح في الدائرة الانتخابية المرشح عنها.

19 يذكر أن الانتخابات التشريعية لعام 2022 شهدت ترشح 1055 مرشحًا (من دون انتماء سياسي)، منهم 173 امرأة فقط (نسبة 16 في المئة).

20 ينظر: "قرار الهيئة العليا المستقلة للانتخابات عدد 6 لسنة 2023 مؤرخ في 25 فيفري 2023، يتعلق بالتصريح بالنتائج النهائية للدورة الثانية لانتخابات أعضاء مجلس نواب الشعب لسنة 2022"، الهيئة العليا المستقلة للانتخابات، 2023/2/25، شوهد في 2024/3/21، في: https://bit.ly/4e1mM45

21 يلاحظ هنا ضعف موقف الاتحاد العام التونسي للشغل وضبابيته مقارنة بدوره في الفترات السابقة، ورفض تنسيقية الأحزاب الديمقراطية الاجتماعية وجبهة الخلاص الوطني لنتائج الاستفتاء الدستوري، ومقاطعتهما الانتخابات التشريعية في دورتَي 17 كانون الأول/ ديسمبر 2022 و29 كانون الثاني/ يناير 2023؛ التي اعتبرت بمنزلة الاختبار المربك للنظام الدستوري الجديد الذي ينشده سعيّد، وأظهرت عدم قدرته على تكريس أسس التجربة الديمقراطية التي تبنّى مهمة إنقاذها والدفاع عنها.

22 ينظر: يامنة سالمي، "تونس.. 'مواطنون ضد الانقلاب' تتهم السلطات بتعطيل احتجاجات ضد سعيد"، **وكالة الأناضول**، 2021/11/13، شوهد في 2024/3/21، في: https://bit.ly/3WEeHv3

خاتمة: من انتخابات عام 2019 إلى انتخابات عام 2024، ماذا بعد؟

يبدو الأمر اليوم في تونس كأننا نشهد خروجها من قائمة الدول الحرة إلى الدول شبه الحرة بحسب آخر تصنيف لمؤشر منظمة "فريدوم هاوس" Freedom House لعام 2024[23]. ويؤكد هذا المنحى السلطوي لنظام الحكم في تونس جو التضييق على الحريات حاليًا في إطار الاستعدادات للانتخابات الرئاسية لعام 2024، والتي سجلت المتابعة القضائية (بل حتى السجن) لعدد ممن المعارضين المرشحين أو المنافسين المحتملين للرئيس سعيد، ما يوحي بأننا أمام تهيئة تونس لخروجها عن قاعدة التداول السلمي الديمقراطي للسلطة (إن لم يكن هذا أصلًا قد حصل فعليًا منذ تموز/ يوليو 2021) وانتكاسة للمقاربة التوافقية لـ "الجمهورية الثانية"، حيث إن النزعة الانفرادية لرئيس الدولة واختياراته لرئاسة الحكومة ووزرائها يشيران إلى انحراف التجربة الديمقراطية وتراجع مختلف مؤشراتها نحو عودة السلطوية، ليبقى حلم الانتقال إلى الديمقراطية مؤجلًا.

إن مستقبل الشعب والبلاد التونسية ومكتسبات "ثورة الياسمين" في مجال الحريات السياسية والعملية الانتخابية وحرية التعبير والتنظيم في دائرة الخطر الحقيقي؛ فتونس اليوم تعيش وضعًا سياسيًا غير مستقر، غاب فيه شعار "لا رجعة عن مسار الانتخابات والديمقراطية"، بعد أن أحدثت القرارات الاستثنائية لرئيس الدولة تغيرات كبيرة في المشهد السياسي، ما ينبئ بانهيار البناء الديمقراطي وعودة حكم الفرد إذا ما واصل الرئيس المضيّ في تنفيذ مسار 25 جويلية 2021 الذي تعتبره قوى تونسية "انقلابًا على دستور الثورة" و"تكريسًا لحكم فردي مطلق" في حين تراه قوى أخرى مؤيدة للرئيس "تصحيحًا لمسار ثورة 2011". ولكن الرئيس سعيّد، بكل الوعود التي قدّمها، ما زال يعجز عن حل الأزمات الاقتصادية والاجتماعية التي تعيشها تونس؛ ما يجعل في نظرنا البلاد أمام سيناريوهَين ممكنين. أولهما هو أن تدفع الأزمات الاقتصادية والسياسية وحتى الأمنية المحتملة المجتمع التونسي بمكوناته المدنية والسياسية نحو حالة التمرد والعصيان للمطالبة بتحسين الظروف المعيشية والمشهد السياسي، ومن ثم الضغط على الرئيس لدفعه إلى القبول بالتوافق السياسي مع معارضيه أو إخراجه من السلطة. وثانيهما هو أن يتمكن الرئيس من تثبيت نظامه في شكل نظام هجين، يستوعب فيه المعارضة التي جرى إضعافها ويجعلها تقبل بخيار المشاركة السياسية في حدود ما يسمح به النظام، على الرغم من وعيها أن العملية الانتخابية التي تشارك فيها ليست مثالية، مدفوعة في ذلك بالعوامل التي تطرقت إليها الدراسة المترجمة في هذا العدد "الانتخابات في ظل الاستبداد".

23 ينظر تصنيف تونس بحسب "فريدوم هاوس" لعام 2024، شوهد في 2024/3/21، في: https://bit.ly/4fZF6w8

المراجع

العربية

عبد الرحيم، حافظ [وآخرون]. **التعبئة الانتخابية في تونس: دراسة حالة الانتخابات التشريعية 2014**. تقديم مهدي مبروك وعبد الوهاب بن حفيظ. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2016.

عوض، طالب [وآخرون]. **الديمقراطية والانتخابات في العالم العربي**. أعمال المؤتمر الدولي حول الديمقراطية والانتخابات في العالم العربي. كرم خميس (محرر). تقديم علاء شلبي. القاهرة: المنظمة العربية لحقوق الإنسان، 2014.

الأجنبية

Diamond, Larry. "Elections without Democracy: Thinking about Hybrid Regimes." *Journal of Democracy*. vol. 13, no. 2 (2002).

Giddens, Anthony. *Runaway World: How Globalization is Reshaping our Live*. London: Routledge, 2002.

Huntington, Samuel. *The Third Wave: Democratization in the Late Twentieth Century*. Norman: University of Oklahoma Press, 1991.

صـدر حديـثًا



تـأليف: مارشال سالينز
تـرجمة: عبد اللّه البياري

ما القرابة؟

صدر عن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ضمن سلسلة "ترجمان"، كتاب **ما القرابة؟** *What Kinship Is - And Is Not*، من تأليف مارشال سالينز وترجمة عبد اللّه البياري. يقع الكتاب في 160 صفحة، شاملةً ببليوغرافيا وفهرسًا عامًا.



مجلة **سياسات عربية** مجلة محكّمة تصدر عن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ومعهد الدوحة للدراسات العليا. تحمل الرقم الدولي المعياري (ISSN: 2307-1583). وقد صدر عددها الأول في آذار/ مارس 2013. وهي مجلة محكّمة تصدر مرة واحدة كلّ شهرين، ولها هيئة تحرير اختصاصية وهيئة استشارية دولية فاعلة تشرف على عملها. وتستند إلى ميثاق أخلاقي لقواعد النشر فيها والعلاقة بينها وبين الباحثين. وبعد ثلاث سنوات من الخبرة، والتفاعل مع المختصين والمهتمين، صدر خلالها من المجلة ثمانية عشر عددًا، أعادت المجلة هيكلة نفسها بما يتوافق مع المواصفات الشكلية والموضوعية للمجلات الدولية المحكّمة. كما تستند إلى لائحة داخلية تنظّم عمل التحكيم، وإلى لائحة معتمدة بالمحكمين في الاختصاصات كافة.

تُعنى المجلة بالمقالات والدراسات والبحوث وبالأوراق البحثية عمومًا في مجالات العلوم السياسية والعلاقات الدولية، والسياسات المقارنة، والنظم المؤسسية الوطنية أو الإقليمية والدولية، بما في ذلك دراسات الحالات والسياسات، وعمل النظم السياسية والسلوك السياسي للحكومات والقوى السياسية والاجتماعية والحزبية وسائر الفاعلين الاجتماعيين - السياسيين، واتجاهات المجتمع المدني والمشاركة السياسية والاجتماعية. ويندرج في هذا السياق اهتمامها بالسياسات العمومية وبالدراسات الأمنية والإستراتيجية وقضايا الدبلوماسية والتعاون الدولي، ودراسات الرأي العام وقضايا الهجرة والتهجير والحروب والصراعات الأهلية وقضايا حقوق الإنسان. وتهتم بصورة خاصة بمرحلة الانتقال السياسي العامة الجارية في الوطن العربي، ولا سيما منها مراحل الانتقال الديمقراطي على المستويات السياسية كافة، وما يتعلق بها من جوانب قانونية دستورية ومؤسسية.

إضافةً إلى الهيئتين التحريرية والاستشارية، تستند المجلة في عملها إلى وحدتين نشطتين في المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، هما "وحدة الدراسات السياسية" ووحدة "المؤشر العربي" الذي يصدر تقريره كلّ عام. وتتكامل في عملها مع برنامج العلوم السياسية في معهد الدوحة للدراسات العليا، ومع برنامج "التحوّل الديمقراطي" في المركز.

تعتمد مجلة "**سياسات عربية**" المواصفات الشكلية والموضوعية للمجلات الدولية المحكّمة، وفقًا لما يلي:

- **أولًا:** أن يكون البحث أصيلًا معدّا خصيصًا للمجلة، وألّا يكون قد نشر جزئيًا أو كليًّا أو نُشر ما يشبهه في أيّ وسيلة نشر إلكترونية أو ورقية، أو قُدّم في أحد المؤتمرات العلمية من غير المؤتمرات التي يعقدها المركز، أو إلى أيّ جهة أخرى.
- **ثانيًا:** أن يرفق البحث بالسيرة العلمية للباحث باللغتين العربية والإنكليزية.
- **ثالثًا:** يجب أن يشتمل البحث على العناصر التالية:

- عنوان البحث باللغتين العربية والإنكليزية، وتعريف موجز بالباحث والمؤسسة العلمية التي ينتمي إليها وآخر إصداراته باللغتين العربية والإنكليزية.
- الملخّص التنفيذي باللغتين العربية والإنكليزية في نحو (100-125) كلمة لكل لغة، والكلمات المفتاحية (Keywords) بعد الملخص، ويقدّم الملخص بجمل قصيرة ودقيقة وواضحة إشكالية البحث الرئيسة، والطرق المستخدمة في بحثها، والنتائج التي توصّل إليها البحث.

- تحديد مشكلة البحث، وأهداف الدراسة، وأهميتها، والمراجعة النقدية لما سبق وكُتب عن الموضوع، بما في ذلك أحدث ما صدر في مجال البحث، وتحديد مواصفات فرضية البحث أو أطروحته، ووضع التصوّر المفاهيمي وتحديد مؤشّراته الرئيسة، ووصف منهجية البحث، والتحليل والنتائج، والاستنتاجات. على أن يكون البحث مذيّلًا بقائمة بيبليوغرافية تتضمن أهم المراجع التي استند إليها الباحث إضافةً إلى المراجع الأساسية التي استفاد منها ولم يشر إليها في الهوامش. وتذكر في القائمة بيانات البحوث بلغتها الأصلية (الأجنبية) في حال العودة إلى عدة مصادر بعدة لغات.
- أن يتقيد البحث بمواصفات التوثيق وفقًا لنظام الإحالات المرجعية الذي يعتمده المركز (ملحق 1: أسلوب كتابة الهوامش وعرض المراجع).
- لا تنشر المجلة مستلات أو فصولًا من رسائل جامعية أقرّت إلّا بشكل استثنائي، وبعد أن يعدّها الباحث من جديد للنشر في المجلة، وفي هذه الحالة على الباحث أن يشير إلى ذلك، ويقدّم بيانات وافية عن عنوان الأطروحة وتاريخ مناقشتها والمؤسسة التي جرت فيها المناقشة.
- أن يقع البحث في مجال أهداف المجلة واهتماماتها البحثية.
- تهتم المجلة بنشر مراجعات نقدية للكتب المهمة التي صدرت حديثًا في مجالات اختصاصها بأيّ لغة من اللغات، شرط ألّا يكون قد مضى على صدورها أكثر من ثلاث سنوات. يتراوح حجم المراجعة بين 4500-5000 كلمة، وتخضع لقواعد تحكيم الأبحاث في المركز العربي.
- يراوح عدد كلمات البحث، بما في ذلك المراجع في الإحالات المرجعية والهوامش الإيضاحية، والقائمة البيبليوغرافية وكلمات الجداول في حال وجودها، والملحقات في حال وجودها، بين 6000-8000 كلمة، وللمجلة أن تنشر، بحسب تقديراتها وبصورة استثنائية، بعض البحوث والدراسات التي تتجاوز هذا العدد من الكلمات.
- في حال وجود مخططات أو أشكال أو معادلات أو رسوم بيانية أو جداول، ينبغي إرسالها بالطريقة التي استغلت بها في الأصل بحسب برنامجَي اكسل (Excel) أو وورد (Word)، ولا تقبل الأشكال والرسوم والجداول التي ترسَل صورًا.

– **رابعًا:** يخضع كلّ بحث إلى تحكيم سري تام، يقوم به محكّمان من المحكّمين المختصين اختصاصًا دقيقًا في موضوع البحث، ومن ذوي الخبرة العلمية بما أنجز في مجاله، ومن المعتمدين في قائمة المحكّمين - القرّاء في المركز. وفي حال تبايُن تقارير المحكّمَين، يحال البحث إلى محكّم مرجّح ثالث. وتلتزم المجلة موافاة الباحث بقرارها الأخير؛ النشر/ النشر بعد إجراء تعديلات محددة/ الاعتذار عن عدم النشر، وذلك في غضون شهرين من استلام البحث.

– **خامسًا:** تلتزم المجلة ميثاقًا أخلاقيًا يشتمل على احترام الخصوصية والسرية والموضوعية وعدم إفصاح المحرّرين والمراجعين وأعضاء هيئة التحرير عن أيّ معلومات بخصوص البحث المحال إليهم إلى أيّ شخص آخر غير المؤلّف والمحكّمين وفريق التحرير (ملحق 2).

- تلتزم المجلة جودة الخدمات التدقيقية والتحريرية التي تقدّمها للبحث... إلخ.
- يخضع ترتيب نشر البحوث إلى مقتضيات فنية لا علاقة لها بمكانة الباحث.
- لا تدفع المجلة مكافآت ماليّة عن الموادّ - من البحوث والدراسات والمقالات - التي تنشرها؛ مثلما هو متَّبَعٌ في الدوريات العلمية في العالم. ولا تتقاضى المجلة أيّ رسوم على النشر فيها.

ملحق 1:
أسلوب كتابة الهوامش وعرض المراجع

الكتب

اسم المؤلّف، **عنوان الكتاب**، اسم المترجم أو المحرّر، الطبعة (مكان النشر: الناشر، تاريخ النّشر)، رقم الصّفحة.

- نبيل علي، **الثقافة العربية وعصر المعلومات**، سلسلة عالم المعرفة 265 (الكويت: المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب، 2001)، ص 227.
- كيت ناش، **السوسيولوجيا السياسية المعاصرة: العولمة والسياسة والسلطة**، ترجمة حيدر حاج إسماعيل (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2013)، ص 116.

ويُستشهد بالكتاب في الهامش اللاحق غير الموالي مباشرةً على النّحو التالي مثلًا: ناش، ص 117.

أما إن وُجد أكثر من مرجع واحد للمؤلّف نفسه، ففي هذه الحالة يجري استخدام العنوان مختصرًا: ناش، **السوسيولوجيا**، ص 117.

ويُستشهد بالكتاب في الهامش اللاحق الموالي مباشرةً على النّحو التالي: المرجع نفسه، ص 118.

أمّا في قائمة المراجع فيرد الكتاب على النّحو التالي:

- ناش، كيت. **السوسيولوجيا السياسية المعاصرة: العولمة والسياسة والسلطة**. ترجمة حيدر حاج إسماعيل. بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2013.

وبالنسبة إلى الكتاب الذي اشترك في تأليفه أكثر من ثلاثة مؤلفين، فيُكتب اسم المؤلف الرئيس أو المحرر أو المشرف على تجميع المادة مع عبارة "وآخرون". مثال:

- السيد ياسين وآخرون، **تحليل مضمون الفكر القوميّ العربيّ**، ط 4 (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1991)، ص 109.

ويُستشهد به في الهامش اللاحق كما يلي: ياسين وآخرون، ص 109.

أمّا في قائمة المراجع فيكون كالتالي:

- ياسين، السّيد وآخرون. **تحليل مضمون الفكر القوميّ العربيّ**. ط 4. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1991.

الدوريات

اسم المؤلّف، "عنوان الدّراسة أو المقالة"، **اسم المجلّة**، المجلّد و/أو رقم العدد (سنة النّشر)، رقم الصّفحة. مثال:

- محمد حسن، "الأمن القوميّ العربيّ"، **إستراتيجيات**، المجلد 15، العدد 1 (2009)، ص 129.

أمّا في قائمة المراجع، فنكتب:

- حسن، محمد. "الأمن القوميّ العربي". **إستراتيجيات**. المجلد 15. العدد 1 (2009).

مقالات الجرائد

تكتب بالترتيب التالي (تُذكر في الهوامش فحسب، ومن دون قائمة المراجع). مثال:

- إيان بلاك، "الأسد يحثّ الولايات المتحدة لإعادة فتح الطّرق الدبلوماسية مع دمشق"، **الغارديان**، 2009/2/17.

المنشورات الإلكترونية

عند الاقتباس من مواد منشورة في مواقع إلكترونية، يتعين أن تذكر البيانات جميعها ووفق الترتيب والعبارات التالية نفسها: اسم الكاتب إن وجد، "عنوان المقال أو التقرير"، **اسم السلسلة** (إن وُجد)، اسم الموقع الإلكتروني، تاريخ النشر (إن وُجد)، شوهد في 2016/8/9، في: ......http://www.

ويتعين ذكر الرابط كاملًا، أو يكتب مختصرًا بالاعتماد على مُختصِر الروابط (Bitly) أو (Google Shortner). مثل:

"ارتفاع عجز الموازنة المصرية إلى 4.5%"، الجزيرة نت، 2012/12/24، شوهد في 2012/12/25، في: http://bit.ly/2bAw2OB

- "معارك كسر حصار حلب وتداعياتها الميدانية والسياسية"، **تقدير موقف**، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2016/8/10، شوهد في 2016/8/18، في: http://bit.ly/2b3FLeD

ملحق 2

أخلاقيات النشر في مجلات المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

- تعتمد مجلات المركز قواعد السرية والموضوعية في عملية التحكيم، بالنسبة إلى الباحث والمحكّمين على حدّ سواء، وتُحيل كل بحث قابل للتحكيم على محكّمين معتمديْن لديها من ذوي الخبرة والاختصاص الدقيق بموضوع البحث، لتقييمه وفق نقاط محددة. وفي حال تعارض التقييم بين المحكّمين، تُحيل المجلة البحث على قارئ مرجّح آخر.
- تعتمد مجلات المركز محّكمين موثوقين ومجرّبين ومن ذوي الخبرة بالجديد في اختصاصهم.
- تعتمد مجلات المركز تنظيمًا داخليًا دقيقًا واضح الواجبات والمسؤوليات في عمل جهاز التحرير ومراتبه الوظيفية.
- لا يجوز للمحرّرين والمحكّمين، باستثناء المسؤول المباشر عن عملية التحرير (رئيس التحرير أو من ينوب عنه) أن يبحث الورقة مع أيّ شخصٍ آخر، بما في ذلك المؤلّف. وينبغي الإبقاء على أيّ معلومةٍ متميّزة أو رأيٍ جرى الحصول عليه من خلال التحكيم قيد السرّية، ولا يجوز استعمال أيٍّ منهما لاستفادةٍ شخصية.
- تقدّم المجلة في ضوء تقارير المحكمين خدمة دعم فنّي ومنهجي ومعلوماتي للباحثين بحسب ما يستدعي الأمر ذلك ويخدم تجويد البحث.
- تلتزم المجلة إعلام الباحث بالموافقة على نشر البحث من دون تعديل أو وفق تعديلات معينة، بناءً على ما يرد في تقارير التحكيم، أو الاعتذار عن عدم النشر، مع بيان أسبابه.
- تلتزم مجلات المركز جودة الخدمات التدقيقية والتحريرية والطباعية والإلكترونية التي تقدمها للبحث.
- احترام قاعدة عدم التمييز: يقيّم المحرّرون والمراجعون المادّة البحثية بحسب محتواها الفكري، مع مراعاة مبدأ عدم التمييز على أساس العرق أو الجنس الاجتماعي أو المعتقد الديني أو الفلسفة السياسية للكاتب.

- قاعدة عدم تضارب المصالح بين المحررين والباحث، سواء كان ذلك نتيجة علاقة تنافسية أو تعاونية أو علاقات أخرى أو روابط مع أيّ مؤلّف من المؤلّفين، أو الشركات، أو المؤسّسات ذات الصّلة بالبحث.
- تتقيد المجلات بعدم جواز استخدام أيّ من أعضاء هيئتها أو المحررين المواد غير المنشورة التي يتضمنها البحث المُحال على المجلة في بحوثهم الخاصة.
- النسخة النهائية للبحث والتعديلات: تعرض المجلة النسخة المحررة شبه النهائية من البحث بصيغة PDF على الباحث قبل النشر. وفي هذه المرحلة، لا تُقبل أيّ تعديلات مهمّة أو إضافات على البحث، إلّا ما كان من تصحيحاتٍ أو تصويبات أو تعديلات طفيفة؛ وذلك ضمن أمدٍ زمني وجيز جدًا تُحدّده رسالة المجلة إلى الباحث.
- حقوق الملكية الفكرية: يملك المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات حقوق الملكية الفكرية بالنسبة إلى المقالات المنشورة في مجلاته العلمية المحكّمة، ولا يجوز إعادة نشرها جزئيًا أو كلّيًا، سواءٌ باللغة العربية أو ترجمتها إلى لغات أجنبية، من دون إذنٍ خطي صريح من المركز العربي.
- تتقيد مجلات المركز في نشرها لمقالات مترجمة تقيّدًا كاملًا بالحصول على إذن الدورية الأجنبية الناشرة، وباحترام حقوق الملكية الفكرية.
- المجانية. تلتزم مجلّات المركز العربي بمجّانية النشر، وتُعفي الباحثين والمؤلّفين من جميع رسوم النشر.

9. Conflict of interests: Editors and peer-reviewers should not consider manuscripts in which they have conflict of interests resulting from competitive, collaborative or other relationships or connections with any of the authors, companies, or institutions connected to the papers.

10. Confidentiality: Unpublished data obtained through peer-review must be kept confidential and cannot be used for personal research.

11. Intellectual property and copyright: The ACRPS retains copyright to all articles published in its peer-reviewed journals. The articles may not be published elsewhere fully or partially, in Arabic or in another language, without an explicit written authorization from the ACRPS.

12. Siyasat Arabiya's editorial board fully respects intellectual property when translating and publishing an article published in a foreign journal, and will not proceed before getting the authorization from the journal in question.

13. Siyasat Arabiya does not make payments for manuscripts published in the journal, and all authors and researchers are exempt from publication fees.

John Vidal, "Middle East faces water shortages for the next 25 years, study says, " *The Guardian,* 27/8/2015, accessed on 31/10/2015, at: http://bit.ly/2k97Wxw

Policy Analysis Unit-ACRPS, "President Trump: An Attempt to Understand the Background, " *Assessment Report,* The Arab Center for Research and Policy Studies, accessed on 10/11/2016, at: http://bit.ly/2j36v5S

Annex II

Ethical Guidelines for Publication in Siyasat Arabiya

1. Siyasat Arabiya's editorial board maintains confidentiality and adheres to objectivity in the peer-reviewing process. It adopts an anonymized peer review process, where the editorial board selects the appropriate reviewer to assess paper's suitability for publication, according to specific criteria. In case of a conflict between the reviewers regarding the publication assessment, a third peer-reviewer will be selected.
2. Siyasat Arabiya relies on an accredited pool of experienced peer-reviewers who are up to date with the latest developments in their field.
3. Siyasat Arabiya adopts a rigorous internal organization with clear duties and obligations to be fulfilled by the editorial board.
4. Disclosure: With the exception of the editor in charge (editor-in-chief or those standing in for the editor), neither the editors, nor the peer-reviewers, are allowed to discuss the manuscript with third parties, including the author. Information or ideas obtained in the course of the reviewing and editing processes and related to possible benefits must be kept confidential and cannot be used for obtaining personal gain.
5. When needed, based on the reviewer report, the editorial board may offer researchers methodological, technical and other assistance in order to improve the quality of their submissions.
6. Siyasat Arabiya's editors commit to informing authors of the acceptance or otherwise of their manuscripts, based on the reviewers' report, or to notify in case of rejection, specifying the reasons.
7. The journal remains committed to providing quality professional *copy editing*, *proof reading and online publishing service.*
8. Fairness: The editors and the reviewers evaluate manuscripts for their intellectual and scientific merit, without regard to race, ethnicity, gender, religious beliefs or political views of the authors.

In quotes immediately following the reference: Ibid., p. 32.

The corresponding bibliographical entry:

Pollan, Michael. *The Omnivore's Dilemma*: *A Natural History of Four Meals*. New York: Penguin, 2006.

For books by three or more authors, in the note, list only the first author, followed by et al.:

Michael Gibbons et al., *The New Production of Knowledge*: *The Dynamics of Science and Research in Contemporary Societies* (London: Sage, 1994), pp. 220-221.

In later quotes: Gibbons et al., p. 35.

The corresponding bibliographical entry:

Gibbons, Michael et al., *The New Production of Knowledge*: *The Dynamics of Science and Research in Contemporary Societies*. London: Sage, 1994.

Periodicals

Author's name, "article title, " *journal title*, volume number, issue number (Month/season Year), page numbers.

Joshua I. Weinstein, "The Market in Plato's Republic, " *Classical Philology*, no. 104 (2009), p. 440.

The corresponding bibliographical entry:

Weinstein, Joshua I. "The Market in Plato's Republic. " *Classical Philology*. no. 104 (2009),.

Articles in a Newspaper or Popular Magazine

N. B. Cited only in footnotes, not in the references/bibliography. Example:

Ellen Barry, "Insisting on Assad's Exit Will Cost More Lives, Russian Says, " *The New York Times*, 29/12/2012.

Electronic Resources

When quoting electronic resources on websites, please include all the following: Author's name (if available), "The article or report title, " series name (if available), website's name, date of publication (if available), accessed on 9/8/2016, at: http://www...

The full link to the exact page should be included. Please use an URL Shortener (Bitly) or (Google Shortner). Example:

i. Book reviews will be considered for submission to the journal provided that the book covers a topic which falls within the scope of the journal and within the reviewer's academic specialization and/or main areas of research. Reviews are accepted for books written in any language, provided they have been published in the previous 3 years. Book reviews are subject to the same standards of rigorous scrutiny which apply to research papers. Book reviews must be between 4,500 and 5,000 words in length.

4. The peer review process for *Siyasat Arabiya* and for all journals published by the ACRPS is conducted in the strictest confidence. Two preliminary reviewers are selected from a short list of approved reader-reviewers. In cases where there is a major discrepancy between the first two reviewers in their assessment of the paper, the paper will be referred to a third reviewer. The editors will notify all authors of a decision either to publish, publish with modifications, or to decline to publish, within two months of the receipt of the first draft.

5. *Siyasat Arabiya's* editorial board adheres to a strict code of ethical conduct, which has the clearest respect for the privacy and the confidentiality of authors. The journal does not make payments for articles published in the journal, nor does it accept payment in exchange for publication. In the final production stages, the order of articles published in specific editions is decided on purely technical grounds.

Annex I

Footnotes and Bibliography

Books

Author's name, *Book Title*, Edition (Place of publication: Publisher, Year of publication), page number.

Michael Pollan, *The Omnivore's Dilemma: A Natural History of Four Meals* (New York: Penguin, 2006), pp. 99 - 100.

Gabriel García Márquez, *Love in the Time of Cholera*, Edith Grossman (trans.), (London: Cape, 1988), pp. 242 - 55.

In quotes not immediately following the reference: Pollan, p. 31.

Where there are several references by the same author, add a short title: Pollan, *Omnivore's Dilemma*, p. 31.

electronic form, or submitted to a conference other than the conferences held by the ACRPS will be considered for publication.

2. Submissions must be accompanied by a curriculum vitae (CV) of the author, in both Arabic and English.

3. All submissions must include the following elements:

   a. A title in both Arabic and English together with the author's institutional affiliation.

   b. An abstract, ranging between 250 and 300 words in length as well as a list of keywords. The abstract must explicitly and clearly spell out the research problematic, the methodologies used, and the main conclusions arrived at. These must be provided in one English, and one Arabic version.

   c. The research paper must include the following: a specification of the research problematic; an explanation of the significance of the topic; specification of thesis or arguments; review of literature emphasizing gaps or limitations in previous analysis; description of research methodology; hypothesis and conceptual framework; bibliography.

   d. All research papers submitted for consideration must include a complete bibliography covering all references, regardless of whether or not these appear in the footnotes. References must be cited in the original language in which the source was written. Authors must follow the referencing guidelines adopted by the Arab Center for Research and Policy Studies (See Appendix I for a complete guide to the reference style used across all of our journals).

   e. Research papers must normally be between 6,000 and 8,000 words in length, inclusive of references, charts and tables, and appendices. The editors reserve the right to publish articles of longer length in exceptional circumstances.

   f. All diagrams, charts, figures and tables must be provided in a format compatible with either Microsoft Office's spreadsheet software (Excel) or Microsoft Office's word processing suite (Word), alongside high resolution images. Charts will not be accepted without the accompanying data from which they were produced.

   g. Submitted research must fall within the aims and research interests of the journal.

   h. Extracts or chapters from doctoral theses and other student projects are only published in exceptional circumstances. In such cases, the researcher should point this out clearly, and provide full information about the thesis, including the title, the awarding institution and date of award.



Siyasat Arabiya is a bi-monthly peer reviewed academic journal published by the Arab Center for Research and Policy Studies (ISSN 2307-1583) dedicated to political science, international relations, strategic affairs and public policy. First published in March 2013, the journal is overseen by an academic editorial board and an actively engaged board of international advisers.

Contributions in *Siyasat Arabiya* are drawn from all fields of political science including international relations, comparative politics, and national, regional, and international institutional systems. The journal publishes critical insights into the operation of political systems, the behavior of governments and political parties as well as the trends in civil society and social and political participation more broadly. This is complemented with publications covering public opinion, issues of migration and forced migration, war, civil war, conflict and human rights issues. Particular attention is paid to the present-day political transition in the Arab world, especially democratization at all political levels and its legal-constitutional and institutional aspects.

In addition to the editorial and advisory boards, the journal relies on two units active within the Arab Center of Research and Policy Studies (ACRPS): the Policy Analysis Unit and the Arab Opinion Index, which produces an annual report on public opinion across the Arab world. The journal's work is also closely linked to the political science program at the Doha Institute for Graduate Studies and the Program for the Study of Arab Democratization within the ACRPS.

Publication in *Siyasat Arabiya* is governed by a strict code of ethics guiding the relationship between the editorial staff and contributors. With three years of experience and interaction with specialists and contributors the journal was recently (Spring, 2016) restructured to bring it in line with international standards of academic publishing. Submission to and publication in *Siyasat Arabiya* must therefore adhere to the following guidelines:

1. Original work which is submitted exclusively for publication within the journal. No work which has been previously published fully or in part will be considered for publication in *Siyasat Arabiya*. Similarly, no work which substantially resembles any other work published in either print or



دعوة للكتابة

تدعو دورية "سياسات عربية" الأكاديميين والباحثين وسائر الكتّاب المهتمين بشؤون السياسات للكتابة على صفحاتها. تقبل الدورية الأبحاث النظرية والتطبيقية المكتوبة باللغة العربية، كما تفتح صفحاتها أيضًا لمراجعات الكتب، وللحوار الجاد حول ما ينشر فيها من موضوعات. تخضع كل المواد التي تصل إلى "سياسات عربية" للتحكيم من جانب مختصين من الأكاديميين. ولذلك تتوقع هذه الدورية ممن يكتبون إليها الالتزام بمعاييرها، وبما يبديه المحكّمون من ملاحظات. فاتباع التقاليد العلمية المؤسّسيّة، على محدوديتها، هو الذي يسمح بتراكم التّجربة واحترام المعايير العلميّة، وضمان جودة المادة التي تصل إلى القراء. تهدف هذه الدورية إلى أن تكون طيّعة الفهم لدى المختصين وغير المختصين من القراء، من دون التضحيةِ برصانة المضمون.

ترسل كل الأوراق الموجهة للنشر باسم رئيس التحرير على العنوان الإلكتروني الخاص بالمجلة

siyasat.arabia@dohainstitute.edu.qa



قسيمة الاشتراك

الاسم ____________________

العنوان البريدي ____________________

البريد الإلكتروني ____________________

عدد النسخ المطلوبة ____________________

طريقة الدفع ☐ تحويل بنكي ☐ شيك لأمر المركز



Invitation to submit papers



The editors of *Siyasat Arabia* invite scholars to submit papers for consideration in future editions of the journal. *Siyasat Arabia*, published bi-monthly in Arabic, covers the range of specialisms within political science and strategic studies, including international relations, geopolitics and geostrategic studies. The journal also carries critical, incisive essays and book reviews as well as primary source materials. All submitted manuscripts will be subject to the same rigorous peer review process. The journal aims to further and deepen debate around these topics for diverse audiences of professional scholars and non-specialists alike while continuing to uphold its high academic standards.



All submissions intended for publication should be sent by email:

siyasat.arabia@dohainstitute.edu.qa

Address all correspondence to the Editor-in-Chief



الاشتراكات السنوية

(ستة أعداد في السنة بما في ذلك أجور البريد المسجل)

35 دولارًا أميركيًا للأفراد في لبنان.

55 دولارًا أميركيًا للحكومات والمؤسسات في لبنان.

55 دولارًا أميركيًا للأفراد في الدول العربية وأفريقيا.

75 دولارًا أميركيًا للحكومات والمؤسسات في الدول العربية وأفريقيا.

95 دولارًا أميركيًا للأفراد في أوروبا.

120 دولارًا أميركيًا للحكومات والمؤسسات في أوروبا.

120 دولارًا أميركيًا للأفراد في القارة الأميركية.

140 دولارًا أميركيًا للحكومات والمؤسسات في القارة الأميركية.

عنوان الاشتراكات:

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ARAB CENTER FOR RESEARCH & POLICY STUDIES

جادة الجنرال فؤاد شهاب - بناية الصيفي 174 - مار مارون

ص.ب: 4965-11 رياض الصلح 2180-1107 بيروت - لبنان

عنوان التحويل البنكي:

ARAB CENTER FOR RESEARCH & POLICY STUDIES

Qatar National Bank

Account Number: 3804002-000072- (FOR US DOLLARS)

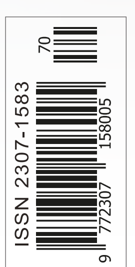
IBAN number: LB70 0136 0000 000 3804 000072 002 (FOR US DOLLARS)

SWIFT code: QNBA LB BE

في هذا العدد

سعر النسخة

قطر	18 ريالًا	العــــراق	3500 دينار	الجزائر	150 دينارًا
السعودية	18 ريالًا	تونس	3 دنانير	المغرب	18 درهمًا
الإمارات	18 درهمًا	سوريـــا	150 ليرة	موريتانيا	500 أوقية
البحرين	ديناران	لبنان	100000 ليرة	ليبيا	3 دنانير
الكويت	1,5 دينار	الأردن	1,5 دينار	فلسطين	3 دولارات
عُمان	ريالان	اليمن	300 ريال	الصومال	2500 شلن
مصـــر	20 جنيهًا	السودان	10 جنيهات		



المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies
معهد الدوحة للدراسات العليا
DOHA INSTITUTE FOR GRADUATE STUDIES